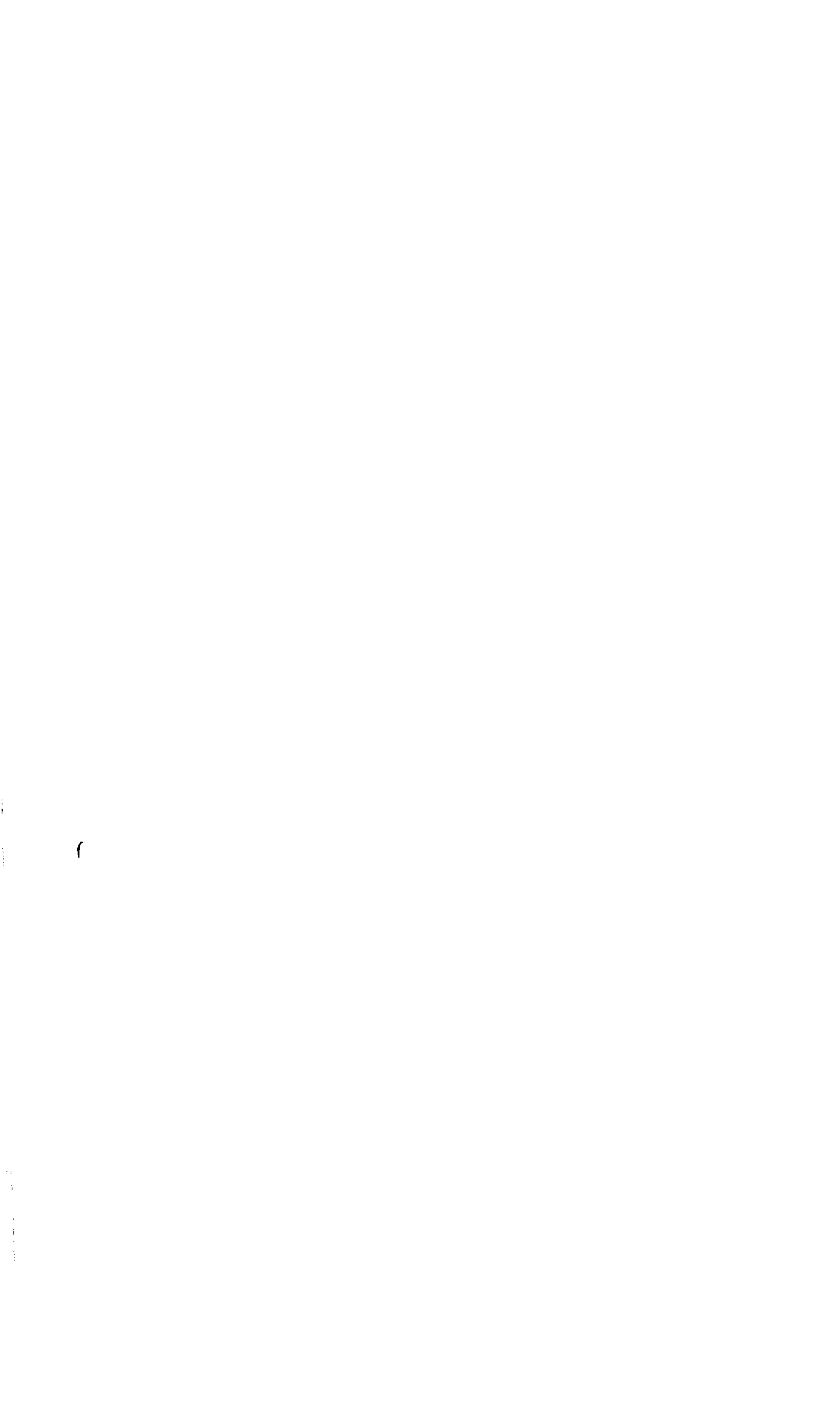
شرح قصيدة الإمام ابن القيّم

تأليف

أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الجزء الأول

المكتب الإسلامي



رفعه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

تَوضيحُ المقَاصِدِ وَتصحِيحِ القواعِدِ
في شرح
قصيدة الإمام ابن القيّم
المَوْسُومَة بِالكَافِيَة الشّافِيَة في الإنتصار للفرقَة النّاجِيَة

تأليف

أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الأول

المكتب الاسلامي

الطبعة الاولى ١٣٨٢ دمشق

الطبعة الثانية ١٣٩٤ بيروت

المكتب الإسلامي

دمشق : ص.ب ٨٠٠ ـ هاتف: ١١١٦٣٧ ـ برقيًا: إسلامي

بيروت : ص.ب ٣٧٧١ ـ هاتف: ٢٨٥٨٢٧ ـ برقيًا: إسلاميًا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

رب يسر وأعن يا كريم

حمداً لك اللهم على ما منحت من الإلهام، وفتحت من الأفهام، وأزحت من الشكوك والأوهام، ولطفت بنا في ركوب أعناق الكلام عن موجبات التوبيخ والملام، وأوردتنا من مناهل كتابك الهدى وسنة رسولك المصطفى منهلاً يشفي الأوام ويبرىء العلل والأسقام، وأوضحت لنا في ظلمات الفلسفة نوراً نستضيء به في حنادس ذلك الظلام، وحفظتنا من خيالات المتصوفة، وشطحاتهم الفظيعة ودعاويهم الطويلة العريضة التي هي كسراب بقيعة، فعياذاً بك اللهم من تلك المقالات، ولياذاً بك من تلك الضلالات التي هي رمد جفن الدين، وكمد نفوس المهتدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يمسي بها العمل الصالح مرفوعاً، ويضحي بها الزلل الفاضح موضوعاً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الحق هادياً، وبشيراً، ونزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيراً. فهداهم به إلى الحق وهم في ضلال مبين، وسلك بهم مسلك الهداية حتى أتاهم اليقين، ﷺ وعلى آله البررة، وصحبه الخيرة، مصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، وخلفاء الدين، وحلفاء اليقين، الذين بلغوا من محاسن الفضائل الغاية، ووصلوا من مكارم الفواضل نهاية النهاية، وعلى من تبعهم بإحسان، صلاة وسلاماً دائمين ما تناوب النيران، وتعاقب الملوان[1].

وبعد: فان المنظومة المشهورة في الطريقة السنية، والعقيدة الحنيفية،

---

(١) الملوان: الليل والنهار.

المسماة بـ « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » لم ينسج ناسج على منوالها ، ولم تسمح الدهور بشكلها وامثالها ، نظم الشيخ الإمام ، والعمدة القدوة الهمام ، شيخ الاسلام والمسلمين ، القائم ببيان الحق ونصر الدين ، العابد الناسك ، الورع الزاهد ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد المعروف بـ : ابن قيم الجوزية ، أسكنه الله الغرف العلية . ولكنها من عهد مؤلفها ، وهي عروس لم يمط لثامها ، وخود[1] بكر لم يفتض ختامها ، وليس يخفى ماتضمنته من أصول الفصول ، واشتملت عليه من قواعد العقائد التي هي الحاصل والمحصول ، واحتوت عليه من الرد على أهل البدع والضلالة ، والاقوال الباطلة المحالة ، والمحدثات المضلة المخذولة ، والخزعبيلات المرذولة ، كالوجودية والجهمية ، والمعتزلة والرافضة ، والحرورية والكلابية ، والمرجئة والمجبرة ، وغيرهم من أهل الضلالات ، والاقوال المحالات ، وقمع أباطيلهم ، وردع أضاليلهم بالحجج الظاهرة ، والبراهين الباهرة من صحيح المنقول ، وصريح المعقول .

وموضوعها : المحاكمة بين الطوائف ، واثبات صفات الباري سبحانه على رغم كل مخالف ، ولما كنت نبغت في هذه الفنون قديماً ، وصبغت بها أديماً ، وكنت للكتب وأرباب العلوم سميراً ونديماً ، وبرعت في تلك العلوم ، وكرعت من رحيقها المختوم ؛ عن لي أن أضع عليها شرحاً ، يفتح مغلقها ، ويقيد مطلقها ، ويكحل جفونها ، ويسهل حزونها ، وذلك مع تراكم الاشغال ، وتبلبل الافكار والبال ، وعدم معين في هذه الأمور الثقال ، ونزارة من يستدل به في مثل هذه المطالب العالية التي تقصر فيها الخطا ، ويتيه في مطاويها القطا ، وعدم شرح لها يستضاء بنبراسه في دياجي المشكلات ، ويبنى على أساسه في الأمور المعضلات . ومع ذلك فإن تحرير هذا الشرح في حال غيبتي عن كتبي التي هي رأس مالي ربيبتي ، إلا أن الله

---

(١) الخود : الحسنة الخلق الشابة ، أو الناعمة .

سبحانه بفضله أعان ، وأمد بأسباب لم تخطر على الاذهان .

فدونك شرحاً يشرح الصدور ، وتضيء من غضونه شموس وبدور ، وتتحلى بجواهره اللبات والنحور ، فهو كتاب جمع فأوعى ، وحوى من من كل شيء جنساً ونوعاً[1] ، ومع ذلك لم أوثر الإطالة خوفاً من السآمة والملالة ، وهذا حين الشروع في المقصود مستعيناً بالملك المعبود فأقول وبالله أحول وأصول :

فصل

في ذكر ترجمة الناظم رحمه الله تعالى : هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ، ثم الدمشقي ، الفقيه المفسر النحوي الأصولي المتكلم الشهير بـ : ابن قيم الجوزية . قال في «الشذرات» بل هو المجتهد المطلق . قال الحافظ ابن رجب في « طبقات الحنابلة » في ترجمته : ولد شيخنا سنة ٦٩١ ، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ عنه ، وتفنن في كافة علوم الإسلام ، وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين ، واليه المنتهى فيها ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه والأصول والعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف ، وحبس مدة لإنكار شد الرحيل الى قبر الخليل ، وكان ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة إلى الغايه القصوى ، لم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان ، وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أرفي معناه مثله . وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع شيخه شيخ

---

(١) قال استاذنا ابن مانع : هذا تعديل لنفسه وتزكية لها ، سبقه إلى نفس هذا اللفظ صاحب « القاموس »

الإسلام تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف ، والخوض في غوامضهم . وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة ،وأشياء من تصانيفه غيرها ، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه وإلى أن مات ، وانتفعوا به . قال القاضي برهان الدين الزرعي : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه [1] . ودرس بالصدرية ، وأم بالجوزية ، وكتب بخطه مالا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جداً في انواع العلوم ، وحصل له من الكتب مالم يحصل لغيره .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تاريخه » هو محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي امام الجوزية وابن قيمها ، سمع الحديث ، واشتغل بالعلم ، فبرع في علوم متعددة لاسيما علم التفسير والحديث ، والأصلين . ولما عاد الشيخ تقي الدين من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة ،لازمه الى أن مات ، فأخذ عنه علماً جماً مع ماسلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الصلوات والابتهال . وكان حسن القراءة والخلق مع كثرة التودد ، لا يحسد أحداً ، ولا يؤذيه ولا يستغيبه ، ولا يحقد على أحد ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف . وبالجملة فقد كان قليل النظير ، بل عديم النظير في مجموعه وأموره وأحواله ، والغالب عليه

(١) الظاهر أن هذا من الغلو الذي لايرضى به ابن القيم . (ابن مانع)

الخير ، والأخلاق الصالحة ، وكان متصدياً للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وجرت له بسببها فصول يطول شرحها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره . وقد كانت جنازته حافلة ، وشهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على نعشه ، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله تعالى . وقال غيره في ترجمته : ولد في سنة ٦٩١ ، وسمع على جماعة كثيرين مثل سليمان ابن حمزة الحاكم ، وابي بكر ابن عبد الدائم ، وعيسى المطعم وأبي نصر محمد بن كمال الدين الشيرازي ، وابن مكتوم والبهاء بن عساكر ، وعلاء الدين الكندي الوداعي ، ومحمد بن أبي الفتح البعلي ، ثم قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعة من « المغرب » .

وأما الفقه فأخذه عن جماعة ، منهم الشيخ اسماعيل بن محمد الحراني ، قرأ عليه « مختصر أبي القاسم الخرقي » و « المقنع » لابن قدامة . ومنهم ابن أبي الفتح البعلي ، ومنهم الشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية قرأ عليه قطعة من « المحرر » تأليف جده ، وأخـــوه الشيخ شرف الدين ، وأخذ الفرائض أولاً عن والده ، ثم على الشيخ تقي الدين بن تيمية .

وأما الأصول فأخذها عن جماعة ، منهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واسماعيل بن محمد ، قرأ عليه أكثر « الروضة » لابن قدامة ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، قرأ عليه قطعة من « المحصول » ومن كتاب « الإحكام » للسيف الآمدي . وقرأ أصول الدين على الشيخ صفي الدين الهندي مثل « الأربعين » و « المحصل » وقرأ على شيخ الاسلام ابن تيمية كثيراً من تصانيفه ، واشتغل كثيراً ، وناظر واجتهد ، وأكب على الطلب وصنف ، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول فقهاً وكلاماً ، والفروع ، ولم يخلف الشيخ تقي الدين بن تيمية مثله .

ومن مصنفاته : «تهذيب سنن ابي داود» وايضاح مشكلاته ، والكلام على ما فيه من الاحاديث المعلولة مجلد . كتاب « سفر الهجرتين وباب السعادتين » مجلد ضخم . كتاب « مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين[1] » مجلدان ، وهو شرح « منازل السائرين » لشيخ الاسلام الانصاري ، كتاب جليل القدر . كتاب « عقد محكم الأحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء » مجلد ضخم . كتاب « شرح اسماء الكتاب العزيز » مجلد . كتاب « زاد المسافرين الى منازل السعداء في هدي خاتم الانبياء » كتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » أربع مجلدات ، وهو كتاب عظيم جداً . كتاب « جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الانام » وبيان أحاديثها وعللها مجلد . كتاب « بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » . كتاب « نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول » مجلد . كتاب « اعلام الموقعين عن رب العالمين » ثلاث مجلدات . كتاب « بدائع الفوائد » مجلدان « الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية » وهي القصيدة النونية في السنة مجلد[2] . كتاب « الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة » في مجلدات . كتاب « حادي الأرواح الى بلاد الافراح » وهو كتاب صفة الجنة مجلد . كتاب « نزهة المشتاقين وروضة المحبين » مجلد . كتاب « الداء والدواء » مجلد . كتاب « تحفة الودود في احكام المولود » مجلد . كتاب « مفتاح دار السعادة » مجلد ضخم . كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية » مجلد « رفع اليدين في الصلاة » مجلد « نكاح المحرم » مجلد « تفضيل مكة على المدينة » مجلد « فضل العلم » مجلد « عدة الصابرين » مجلد كتاب « الكبائر » مجلد « حكم تارك الصلاة » مجلد . كتاب « نور المؤمن وحياته » مجلد . كتاب « إغمام هلال رمضان » « التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير » « جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه من دين

---

(١) المشهور بين العلماء أن اسمه « مدارج السالكين » .

(٢) وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم .

الشيطان » « بطلان الكيمياء من اربعين وجهاً » مجلد « الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه » مجلد « الكلم الطيب والعمل الصالح » مجلد لطيف « الفتح القدسي » « التحفة المكية » كتاب « أمثال القرآن » « شرح الأسماء الحسنى » « أيمان القرآن » « المسائل الطرابلسية » ثلاث مجلدات « الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم » مجلدان . كتاب « الطاعون » مجلد لطيف . توفي رحمه الله تعالى وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، وصلي عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر ، ثم بجامع جراح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وشيعه خلق كثير ، ورؤيت له منامات كثيرة حسنة ، رضي الله عنه ، وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى في النوم ، وسأله عن منزلته ، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر ، ثم قال : وانت كدت تلحق بنا ، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة .

ثم قال ابن رجب : قرىء على شيخنا الامام العلامة أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب وانا أسمع هذه القصيدة من نظمه في أول كتابه «صفة الجنة» وذكر بعض الميمية المشهورة[1] . وقال الحافظ السخاوي في حقه : العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ، ومعرفة الخلاف ، وقوة الجنان ، المجمع عليه بين الموافق والمخالف ، وصاحب التصانيف السائرة ، والمحاسن الجمة .

---

(١) وهي :

وما ذاك الا غيرة أن ينالها ... سوى كفؤها والرب بالخلق أعلم

الخ ...

قوله : بسم الله الرحمن الرحيم .

ابتدأ الناظم رحمه الله تعالى بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » اقتداء بالكتاب العزيز ، وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته للملوك وغيرهم ، وامتثالا لقوله ﷺ « كل أمر ذي بال لايبدأ فيه بـ : بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » رواه عبد القادر الرهاوي في « الاربعين البلدانية » وكذا الخطيب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه [1]. ومعنى ذي بال ، أي : حال شريف يحتفل له ، ويهتم به ، ويبن يدي كل الامور المهمة ،

وقوله : أقطع أي : ناقص البركة ، وقد يكون غير معتد به . وروى أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، « كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » اسناده صحيح [2] .

تنبيه : اختلف العلماء فيما اذا كان الكتاب كله شعراً ، فجاء عن الشعبي رحمه الله منع ذلك ، وعن الزهري رحمه الله قال : مضت السنة أن لا يكتب في الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » وعن سعيد بن جبير رحمه الله جواز ذلك ، وتابعه على ذلك الجمهور . وقال الخطيب : وهو

---

(١) قال المناوي في « فيض القدير » : قال النووي في « الاذكار » بعد سياق هذا الحديث : روينا هذه الالفاظ في « الاربعين » للرهاوي ، وهو حديث حسن ، وقد روي موصولا ومرسلا ، قال : ورواية الموصول جيدة الاسناد .

(٢) قال السندي : قد حسن هذا الحديث ابن الصلاح والنووي . وقال ابن حجر : اختلف في وصله وارساله ، ورجح الدارقطني ارساله . وأخرجه ابن ماجه والحاكم وابن حبان ، ورجال اسناده ثقات ، سوى قرة بن عبدالرحمن ، فان الحافظ قال عنه في « التقريب » : صدوق له مناكير .

المختار انتهى . ولاسيما ان كان المنظوم من نفائس العلوم . قال بعض العلماء : الراجح عند الجمهور طلب البسملة في ابتداء الشعر مالم يكن محرماً أو مكروهاً . قال : واما ماتعلق بالعلوم فمحل اتفاق .

قوله : بسم الله ، أي : باسم مسمى هذا اللفظ الأعظم ، الموصوف بأوصاف الكمال ، فالباء متعلقة بمحذوف ، وتقديره فعلاً خاصاً مؤخراً ، أولى من تقديره اسما عاماً مقدماً . أما أولوية كونه فعلاً ، فلأنه الاصل في العمل ، وحينئذ فمحل الجار والمجرور النصب على المفعولية بالفعل المقدر . واما أولوية كونه خاصاً ، فلأنه أدل على المطلوب ، فتقديره : أؤلف عند التأليف أولى من ابتدائي ، وكذا عند القراءة ، ونحو ذلك ، فيقدر عند كل أمر ما يناسبه . واما أولوية تقديره مؤخراً ، فلأمرين .

أحدهما : الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظاً وتقديراً ، لانه تعالى يقدم ذاتاً ، فقدم ذكراً ، ليوافق الاسم المسمى

والثاني : لافادة التخصيص ، كما في قوله تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين) الفاتحة : ٥ . لا يقال : الأولى ملاحظة قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) العلق : ١ لانا نقول : المطلوب الأهم ثم القراءة ، لانها أول مانزل عليه ﷺ وأول ماطرق المسامع الشريفة من الوحي ، فكان الانسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام ، والله أعلم .

فائدة : الاسم في المخلوق غير المسمى ، وفي حق الخالق تعالى لاغير ولا عين [١] . قال الامام المحقق ناظم هذه المنظومة في كتابه « بدائع الفوائد » : اسماء الله الحسنى في القرآن من كلامه تعالى ، وكلامه غير مخلوق ، ولا يقال : هي غيره ، ولا هي هو . وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : اسماؤه غيره ، وهي مخلوقة . انتهى .

و « الله » علم على ربنا سبحانه . قال الكسائي والفراء : أصله الاله ، حذفوا

---

(١) قوله : لاغير ولا عين يخالف ما استدل به من كلام ابن القيم حيث قال : لايقال : هي غيره ولا هي هو . (ابن مانع)

الهمزة وأدغموا اللام فصارتا لاماً واحدة مشددة مفخمة . قال الناظم في « بدائع الفوائد » زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق ، لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه سبحانه قديم لا مادة له ، فيستحيل الاشتقاق . ولا ريب أنه إن اريد بالاشتقاق هـذا المعنى فهو باطل ، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ، ولا ألم بقلبه ، وانما اراد انه دال على صفة له تعالى وهي الالهية كسائر أسمائه الحسنى ، من العليم والقدير ، فانها مشتقة من مصادرها بلا ريب ، وهي قديمة ، والقديم لا مادة له ، فما كان جوابكم عن هذه الاسماء ، كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى . ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق الا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله . وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ، وانما هو باعتبار أن احدهما متضمن للآخر وزيادة ، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقاً مادياً ، وانما هو اشتقاق تلازم ، يسمى المتضمن فيه بالكسر مشتقاً ، والمتضمن بالفتح مشتقاً منه ، ولا محـذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى . انتهى .

وقال أبو جعفر بن جرير : « الله » أصله « الاله » ، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم ، واللام الزائدة ، وهي ساكنة ، فأدغمت في الاخرى ، فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة . انتهى .

وأما تأويل « الله » فانه على ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال : هو الذي يألهه كل شيء ، ويعبده كل خلق ، وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله ابن عباس قال : الله ذو الألوهيه والعبودية على خلقه أجمعين . فان قال لنا قائل : وما دل على أن الألوهية هي العبادة ؟ وأن الإله هو المعبود ؟ وأن له

أصلاً في «فعل» و «يفعل» ؟ وذكر بيت رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تأله

يعني من تعبدي ، وطلبي الله بعملي[1] . ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله. وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ فعل يفعل بغير زيادة ، وذلك ماحدثنا به سفيان بن وكيع ، وساق السند الى ابن عباس أنه قرأ (ويذرك وإلا هتك) الاعراف ١٢٧ قال : عبادتك ، ويقول : انه كان يعبد ولا يعبد ، وذكر مثله عن مجاهد ، فقد تبين قول ابن عباس ومجاهد أن أله عبد ، وأن الإلهة مصدره ، وساق حديثاً عن أبي سعيد مرفوعاً أن عيسى أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه ، فقال المعلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال عيسى : أتدري ما الله ؟ الله اله الآلهة .

الرحمن الرحيم

اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً ، بنقله الى باب فعل بضم العين ، وبتنزيله منزلة اللازم ، اذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشتق من متعد ، والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً ، كما في قطع وقطّع ، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد زائده من المبالغة ، كحذر وحاذر ، فان « حذر » أبلغ من « حاذر » . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها ، وهو الله ، والرحيم ذو الرحمة الكثيرة .

قال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت ، فانها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه

(١) في الأصل : وطلب الله بعمل .

تعالى، ووصفه لاينافي اسميته ووصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع ، يعني كقوله تعالى (الرحمن علم القرآن) الرحمن: ١ (الرحمن على العرش استوى) طه: ٥ (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك: ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم. ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن مجيئه منفرداً غير تابع ، كمجيء اسمه الله كذلك ، وهذا لاينافي دلالته على صفة الرحمن ، كاسم الله فانه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعاً لغيره بل متبوعاً ، بخلاف العليم والقدير ، والسميع والبصير ، ولهذا لاتجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع ، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، وكأن الأول الوصف ، والثاني الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، أي : صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ؛ أي : صفة فعل له سبحانه ، فاذا أردت فهم هذا ، فتأمل قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) الأحزاب :٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) سورة التوبة :١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم ، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته . قال رحمه الله : وهذه النكتة لاتكاد تجدها في كتاب ، وان تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها . انتهى .

ورحمة الله تعالى جل شأنه ، وتعالى سلطانه ، صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والإنعام . وأما تفسيرها برقة في القلب ، تقتضي التفضل ، فالتفضل غايتها ، فيراد منها غايتها ، كما يقوله من يقول من المتكلمة ، كالزمخشري في « كشافه » وغيره من النظار ، فهذا انما يليق برحمة المخلوق ، لابرحمة الخالق تعالى وتقدس ، وبينهما بون ، ونظير ذلك « العلم » فان حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق ، بل نفس الارادة التي يرد بعضهم الرحمة

اليها هي في حقه تعالى مخالفة لارادة المخلوق ، اذ هي في المخلوق ميل القلب الى الفعل أو الترك ، والله منزه عن ذلك ، وكذلك رد الزمخشري لها في حقه تعالى الى الفعل بمعنى الانعام والتفضل ؛ فان فعل العبد الاختياري إنما يكون لجلب نفع للفاعل ، أو دفع ضرر عنه ؛ ولا كذلك فعله تعالى ، فما فر منه أهل التأويل موجود فيما فروا إليه من المحذور ، وبهذا ظهر أنه لا حاجة إلى دعوى المجاز في رحمته تعالى ، فانه خلاف الاصل ، وهو إنما يصار إليه عند تعذر حمل الكلام على الحقيقة ، ولا تعذر هنا كما لا يخفى . وأيضاً معيار المجاز صحة نفيه ، كما إذا قيل : زيد أسد أو بحر أو قمر ، لشجاعته أو كرمه أو حسنه ، فانه يصح أن تقول : زيد ليس بأسد ، أو ليس ببحر ؛ أو ليس بقمر ، وهذا مما لا خلاف فيه بينهم ، ولا يصح أن يقال : الله ليس برحيم ، فلو كانت الرحمة مجازاً في حقه تعالى لصح ذلك . ولا ريب أن الرحمة صفة كمال ، وسائر الكتب السماوية مملوءة بذكرها ، واطلاقها عليه تعالى ، ومن العجب أن تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في حق المخلوق ، مجاز في حق الخالق .

والحاصل أن الصفة تارة تعتبر من حيث هي ، وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى ، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى ، وليست الاعتبارات متماثلة ، إذ ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات ، كما أنا نثبت ذاتاً ليست كالذوات ، فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق ، كما اشار إلى ذلك وقرره ونبه عليه وحرره الناظم في « بدائع الفوائد »[1]

قوله : الحمد لله الذي شهدت له بربوبيته جمع مخلوقاته ، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته ، وأدت له الشهادة جميع الكائنات أنه الله الذي لا إله الا هو ، بما أودعها من لطيف صنعه ، وبديع آياته ، وسبحان الله

---

(١) الشارح لم يشرح جميع ماذكر هنا من هذه الجمل العظيمة ، وذلك – والله أعلم – خوفاً من التطويل . (ابن مانع)

وبحمده ، عـــدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشـــه ، ومداد كلماته ، ولا إله إلا الله الأحـد الصمد الذي لا شريك له في ربوبيته ، ولا شبيه لـه في أفعاله ، ولا في صفاته ، ولا في ذاته ، والله أكبر عـــدد ما أحاط به علمه ، وجرى به قلمه ، ونفذ فيه حكمه من جميع برياته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، تفويض عبد لا يملك لنفسه ضـــراً ولا نفعـاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، بل هو بالله وإلى الله في مبادىء أمـــره ونهاياته .

الحمد لغة : هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل . وعرفاً : فعل ينبىء عن تعظيم المنعم على الحـــامد وغيره . والشكر لغة : هو الحمد اصطلاحاً . وعرفاً : صرف العبد جميـع مـــا أنعم الله بـــه عليه فيما خلق لأجله . فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة ، وينفرد الحمد فيم إذا كان باللسان لا في مقابلة نعمة ، وينفرد الشكر فيما إذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة . واختار الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت ، على الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث ، لانه مـع كونه على نسق الكتاب العظيم ، أليق بالمقام ، وتفاؤلاً بذلك ، وهي وإن كانت خبريـة لفظاً ، فهي إنشائيـــة معنى . و « أل » في الحمد للاستغراق أو الجنس أو العهد ، أي : كل الحمد مستحق ، أو جنسه مختص ومملوك لله ، وعلامة « أل » الاستغراقية أن يخلفهـا كل ونحوها و « أل » الجنسية إذا تعقبها لام الاختصاص ، كان المعنى جنس الحمد مختص ومملوك له تعالى ، فتفيد ما أفادته « أل » الاستغراقية ضمناً ، وإن كانت « أل » للعهد ، فالمعهود ثناء الله على نفسه ، وثناء ملائكته ورسله وأنبيائـــه وخواص خلقه ، ولا نظر لغير ثنائهم . و « اللام » في لله للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص . ولما ابتدأ بالبسملة ابتداء حقيقيـاً ، وهو الاتيان بها قبل كل شيء ؛ أعقبهـــا

بالحمدلة ابتداء إضافياً ، أي : بالنسبة لما بعدها ، وهو مايقدم على الشروع في المقصود في الذات جمعاً بين حديثي البسملة والحمدلة ، ولم يعكس لموافقة الكتاب العزيز ، فإن الصحابة افتتحوا كتابته في الإمام الكبير بالتسمية ، والحمدلة تلوها ، وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم في جميع الأمصار، سواء في ذلك من يقول : بأن البسملة آية ، ومن لايقول ذلك، فكان أولى .

قوله : **شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته الخ .**

المخلوق : هو المصنوع ، ومعنى شهادة المخلوقات بربوبيته سبحانه : أن العقل الصريح يقطع بأن المخلوق لابد له من خالق ، والمصنوع لابد له من صانع ، والحادث لابد له من محدث ، لاستحالة حدوث الحادث بنفسه ،كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) الطور: ٣٥ يقول سبحانه : أحدثوا من غير محدث ، أم هم أحدثوا أنفسهم ؟ ، ومعلوم أن المحدث لايوجد بنفسه ، وطريق العلم بذلك أن يقال : الموجود إما حادث ، وإما قديم ، والحادث لابد له من قديم ، فيلزم ثبوت القديم على كل حال ، وذلك أن الفقر والحاجة لكل حادث وممكن وصف لازم لهما، فهي مفتقرة إليه دائماً ، حال الحدوث وحال البقاء ، ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارهما إليه في حال الحدوث فقط ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم ، أو في حال البقاء فقط ، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بمساواة العالم له وكلا القولين خطأ كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في « شرح عقيدة شمس الدين الأصبهاني » فالإمكان والحدوث متلازمان ، فكل محدث ممكن ، وكل ممكن محدث ، والفقر ملازم لهما ، فلا تزال مفتقرة إليه لاتستغني عنه لحظة عين ، وهو الصمد الذي يصمد اليه جميع المخلوقات ، ولا يصمد هو إلى شيء ، بل هو سبحانه

الغني بنفسه ، المغني لما سواه . وله رحمه الله في هذا المعنى :

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً كما الغنى أبداً وصف له ذاتي

قال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الالـــــه أم كيف يجحده الجاحد ؟!

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبداً شـــاهد

وفي كل شيء له آيـــة تـــدل على أنه واحـــد

وسئل أبو نواس عن وجود الصانع فأنشد

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ماصنع المليك

عيون من لجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

قوله :**وأدت له الشهادة جميع الكائنات الخ . . .** في هذه البراعة ، الإشارة إلى توحيد الربوبيه ، وتوحيد الألوهية ، وسيأتي بسط الكلام على ذلك في توحيد الأنبياء والمرسلين .

قوله :الكائنات . قال في « القاموس » الكون : الحدث ، كالكينونة ، والكائنة كالحادثة ، وكونه أحدثه ، والله الأشياء أوجدها .

قوله : **وسبحان الله الخ** . . سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ، وانتصابه بفعل متروك إظهاره .

قوله : **ولا حول ولا قوة إلا بالله** . أي : لاتحول من حال الى حال ، ولا قدرة على ذلك إلا بالله ، وقيل : لاحول عن معصية الله الا بمعونة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ، والمعنى الأول أجمع وأشمل .

قوله : وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا صاحبة له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا كفء له ، الذي هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وخيرته من بريته ، وسفيره بينه وبين عباده ، وحجته على خلقه . أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، أرسله على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، ودروس من الكتب ، والكفر قد اضطرمت ناره ، وتطايرت في الآفاق شراره ، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب ، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى اليهم فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقد استند كل قوم إلى ظُلم آرائهم ، وحكموا على الله سبحانه بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم ، وليل الكفر مدلهم ظلامه ، شديد قتامه ، وسبل الحق عافية آثارها ، مطموسة أعـــلامها ، ففلق الله سبحانه بمحمد ﷺ صبح الإيمان ، فأضاء حتى ملأ الآفاق نوراً ، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً ، فهدى الله به من الضلالة ، وعلّم به من الجهالة ، وبصّر به العمى ، وأرشد به من الغي ، وكثّر به بعد القلة ، وأعز به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العيلة ، واستنقذ به من الهلكة ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانه ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه ، وشرح الله له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وأقسم بحياته في كتابه المبين ، وقرن اسمه باسمه ، فاذا ذكر ذكر معه ، كما في الخطب والتشهد والتأذين ، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورســـوله شهادة اليقين .

فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه كما عرفنا بالله ، وهدانا إليه ، وسلم تسليما كثيراً .

أي : أخبر أني قاطع بالوحدانية . قوله : وسفيره . قال في «القاموس» وسفره تسفيراً : أرسله الى السفر . قوله : وطموس من السبل . الطموس الدروس والإمحاء ، يطمس ويطمس ، وطمسته طمساً : محوته ، والشيء استأصلت أثره ، ومنه (فإذا النجوم طمست) المرسلات : ٨ قاله في «القاموس» قوله : قتامه . القتام كسحاب : الغبار : قاله في « القاموس » قوله : عافية آثارها . قال في « القاموس » عفى شعر البعير : كثر وطال فغطى دبره ، وقد عفيته وأعفيته . قوله : حنادس الظلم . في « القاموس » الحندس بالكسر : الليل المظلم والظلمة ، جمع حنادس ، وتحندس الليل أظلم . قوله : الصغار . قال في «القاموس» صغر ككرم وفرح صغارة وصغراً كعنب ، وكذا صغاراً وصغارة بفتحهما ، وصغراً وصغراناً بضمهما ، وأصغره : جعله صاغراً . انتهى .

قوله : كما في الخطب والتشهد والتأذين . هذا ظاهر ، وهذا كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله ميمون يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

قوله : فصلى الله وملائكته الخ . الصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير . هذا هو المشهور ، والجاري على ألسنة الجمهور ، ولم يرتض هذا الناظم في كتابه « جلاء الافهام» و « بدائع الفوائد » وغيرهما ، ورده من وجوه ، منها : أن الله تعالى غاير

بينهما في قوله تعالى: (صلوات من ربهم ورحمة) البقرة: ١٥٧ الثاني: ان سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم، والصلاة تختص بالنبي ﷺ وآله، فهي حق له ولآله، ولهذا المعنى منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره، يعني: غير سائر الأنبياء والملائكة، ولم يمنع أحد من الترحم على معين من المسلمين. الثالث: أن رحمة الله عامة، وسعت كل شيء، وصلاته خاصة لخواص عباده. وقولهم: الصلاة من العباد بمعنى الدعاء، مشكل أيضاً من وجوه: أحدها: أن الدعاء يكون بالخير والشر، والصلاة لا تكون إلا في الخير. الثاني: أن «دعوت» يعدى باللام، «وصليت» لا يتعدى إلا بـ «على». ودعاء المعدى بـ «على» ليس بمعنى «صلى»، وهذا يدل على أن الصلاة ليست بمعنى الدعاء. الثالث: أن فعل الدعاء يقتضي مدعواً ومدعواً له. تقول: دعوت الله لك بخير، وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك. لا تقول: صليت الله عليك، ولا لك، فدل على أنه ليس بمعناه، فأي تباين أظهر من هذا؟! قال: ولكن التقليد يعمي عن إدراك الحقائق، فإياك والإخلاد الى أرضه. قال في «البدائع» ورأيت لأبي القاسم السهيلي رحمه الله تعالى كلاماً حسناً في اشتقاق الصلاة، فذكر ما ملخصه أن معنى اللفظة حيث تصرفت ترجع إلى الحنو والعطف، إلا أن ذلك يكون محسوساً ومعقولاً، فالمحسوس منه صفات الاجسام، والمعقول صفة ذي الجلال والاكرام، وهذا المعنى كثير موجود في الصفات، والكثير يكون صفة للمحسوسات، وصفة للمعقولات، وهو من أسماء الرب تعالى وتقدس عن مشابهة الأجسام، وصفات الأنام، فمهما يضاف إليه تعالى من هذه المعاني معقولة غير محسوسة، فإذا ثبت هذا فالصلاة كما قلنا: حنو وعطف، من قولك: صليت، أي حنيت صلاك وعطفته، فأخلق بأن تكون الرحمة كما سمي

عطفا وحنواً ، تقول : اللهم اعطف علينا ؛ أي : ارحمنا . قال الشاعر :

وما زلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم

وأما رحمة العباد فرقة في القلب إذا وجدها الراحم من نفسه ؛ انعطف على المرحوم ، وانثنى عليه . ورحمة الله للعباد جود وفضل ، فإذا صلى عليه فقد أفضل عليه ، وأنعم ، وهذه الأفعال إذا كانت من الله ومن العباد ، فهي متعدية بـ « على » مخصوصة بالخير ، لا تخرج عنه إلى غيره ، فرجعت كلها إلى معنى واحد ، إلا أنها في معنى الدعاء والرحمة صلاة معقولة ؛ أي : انحناء معقول غير محسوس ، ثم هو من العبد الدعاء ؛ لأنه لا يقدر على أكثر منه ، وثمرته من الله الإحسان والانعام . فلم تختلف الصلاة في معناها ، وانما اختلفت ثمرتها الصادرة عنها ، والصلاة التي هي الركوع والسجود ، انحناء محسوس ، فلم يختلف المعنى فيها إلا من جهة المعقول . وليس ذلك باختلاف في الحقيقة ، ولذلك تعدت كلها بـ « على » واتفقت في اللفظ المشتق من الصلاة ، ولم يجز : صليت على العدو ؛ أي : دعوت عليه ، فقد صار بمعنى الصلاة أرق وأبلغ من معنى الرحمة ، وإن كان راجعاً إليه ، إذ ليس كل راحم ينحني على المرحوم ، ويتعطف عليه من شدة الرحمة . انتهى . قوله : وسلم ، السلام بمعنى التحية ، والسلامة من النقائص والرذائل . وفي « المطلع » قال الأزهري في قولك : السلام عليك قولان : أحدهما : اسم السلام ، ومعناه : اسم الله عليك ، ومنه قول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والثاني : سلم الله عليك تسليماً وسلاماً ، ومن سلم الله عليه سلم من الآفات كلها . قال الحافظ ابن الجزري في مفتاح « الحصن » واما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الأولى والاكمل والأفضل ، لقوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليماً) الأحزاب : ٥٦

ولو اقتصر على احدهما جاز من غير كراهة ، فقد جرى عليه جمع ، منهم مسلم في « صحيحه » خلافاً للشافعية . وفي كلام بعضهم : لا اعلم أحداً نص على الكراهة، حتى إن الإمام الشافعي نفسه اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة « الرسالة » ، والله أعلم .

قوله : وقد نظر الجبار تبارك وتعالى الخ . يشير الى حديث عياض بن حمار المجاشعي الذي رواه مسلم في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا ، كل مال نحلته عبداً حلال ، واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا ، وان الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . . . » الحديث .

أما بعد فان الله جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه، إذا اراد أن يكرم عبده بمعرفته ، ويجمع قلبه على محبته ، شرح صدره لقبول صفاته العلى ، وتلقيها من مشكاة الوحي ، فاذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول ، وتلقاه بالرضى والتسليم ، وأذعن له بالانقياد ، فاستنار به قلبه ، واتسع له صدره ، وامتلأ به سروراً ومحبة ، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به إليه على لسان رسوله، فإنه نزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغداء اعظم ما كان اليه فاقة ، ومنزلة الشفاء أشد ما كان اليه حاجة ، فاشتد بها فرحه ، وعظم بها غناؤه ، وقويت بها معرفته ، واطمأنت اليها نفسه ، وسكن إليها قلبه ، فجال من المعرفة في ميادينها ، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها ، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته ، وهو ذو الاسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وان شرفه أيضاً

بحسب الحاجة إليه ، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها ، ومحبته وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة إليه ، والزلفى عنده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلما كان العبد بها أعلم ، كان بالله أعرف ، وله أطلب ، وإليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر ؛ كان بالله أجهل ، وإليه أكره ، ومنه أبعد . والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزل العبد الله من نفسه ، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً ، وعنها نافراً ومنفراً ، فالله له أشد بغضاً ، وعنه أعظم إعراضاً ، وله أكبر مقتاً حتى تعود إلى قلبين : قلب ذكر الأسماء والصفات قوته وحياته ، ونعيمه وقرة عينه ، لو فارقه ذكرها طرفة عين ، ومحبتها لحظات لاستغاث : يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . فلسان حاله يقول :

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل[1]

ويقول :

وإذا تقاضيت الفؤاد تناسياً ... ألفيت أحشائي بذاك شحاحا

ويقول :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... ونترك الذكر أحياناً فننتكس

ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته ، نافر من سماعها ، معرض بكليته عنها ، زاعم أن السلامة في ذلك ، كلا والله ، إلا الجهالة والخذلان والإعراض عن العزيز الرحيم ، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربه تعالى وصفاته ، وأفعاله وأسمائه ، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك ، وكفى بالعبد عمى وخذلاناً أن يضرب على قلبه

---

(١) وعلى هامش الأصل : قوله : يراد من القلب نسيانكم الخ. هذا البيت للمتنبي من قصيدة. والطباع بالكسر السجية التي جبل عليها الانسان ، والطباع ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الاخلاق التي لاتزايلنا كالطابع كصحب، قاله في « القاموس » .

سرادق الاعراض عنها والنفرة والتنفير ، والاشتغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة الله ، والإيمان به وبصفاته وأسمائه . والقلب الثاني : قلب مضروب بسياط الجهالة ، فهو عن معرفة ربه ومحبته مصدود ، وطريق معرفة اسمائه وصفاته كما أنزلت عليه مسدود ، وقد قمش شبهاً من الكلام الباطل ، وارتوى من ماء آجن غير طائل ، تمج منـه آيات الصفات وأحاديثها إلى الله عجيجاً ، وتضج منه إلى منزلها ضجيجاً مما يسومها تحريفاً وتعطيلا ، ويؤول معانيها تحريفاً وتبديلا ، قد أعد[١] لدفعها أنواعاً من العدد ، وهيأ لردهـا ضروباً من القوانين . قوله: من القوانين . القانون : مقياس كل شـيء ، جمعه قوانين . قاله في « القاموس » . وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال : تلك أدلة لفظية لاتفيد شيئاً من اليقين ، قد أعد التأويل جنـة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن ، وجعل اثبات صفات ذي الجلال تجسيماً وتشبيهاً ، يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان ، مزجي البضاعة . قوله : مزجي البضاعة. قال في « القاموس » : وبضاعة مزجـاة ، أي . قليلة من العلم النافع الموروث عن خـاتم الرسل والانبيـاء ، لكنه مليء بالشكوك والشبه ، والجـدال والمراء . قوله : الجدال والمراء . قال ابن الأثير في «النهاية» في معنى حـديث « ما أوتي قوم الجدل إلا ضلوا»[٢] : الجدل: مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ، والمراد به في الحـديث: الجدل على الباطل ، وطلب

---

(١) وعلى هامش الأصل : أعد بفتح الهمزة وتشديد الدال ، أي : هيأ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/٢٥٦) عن ابي امامة بلفظ « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقد رواه الترمـذي وابن ماجـه وابن جرير . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

المغالبة . وأما الجدل لإظهار الحق فان ذلك محمود ، لقوله تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل: ١٢٥ انتهى . وفي «مختصر الصحاح» للقرطبي جدل : بالكسر جدلاً : أحكم الخصومة ، وجادله مجادلة وجدالاً : خاصمه . انتهى . والمراء: الجدال والمخاصمة. قال القرطبي في «مختصر الصحاح» ماريته أماريه مراء: جادلته . انتهى . وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» من المراء والجدال ، وهو المخاصمة والمحاججة وطلب القهر بالغلبة ، والترهيب في تركه للمحق و المبطل . انتهى . فعلمنا أن الجدال والمراء مترادفان ، وأن العطف فيهما عطف المترادفين . انتهى . خلع عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل ، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث ، والتبديع لهم والتضليل ، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب ، يتكفف أربابها ، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب ، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد ، وغاية الاحسان ، فابتلي بالوقوف على الابواب السافلة المليئة بالخيبة والحرمان ، وقد لبس حلة من الجهل والتقليد ، والشبهة والعناد ، فاذا بذلت له النصيحة ، ودعي إلى الحق ؛ أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الايمان ، وما أشد الجناية به على السنة والقرآن ، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن ، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان؟! والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً ، فقال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) الفرقان : ٥٢ وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم ، مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير ، فقال تعالى : (ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم

جهنم وبئس المصير) التوبة ٧٤ فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق ، و « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق » . وكفى بالعبد عمى وخذلانا أن يرى عسكر الايمان ، وجنود السنة والقرآن ، وقد لبسوا للحرب لأمته ، وأعدوا له عدته ، وأخذوا مصافهم ، ووقفوا مواقفهم ، وقد حمي الوطيس ، ودارت رحى الحرب ؛ واشتد القتال ، وتنادت الأقران : النزال النزال ، وهو في الملجأ والمغارات ، والمدخل مع الخوالف كمين ، وإذا ساعد القدر ، وعزم على الخروج ، قعد على التل مع الناظرين ، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين ؛ ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه إني كنت معكم ، وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين . فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان ، وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان ، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والايمان ، وأن لا يتحيز الى مقالة سوى ماجاء في السنة والقرآن ، فكأن قد كشف الغطاء ، وانجلى الغبار ، وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة الضالة ، فوالله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من مرافقتهم إذا قيل (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الصافات : ٢٢ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبعده الإمام أحمد : أزواجهم : أشباههم ونظراؤهم ، قال تعالى (وإذا النفوس زوجت) التكوير : ٧ قالوا . فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته ، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته ، هنالك والله يعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه ، (يقول : ياليتني اتخذت

مع الرسول سبيلا . ياويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) الفرقان :٢٧ - ٢٩.شرع الناظم رحمه الله تعالى في حكاية مناظرة حصلت بينه وبين بعض المعطلة فقال :

فصل

وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت الصفات والعلو ، وبين معطل لذلك ، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعام غير جائع إليه، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه ، فقال له : ماتقول في القرآن ومسألة الاستواء ؟ فقال المثبت : نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى ، وما قاله نبينا ﷺ ، نصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات ، إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهاً ، فالمشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحد يعبد إلهاً واحداً صمداً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى :١١.

والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فكما أنا نثبت ذاتاً لاتشبه الذوات ، فكذلك نقول في صفاته : إنها لاتشبه الصفات ، فليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فلا نشبه صفات الله صفات المخلوقين ، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شناعة

المشنعين وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتسمية الروافض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ، ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته ، لتسمية القدرية لنا مجبرة ، فلا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى ، لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية . ورحمة الله على القائل :

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته فاني بحمد الله لها مثبت

إلى . . .

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته لديكم فاني اليوم عبد مجسم

ورضي الله عن الشافعي حيث قال :

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الاسلام ابن تيمية إذ يقول :

ان كان نصباً حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

فصل

وأما القرآن فاني أقول : إن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، تكلم الله به صدقاً ، وسمعه منه جبريل حقاً ، وبلغه محمداً صلى الله عليه وسلم وحياً ، وان (كهيعص) و (حم عسق) و (الر) و (ق) و (ن) عين كلام الله حقيقة ، وإن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ ، وإن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر ، ومن قال : انه قول البشر فقد كفر ، والله يصليه

سقر ، ومن قال : ليس لله بيننا في الأرض كلام ، فقد جحد رسالة محمد ﷺ ، فان الله بعثه ليبلغ عنه كلامه ، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فاذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول . ونقول : إن الله فوق سمواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وانه تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ، وتعرج الملائكة والروح اليه ، وإنه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه ، وان المسيح رفع بذاته الى الله ، وإن رسول الله ﷺ عرج به الى الله حقيقة ، وإن أرواح المؤمنين تصعد الى الله عند الوفاة ، فتعرض عليه ، وتقف بين يديه ، وانه تعالى هو القاهر فوق عباده ، وهو العلي الأعلى ، وان المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم ، وإن أيدي السائلين ترفع اليه ، وحوائجهم تعرض عليه ، فانه سبحانه هو العلي الأعلى بكل اعتبار . فلما سمع المعطل منه ذلك ، أمسك ثم أسرها في نفسه ، وخلي بشياطينه وبني جنسه ، وأوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال ، وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال ، وعقدوا مجلساً بيتوا في مساء يومه مالا يرضاه الله من القول ، والله بما يعملون محيط ، وأتوا في مجلسهم بما قدروا عليه من الهذيان واللغط والتخليط ، وراموا استدعاء المثبت الى مجلسهم الذي عقدوه ، ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم مالفقوه من المكر وتموه ، فحبس الله سبحانه عن أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه ، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء اليه ، وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر ، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر ، وأخرج الناس لهم من المخبآت كائنها . قوله : المخبآت . خبأه كمنعه : ستره كخبأه واختبأه . قاله في « القاموس » قوله : كائنها . قال في « القاموس »

كمن له كنصر وسمع كموناً : استخفى، وأكمنه . والكمين كأمير: القوم يكمنون في الحرب . وقوى الله جأش عقد المثبت ، وثبت قلبه ولسانه ، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه ، فسعى في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان ، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين ، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان ، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه ، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه ، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانيهم لقاصيهم ، فلم يذعنوا لذلك ، واستعفوا من عقده ، فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث : مناظرة في مجلس عالم على شريطة العلم والانصاف ، تحضر فيه النصوص النبوية ، والآثار السلفية ، وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين . فقيل لهم : لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان ، ومالكم بمقاومة فرسانه يدان ، فدعاهم إلى مكاتبته فيما يدعون إليه ، فإن كان حقاً قبله وشكركم عليه ، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت وتبين لكم حقيقة ما لديه ، فأبوا ذلك أشد الإباء واستعفوا غاية الاستعفاء ، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في موقف الابتهال حاسري الرؤوس ، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال ، وظن المثبت ـ والله ـ أن القوم يجيبونه إلى هذا ، فوطن نفسه عليه غاية التوطين ، وبات يحاسب نفسه ، ويعرض مايثبته وينفيه عن كلام رب العالمين ، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين ، ويهوي بصاحبه إلى أسفل سافلين ، فلم يجيبوا إلى ذلك أيضاً ، وأتوا من

الاعتذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار ، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه ، وعقد الله مجلساً بينه وبين خصمه ، يشهده القريب والبعيد ، ويقف على مضمونه الذكي والبليد ، وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد ، والمثبت المرمي بالتجسيم ، وقد خاصم في هذا المجلس بالله ، وحاكم إليه ، وبرىء إلى الله من كل هوى وبدعة وضلالة ، وتحيز الى فئة غير رسول الله ﷺ وما كان أصحابه عليه . والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه ، ولا الى شيء مما لديه ، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه ، فإن أزمة الأمور بيديه ، وهو يرغب الى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه ، قاصد لرضى مولاه ، ثم يقرؤها متفكراً ، ويعيدها ويبديها متدبراً ، ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله وعباده المؤمنين ، ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين [١] فإن رأى حقاً قبله وشكر عليه ، وإن رأى باطلاً رده على قائله ، وأهدى الصواب اليه ، فان الحق لله ورسوله ، والقصد أن تكون كلمة السنة هي العليا جهاداً في الله وفي سبيله ، والله عند لسان كل قائل وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وما كان أهل التعطيل أولياءه ، إن أولياؤه الا المتقون المؤمنون المصدقون ، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة : ١٠٥ .

---

(١) قابلها أبو الحسن السبكي بالشتم واللعن برسالة زعم أنه رد بها على النونية ، ومن قرأها ظهر له جهل السبكي وجراءته على أهل العلم بما لا يرضي الله.

(ابن مانع)

فصل

وهذ أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد ، ذكرتها قبل الشروع في المقصود ، فان ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود ، وقد قال تعالى وكلامه المشتمل على أعظم الحجج وقواطع البراهين (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) . العنكبوت : ٤٣ وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلا ، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلا لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول : لست من العالمين . وسنفرد لها ان شاء الله كتاباً مستقلا متضمناً لأسرارها ومعانيها وما تضمنه من كنوز العلم وحقائق الايمان ، وبالله المستعان وعليه التكلان [١] .

المثل الاول : ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف ، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل ، وثياب المشبه مضمخة بدم التشبيه ، وشرابه متغير بدم التمثيل . والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن ، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين .

المثل الثاني : شجرة المعطل مغروسة على شفا جرف هار ، وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ، وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون .

المثل الثالث : شجرة المعطل شجرة الزقوم ، فالحلوق السليمة لاتبلعها ،

---

(١) قد وفقه الله للوفاء بوعده ، فألف فيها مجلداً متوسطاً . (ابن مانع)

وشجرة المشبه شجرة الحنظل فالنفوس المستقيمة لاتتبعها ، وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها .

المثل الرابع : المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت ، والمشبه قد خسف بعقله ، فهو يتجلجل في أرض التشبيه الى البهموت ، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً الى الحي الذي لايموت .

المثل الخامس : مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل ، فطفيء وما أنار ، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عكر التشبيه ، فلا تقتبس منه الأنوار . العكر بفتحتين : دردي الزيت [١] وغيره ، وقد عكرت المسرجة من باب طرب : اجتمع فيها الدردي ، وعكر الشراب والماء والدهن : آخره وخاثره ، وقد عكر فهو عكر ، وأعكره غيره وعكره تعكيراً : جعل فيه العكر . قاله في « مختار الصحاح » ومصباح الموحد يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار .

المثل السادس : قلب المعطل متعلق بالعدم ، فهو أحقر الحقير ، وقلب لمشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير ، والموحد قلبه متعبد ن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

المثل السابع : نقود المعطل كلها زيوف فلا يروج عندنا ، وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا ، وتجارة الموحد ينادى عليها يوم العرض على رؤوس أشهاد : هذه بضاعتنا ردت إلينا .

المثل الثامن : المعطل كنافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، واما أن د منه ريحاً خبيثة . والمشبه كبائع الخمر ، إما أن يسكرك ، وإما أن ينجسك . الموحد كبائع المسك ، إما أن يحذيك وإما أن يبيعك ، وإما أن تجد ، رائحة طيبة .

(١) دردي الزيت وغيره : مايبقى في أسفله : « مختار » (ابن مانع)

المثل التاسع : المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها ، فأدركه الطوفان ، والمشبه قد انكسرت به في اللجة ، فهو يشاهد الغرق بالعيان ، والموحد قد ركب سفينة نوح وقد صاح به الربان : (اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) هود : ٤١

المثل العاشر : منهل المعطل ، كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فرجـــع خاسئاً حسيراً ، ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييراً ، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً .

وقد سميتها :

« الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية »

وهذا حين الشروع في المحاكمة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قوله : (أما بعد) أي : أما بعد ماذكر من حمد الله ، والصلاة والسلام على رسوله (أما) نائبة عن (مهما) ولتضمنها معنى الشرط لزمت الفاء في جوابها . و (بعد) من الظروف المبنية مالم تضف لفظاً ومعنى ، أو ينوى ثبوت لفظ المضاف إليها ، أو تقطع عن الإضافة رأساً ، فتعرب حينئذ في الثلاثة ، وإن حذف المضاف إليها ونوي ثبوت معناه بنيت على الضم ، وهذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب الى غيره ، أي : بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول اللـــه ﷺ .

ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات ، لأن النبي ﷺ كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته للملوك وغيرهم .

واختلف في أول من نطق بها ، فقيل : داود عليه السلام . وعن الشعبي : أنها فصل الخطاب الذي أوتيه ، لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد . وقيل : اول من نطق بها يعقوب . وقيل . أيوب . وقيل : سليمان ، عليهم السلام . وقيل : قس بن ساعدة الأيادي . وقيل : كعب بن لؤي . وقيل : يعرب بن قحطان ، والقول الأول ، وهو أن أول من نطق بها داود عليه السلام

أشبه ، كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره .

قوله : فإن الله جل ثناؤه الخ . الفاء في جواب (أما) النائبة عن (مهما) لتضمنها معنى الشرط .

قوله : قد قمش . قال في « القاموس » . القمش جمع القماش ، وهو ماعلى وجه الأرض من فتات الأشياء ، حتى يقال لرذالة الناس : قماش . وما أعطاني إلا قماشاً ؛ أي : أرذأ ماوجده

قوله : آجن . الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، أجن كضرب وفرح ونصر أَجناً وأَجناً وأجوناً . قاله في « القاموس »

قوله : تعج منه آيات الصفات الخ . قال في « القاموس » : عج يعج ويعج : كيمل ، عجاً وعجيجاً : صاح ورفع صوته .

قوله : وتضج الخ . قال في « القاموس » أضج[1] القوم إضجاجاً : صاحوا وجلبوا ، فإذاجزعوا وغلبوا ، ف :ضجوا يضجون ضجيجاً .

قوله : الوطيس . الوطيس هو التنور ، والآن حمي الوطيس ، أي اشتد الحرب . قاله في « القاموس » .

قوله : جنة . الجنة بالضم . قال في « القاموس » جنه الليل ، وعليه جناً وجنوناً ، وأجنه : ستره ، وكل ماستر عنك فقد جن عنك . وأجن عنه واستجن : استتر .

قوله : جأش المثبت . قال في « القاموس » : الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، ونفس الانسان ، وقد لايهمز ، جمعه : جؤوش .

قوله : في مواقف الابتهال . قال ابن هشام في « تهذيب السيرة »[2] : نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين : ندعو باللعنة . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

---

(١) في الاصل : ضج ، وهو خطأ ، والتصويب من « القاموس ».

(٢) كذا الأصل ، ولعله يقصد السيرة نفسها .

لاتعقدن[١] وقد أكلتها حطباً نعوذ من شرها يوماً ونبتهل

يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بهل الله فلانا ؛ أي : لعنه ، وعليه بهلة الله ، أي : لعنة الله . ويقال : بهله الله ؛ أي : لعنه ، ونبتهل أيضاً : نجتهد في الدعاء . انتهى .

وأما حكم المباهلة ، فقد كتب بعض العلماء رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب ، والسنة ، والآثار ، وكلام الأئمة . وحاصل كلامه فيها أنها لاتجوز إلا في أمر مهم شرعاً وقع فيه اشتباه وعناد لايتيسر دفعه الا بالمباهلة ، فيشترط كونها بعد اقامة الحجة والسعي في ازالة الشبهة ، وتقديم النصح والإنذار وعدم نفع ذلك ، ومساس الضرورة اليها . انتهى .

وهذا حين الشروع في شرح « النظم » فأقول والله الموفق :

بحر هذه المنظومة المباركة هو الكامل ، وهو مبني من ستة أجزاء :

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حكم المحبة ثابت الاركان ماللصدود بفسخ ذاك يدان

إني وقاضي الحسن نفذ حكمها فلذا أقر بذلك الخصمان

وأتت شهود الوصل تشهد أنه حقاً جرى في مجلس الاحسان

فتأكد الحكم العزيز فلم تجد فسخ الوشاة اليه من سلطان

ولأجل ذا حكم العذول تداعت الـ أركان منه فخر للأذقان

وأتى الوشاة فصادفوا الحكم الذي حكموا به متيقن البطلان

---

(١) في الأصل : لاتبعدا ، والتصويب من « سيرة ابن هشام »

ماصادف الحكم المحل ولا هو اسـ ... ـتوفى الشروط فصار ذا بطلان

فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً ... بفساد حكم الهجر والسلوان

وحكى لك الحكم المحال ونقضه ... فاسمع إذاً يامن له أذنان

حكم الوشاة بغير ما برهان ... ان المحبة والصدود لدان

والله ماهـذا بحكم مقسط ... أين الغرام وصد ذي هجران؟!

شتان بين الحالتين فان ترد ... جمعاً فما الضدان يجتمعان

افتتح الناظم رحمه الله هذه المنظومة بشيء من النسيب ، وهو والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ، وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما وافقهن ، وليس مما ذكر في شيء ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة [1] وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

قوله : حكم المحبة ثابت الأركان ، ركن الشيء : جانبه الأقوى ؛ أي : ولثبوت أركانه وشدتها لا يطيق الصدود فسخه .

قوله : إني وقاضي الحسن ؛ أي : كيف يقدر الصدود على فسخه وقد ثبت وتوطدت أركانه ، وذلك ان قاضي الحسن نفذ حكمها ؛ أي نفذ حكم المحبة . وفي بعض النسخ « نفذ حكمه » والمعنى واحد . وفي قوله . قاضي الحسن ، وهو الجمال : استعارة ، وذلك أنه شبه الحسن في قوته وسلطنته على المحبوب وقهره له بسلطنة القاضي الحسي ، وقهره للخصوم ونفاذ حكمه ، فكذلك حسن هذه المحبوبة حكم على محبها بالمحبة [2] .

---

(١) هو قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي كاتب يضرب به المثل في البلاغة .

(٢) اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى شرح هذه الابيات التي افتتح ابن القيم بها النونية شرحاً إذا تأمله طالب العلم وجده غير مستقيم ، وبعيداً عن مقاصد ابن القيم . وللعلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن شرح لاول هذا النظم ذكر فيه ان قاضي الحسن هو العقل ، لان أهل السنة يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين ، ثم بنى شرحه على ذلك وهو شرح يقبله العقل ويليق بمقام الناظم ، رحم الله الجميع . (ابن مانع)

وفي قوله: حكم المحبة الخ . براعة الاستهلال ، وهو ان يكون الابتداء مناسباً للمقصود ، لأن المنظومة المذكورة، وفي المحاكمة بين الطوائف .

قوله : فلذا أقر بذاك الخصمان ؛ اي : لما حكم قاضي الحسن بالمحبة أقر الخصمان بها .

قوله : وأتت شهود الوصل الخ ؛ اي : لما حصل وصل هذه المحبوبة وشهدت به الشهود ؛ تأكد الحكم فلم يبق سبيل للوشاة إلى فسخه ، وهذا معنى قوله : فتأكد الحكم العزيز .

وقوله : فسخ الوشاة هذا من الكلام المقلوب ، والمعنى : لم تجد الوشاة إلى فسخه من سلطان ، هذا إن كان لفظ تجد بالتاء ، وإن كان اللفظ يجد بالتحتية . فهو ظاهر ، وفسخ فاعل يجد ، وفسخ مضاف ، والوشاة مضاف اليه .

قوله : ولأجل ذا حكم العذول تداعت الأركان منه الخ ، اي : لما شهدت شهود الوصل بثبوت حكم المحبة ، خر حكم العذول وسقطت أركانه .

وقوله : وأتى الوشاة فصادفوا الخ ، لما اتى الوشاة صادفوا حكمهم باطلًا ، وهو ماذكره بقوله : حكم الوشاة الخ ؛ اي حكم الوشاة أن المحبة والصدود لدان ؛ اي: سواء ، وذلك حكم جائر ليس بقسط ، وأشار إلى ذلك بقوله : أين الغرام ؟ وهو شدة المحبة، وشدة المحبة والصدود ليسا بسواء .

قوله : فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً الخ . أي إن قاضي الحسن أثبت محضراً بفساد حكم الهجر والساوان . والمحضر : السجل والمشهد ، قاله في «القاموس» اي : لما حصل الوصال ، حكم قاضي الحسن بفساد حكم الهجر والسلوان .

قوله : شتان بين الحالتين الخ . أي افترقت الحالتان ، وشتان بينهما .

قوله : الصدود . هو اسم مصدر ، صد يصد صدوداً . قال في « مختار الصحاح[1] » : صد يصد بضم الصاد صدوداً : أعرض عنه ، وصده عن الأمر : منعه وصرفه (عنه) من باب رد . انتهى .

قوله : يدان . المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء بسببه ، لأن القدرة هي تحرك اليد . يقال : فـــلان له يد في كذا وكذا ، ومنه قول زياد لمعاوية : إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي ، والاخرى فارغة .

قوله : الوشاة . جمع اش . يقال : وشى كلامه ؛ أي : كذب ، ووشى به الى السلطان وشاية ، أي : سعى « مختار الصحاح » قال العيني : الوشاة جمع واش من وشى به يشي وشاية ، اذا نم عليه وسعى به ، فهو واش .

قوله : لدان . اللدة كعدة : الترب ، جمع لدات ، قاله في «القاموس» والترب بالكسر : اللدة والسن ومن ولد معك ، قاله في «القاموس» .

قوله : والله ماهذا بحكم مقسط . القسط بالكسر : العدل . تقول منه أقسط الرجل فهو مقسط ، ومنه قوله تعالى : (إن الله لا يحب المقسطين) الحجرات : ٩ أي : ما هذا بحكم عادل .

قوله : الغرام . سمي الغرام لغريه . ومنه سمي عذاب النار : غراماً للزومه لأهله وعدم مفارقته لهم . قال الله تعالى : (إن عذابها كان غراما) الفرقان : ٦٥

قوله : فما الضدان . الضدان هما اللذان لايجتمعان ؛ وقد يرتفعان كالسواد والبياض[2] .

قال الناظم :

ياوالهاً هانت عليه نفسه	إذ باعها غبناً بكل هوان
أتبيع من تهواه نفسك طائعاً	بالصد والتعذيب والهجران

---

(١) في الاصل « مختصر الصحاح » وما اثبتناه هو الصواب ، وكذلك سيذكره المؤلف بعد قليل بالاسم الذي سماه به مؤلفه ،

(٢) الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالخلافين ، كالمثال الذي ذكره .

أجهلت أوصاف المبيع وقدره ... أم كنت ذا جهل بذي الأثمان؟!

واهاً لقلب لا يفارق طيره الـ ... أغصان قائمة على الكثبان

ويظل يسجع فوقها ولغيره ... منها الثمار وكل قطف دان

ويبيت يبكي والمواصل ضاحك ... ويظل يشكو وهو ذو هجران

هذا ولو أن الجمال معلق ... بالنجم همّ اليه بالطيران

لله زائرة بليل لم تخف ... عسس الأمير ومرصد السجان

قطعت بلاد الشام ثم تيممت ... من أرض طيبة مطلع الايمان

وأتت على وادي العقيق فجاوزت ... ميقـاته حلاً بلا نكران

وأتت على وادي الأراك ولم يكن ... قصداً لهـا فألاً بأن ستراني

وأتت على عرفات ثم محسر ... ومنى فكم نحرته من قربان

وأتت على الجمرات ثم تيممت ... ذات الستور وربة الأركان

هذا وما طافت ولا استلمت ولا ... رمت الجمار ولا سعت لقران

ورقت على أعلى الصفا فتيممت ... داراً هنالك للمحب العـاني

أترى الدليل أعارها أثوابه ... والريح أعطتها من الخفقان

والله لو أن الدليل مكانهـا ... ما كان ذلك منه في إمكان

هذا ولو سارت مسير الريح ما ... وصلت به ليـلا إلى نعمان

سارت وكان دليلها في سيرها ... سعد السعود وليس بالدبران

وردت جفار الدمع وهي غزيرة … فلذاك ما احتاجت ورود الضان

وعلت على متن الهوى وتزودت … ذكرى الحبيب ووصله المتداني

قوله : واهاً هي كلمة يقولها المتعجب قال الجوهري : اذا تعجبت من طيب الشيء قلت : واهاً له ، ماأطيبه ، وكذلك في التفجع واهاً، وواه أيضاً. انتهى .

قوله : لايفارق طيره الاغصان . المراد بالاغصان : القدود ، كقوله :

أ أُغصان بان ماأرى أم شمائل ؟

قوله : قائمة على الكثبان ، أي الأرداف ، لأن ذلك يسمى الكثيب والنقا [1] واعلم أن للشعر ألفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية ، وان كانت في الأصل مجازاً لكثرة دورانها في كلامهم ، وتعاطيهم استعمالاتها ، لأنهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم ، فمن ذلك الغصن إذا أطلقوه فهموا منه القوام ، والكثيب إذا أطلقوه فهموا منه الردف ، والورد إذا أطلقوه فهموا منه الوجه ، والأقاح إذا أطلقوه فهموا منه الثغر ، والراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق ، والنرجس إذا أطلقوه فهموا منه العيون ، وكذا السيف والسهم والسحر والبنفسج والريحان ، العذار ، كل هذه انتقلت عن وضعها الأصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح .

قوله : يسجع . قال في « مختار الصحاح » السجع : الكلام المقفى ، وجمعه أسجاع وأساجيع ، وقد سجع الرجل من باب قطع ، وسجع أيضاً تسجيعاً ، وكلام مسجع وأساجيع ، وسجعت الحمامة : هدرت ، وسجعت الناقة : مدت حنينها على جهة واحدة . انتهى .

( ) قوله الأر اف الى آخره ماأبر هذا لتفسير وأبعده عن مقاصد ابن القيم أي فائدة بذلك . وبطالعة ما كتبه الشيخ عبد اللطيف يعرف مقصد ابن القيم (ابن مانع)

قوله : لله زائرة بليل الخ . قولهم: لله فلان . أصله: لله در فلان بفتح الدال، وهو اللبن ، فيحتمل أنه كناية عن فعل الممدوح ، أو يراد به لبن ارتضاعه ، أي : ما أعجب هذا اللبن الذي نشأ به مثل هذا المولود الكامل في هذه الصفة، وعلى كل حال فاضافته لله للتعظيم ، لأنه منشيء العجائب .

قوله : عسس الأمير . قال في « مختار الصحاح » : عس من باب رد : طاف بالليل ، وعسساً أيضاً وهو نفض الليل عن أهل الريبة ، فهو عاس ، وقوم عسس كخادم وخدم ، وطالب وطلب ، واعتس ، مثل عس . انتهى .

قوله : من أرض طيبة ، هي المدينة المنورة .

قوله : وادي العقيق . قال الشيخ محمد طاهر الفتني في « مجمع البحار » : هو واد من أودية المدينة ، وورد أنه واد مبارك ، ومنه :أتاني آت بالعقيق، والآتي جبريل ، وورد أن العقيق ميقات أهل العراق ، وهو موضع قريب من ذات عرق ، وهو اسم مواضع كثيرة ، وكل موضع شققته من الأرض فهو عقيق . انتهى . وفي « منسك شيخ الاسلام » أن ذا الحليفة يسمى وادي العقيق .

وأتت على وادي لأراك ولم يكن قصداً لها فالاً بأن ستراني

الأراك كالإراك بالكسر : شجر من الحمض يستاك به ، وإبل أراكية ترعاه ، قاله في « القاموس » أي : إن هذه العروس أتت على وادي الاراك ، وليس هو طريقاً لها ؛ ولكن فعلت ذلك تفاؤلاً [1] بأن ترى محبها .

قوله : سارت وكان دليلها في سيرها الخ . قال العلامة العيني في « شرح الشواهد الكبرى » في شرح قول الشاعر :

---

(١) وعلى هامش الاصل : قوله: فعلت ذلك تفاؤلاً ، فيه نظر ، فإن التفاؤل ليس مقصوداً لها ، ولكنها أتته من غير قصد له فحصل التفاؤل .

إذا دبران منك يوماً لقيته ... أؤمل أن ألقاك غدواً بأسعد

قال : دبران : علم على الكوكب الذي يدبر الثريا، وهو خمسة كواكب في الثور . يقال انها سنامه . الى أن قال : والحاصل ان ذكر الدبران التي هي علم للكواكب الخمسة ، وكنى بها عن الإدبار الذي هو ضد الإقبال والسعد ، وذكر الأسعد التي هي سعود النجوم، وكنى بها عن السعد الذي هو ضد النحس؛ والمعنى: اذا رأيت منك ادباراً يوماً - يعني شيئاً أكرهه - فلا أقطع رجائي منك ؛ ولكن أؤمل حصول خيرك من بعد ذلك ؛ بأن ألقاك في سعد واقبال . انتهى . أي: لأن هذه العروس جاءت من الشام ؛ والجائي من الشام يتيمم جهة مطلع سعد السعود ؛ لأنه في جهة الجنوب ، ولو استدل بالدبران لما اهتدى . ويحتمل أن مراد الناظم التفاؤل باسم سعد السعود [1] لأن النبي ﷺ « كان يعجبه الفأل » [2] وكان يقول : « إذا بعثتم إلي بريداً فابعثوه حسن الاسم حسن الوجه » [3] او كما قال . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعدت بزورتها فأوفت بالذي ... وعدت وكان بملتقى الأجفان

لم يفجأ المشتاق الا وهي دا ... خلة الستور بغير ما استئذان

قالت وقد كشفت نقاب الحسن ما ... بالصبر لي عن ان أراك يدان

فتحدثت عندي حديثاً خلته ... صدقاً وقد كذبت به العينان

فعجبت منه وقلت من فرحي به ... طمعاً ولكن المنام دهاني

ان كنت كاذبة الذي حدثتني ... فعليك إثم الكاذب الفتان

جهم بن صفوان وشيعته الالى ... جحدوا صفات الخالق الديان

---

(١) الذي ذكره العلماء أن الفأل لايقصد . (ابن مانع)

(٢) اخرجه ابن ماجه عن ابي هريرة ، والحاكم عن عائشة بلفظ : «كان يعجبه الفأل الحسن » وقد حسن الحافظ ابن حجر في «الفتح » اسناده . وروى الشيخان : «لا طيرة وخيرها الفأل . قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

(٣) اورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » ورمز له بالضعف .

قوله : وعدت بزورتها فأوفت بالذي الخ ؛ أي : أنها وعدت بالزيارة فأوفت بها في المنام ، ولهذا قال : وكان بملتقى الاجفان . وكما قال قبل ذلك : لله زائرة بليل .. قوله : نقاب . قال في « القاموس » النقب بالكسر : الرجل العلاّمة[1] ، وما تنتقب به المرأة ، والطريق في الغلظ . قوله : إن كنت كاذبة الذي حدثتني الخ . . هذا يسمى حسن التخلص عند أهل البديع . قوله : جهم ابن صفوان . هو على ماقال الذهبي في « الميزان » : جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان التابعين ، وما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً عظيما . وقال البخاري في « رسالة خلق أفعال العباد » حدثني أبو جعفر قال : حدثني يحيى بن أيوب ، قال : سمعت أبا نعيم البلخي ، قال : كان رجل من أهل مرو ، صديقاً لجهم ، ثم قطعه وجفاه فقيل له : لم جفوته ؟ فقال : احتملت منه مالا يحتمل ، قرأت يوماً آية كذا وكذا ، أنسيها يحيى . فقال : ما كان أظرف محمداً ، فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (طه) فلما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ . قال : أما والله لو وجدت سبيلا الى حككتها لحككتها من المصاحف ؛ فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (القصص) فلما انتهى الى ذكر موسى قال : ماهنا ، ذكر قصته في موضع ؛ فلم يتمها ؛ ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه ، فوثبت عليه . حدثني أبو جعفر ، قال : سمعت يحيى بن أيوب ، قال : كنا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزاري ، فسأله رجل عن حديث الرؤية ، فلم يحدث به . قال : ان لم تحدثني به فأنت جهمي . فقال مروان : تقول لي : جهمي ، وجهم مكث أربعين يوماً لا يعرف ربه !؟ وقال البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » : بلغني أن جهماً كان يأخذ من الجعد بن درهم ، وكان خالد القسري أمير العراق خطب ، فقال : اني مضح بالجعد بن درهم ، لأنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم

---

(١) في الاصل : الرحل والعلامة ، وهو خطأ ، والتصويب في « القاموس » .

موسى تكليما . ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل قال : قال عبد الله ابن المبارك :

ولا أقول بقول الجهم إن له   قولاً يضارع أهل الشرك أحياناً

وعن عبد الله بن شوذب قال : ترك الجهم الصلاة أربعين يوماً على وجه الشك ، وذكر الطبري في «تاريخه» في حوادث سنة ثمان[1] وعشرين (بعد المائة) أن الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني أمية ، وحاربه ، والحارث حينئذ يدعو إلى العمل بالكتاب والسنة ، وكان جهم حينئذ كاتبه ، ثم تراسلا بالصلح ، وتراضيا بحكم مقاتل بن حيان والجهم ، فاتفقا على أن الأمر يكون شورى حتى يتراضى أهل خراسان على أمير يحكم بينهم بالعدل ، فلم يقبل نصر ذلك ، واستمر على محاربة الحارث إلى ان قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين (بعد المائة) في خلافة مروان الحمار . فيقال : ان الجهم قتل في المعركة ومقاتل أسر ؛ فأمر نصر بن سيار سالم بن أحوز بقتله ؛ فادعى جهم الأمان فقال له سالم : لو كنت في بطني لشققته حتى أقتلك ؛ فقتله .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال : قال سالم حين أخذه : ياجهم إني لست أقتلك لأنك قاتلتني ؛ أنت عندي أحقر من ذلك ؛ ولكني سمعتك تتكلم بكلام ، أعطيت الله عهداً أن لا أملكك إلا قتلتك ؛ فقتله . ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي ؛ بلغ سالم ابن أحوز وكان على شرطة خراسان أن جهم بن صفوان ينكر ان الله كلم موسى تكليما ؛ فقتله . ومن طريق بكر بن معروف قال : رأيت سالم بن أحوز حين ضرب عنق جهم ؛ فاسود وجه جهم .

وأسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب «السنة» له أن قتل جهم كان في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، والمعتمد ماذكره الطبري أنه كان في سنة ثمان وعشرين (بعد المائة) .

---

(١) في الاصل : تسع ، وهو خطأ ، والتصويب من « تاريخ الطبري » .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد بن حنبل قال : قرأت كتاب داود بن هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له: جهم، من الدهرية ؛ فان ظفرت به فاقتله .

وقد ذكر الامام احمد رحمه الله بعض حال الجهم ؛ كما سيأتي في شرح قول الناظم . ولذلك لم يقر الجهم بالأرواح خارجة عن الأبدان .

وقال علي بن الحسن : سمعت ابن مصعب يقول : كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله، قولهم : إن الجنة تفنى . وقال الله تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) ص : ٦٤ فمن قال : انها تنفد فقد كفر . وقال (لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٣ فمن قال : انها تنقطع فقد كفر . وقال بلغوا الجهمية أنهم كفار ، وأن نساءهم طوالق .

وقال زهير البابي[1] : سمعت سلام ابن أبي مطيع يقول : الجهمية كفار . وقال وكيع : أحدثوا، هؤلاء المرجئة الجهمية، والجهمية كفار . وقال ابن الأسود : سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد : لو أن جهمياً بيني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئاً .

وقال يزيد بن هارون : الجهمي أضر من مائتي شيطان . قال أبو عبدالله : ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى . ولا يسلم عليهم ؛ ولا يعادون ؛ ولا يناكحون ؛ ولا يشهدون ؛ ولا تؤكل ذبائحهم . وسئل وكيع عن مثنى الأنماطي فقال : كافر . وقال عبد الله بن داود: لو كان لي على المثنى الانماطي سبيل لنزعت لسانه من قفاه ، وكان جهمياً . وحذر يزيد بن هارون من الجهمية وقال : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العباد فهو جهمي . وقال ضمرة بن ربيعة عن صدوره : سمعت سليمان التيمي يقول : لو سئلت عن الله لقلت في السماء . فإن قال: فأين عرشه قبل السماء ؟ لقلت : على الماء . فان قال : فأين

---

(١) في الاصل : السختياني وهو خطأ . والتصويب من كتاب «الرد على الجهمية» .

كان عرشه قبل الماء ؟ قلت : لا أعلم . قال أبو عبد الله : وذلك لقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) البقرة : ٢٥٥ يعني : إلا بما بين . وقال محمد بن يوسف : من قال : ان الله ليس على عرشه فهو كافر ، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر . وقيل لمحمد بن يوسف : أدركت الناس ، فهل سمعت أحداً يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : الشيطان تكلم بهذا ؛ ومن تكلم في هذا والجهمي كافر . وقال ابن المبارك : لا نقول كما قال الجهمية : ان الله في الأرض ههنا ، بل على العرش استوى وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : فوق سمواته على عرشه . وقال لرجل منهم : أبطنك خال منه ؟ فبهت الآخر . وقال سعيد بن عامر : الجهمية شر قولاً من اليهود والنصارى ؛ قد اجمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على ان الله على العرش وقالوا هم : ليس على العرش . وقال حماد بن زيد : القرآن كلام الله ؛ نزل به جبريل ، ما يحاولون الا انه ليس في السماء إله . وقال علي : ان الذين قالوا : ان لله ولداً أكفر من الذين قالوا : ان الله لا يتكلم [1]. وقال : احذر من المريسي واصحابه ؛ فان كلامهم اشتمل على الزندقة ، وأنا كلمت استاذهم جهماً فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً . وقال الفضيل بن عياض : اذا قال لك الجهمي : انا أكفر برب يزول عن مكانه . فقل : انا أومن برب يفعل ما يشاء. وحدثني ابو جعفر ، قال : سمعت الحسن بن موسى الأشيب فنال منهم ، ثم قال : دخل رأس من رؤساء الزنادقة يقال له : شمعلة على المهدي فقال : دلني على اصحابك . فقال : أصحابي اكثر من ذلك . فقال : دلني عليهم ، فقال : صنفان ممن ينتحل القبلة : الجهمية والقدرية . الجهمي اذا غلا قال : ليس ثم شيء ، وأشار الأشيب الى السماء ، والقدري اذا غلا قال : هما اثنان ؛ خالق خير وخالق شر . فضرب عنقه وصلبه . قال وكيع : الرافضة شر من القدرية ، والحرورية شر منها ؛ والجهمية شر هذه الاصناف ، قال الله : (وكلم الله موسى تكليما) النساء : ١٦٤ .

---

(١) لعل صواب الجملة : إن الذين قالوا : ان الله لا يتكلم أكفر من الذين قالوا : إن لله ولداً . وإلا لما كان لهذا الكلام معنى .

ويقولون : لم يتكلم . ويقولون : الايمان بالقلب : قال ابن عباس : لما كلم الله موسى كان النداء من السماء ، وكان الله في السماء. وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله على عرشه فوق سمواته ، وسمواته فوق أرضه مثل القبة . وقال ابن مسعود في قوله : ثم استوى على العرش . قال : العرش على الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما انتم عليه . وقال قتادة في قوله تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الزخرف : ٨٤. قال : يعبد في السماء ، ويعبد في الأرض . وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة ، لأنهم شبهوا ربهم بالصميم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر انتهى . ملتقط من مواضع . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية الخ ما ذكره في «الحموية» : (ثم أصل هذه المقالة انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال)[1] الصائبين ، فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه . وقيل : ان الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ؛ واخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي ؛ وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ. وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصائبة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم . وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران . وأخذ عن فلاسفة الصائبين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام وغيره لما ناظر السمنية (عن) بعض فلاسفة الهند ، وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات ؛ فهذه أسانيد جهم ترجع الى اليهود والصابئين والمشركين ، والفلاسفة الضالين ، إما عن الصائبين ؛ واما عن المشركين . انتهى . والمقصود

---

(١) مابين القوسين سقط في الاصل . واستدركناه من «العقيدة الحموية الكبرى» لشيخ الاسلام ابن تيمية .

الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى : جهم بن صفوان وشيعته الألى .
والألى اسم موصول بمعنى الذين جحدوا صفات الخالق الديان . المعنى أن جهماً وشيعته جحدوا صفات الباري سبحانه وتعالى . والجهم هو أعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللأسماء الحسنى ، وقوله من جنس قول الباطنية القرامطة ، حتى ذكروا عنه أنه لايسمي الله شيئاً ، ولا غير ذلك من الأسماء التي يسمى بها المخلوق ؛ لأن ذلك بزعمه من التشبه الممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية. وحكي عنه أنه لايسميه إلا قادراً فاعلاً ، لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ؛ إذ كان هو رأس الجبرة .

قال الناظم رحمه الله :

بل عطلوا منه السموات العلى	والعرش أخلوه من الرحمن
ونفوا كلام الرب جل جلاله	وقضوا له بالخلق والحدثان
قالوا وليس لربنا سمع ولا	بصر ولا وجه فكيف يدان؟!
وكذاك ليس لربنا من قدرة	وإرادة أو رحمة وحنان
كلا ولا وصف يقوم به سوى	ذات مجردة بغير معان
وحياته هي نفسه وكلامه	هو غيره فاعجب لذا البهتان
وكذاك قالوا ماله من خلقه	أحد يكون خليله النفساني
وخليله المحتاج عندهم ، وفي	ذا الوصف يدخل عابدو الاوثان
فالكل مفتقر اليه لذاته	في أسر قبضته ذليل عان
ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري يوم ذبائح القربان	
إذ قال ابراهيم ليس خليله	كلا ولا موسى الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنة   لله درك من أخي قربان

قوله : وكلامه هو غيره . أي : ان كلامه مخلوق من جملة المخلوقات ، لأن كلامه غيره ، وما كان غيره مخلوق فهو مخلوق . قوله : وكذاك قالوا ماله من خلقه أحد الخ ؛ أي : أن الجهمية ينكرون الخلة والمحبة ؛ وإنما يثبتون الخلة بمعنى الفقر والحاجة ، فهم ينكرون أن الله سبحانه يحب أو يحب ، أي : فكل فقير لله ؛ فهو خليله بهذا المعنى ؛ ولهذا ألزمهم الناظم بهـذا الالزام ؛ أي : ان الناس كلهم فقراء الى الله تعالى ؛ كما قال تعالى (ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الآية فاطر : ١٥ . فيلزم على قول الجهمية أن جميع الخلق أخلاء الله ، حتى عابدو الأوثان والأصنام . قوله : كلا ولا وصف يقوم به الخ ؛ أي : إن الباري تعالى وتقدس عندهم لايوصف الا بأنه الوجود المطلق ، والوجود المطلق إنما يكون في الأذهان لا في الأعيان. قوله : وحياته هي نفسه ، أي : إن الصفـات ترجع إلى مجرد الذات المقدسة ؛ فهذا حال الجهمية الأولين ؛ وهم الجهمية الذكور ؛ وأما الجهمية المتأخرون الذين سماهم شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري صاحب « منازل السائرين » الجهمية الاناث ؛ فقد قال شيخ الاسلام المذكور في كتابه « ذم الكلام » باب في ذكر كلام الأشعرية : ولما نظر المبرزون من علماء هذه الامة وأهل الفهم من أهل السنة طوايا كلام الجهمية ، وما أودعته من رموز الفلاسفة ولم تقف منهم إلا على التعطيل البحت ؛ وأن قطب مذهبهم ومنتهى عقيدتهم ماصرحت به رؤوس الزنادقة قبلهم ، أن الفلك دوار ؛ والسماء خالية ، وان قولهم : إنه تعالى في كل موضع ؛ وفي كل شيء ، مااستثنوا جوف كلب ؛ ولاخنزير ؛ ولا حشاً ـ فرار من الاثبات ؛ وذهاب عن التحقيق .

وان قولهم : سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ، عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، إله بلا نفس ولا شخص ولا صورة ، ثم قالوا : لا حيـــاة له ، ثم قالوا : لاشيء ، فانه لو كان شيئاً لأشبه الاشياء . حاموا[1] حول مقال رؤوس الزنادقة القدماء ، إذ قالوا : الباري لاصفة ، ولا صفة ، خافوا على قلوب ضعفى المسلمين وأهل الغفلة وقلة الفهم منهم ، إذ كان ظاهر تعلقهم بالقرآن ، وإن كان اعتصاماً به من السيف ، واجتناناً به منهم ، وإذ هم يرون التوحيد ، ويخاوضون المسلمين ، ويحملون الطيالســـة ، فأفصحوا بمعانيهم ، وصاحوا بسوء ضمائرهم ، ونادوا على خبايا نكتهم ، فيا طول ما لقوا في أيامهم من سيوف الخلفاء ، وألسن العلماء ، وهجران الدهماء ، فقد شحنت كتاب تكفير الجهمية من مقالات علماء الاسلام فيهم ، ودأب الخلفاء فيهم ، ودق عامة أهل السنة عليهم ، واجماع المسلمين على اخراجهم من الملة ، ثقلت عليهم الوحشة ، وطالت عليهم الذلة ، وأعيتهم الحيلة ، إلا ان يظهروا الخلاف لأولاهم ، والرد عليهم ، ويصبغوا كلامهم صبغاً[2] يكون ألوح للأفهام ، وأنجع في العوام من أساس أولهم ، ليجدوا بذلك المساغ ، ويتخلصوا من خزي الشناعة ، فجاءت مخاريق تراءى للغبي بغير ما في الحشايا ، ينظر الناظر الفهم في جذورها ، فيرى مخ[3] الفلسفة يكسى لحاء السنة ، وعقد الجهمية ينحل ألقاب الحكمة ، ويردون على اليهود قولهم : يد الله مغلولة ، فينكرون الغل ، وينكرون اليد ، فيكونون أسوأ حالاً من اليهود ، لأن الله أثبت الصفة ، ونفى العيب ، واليهود أثبتت الصفة ، وأثبتت العيب ، وهؤلاء نفوا الصفة ، كما نفوا العيب ، ويردون على النصارى في مقالهم في عيسى وأمه ، فيقولون : لا يكون في المخلوق غير المخلوق ، فيبطلون القرآن ، فلا يخفى على ذوي الألباب أن كلام أولاهم وكلام أخراهم كخيط السحارة ، فاسمعوا يا أولي الألباب ، وانظروا ما فضل هؤلاء على أولئك؟

---

(١) في الاصل : حاولو

(٢) في الاصل : ويصفوا كلامهم وصفاً . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » لشيخ الاسلام الهروي ، وهو من مخطوطات الظاهرية .

(٣) في الاصل : خدرها فيرمخ ، والتصحيح من « ذم الكلام وأهله » .

أولئك قالوا قبح الله مقالتهم : إن الله موجود بكل مكان ؛ وهؤلاء يقولون : ليس هو في مكان ؛ ولا يوصف بأين . وقد قال المبلغ عن الله لجارية معاوية بن الحكم : أين الله ؟ وقالوا : هو من فوق ؛ كما هو من تحت ؛ لايدرى أين هو ؛ ولا يوصف بمكان ؛ وليس هو في السماء ؛ وليس هو في الأرض . وأنكروا ؛ أي : الجهة والحد . وقال أولئك : ليس له كلام ، إنما خلق كلاماً ، وهؤلاء يقولون : تكلم مرة فهو متكلم به منذ تكلم ، لم ينقطع عن الكلام ؛ ولا يوجد كلامه في موضع ليس هو به ، ثم قالوا: ليس هو صوت ولا حروف ، وقالوا :هذا زاج وورق، وهذا صوف وخشب ، وهذا إنما قصد به النقش ، وأريد به النقر ، وهذا صوت القارىء ، أما ترى أن منه حسناً ومنه قبيحاً ، وهذا لفظه ،أماتراه يجازي به ، حتى قال رأس من رؤوسهم : أو يكون قرآن من لبد ؟ وقال آخر من خشب ، فراغوا فقالوا : هذا حكاية عبر بها عن القرآن ، والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد ذلك: ثم قالوا : غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام أهل السنة ، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود ، لفظته الجهمية الذكور بمرة ، والاشعرية الاناث بعشر مرات، وأولئك قالوا : لاصفة ، وهؤلاء يقولون : وجه ، كما يقال : وجه النهار ، ووجه الأمر ، ووجه الحديث ، وعين كعين المتاع ، وسمع كأذن الجدار ، وبصر ، كما يقال: جداراهما يتراءيان ، ويد كيد المنة والعطية ، والأصابع ، كقولهم : خراسان بين اصبعي[1] الأمير ، والقدمان ، كقولهم: جعلت الخصومة تحت قدمي ، والقبضة ، كما قيل : فلان في قبضتي . أي ؛ أنا أملك أمره . وقالوا: الكرسي العلم ، والعرش الملك ، والضحك الرضى ، والاستواء الاستيلاء ، والنزول القبول ، والهرولة مثله ، فشبهوا من وجه ، وأنكروا من وجه ، وخالفوا السلف ، وتعدوا الظاهر ، وردوا الأصل ،

(١) في الاصل : اصابع . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله ».

ولم يثبتوا شيئاً ، ولم ينفوا موجوداً ، ولم يفرقوا بين التفسير والعبارة بالألسنة . فقالوا : لا نفسرها ، نجريها عربية كما وردت ، وقد تأولوا تلك التأويلات الخبيثة ، أرادوا بهذه المخرقة أن يكون عوام المسلمين أبعد غياباً وأعيا ذهاباً منها ، ليكونوا أوحش عند ذكرها ، وأشمس عند سماعها ، وكذبوا ، بل التفسير أن يقال : وجه ، ثم يقال : كيف؟ وليس كيف في هذا الباب من مقال المسلمين . فأما العبارة فقد قال الله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة) المائدة : ٦٤ وإنما قالوا هم بالعبرانية ، فحكاها عنهم بالعربية ، وكان يكتب رسول الله ﷺ (كتابه) بالعربية فيها أسماء الله وصفاته ، فيعبر بالألسنة عنها ، ويكتب إليه بالسريانية ، فيعبر له زيد بن ثابت رضي الله عنه بالعربية ، والله تعالى يدعى بكل لسان بأسمائه ، فيجيب ويحلف بها فيلزم ، وينشد فيجار ويوصف فيعرف ، ثم قالوا : ليس ذات الرسول بحجة ، وقالوا : ماهو بعد ما مات بمبلغ ، فلا تلزم به[1] الحجة ، فسقط من أقاويلهم ثلاثة أشياء ، أن ليس في السماء رب ، ولا في الروضة رسول ، ولا في الأرض كتاب ، كما سمعت يحيى بن عمار[2] يحكم به عليهم ، وإن كانوا[3] موهوها وورّوا عنها واستوحشوا من تصريحها ، فان حقائقها لازمة لهم ، وأبطلوا التقليد ، فكفروا آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وعوام المسلمين ، وأوجبوا النظر في الكلام ، واضطروا اليه (الدين) بزعمهم ، فكفروا السلف (وقالت الطائفة منهم : الفرض لا يتكرر) فأبطلت الشرائع ، وسموا الاثبات تشبيهاً ، فعابوا القرآن وضللوا الرسول ﷺ فلا تكاد ترى منهم رجلاً ورعاً ، ولا للشريعة معظماً ، ولا للقرآن محترماً ، ولا للحديث موقراً ، سلبوا التقوى ، ورقة القلب ، وبركة التعبد ، ووقار الخشوع ، واستفضلوا الرسول ، فانظر إلى احدهم ، فلا هو

---

(١) في الاصل : فيلزم . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » .

(٢) يحيى بن عمار : هو الإمام الواعظ السجستاني نزيل هراة ، أثنى عليه في « الشذرات » مات سنة ٤٢٢
(ابن مانع)

(٣) في الاصل : كان . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » .

طالب آثاره[1]، ولا متتبع أخباره، ولا مناضل عن سنته، ولا هو راغب في أسوته، يتقلب بمرتبة العلم وما عرف حديثاً واحداً، تراه يهزأ بالدين، ويضرب له الأمثال، ويتلعب بأهل السنة، ويخرجهم أصلاً من العلم، لا تنقر لهم عن بطانة إلا خانتك، ولا عن عقيدة الا أرابتك، ألبسوا ظلمة الهزء[2]، وسلبوا هيبة الهدى، فتنبو عنهم الأعين، وتشمئز منهم القلوب انتهى. قوله: ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري الخ. أي: ولأجل انكار الخلة والكلام، ضحى خالد بن عبدالله القسري بالجعد بن درهم يوم الأضحى، ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى:

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

وهو خالد بن عبد الله القسري بفتح القاف. قال: في « تهذيب الكمال » خالد بن عبدالله بن يزيد بن كرز بن عامر البجلي القسري أمير مكة للوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك، وأمير العراقين لهشام بن عبد الملك. وقال البخاري: كان خالد بن عبدالله القسري البجلي اليماني بواسط، ثم قتل بالكوفة. وقال أبو المليح الرقي: سمعت خالد بن عبد الله يقول على المنبر: قد اجتمع من فيئكم هذا ألفا الف، لم يظلم فيها مسلم ولا معاهد. وقال عبد الرحمن بن أحمد بن زيد: ثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، ثنا الاصمعي، قال: حدثنا عبد الله بن نوح قال: سمعت خالد بن عبد الله يقول: إني لأعشي كل ليلة تمراً وسويقاً ستة وثلاثين ألفاً. وقال الاصمعي: دخل أعرابي على خالد بن عبد الله فقال: إني قد أنشدت فيك بيتين، ولست أنشدهما الا بعشرة آلاف وخادم، فقال له خالد: قل، فأنشأ يقول:

لزمت نعم حتى كأنك لم تكن ... سمعت من الاشياء، شيئاً سوى نعم

---

(1) في الاصل: أثره، والتصحيح من كتاب « ذم الكلام واهله ».

(2) في الاصل: ألبسوا ظلمة الهوى. والتصحيح من كتاب « ذم الكلام واهله » للهروي

وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن سمعت بها في سالف الدهر والأمم

فقال خالد : ياغلام عشرة آلاف وخادم ، فحملها قال : ودخل عليه أعرابي فقال : إني قد قلت فيك شعراً ، وأنشأ يقول :

أخالد إني لم أزرك لحاجة سوى أنني عاف وأنت جواد

أخالد ان الحمد والأجر حاجتي فأيهما يأتي وأنت عماد

فقال له : سل يا أعرابي . قال : قد جعلت المسألة لي أصلح الله الأمير ؟ مائة الف درهم : أكثرت يا أعرابي . فقال : أفأحطك أصلح الله الامير ؟ قال : نعم . قال : حططتك سبعين ألفاً ، فقال له خالد : يا أعرابي ، ما أدري من أي أمريك أعجب ؟ ! فقال : إنك لما جعلت المسألة لي سألتك على قدرك ، وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحطك حططتك على قدري وما أستأهله . فقال له خالد : والله يا أعرابي لا تغلبني ، ياغلام مائة ألف ، فدفعها اليه . قال خليفة : قتل خالد سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن نحو ستين سنة . انتهى مختصراً . وقد تقدمت ترجمة الجهم .

وأما الجعد فهو ابن درهم قال بخلق القرآن ، وهو الذي كان ينسب اليه مروان الجعدي ، أصله من حران . ويقال : إنه من موالي بني مروان ، وسكن دمشق .

قال الحافظ ابن عساكر : وقد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان ، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم وزوج ابنته ، عن لبيد ابن أعصم الساحر لعنه الله ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الجريري . وقيل : الترمذي ، وأقام ببلخ ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران ، حتى نفي الى ترمذ ، ثم قتل بأصبهان . وقيل بمرو .

وقتله نائبها مسلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن بشر . وأما الجعد فانه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية ، فهرب منهم فسكن الكوفة ، فلقية بها الجهم بن صفوان ، فتقلد عنه هذا القول ، ثم قتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالكوفة . وقد روى البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » وابن أبي حاتم في كتاب « السنة » وغير واحد ممن صنف في كتب السنة ، كالطبراني ، وابن ابي عاصم ، وعبدالله بن أحمد ، أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحى فقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً ، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر . قال غير واحد من الأئمة : كان الجعد بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا يقال له : مروان الجعدي نسبة إليه . وذكره الحافظ ابن عساكر في « التاريخ » وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وانه كان كلما راح الى وهب يغتسل ويقول : إنه أجمع للعقل . وكان يسأل وهباً عن ماهية الله عز وجل . فقال له وهب يوماً : ويلك ياجعد أنقص المسألة إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك ، وأن له عيناً ما قلنا ذلك . قال الناظم رحمه الله تعالى :

والعبد عندهم فليس بفاعل ... بل فعله كتحرك الرجفان

وهبوب ريح أو تحرك نائم ... وتحرك الأشجار للميلان

والله يصليه على ما ليس من ... أفعاله حر الجحيم الآن

لكن يعاقبه على افعاله ... فيه تعالى الله ذو الإحسان
والظلم عندهم المحال لذاته ... أنى ينزه عنه ذو السلطان ؟!
ويكون مدحاً ذلك التنزيه ما ... هذا بمعقول لذي الأذهان

أي : والعبد عند الجهمية ليس بفاعل ، بل هو مجبور على أفعاله ، ولذلك قال الناظم : بل فعله كتحرك الرجفان ، أو تحرك الأشجار عند عند هبوب الريح . وقوله : المحال لذاته ، وذلك كالجمع بين الضدين ، وجعل الجسم الواحد في مكانين . وأما المحال لغيره ، فهو كايمان من علم الله تعالى أنه لا يؤمن ، وذلك لأن الله تعالى انزل الكتب وبعث الرسل بطلب الايمان والاسلام من كل واحد ، وكلفهم ذلك ، وعلم أن بعضهم لا يؤمن . وفي الحديث القدسي حديث أبي ذر في « صحيح مسلم » عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه قال : « ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي الخ » .
وفيه مسألتان : احداهما في الظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه ، ونفاه عن نفسه لقوله : (وما ظلمناهم) هود : ١٠١ ، وقوله : (ولا يظلم ربك أحداً) الكهف . ٤٩ وقوله : (وما أنا بظلام للعبيد) ق : ٢٩ ، وقوله (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠ فان الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعاً صاروا فيه بين طرفين متباعدين ، ووسط بينهما ، وخيار الأمور أوساطها ، وذلك بسبب البحث ومجامعته للشرع ، وإذ الخوض في ذلك بغير علم تام ، أوجب ضلال عامة الامم ، ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه عن التنازع فيه ، فذهب المكذبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال العباد ، ولم يرد أن يكون الا ما أمر بأن يكون ، وغلاتهم المكذبون ، بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم الى أن الظلم منه هو نظير

الظلم من الآدميين بعضهم لبعض ، وشبهوه ومثلوه بالأفعال ، بأفعال عباده ، حتى كانوا ممثلة الأفعال ، وضربوا لله الأمثال ، ولم يجعلوا له المثل الأعلى ، بل أوجبوا عليه وحرموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد ، وإثبات الحكم في الأصل بالرأي ، وقالوا عن هذا إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالماً له ، فالتزموا أنه لا يقدر على أن يهدي ضالاً كما قالوا : إنه لا يقدر أن يضل مهتدياً ، وقالوا عن هذا ، إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانته على فعل المأمور كان ظالماً ، إلى أمثال ذلك من الأمور التي هي من باب الفضل والاحسان ، جعلوا تركه لها ظلماً ، وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك ، ومن لم يقم ، وان كان ذلك الاستحقاق قد خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة ، وهذا الموضع زلت فيه أقدام ، وضلت فيه أفهام ، فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر ، فقالوا : ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها ، بل هو من الامور الممتنعة لذاتها ، فلا يجوز أن يكون مقدوراً ، ولا أن يقال : إنه تارك له باختياره ومشيئته ، وإنما هو من باب الجمع بين الضدين ، وجعل الجسم الواحد في مكانين ، وقلب القديم محدثاً ، والمحدث قديماً ، وإلا فمهما قدر وجوده في الذهن وكان وجوده ممكناً والله قادر ، فليس بظلم ، سواء فعله أو لم يفعله ، وتلقي هذا القول عن هذه الطوائف من أهل الاثبات من الفقهاء وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وربما تعلقوا بظاهر أقوال مأثورة ، كما روينا عن إياس بن معاوية أنه قال : ما ناظرت أحداً بعقلي كله إلا القدرية . قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا : أن تأخذ ما ليس لك ، أو تتصرف فيما ليس لك . قلت : فلله كل شيء ، وهذا من إياس ليبين أن التصرفات الواقعة في ملكه ، فلا يكون ظلماً بموجب حدهم ، وهذا لا نزاع بين أهل

الاثبات فيه ، فانهم متفقون مع الايمان بالقدر على أن كل مافعله الله فهو عدل ، وفي حديث الكرب الذي رواه الامـــام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ماأصاب عبـداً قط هم ولاحزن فقال : اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أواستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجـــلاء حزني ، وذهاب غمي وهمي ، إلا أذهب الله غمه وهمه ، وأبدله مكانه فرحاً » قالوا : يارسول الله أفلا نتعلمهن ؟ قال : « بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمن » فقد بين أن كل قضائه في عبده عدل ، ولهذا يقال : كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عـدل . ويقال : أطعتك بفضلك والمنة لك ، وعصيتك بعدلك ، والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي ، الا ماغفرت لي .

وهذه المناظرة من اياس كما قـال ربيعة بن عبد الرحمن لغيلان حين قال له غيلان : ناشدتك الله أترى الله يحب أن يعصى ؟ فقال : ناشدتك الله أترى الله يعصى قهراً ؟ فكأنما ألقمه حجراً ، فان قوله : يحب ان يعصى ، لفظ فيه اجمال ، وقد لا يتأتى في المناظرة تفسير المجملات ، خوفاً من لدد الخصم ، فيؤتى بالواضحات . فقال : أفتراه يعصى قهراً ؟ فان هذا إلزام له بالعجز الذي هو لازم القدرية ، ولمن هو شر منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم ، فكذلك إياس رأي أن هذا الجواب المطابق لحدهم خاصم لهم ، ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول وبالجملة فقوله تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) طه : ١١٢ قال أهل التفسير من السلف : لايخاف ان يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم فينقص من حسناته ، ولا يجوز أن يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه ، فيكون التقدير : ولايخاف ما هو ممتنع لذاته خارج

عن الممكنات والمقدورات ، فان مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكناً حتى تقولوا : إنه غير مقدور ، ولو أراد لخلق المثل ، فكيف يعقل وجوده ، فضلاً عن أن يتصور خوفه حتى ينفى خوفه . ثم اي فائدة في نفي خوف هذا ؛ وقد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا العامل المحسن يجزى على حسناته بلا ظلم ولا هضم ، فعلم أن الظلم المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل التفسير ، وأن الله لايجزيه إلا بعمله .

المسألة الثانية : ان الناس لهم في أفعال الله باعتبار مايصلح منه ، ومايجوز منه ، ومالايجوز منه ، ثلاثة أقوال ، طرفان ، ووسط ، فالطرف الواحد طرف القدرية ، وهم الذين حجروا عليه أن لايفعل إلا ماظنوا بعقولهم أنه الجائز له ، حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجويز ، فأوجبوا عليه بعقولهم اموراً كثيرة ، وحرموا عليه بعقولهم أموراً كثيرة ، لابمعنى أن العقل آمر له وناه ، فان هذا لايقوله عاقل ، بل بمعنى أن تلك الأفعال علم بالعقول وجوبها وتحريمها ، ولكن أدخلوا في تلك المنكرات مابنوه على تكذيبهم بالقدر ، وتوابع ذلك ، والطرف الثاني : طرف الغلاة في الرد عليهم ، وهم الذين قالوا : لاينزه الله عن فعل من الأفعال ، ولا يعلم وجه امتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لايفعله ، المطابق لعلمه أنه لايفعله ، وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر من أنه كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم . قال تعالى :(وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الأنعام : ٥٤ وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاباً ، فهو موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » أو لم يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لايبين وجه فعله وتركه ، إذ الفعل يطابق المعلوم ، فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه لايفعل هذا ليس فيه تعارض ، لأنه

كتب هذا على نفسه ، وحرم هذا على نفسه ، كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا أولا يفعل كذا ، لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ، ولا في ذلك مايبين قيام المقتضي لهذا والمانع من هذا ، فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ، ليس فيه بيان مايدعو الى الفعل ولا إلى الترك ، بخلاف قوله : كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم ، فان التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية من الفعل ، وهذا بين واضح ، إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل ، وهو كتابة التقدير ، كما ثبت في « الصحيح » « أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » فانه قال : كتب على نفسه الرحمة. ولو أريد كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة ، إذ كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ، ولكان قد حرم على نفسه كل مالم يفعله من الاحسان ، كما حرم الظلم ففرق بين فعله سبحانه ، وبين ماهو مفعول مخلوق له ، وليس في مخلوقه ماهو ظلم منه ، وان كان بالنسبة إلى فاعله الذي هو الانسان هو ظلم ، كما أن أفعال الانسان هي بالنسبة إلية تكون سرقة وزناً وصلاة وصوماً ، والله تعالى خالقها بمشيئته ، وليس بالنسبة إليه كذلك ، إذ هذه الأحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل ، كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به ، لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات ، والله تعالى خالق كل صانع وصنعته ، كما جاء ذلك في الحديث ، وهو خالق كل موصوف وصفته .

ثم صفات المخلوقات ليست صفات له ، كالألوان والطعوم والروائح ، لعدم قيام ذلك به ، وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ، ولا أفعال له بهذا الاعتبار ، لكونها «مفعولات هو خلقها» . وبهذا الفرق تزول شبه كثيرة ، والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء ، وهو

مقدس عن ترك هذا الذي لو تركه لكان تركه نقصاً ، وكذلك الامر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه ، وهو مقدس عن فعله الذى لو كان لأوجب نقصاً ، وهذا بين ولله الحمد عند الذين أوتوا العلم والايمان ، وهو أيضاً مستقر في عموم المؤمنين ، ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم ، فقابلهم من قابلهم بنوع من الكلام الباطل ، كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمونه ، وذلك أن المعتزلة قالوا : قد حصل الاتفاق على أن الله ليس بظالم ، كما دل عليه الكتاب والسنة . والظالم : من فعل الظلم ، كما أن العادل : من فعل العدل ، هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعاً وعقلاً . قالوا : ولو كان الله خالقاً لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظالماً ، فعارضهم هؤلاء بأن قالوا : ليس الظالم من فعل الظلم ، بل الظالم من قام به الظلم . وقال بعضهم : الظالم من اكتسب الظلم وكان منهياً عنه . وقال بعضهم : الظالم من فعل محرماً عليه أو منهياً عنه . ومنهم من قال : من فعل الظلم لنفسه ، وهؤلاء يعنون أن يكون له والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته . ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعاً عندهم لذاته ، كامتناع أن يكون فوقه آمر له ومساو . ويمتنع عند الطائفتين أن يعود إلى الرب تعالى من أفعاله حكم لنفسه ، وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في أن العادل من فعل العدل ، بل سلموا ذلك لهم ، وإن نازعهم بعض الناس منازعة عنادية ، والذي يكشف تلبيس المعتزلة أن يقال لهم : الظالم والعادل الذي يعرفه الناس وان كان فاعلا للظلم والعدل ، فذلك قائم به أيضاً ، ولا يعرف الناس من يسمى ظالماً ولم يقم به الفعل الذي صار به ظالماً ، بل لايعرفون ظالماً إلا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالماً ، وإن كان فعله متعلقاً بغيره وله مفعول منفصل عنه ، لكن لايعرفون الظالم إلا بأن يكون قد قام به ذلك ، فكونكم

أخذتم في حد الظالم أنه من فعل الظلم ، وعنيتم بذلك من فعله في غيره ، فهذا تلبيس وافساد للشرع والعقل واللغة ، كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم : هو من فعل الكلام ولو في غيره ، فجعلتم من أحدث كلاماً منفصلاً عنه قائماً بغيره متكلماً وان لم يقم به هو كلام أصلاً ، وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة ، ولهذا ألزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه ، وكذلك أيضاً ماخلقه في الحيوانات ، ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق ، وإنما قالت الجلود : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، ولم تقل ، نطق الله بذلك ، ولهذا قال من قال من السلف ، كسليمان بن داود الهاشمي وغيره ، ما معناه : إنه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حين قال (أنا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ كالكلام الذي خلقه في الشجرة ، حتى قالت : (إنني أنا الله لا إله الا أنا) فإما أن يكون فرعون محقاً ، وإما أن تكون الشجرة كفرعون ، وإلى هذا المعنى تنحو الاتحادية من الجهمية ، وينشدون :

وكل كلام في الوجود كلامه — سواء علينا نثره ونظامه

والمقصود الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى : والعبد عندهم فليس بفاعل ، وسيأتي لهذا المقام زيادة بسط بحول الله تعالى في الكلام على قوله : وقضى بأن الله ليس بفاعل الخ .

فصل

وكذاك قالوا ماله من حكمة — هي غاية للأمر والاتقان

ماثم غير مشيئة قد رجحت مثلا على مثل بلا رجحان

هذا وما تلك المشيئة وصفه بل ذاتــه أو فعله قولان

وكلامه مذ كان غيراً كان مخ لوقاً له من جملة الأكوان

قالوا وإقرار العباد بأنه خــلاّقهم هو منتهى الإيمان

والناس في الايمان شيء واحد كالمشط عند تماثل الاسنان

فاسأل أبا جهل وشيعته ومن والاهم من عابدي الاوثان

وسل اليهود وكل أقلف مشرك عبد المسيح مقبّل الصلبان

واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم أعداء نوح أمــة الطوفان

واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ خلاق أم أصبحت ذا نكران؟

واسأل شرار الخلق أعني أمة لوطية هم ناكحو الذكران

واسأل كذلك إمام كل معطل فرعون مع قارون مع هامان

هل كان فيهم منكر للخالق الرب العظيم مكون الأكوان

فليبشروا مافيهم من كافر هم عند جهم كاملو الايمان

أي : إن الجهمية نفت الحكمة في خلقه تعالى ، فعندهم أنه لاحكمة في الأمر والنهي ، بل ماثم إلا الترجيح بمجرد المشيئة ، بل خلق المخلوقات ، وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة ، وهـــذا قول جمهور من

يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم ، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه ، وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية ، كابن حزم وأمثاله .

قال شيخ الاسلام : لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان ، والأكثرون على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن الرب لاتقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل ؟ لهم فيه أيضاً قولان . وهو يتسلسل الحكم ، أولا يتسلسل ، أويتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟ فيه أقوال . قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) البقرة : ١٤٣ وقوله : (كيلا يكون دولة) الحشر : ٧ وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم) البقرة : ١٤٣ ونظائرها ، ولانه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٧ والاجماع واقع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح ، جوازاً عند أهل السنة ، ووجوبا عند المعتزلة ، فيفعل ما يريد بحكمته وقد أطال الناظم رحمه الله في كتابه « شرح منازل السائرين »[١] « ومفتاح دار السعادة » وغيرهما ، فمما احتج به في « مفتاح دار السعادة » قوله تعالى : (**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين** آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) الجاثية : ١٢ فدل على أن هذا حكم بشيء يتنزه الله عنه ، فأنكره من جهة كونه أنه لايكون ، ومن هذا إنكاره تعالى على من جوز أن يترك عباده سدى ، لايأمرهم ولا ينهاهم ، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ، وإن هذا الحسبان باطل ، والله متعال عنه لمنافاته لحكمته ، فقال تعالى : (أيحسب الانسان أن

---

(١) وهو المشهور بـ : « مدارج السالكين » .

يترك سدى) القيامة ٣٦ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه ، وأنه لايليق أن ينسب ذلك الى احكم الحاكمين ، ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون. فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) المؤمنون : ١١٥، ١١٦ فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا الحسبان وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة ، وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل ، كما يدل على اثباته بالسمع. ثم إنه رحمه الله بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس . وفي « منهاج السنة النبوية » لشيخ الاسلام قال : أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة ، ولكن تنازعوا في تفسير ذلك. فقالت طائفة : الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده ، ولم يثبتوا إلا العلم والارادة والقدرة . وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم : بل هو حكيم في خلقه وأمره ، والحكمة ليست مطلق المشيئة، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيماً . ومعلوم أن الارادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة، بل تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة ، والقول باثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم ، فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكامه الشرعية ، وانما تنازع في ذلك طائفة من نفاة القياس وغير نفاته ، وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح لعباده معلوم ، وأصحاب القول الأول كجهم بن صفوان ، وموافقيه كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم يقولون : ليس في القرآن لام في تعليل أفعال الله ، بل ليس فيه إلا لام العاقبة . أما الجمهور فيقولون :

لام التعليل داخلة في أفعال الله واحكامه ، والقاضي ابو يعلى وابو الحسن ابن الزعفراني[1] ونحوهما من أصحاب احمد وإن كانوا قد يقولون بالاول ، فهم يقولون بالثاني أيضاً في غير موضع ، وكذلك امثالهم من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وغيرهما . واما ابن عقيل في بعض المواضع ، والقاضي ابو حازم ابن القاضي ابي يعلى ، وابو الخطاب ، فيصرحون بالتعليل والحكمة في أفعال الله موافقة لمن قال ذلك من أهل النظر ، والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح ، والكرامية وامثالهم هم أيضـــاً من القائلين بالقدر والمثبتين لخلافة الخلفاء المفضلين لأبي بكر وعمر وعثمان ، وهم أيضاً يقولون بالتعليل والحكمة ، وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولون بالتعليل والحكمة ، بل وبالتحسين والتقبيح العقليين كأبي بكر القفال وأبي علي ابن أبي هريرة ، وغيرهم من أصحاب الشافعي ، وأبي الحسن التميمي ، وأبي الخطاب من أصحاب أحمد انتهى كلامه . قوله : وكلامه مذ كان الخ . أي : إن كلام الله غيره عندهم ، وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه خلقه الله في بعض الأجسام ، نحو ذلك الجسم ابتداء ، ولا يقوم عندهم بالله كلام بل ولا إرادة قول . وقد حقق الناظم رحمه الله تعالى ذلك بما يزيل اللبس والابهام ، فقال في كتابه « بدائع الفوائد » اللفظ : المؤلف من الزاي والياء والدال مثلاً له ، حقيقة متميزة متحصلة ، فاستحق أن يوضع له لفظ يدل عليه ، لأنه شيء موجود في اللسان مسموع بالآذان ، فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم ، عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلا ، واللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال ، عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان ، وهو المسمى ، والمعنى واللفظ الدال عليه هو الاسم ، وهذا اللفظ أيضاً قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه ، فقد بان لك أن الاسم في أصل الوضع ليس

---

(١) في الاصل : الزاغوني .

هو المسمى ، ولهذا تقول: سميت هـذا الشخص بهذا الاسم ، كما تقول: حليته بهذه الحلية ، فالحلية غير المحلى ، فكذلك الاسم غير المسمى . وقد صرح بذلك سيبويه ، وأخطأ من نسب إليه غير هذا وادعى أن مذهبه اتحادهما . قال الناظم : وما قال نحوي قط ولا عربي أن الاسم هو المسمى ، ويقولون : أجل مسمى ، ولا يقولون : أجـل اسم ، ويقولون : مسمى هذا الاسم كذا ، ولا يقول أحـد : اسم هذا الاسم كـذا ، ويقولون : بسم الله ، ولا يقولون: بمسمى الله . وقال رسول الله ﷺ «ان لله تسعة وتسعين اسماً» ولا يصح أن يقال: تسعة وتسعون مسمى ، ونظائره كثيرة جداً . وقال : واذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى ، فبقي هنا التسمية ، وهي التي اغتر بها من قال باتحاد الاسم والمسمى . والتسمية عبارة عن فعل المسمى ، ووضعه الاسم للمسمى ، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلى ، ووضعه الحلية على المحلى ، فهنا ثلاث حقائق : اسم ، ومسمى ، وتسمية . كحلية ومحلى وتحلية ، وعلامـة ، ومعـلم ، وتعليم . ولا سبيل الى جعل اللفظين منها مترادفين على معنى واحـد ، لتباين حقائقها ، فاذا جعل الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقائق الثلاثة ولا بد . فان قيل : ما شبهه من قال باتحادهما ؟ فالجواب : شبهته أشياء : منها أن الله تعالى هو وحده الخالق وما سواه مخلوق ، فلو كانت مخلوقة للزم أن لا يكون له اسم في الأزل ولا صفة ، لان أسماءه صفات ، وهذا أعظم ما قاد متكلمي الاثبات إلى القول باتحادهما . والجواب عن كشف هذه الشبهة ، أن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنين حق وباطل ، فـلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظه عليها ، ولا ريب أن الله تعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منهـا ، فلم يزل بصفاته وأسمائه ، وهو إله واحد ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ،

وصفاته وأسماؤه داخلة في مسمى اسمه ، وان كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق ، فليست صفاته وأسماؤه غيره ، وليست هي نفس الإله ، وبلاء القوم من لفظة الغير ، فانها يراد بها معنيان . أحدهما : المغاير لتلك الذات المسماة بالله ، وكل ماغاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون الا مخلوقاً ، ويراد به مغايرة الصفة للذات اذا جردت عنها . فاذا قيل : علم الله ، وكلام الله وغيره ، بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام ، كان المعنى صحيحاً ، ولكن الاطلاق باطل ، فاذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره ، كان باطلا لفظاً ومعنى ، وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن . وقالوا : كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه ، فالله تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ، ومن تلك الصفات صفة الكلام ، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة ، وإذا كان القرآن كلامه ، وهو صفة من صفاته ، فهو متضمن لأسمائه الحسنى ، فاذا كان القرآن غير مخلوق ، ولا يقال : إنه غير الله ، فكيف يقال : إن بعض ماتضمنه وهو أسماؤه مخلوقة وهي غيره ؟ ! فقد حصحص الحق بحمد الله ، وانحسم الاشكال ، وإن أسماءه الحسنى التي في القرآن من كلامه ، وكلامه غير مخلوق . ولا يقال : هو غيره ولا هو هو ، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : أسماؤه غيره ، وهي مخلوقة ، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول : اسمه نفس ذاته لاغيره ، وبالتفصيل تزول الشبهة ويتبين الصواب . ثم ذكر حجج القائلين بأن الاسم هو المسمى ، وأجاب عنها وأطال وأطاب رحمه الله تعالى ، والله أعلم . قوله . والاقرار العباد بأنه خلاقهم هو منتهى الإيمان . هذا بيان لمذهب جهم وأتباعه في الإيمان ، وذلك أن مذهبهم أن الإيمان هو المعرفة والتصديق ؛ أي : الإقرار بالله تعالى ، وبأنه خالق العالم ، والأقوال والأعمال عندهم ليست من الايمان ، وهذا مذهب الصالحي ، والشيخ أبي الحسن الاشعري في المشهور من قوليه .

وعندهم أن إيمان الناس سواء ، وأن الايمان لايتفاضل ، بل إيمان أصدق الناس وأبرهم كايمان أفسقهم وأفجرهم ، ولهذا قال الناظم :

والناس في الايمان شيء واحد ‌‌‌ ‌ كالمشط عند تماثل الاسنان

ثم قال على سبيل الالزام : فأسأل ابا جهل وشيعته ، واسأل اليهود وثمود وعاد وقوم نوح وابليس وقوم لوط وفرعون وقارون وهامان . أي : إن جميع هؤلاء معترفون بالخالق سبحانه وتعالى ، فاذا كان الايمان هو التصديق كما زعمت الجهمية ، فليبشر هؤلاء أن ليس فيهم كافر على مذهب الجهمية، لأنهم مصدقون بالله سبحانه ، والله أعلم .

فصل

وقضى بأن الله كان معطلا ‌‌‌ ‌ والفعل ممتنع بلا إمكان

ثم استحال وصار مقدوراً له ‌‌‌ ‌ من غير أمر قام بالديان

بل حاله سبحانه في ذاته ‌‌‌ ‌ قبل الحدوث وبعده سيان

قوله : وقضى الخ . قال في « النهاية » : قد تكرر في الحديث ذكر القضاء ، وأصله الفصل والقطع . يقال : قضى يقضي قضاء فهو قاض : إذا حكم وفصل . وقضاء الشيء : إحكامه وامضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى الخلق . وقال الأزهري : القضاء في اللغة على وجوه ، مرجعها الى انقطاع الشيء وإتمامه ، وكل ما أحكم عمله أو أتم أو حتم أو أدي أو اوجب أو أعلم أو أنفذ او أمضي . قال : وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث ،

ومنه القضاء المقرون بالقدر ، فالقضاء والقدر أمران متلازمـان ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه. انتهى .
أي : وقضى جهم وحكم بأن الله كان معطلاً في الأزل. تعالى الله عن ذلك ، لا يفعل شيئاً ، ثم فعل من غير أمر قام به سبحانه ، وذلك فرار من القول بدوام فاعلية الرب[1] . ولنبسط الكلام على هذه المسألة بحول الله تعالى فنقول : قـال شيخ الاسلام ابن تيمية في المسألة المصرية في القرآن : اعلم أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم ، سلكوا في إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع طريقة مبتدعة في الشرع ، مضطربة في العقل ، وأوجبوها ، وزعموا أنـــه لا يمكن معرفة الصانع إلا بها ، وتلك الطريق فيها مقدمات لها نتائج مجملة ، فغلط كثير من سالكيها في مقصود الشارع ومقتضى العقل ، فلم يفهموا ما جاءت به النصوص النبوية ، ولم يحرروا ما اقتضته الدلائل العقلية ، وذلك أنهم قالوا : لا يمكن معرفة الصانع إلا باثبات حدوث العالم ، ولا يمكن إثبات حـدوث العالم ، إلا باثبات حدوث الأجسام . قالوا : والطريق إلى ذلك هو الاستدلال بحدوث الاعراض على حدوث ما قامت به الأعراض ، فمنهم من احتج بالحركة والسكون فقط ، ومنهم من احتج بالاكوان التي هي عنـــدهم الاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، ومنهم من احتج بالأعراض مطلقاً ، وبنى الدليل على أن مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، لامتناع حوادث لا أول لهـــا . فقال لهم المعارضون لهم من أهـــل الملل وغيرهم : أنتم أثبتم حدوث العالم بطريق ، وحدوث العالم لا يتم الا مـــع

---

(١) الشارح لم يوضح الابيات . (ابن مانع)

نقيض ماأثبتوه ، فما جعلتموه دليلاً على حدوث العالم لايدل على حدوثه ، بل ولا يستلزم حدوثه . والدليل لابـد أن يكون مستلزمـاً للمدلول ، بحيث يلزم من تحقق الدليل تحقق المدلول ، بل هو مناف لحدوث العالم ، مناقض له ، وهو يقتضي امتناع حدوث العالم ، بل امتناع حدوثه شيء من الاشياء ، وهذا يقتضي بطلانه في نفسه ، وأنه لو صح لم يدل الا على نقيض المطلوب ونقيض ما يقوله كل عاقل ، فان كل عاقل يعلم حدوث الحوادث في الجملة ، سواء قيل بقدم الأفلاك ، أو لم يقل بذلك ، وذلك ان مبنى دليلكم على أن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، وأن الارادة الأزلية التي نسبتها الى جميع المرادات على السواء ترجح مراداً على مراد بلا مرجح ، غير المرجح الذي نسبته الى جميع المرجحات نسبة واحدة لاتتفاضل . ومن المعلوم أن ترجيح وجود الممكن على عدمه بلا مرجح ، أو ترجيح احد المتماثلين على الآخر بلا سبب يقتضي ذلك ، باطل في بديهة العقل . ولو قيل : إن ذلك صحيح لبطل الدليل الذي يستدل به على ثبوت الصانع وحدوث العالم ، فان مبنى الدليل على أن المحدث لا بد له من محدث ، وذلك يستلزم أن ترجيح الحدوث على العدم لا بد من مرجح ، ولابد أن يكون للمحدث مرجح قد حدث منه ما يستلزم وجود المحدث الذي جعله موجوداً ، وإلا إذا لم يلزم وجوده ، كان وجوده جائزاً ممكناً ، كان محتملاً للوجود والعدم ، فترجيح الوجود على العدم لا بد له من مرجح محـــدث له ، وكل ما أمكن حدوثه إن لم يحصل له ما يستلزم حدوثه ، لم يحصل ، فما شاء الله كان لا محالة ، ووجب وجوده بمشيئة الله ، وما لم يشأ لم يكن ، بل يمتنع وجوده مع عدم مشيئة الله تعالى ، فما شاء الله حدوثه ، كان لازم الحدوث واجب الحدوث بمشيئته لا بنفسه ، وما لم يشأ حدوثه ، كان ممتنع الحدوث لازم العدم واجب العدم ، لأنه لا يوجد

بمشيئة الله المستلزمة لحدوثه . ثم إن الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم قالوا : ماذكرتموه من الدليل لا يدل على الحدوث ، بل يقتضي عدم الحدوث ، لأن حدوث الحوادث عن ذات لم تزل معطلة عن الفعل باطل ، فيكون العالم قديماً . وعبروا عن ذلك بأن جميع الأمور المعتبرة في كونه فاعلاً ان وجدت في الأزل ، لزم وجود الفعل في الأزل ، والا لزم تخلف المقتضي عن المقتضى التام ، وحينئذ فاذا وجدت بعد ذلك لزم الترجيح بلا مرجح ، وإن لم توجد في الأزل ، فوجودها بعد ذلك أمر حادث ، فيقتضي أمراً حادثاً ، وإلا لزم الحدوث بلا محدث ، وحينئذ فيلزم تسلسل الحوادث ، فان القول في هذا الحادث كالقول في غيره ، وهذا مما ينكره المعتزلة وموافقوهم المتكلمون . قالوا : فأنتم بين أمرين : اما إثبات التسلسل في الحوادث ، وإما إثبات الترجيح بلا مرجح ، وكلاهما ممتنع عندكم . ثم زعم هؤلاء الفلاسفة ان العالم قديم بناء على هذه الحجة ، ومن سلك سبيل السلف والأئمة ، أثبت ما أثبته الرسول من حدوث العالم بالدليل العقلي الذي لا يحتمل النقيض ، وبين خطأ المتكلمين من المعتزلة ونحوهم الذين خالفوا السلف والأئمة بابتداع بدعة مخالفة للشرع والعقل ، وبين أن ضلال الفلاسفة القائلين بقدم العالم ومخالفتهم للعقل والشرع أعظم من ضلال أولئك ، وبيان الاستدلال على حدوث العالم لا يحتاج الى الطريق التي سلكها أولئك المتكلمون ، بل يمكن إثبات حدوثه بطريق أخرى صحيحة لا يعارضها عقل صريح ولا نقل صحيح ، وثبت بذلك أن كل ماسوى الله فانه محدث ، كان بعد أن لم يكن ، سواء سمي جسماً أو عقلاً أو نفساً أو غير ذلك ، فان أولئك المتكلمين من المعتزلة وأتباعهم ، لما لم يكن في حجتهم إلا إثبات حدوث أجسام العالم ، قالت الفلاسفة ومن وافقهم من المتأخرين ، كالشهرستاني والرازي ، والآمدي وغيرهم : إنكم لم تقيموا دليلاً على نفي

ما سوى الأجسام ، وحينئذ فاثبات حدوث أجسام العالم لا يقتضي حدوث ما سوى الله إن لم تبينوا أن كل ما سواه جسم ، وأنتم لم تثبتوا ذلك ، ولهذا صار بعض المتأخرين كالأرموي ومن وافقه ، الى أن أجسام العالم محدثة ، وأما العقول والنفوس فتوقفوا عن حدوثها ، أو قالوا بقدمها ، وان كان حقيقة قولهم إنه موجب بالذات لها ، وإنه محدث للأجسام بسبب حدوث لبعض التصورات والارادات التي تحدث للنفوس ، فيصير ذلك سبباً لحدوث الأجسام ، وهذا القول كما أنه معلوم البطلان في الشرع ، فهو أيضاً معلوم البطلان في العقل ، كما سنبينه ان شاء الله تعالى فنقول : الدليل الدال على أن كل ما سوى الله محدث ، يتناول هذا وهذا ، وأيضاً فإذا كان موجباً بالذات ، كان اختصاص حدوث أجسام العالم بذلك الوقت دون ماقبله ، وما بعده يفتقر الى مخصص ، والموجب بذاته لا يصدر عنه مايختص بوقت دون وقت ، إذ لو جاز ذلك لم يكن موجباً بذاته ، ولجاز حدوث العالم عنه ، ولأن النفوس التي يثبتها الفلاسفة هي عند جمهورهم عرض قائم بجسم الفلك ، فيمتنع وجودها بدون الفلك ، وعند ابن سينا وطائفة أنها جوهر قائم بنفسه ، لكنها متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف ، وحينئذ فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً ، بل كانت عقلاً ، فعلم أن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم ، فاذا قال هؤلاء : ان النفس أزلية دون الأجسام ، كان هذا القول باطلاً بصريح العقل ، مع أنه لم يعرف به قائل من العقلاء قبل هؤلاء ، وانما ألجأ هؤلاء إلى هذا ظنهم صحة دليل المتكلمين على حدوث الأجسام ، وصحة قول الفلاسفة بوجود موجود ممكن غير الاجسام ، وإثبات الموجب بالذات ، فلما بنوا قولهم على الأصل الفاسد لهؤلاء ولهؤلاء ، لزم هذا ، مع أنهم متناقضون في الجمع بين هذين ، فان عمدة المتكلمين على إبطال « حوادث لا أول لها » وعمدة الفلاسفة على أن المؤثرية من لوازم

الواجب بنفسه ، فاذا قالوا بقدم نفس لها تصورات وإرادات لا تتناهى ، لزم جواز حوادث لا تتناهى ، فبطل أصل قول المتكلمين الذي بنوا عليه حدوث الأجسام ، فكان حينئذ موافقتهم للمتكلمين بلا حجة عقلية ، فعلم أنهم جمعوا بين المتناقضين ، وأبو عبد الله بن الخطيب وأمثاله كانوا أفضل من هؤلاء ، وعرفوا أنه لا يمكن الجمع بين هذا وهذا ، فلم يقولوا هذا القول المتناقض ، ولم يهتدوا الى مذهب السلف والأئمة ، وإن كانوا يذكرون أصوله في مواضع أخر ، ويثبتون أن جمهور العقلاء يلتزمونها ، فلو تفطنوا لما يقوم بذات الله من كلامه وفعاله المتعلق بمشيئته وقدرته ودوام اتصافه بصفات الكمال ، خلصوا من هذه المحاورات ، ونحن ننبه على بعض الطرق العقلية التي يعلم بها حدوث كل ما سوى الله تعالى ، وهي أن يقال : لو كان فيها شيء سوى الله قديم لكان صادراً عن علة تامة موجبة بذاتها ، مستلزمة لمعلولها ، سواء ثبت له مشيئة واختيار أو لم يثبت ، فان القديم الأزلي الممكن الذي لا يوجد بنفسه ، لا يتصور وجوده إن لم يكن له في الأزل مقتضى تام يستلزم ثبوته ، وهذا كما أنه معلوم بضرورة العقل ، فلا نزاع فيه بين العقلاء ، فلا يقول أحد : إن القديم الأزلي صادر عن مؤثر لا يلزمه أثره ، ولا يقول : انه صادر عن علة غير تامة مستلزمة لمعلولها ، ولا يقول : إنه صادر عن موجب بذاته لا يقارنه موجبه ومقتضاه ، ولا يقول : انه صادر عن فاعل بالاختيار يمكن أن يتأخر مفعوله ، فإنه إذا أمكن تأخر مفعوله ، أمكن ان يكون ذلك القديم الأزلي قديماً أزلياً ، فيكون ثبوته في الأزل ، فإن ثبوت الممكن الأزلي بدون مقتض تام مستلزم له ، ممتنع بضرورة العقل ؛ إذ قد علم بصريح العقل أن شيئاً من الممكن لا يكون حتى يحصل المقتضى التام المستلزم لثبوته ؛ ومن نازع في هذا من المعتزلة وغيرهم وقال : انه لا ينتهي الى

حد الوجوب بل يكون العقل بالوجوب أولى منه بالعدم ، فإنه لم ينازع في أن القادر المختار يمتنع أن يكون مقدوره المعين أزلياً مقارناً له ، بل هذا مما لا ينازع فيه لاهؤلاء ولا غيرهم ، فتبين أنه لو كان شيء مما سوى الله أزلياً ، للزم ان يكون له مؤثر تام مستلزم له في الأزل سواء ، سمي علة تامة أو موجباً بالذات ، أو قدر أنه فاعل بالارادة وأن مراده المعين يكون أزلياً مقارناً له ، وإذا كان كذلك فنقول : ثبوت علة تامة أزلية ممتنع ، لأن العلة التامة الأزليــة تستلزم معلولها ، لا يتخلف عنها شيء من معلولها ، فانه إن تخلف عنها لم تكن علة تامة لمعلولها ، فيمتنع في الشيء الواحد أن يكون موجباً بذاته ، وأن يتخلف عنه موجبه ، أو شيء من موجبه ، فان الموجب بالذات لشيء لابد أن يكون ذلك الموجب جميعه مقارناً لذاته ، والعلة التامة هي التي يقارنها معلولها ولا يتأخر عنها شيء من معلولها ، فلو تأخر عنها شيء من معلولها لم تكن علة تامة ، كذلك المتأخرون من الفلاسفة يسلمون أن ليس علة تامة في الأزل لجميع الحوادث التي تحدث شيئاً بعد شيء ، فان ذلك جمع بين النقيضين ، إذ يمتنع أن يكون علة تامة أزلية لأمر حادث عنه غير أزلي ، وان شئت قلت : يمتنع أن يكون موجباً بذاته في الأزل لأمر حادث ليس بأزلي ، سواء كان ايجابه له بواسطة أو بغير واسطة ، فان تلك الواسطة ، إن كانت أزلية كان اللازم لها أزلياً ، وان كانت حادثة كان القول فيها كالقول في الحـادث بتوسطها ، وهذا الذي سلموه معلوم أيضاً بصريح العقل ، فالمتقدمة برهانية مسلمة ، لكن يقولون : إنه علة تامة لما هو قديم ، كالافلاك عندهم ، وليس علة تامة للحوادث ، وهذا أيضاً باطل ، وذلك أن كل مايقال : إنه قديم كالافلاك ، إما أن يجب أن يكون مقارناً للحوادث ، كما يقولون في الفلك : إنه يجب له لزوم الحركة ، وإنه لم يزل متحركاً ، وإما أنه لا يجب أن يكون مقارناً لشيء من الحوادث ،

فان كان الأول لزم أن يكون علة تامة للحوادث ، وكونه علة تامة للحوادث محال ، لأن ماقارنته الحوادث ولم يخل منها بل هي لازمة له ، امتنع صدوره عن الموجب بدونها ، ووجود الملزوم بدون اللازم محال ، فالموجب بذاته الذي هو علة تامة للفلك ، يجب ان يكون علة تامة موجبة للوازمه ، وعلة تامة في الأزل بحركته ، لكن العلة التامة الأزلية لايجوز ان تكون علة تامة أزلية للحوادث ، لا الحركة ولا غيرها ، لأنه يجب وجود معلولها الذي هو موجبها ومقتضاها في الأزل ، وأن لايتأخر عنها شيء من موجبها ومقتضاها ومعلولها ، والحركة التي توجد شيئاً فسيئاً هي وغيرها من الحوادث التي تحدث شيئاً بعد شيء ، ليس كل واحد منها قديماً ، بل كل منها حادث مسبوق بآخر ، فيمتنع أن يكون شيء منها معلولاً للعلة التامة الأزلية ، لامتناع أن يكون حادث من الحوادث قديماً ، ويمتنع وجود مجموع الحوادث في الأزل ، ويمتنع وجود المستلزم للحوادث ، إلا مع حادث من الحوادث ، أو مع مجموع الحوادث ، واذا كان كلاهما يمتنع أن يكون قديماً امتنع أن يكون شيء مما يستلزم الحوادث قديماً ، فامتنع ان يكون لشيء من الحوادث أو ما يستلزم الحوادث علة تامة قديمة ، فامتنع صدور الحوادث ، أو شيء منها ، أو من ملزوماتها عن علة تامة قديمة ، فامتنع أن يكون شيء لايخلو عن الحوادث صادراً عن علة تامة أزلية ، فامتنع أن يكون الفلك المقارن للحوادث علة تامة أزلية قديمة ، ولو كان قديماً لصدر عن علة تامة قديمة ، فإذا لم يكن قديماً ، إلا إذا كان المقتضى التام ثابتاً في الأزل ، فثبوت المقتضى التام له ممتنع ، كما أن قدمه ممتنع . وأما إن قيل : إن الممتنع شيء غير مقارن للحوادث ، ولا مستلزم لها ، مثل أن يقال : القديم أعيان ساكنة هي المعلول الاول ، فيقال : ذلك المعلول إما أن يجوز حدوث حال من الاحوال ، إما فيه أو عنه أو غير ذلك ، وإما أن لايجوز ، فإن جاز حدوث حال من الأحوال له ، امتنع حدوث ذلك الحادث عن علة

تامة أزلية ، وهو الموجب بالذات كما تقدم ، وكما هو معلوم ومتفق عليه بين العقلاء ، فلا بد له من محدث ، والمحدث ان كان سوى الله ، فالقول في حدوثه إن كان محدثاً ، أو في حدوث ذلك الاحداث له بعد ان لم يكن ، كالقول في حدوث ذلك الحادث ، وان كان هو الله تعالى ، امتنع أن يكون موجباً بالذات له ، اذ القديم لا يكون موجباً بالذات لحادث كما بين ، فامتنع ثبوت العلة القديمة ، وإذا لم يكن الصانع موجباً بالذات ، فلا يكون علة تامة ، امتنع قدم شيء من العالم ، لأنه لا يكون قديم إلا عن علة تامة . وإن قيل : إنه لا يجوز حدوث لما فرض قديماً معلولاً للاول ، فهذا مع أنه لم يقل به أحد من العقلاء فهو باطل لوجوه :

أحدها : ان واجب الوجود يحدث له النسب والاضافات باتفاق العقلاء ، فحدوث ذلك الغير أولى .

الثاني : ان الحوادث مشهودة في العالم العلوي والسفلي ، وهذه الحوادث صادرة عن الله اما بواسطة او بغير واسطة ، فان كانت بواسطة فتلك الوسائط حدثت عنها أمور بعد ان لم تكن ، فلزم حدوث الاحوال للقديم ، سواء كان هو الصانع او كان هو الوسائط للصانع ، وان قيل : القديم هو شيء ليس بواسطة في شيء آخر . قيل : لابد ان يكون ذلك قابلاً لحدوث الاحوال ، فانه يمكن حدوث النسب والاضافات لله عز وجل بالضرورة واتفاق العقلاء ، فإمكان ذلك لغيره أولى ، واذا كان قابلاً لها ، أمكن أن تحدث له الأحوال كما تحدث لغيره من الممكنات ، فان الله لا يمتنع حدوث الحوادث عنه ، اما بواسطة او بغير واسطة ، فاذا كان ذلك قابلاً وصدور ذلك عن الصانع ممكن ، أمكن حدوث الحوادث عنه أو فيه بعد ان لم يكن ، وحينئذ ، فالقول في حدوثها كالقول في حدوث سائر ما يحدث عنه ، وذلك محال من العلة التامة المستلزمة لمعلولها ، فقد تبين بهذا البرهان الباهر أن كون

الاول علة تامة لشيء من العالم محال ، لافرق في ذلك بين الفلك وغيره ، سواء قدر ذلك الغير جسماً أو غير جسم ، وسواء قدر مستلزماً للحوادث فيه أو عنه ، كما يقول الفلاسفة الدهرية ، كالفارابي ، وابن سينا ، وامثالها وسلفهما من اليونان ، فانهم يقولون : الفلك مستلزم للحوادث القائمة به ، والعقول والنفوس مستلزمة للحوادث التي تحدث عنها ، وكل منها مقارن للحوادث ، لايجوز تقدمه عليها ، مع كون ذلك جميعه معلولاً للموجب بذاته ؛ فاذا تبين أن الموجب بذاته يمتنع أن يصدر عنه في الازل حادث أو مستلزم لحادث ، بطل كون صانع العالم علة تامة في الأزل ، ومتى بطل كونه علة تامة في الأزل ، امتنع أن يكون فيما سواه شيء قديم بعينه ، فبهذا تبين أن كل ماسوى الله محدث كائن بعد أن لم يكن ، سواء قيل بجواز دوام الحوادث ، أو قيل بامتناع ذلك ، وإن قيل بجواز دوام الحوادث ، لزم حدوث كل مالا يخلو عن الحوادث ، وان قيل بجواز دوام الحوادث ، فكل منها حادث بعد أن لم يكن مسبوقاً بالعدم ، وكل من العالم مستلزم لحادث بعد أن لم يكن مسبوقاً[1] بالعدم ، وكل ما كان مصنوعاً وهو مستلزم للحوادث ، امتنع أن يكون صانعه علة تامة قديمة موجبة له ، فاذا امتنع ذلك امتنع أن يكون من العالم ماهو قديم بعينه والله اعلم . وإذا أحطت خبراً بهذا المقام ، واتضح لديك ماتقدم من الكلام ، فاسمع كلام بعض أئمة الفلاسفة في هذه المسألة ، وهي القول بجواز تراخي الأثر عن المؤثر . قال أبو الوليد ابن الوليد ابن رشد في كتاب « تهافت التهافت » بعد ما حكى قول الامام أبي حامد الغزالي حاكياً حجة الفلاسفة في قدم العالم قال : قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلق ، لأنا لو فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا ثم صدر ، فانما لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح ، بل وجود العالم ممكن عنه امكاناً صرفاً ،

(١) في الاصل: مسبوق

فاذا حدث لم يخل أن يتجدد مرجح أو لا يتجدد ، فإن لم يتجدد مرجح بقي العالم على الامكان الصرف كما كان قبل ذلك ، وان تجدد مرجح انتقل الكلام الى ذلك المرجح ، لم رجح الآن ولم يرجع قبل ؟! فإما أن يمر الامر الى غير نهاية ، أو ينتهي الامر الى مرجح لم يزل مرجحاً . قال أبو حامد : الاعتراض من وجهين : أحدهما أن يقال : لم تنكرون على من يقول : إن العالم حدث بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر عدمه الى الغاية التي يستمر عليها ، وأن يبتدىء الوجود من حيث بدأ ، وأن الوجود قبل لم يكن مراداً ، فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالارادة القديمة فحدث ، فما المانع لهذا الاعتقاد ؟ وما المحيل له ؟ قال ابن رشد : قلت : هذا قول سفسطائي ، وذلك أنه لما لم يمكنه أن يقول بجواز تراخي فعل المفعول عن فعل الفاعل له ، وعزمه على الفعل اذا كان فاعلاً مختاراً ، قال بجواز تراخيه عن ارادة الفاعل ، وتراخي المفعول عن ارادة الفاعل جائز ، وأما تراخيه عن فعل الفاعل لـــه فغير جائز ، وكذاك تراخي الفعل عن العزم على الفعل في الفاعل المريد ، فالشـــك باق بعينه ، وإنما كان يجب أن يلقاه بأحد أمرين ، إما لأن فعل الفاعل ليس يوجب في الفاعل تغيراً ، فيجب أن يكون له مغير في الخارج ، أو أن من التغيرات مايكون من ذات المتغير من غير حاجة إلى مغير يلحقه منه ، وأن من التغييرات مايجوز أن يلحق القديم من غير مغير ، وذلك أن الذي يتمسك بـــه الخصوم ها هنا هو شيئان : أحدهما أن فعل الفاعل يلزمه التغير ، وأن كل تغير فله مغير . والأصل الثاني : أن القديم لايتغير بضرب من ضروب التغير ، وهذا كله عسير البيان ، والذي لامخلص للاشعرية منه ، هو انزال فاعل أول ، وإنزال فعل له أول ، لأنهم لايمكنهم أن يصفوا أن حالة الفاعل من المفعول المحدث تكون في وقت الفعل هي بعينها حالتـه في وقت عـــدم

الفعل هنالك ، ولا بد من حال متجددة ، أو نسبة لم تكن ، وذلك ضرورة، إما في الفاعل ، أو في المفعول ، أو في كليهما ، واذا كان كذلك، فتلك الحال المتجددة اذا أوجبنا أن لكل حال متجددة فاعلاً ، فلا بد أن يكون الفاعل لها إما فاعل آخر ، فلا يكون ذلك الفاعل هو الاول ، ولا يكون مكتفياً بفعله بنفسه ، بل بغيره ، وإما أن يكون الفاعل لتلك الحال التي هي شرط في فعله هو نفسه ، ولا يكون ذلك الفعل الذي فرض صادراً عنه أولاً ، بل يكون فعله لتلك الحال التي هي شرط في المفعول قبل فعله المفعول ، وهذا لازم كما ترى ضرورة ، إلا أن يجوز مجوز أن من الأحوال الحادثة في الفاعلين ما لا يحتاج الى محدث ، وهذا بعيد إلا على قول من يجوز أن ههنا أشياء تحدث من تلقائها ، وهو قول الأوائل من القدماء الذين أنكروا الفاعل ، وهو قول بين سقوطه بنفسه . انتهى كلامه والمقصود من كلامه ، ماذكره في رد حجة المتكلمين على جواز تراخي الأثر عن المؤثر . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وقضى بأن النار لم تخلق ولا	جنات عدن بل هما عدمان
فاذا همـا خلقا لنوم معادنا	فهما على الاوقات فانيتـان
وتلطف العلاف من أتباعه	فأتى بضحكة [1] جاهل مجان
قال الفناء يكون في الحركات لا	في الذات واعجباً لذا الهذيان
أيصير أهل الخلد في جناتهم	وجحيمهم كحجارة البنيان ؟!

(١) وضحكة : يكثر الناس الضحك منه ، فهو من صفات الناس « مصباح »
(ابن مانع)

ماحال من قد كان يغشى أهله ... عندا نقضاء تحرك الحيوان ؟
وكذاك ماحال الذي رفعت يدا ... ه أكلة من صحفة وخوان؟
فتناهت الحركات قبل وصولها ... للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ماحال الذي امتدت يد ... منه إلى قنو من القنوان ؟
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل ... يبقى كذلك سائر الأزمان
تباً لهاتيك العقول فانها ... والله قد مسخت على الأبدان
تباً لمن أضحى يقدمها على الـ ... آثار والاخبار والقرآن

أي : وحكم الجهم بأن الجنة والنار لم تخلقا ، وانما يخلقان يوم المعاد ، ثم إذا خلقتا يوم المعاد ، فهما لابد فانيتان ، وانما قال هذا الجهم طرداً للدليل ، وهو الدليل المسمى بـ : دليل الأكوان ، إذ مبناه على قطع التسلسل ، وهو منع حوادث لأول لها ، فكذا يمتنع حوادث لا آخر لها . وفي «الغنية » للشيخ عبدالقادر [١] رحمه الله تعالى . وأما الجهمية فمنسوبة الى جهم بن صفوان وكان يقول : الإيمان : هو المعرفة بالله ورسله وجميع ماجاؤوا به عن عنده فقط ، ويزعمون أن القرآن مخلوق ، وأن الله تعالى لم يكلم موسى ، وأنه تعالى لم يتكلم ، ولايرى ، ولا يعرف له مكان ، وليس له عرش ولا كرسي ، ولا هو على العرش ، وأنكروا الميزان ، وعذاب القبر ، وكون الجنة والنار مخلوقتين ، وادعوا أنهما إذا خلقتا تفنيان ، وان الله تعالى لايكلم خلقه ولا ينظر اليه يوم القيامة ، ولا ينظر أهل الجنة إليه ، ولا يرونه فيها ، وان الإيمان معرفة القلب دون اقرار اللسان ،

---

(١) وهو المعروف بـ الجيلاني : من كبار فقهاء الحنابلة ، وأحد شيوخ شيخ الاسلام موفق الدين بن قدامة المقدسي .

وأنكروا جميع صفات الله . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قوله : وتلطف العلاف . هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري المعتزلي . قال الذهبي في «تاريخ الاسلام» أبو الهذيل العلاف البصري المتكلم، واسمه محمد بن الهذيل ، كان من أجلاء القوم ورؤوسهم ، وأنكر الصفات المقدسة . يروى أن المأمون قال لحاجبه : من بالباب؟ قال : ابو الهذيل العلاف، وعبد الله بن أباض الخارجي ، وهشام بن الكلبي الرافضي . فقال : مابقي من رؤوس جهنم احد إلا وقد حضر . أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل صاحب واصل بن عطاء ، وقد طال عمره ، وصنف الكتب ونيف على التسعين ، مات سنة ٢٢٦ ، أي: وتلطف العلاف بأن قال : الفناء يكون في الحركات ، لا في الذوات ، وذلك لأجل التزام دليل الاكوان . ثم قال الناظم رحمه الله تعالى على طريق التهكم بمقالة أبي الهذيل هذه : أيصير أهل الخلد في جناتهم وجحيمهم كحجارة البنيان ؟ إلى آخر كلامه . يقول : ما حال الذي ذكر تناهي الحركات يغشى أهله ، وكذا الذي رفعت يداه أكلة من صحفة ، وتناهت الحركات قبل فراغه من أهله ، وقبل وصول يد الآكل لفمه ، وكذا تناهت الحركات للذي قدم يده إلى قنو من القنوان قبل الأخذ . أيصيرون هكذا أبد الأبد كالحجارة . قوله : وخوان . الخوان ، كغراب ، وكتاب : مايؤكل عليه . قاله في « القاموس » ولهـذا قال الناظم : تباً لمن أضحى يقدمها على الآثار والأخبار والقرآن . تباً بفتح التاء، والتباب : الهلاك ، ومنه قولهم: أشابة ام تابة ؟ أي : هالكة من الهرم والتعجيز. قال في « القاموس » : التب والتبب : النقص والخسارة ، وتباً له. وتبا تبيباً مبالغة ، وتببه : قال له ذلك . قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وقضى بأن الله يجعل خلقه   عدماً ويقلبه وجوداً ثاني
العرش والكرسي والارواح والـ   أملاك والافلاك والقمران
والارض والبحر المحيط وسائر الـ   أكوان من عرض ومن جثمان
كل سيفنيه الفناء المحض لا   يبقى له أثر كظل فان
ويعيد ذا المعدوم أيضاً ثانياً   محض الوجود إعادة بزمان
هذا المعاد وذلك المبدا الذي   جهم وقد نسبوه للقرآن

هذا القول مبني على اثبات الجواهر . قال شيخ الاسلام في كلامه على سورة (الإخلاص) بعد كلام سبق : والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق ، وهو القول باثبات الجوهر الفرد ، كان أصلهم في المعاد مبنياً عليه ، فصاروا على قولين ، منهم من قال : تعدم الجواهر ، ثم تعاد ، ومنهم من قال : تفرق الأجزاء ، ثم تجتمع ، فأورد عليهم الانسان الذي يأكله حيوان ، وذلك الحيوان أكله إنسان آخر ، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا . وأورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائماً ، فما الذي يعاد ؟ اهو الذي كان وقت الموت ؟ فان قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة ، وهو خلاف ماجاءت به النصوص ، وإن كان غير ذلك ، فليس بعض الأبدان أولى من بعض ، فادعى بعضهم ان في الإنسان

اجزاءاً اصلية لا تتحلل ، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني ، والعقلاء يعلمون أن بدن الانسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق ، فصار ماذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في انكار معاد الأبدان ، وأوجب ان صار طائفة من النظار الى أن الله يخلق بدناً آخر ، تعود الروح اليه ، والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها ، سواء كان في هذا البدن ، أو في غيره ، وهذا أيضاً مخالف للنصوص الصريحة بإعادة هذا البدن ، وهذا المذكور في كتب الرازي ، فليس في كتبه وكتب أمثاله في مسائل اصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول الذي بعث الله به الرسول ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل يذكر المتفلسفة الملاحدة ، وبحوث المتكلمين المبتدعة ، الذين بنوا على أصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق والبعث والمبدأ والمعاد ، وكلا الطريقين فاسدة ، إذ بنوه على مقدمات فاسدة . والقول الذي عليه السلف ، وجمهور العقلاء من أن الأجسام تنقلب من حال الى حال ، ، إنما يذكر عن الفلاسفة والأطباء هذا القول ، وهو القول في خلق الله للأجسام التي يشاهد حدوثها أنه يقلبها ، ويحيلها من جسم الى جسم ، هو الذي عليه السلف ، والفقهاء قاطبة والجمهور . انتهى . قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا الذي قادا بن سينا والالى ... قالوا مقالته الى الكفران

لم تقبل الاذهان ذا وتوهموا ... أن الرسول عناه بالإيمان

هذا كتاب الله أنى قال ذا ... أو عبده المبعوث بالبرهان

أو صحبه من بعده أو تابع ... لهم على الايمان والإحسان

بل صرح الوحي المبين بأنه ... حقاً مغير هذه الاكوان

فيبدل الله السموات العلى والارض ايضاً ذات تبديلان

وهما كتبديل الجلود لساكني النيران عند النضج من نيران

وكذاك يقبض أرضه وسماءه بيديه ما العدمان مقبوضان

وتحدث الارض التي كنا بها أخبارها في الحشر للرحمن

وتظل تشهد وهي عدل بالذي من فوقها قد أحدث الثقلان

أفيشهد العدم الذي هو كاسمه لاشيء هذا ليس في الامكان؟!

لكن تسوى ثم تبسط ثم تشهد ثم تبدل وهي ذات كيان

وتمد أيضاً مثل مد أديمنا من غير أودية ولا كثبان

وتقيء يوم العرض من أكبادها كالاسطوان نفائس الاثمان

كل يراه بعينه وعيانه مالامرىء بالأخذ منه يدان

أراد المصنف أن ابن سينا ، والذين قالوا مقالته ، وأنكروا المعاد ، وظنوا أن هذا الذي اعتقد جهم في المعاد هو ماجاء به الرسول ﷺ ، فلذاك كفروا بالمعاد ، لأن هذا شيء لاتقبله العقول . ثم بين الناظم أمر المعاد على ماجاء به في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ بقوله : بل صرح الوحي المبين الخ . قال الله تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ابراهيم : ٤٨ والتبديل قد يكون في الذات ، كما في بدلت الدراهم بالدنانير ، وقد يكون في الصفات ، كما بدلت الحلقة خاتماً ، والآية تحتمل الأمرين ، وبالثاني قال الأكثر . وتبدل السموات غير السموات ، لدلالة ماقبله عليه

على الاختلاف الذي مر ، وتقديم تبديل الأرض لقربانها ، ولكون تبديلها أعظم أثراً بالنسبة إلينا . وروى مسلم وغيره من حديث ثوبان ، قال : جاء رجل من اليهود الى رسول الله ﷺ فقال : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الارض ؟ فقال رسول الله ﷺ « في الظلمة دون الجسر » وروى مسلم أيضاً ، وغيره من حديث عائشة ، قالت : أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية قلت : اين الناس يومئذ ؟ قال : « على الصراط » وفي « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي [١] ليس فيها علم لأحد » وفيهما أيضاً من حديث أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ ، « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبـــار بيده ... » الحديث . وقد أطال القرطبي في بيان ذلك في « تفسيره » و « تذكرته » وحاصله أن هذه الاحاديث نص في ان الأرض والسموات تبدل وتزال ، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها النـــاس بعد كونهم على الجسر ، وهو الصراط . قوله : وكذلك يقبض أرضه وسمـاءه الخ . دليله مافي الصحيح عن ابن عمر ، قال : لما قرأ النبي ﷺ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الزمر : ٩٧ قال : يقبض الله سمواته بيده والارضين بيده الأخرى ، ثم يمجد نفسه ، فيقول : أنا الملك ، أنا القدوس ، انا السلام ، انا المؤمن ، انا المهيمن ، انا الجبار ، انا المتكبر ، انا الذي بدأت الدنيا ، ولم تك شيئاً ، وأنا الذي أعدتها ،

---

(١) النقي : الدقيق الحواري . وعفراء : بيضاء الى حمرة .

أين الملوك ؟ اين الجبارون ؟ اين المتكبرون [١] ؟ او كما قال . وقوله : وتحدث الأرض التي كنا بها . دليله قوله تعالى : (يومئذ تحدث اخبارها) الزلزال: ٤ عن ابي هريرة ، قال : قرأ رسول الله ﷺ (يومئذ تحدث أخبارها) قال : « أتدرون ما أخبارها ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم قال : «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، وتقول : عمل كذا وكذا ، فهذه أخبارها » رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي [٢] . وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الأرض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها ، وقرأ رسول الله ﷺ (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى بلغ (يومئذ تحدث أخبارها) » أخرجه ابن مردويه والبيهقي . قوله : وتقيء يوم العرض من أكبادها الخ . قال تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) الزلزال: ٢ ؛ اي : مافي جوفها من الاموات والدفائن . والأثقال : جمع ثقل ، قال ابو عبيدة والأخفش : إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها . قال مجاهد : أثقالها : موتاها ، تخرجهم في النفخة الثانية ، وقد قيل للجن والانس : الثقلان . وإظهار الأرض في موضع الإضمار ، لزيادة التقرير . قال ابن عباس : أثقالها : الموتى والكنوز . وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ « تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل ، فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء

---

(١) رواه مسلم بلفظ « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الارض » وبلفظ آخر اطول من هذا ، ولم نره باللفظ الذي اورده الشارح في احد « الصحيحين » .

(١) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق ، فيقول : في هـذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » وهذا معنى قول الناظم: «ما لامرىء بالأخذ منه يدان . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا الجبال تفت فتاً محكماً فتعود مثل الرمل ذي الكثبان
وتكون كالعهن الذي ألوانه وصباغه من سائر الألوان
وتبس بساً مثل ذاك فتنثني مثل الهباء لناظر الانسان

قال الله تعالى : (إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبـــال بسا) الواقعة : ٤ ، ٥ ؛ أي : إذا حركت حركة شديدة ، يقال : رجه يرجه رجاً : اذا حركه ، والرجة: الاضطراب ، وارتج البحر وغيره: اضطرب. قال المفسرون : ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل مـــا عليها ، وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها. وبست الجبال بساً . البس : الفت ، يقال : بس الشيء ، اذا فته حتى يصير فتـاتا ، ويقال : بس السويق ، اذا لته بالسمن أو بالزيت . قال مجاهد ومقاتل : المعنى: ان الجبال فتت فتا وبه قال ابن عباس . وقال السدي : كسرت كسراً . وقال الحسن : قلعت من أصلها . وقال مجاهد أيضاً : بست كما يبس الدقيق بالسمن ، أو بالزيت ، والمعنى أنها خلطت ، فصارت كالدقيق الملتوت . وقوله تعالى : (فكانت هباء منبثاً) الواقعة : ٦ ؛ أي : غباراً متفرقاً منتشراً بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه . وقال مجـــاهد : الهباء: الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبـــار. وقيل : هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ، ثم يذهب ، وقيل : ماتطاير من النار اذا اضطرمت .

قوله : وتكون كالعهن الذي؛ أي : كالصوف المصبوغ ، ولا يقال للصوف : عهن الا اذا كان مصبوغاً . قال الحسن : تكون الجبال كالصوف الأحمر ، وهو أضعف الصوف ، وقيل : العهن: الصوف ذو الألوان ، فشبه الجبال به في تكونها الوانا كما في قوله : (جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود) فاطر : ٢٠ فاذا بست ، وطيرت في الهواء ؛ أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ، وهذه الأقوال في معنى العهن في اللغة . وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ، ثم عهناً منفوشاً ، ثم هباء منثوراً . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا البحار فإنها مسجورة ... قد فجرت تفجير ذي سلطان

وكذلك القمران يأذن ربنا ... لهما فيجتمعان يلتقيان

هذي مكورة وهذا خاسف ... وكلاهما في النار مطروحان

وكواكب الافلاك تنثر كلها ... كلآلىء نثرت على ميدان

وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً ... وتمور أيضاً أيما مَوَرَان

وتصير بعد الانشقاق كمثل هـ ... ذا المهل أو تك وردة كدهان

قال الله تعالى (واذا البحار سجرت) التكوير : ٦ أي : أوقدت فصارت ناراً تضطرم ، وقال الفراء : ملئت بأن صارت بحراً واحداً ، وكثر ماؤها ، وبه قال الربيع بن خيثم والكلبي ومقاتل والحسن والضحاك . وقيل : أرسل عذبها على مالحها ، ومالحها على عذبها حتى

امتلأت ، وقيل: فجرت فصارت بحراً واحداً ، وقال القشيري : هو من سجرت التنور أسجره سجراً : إذا أحميته . قال ابن يزيد وعطية وسفيان ووهب وغيرهم : أوقدت فصارت ناراً . وقال ابن عباس : تسجر حتى تصير ناراً ، وقال أيضاً : سجرت . أي : اختلط ماؤها بماء الارض . قوله هذي مكورة وهكذا خاسف . التكوير: الجمع ، وهو مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها . قال الزجاج : لفت كما تلف العمامة. يقال : كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً ، و كورتها تكويراً : إذا لففتها . قال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة ، تلف فتجمع . قال الربيع بن خيثم : كورت ، أي : رمي بها ، ومنه كورته فتكور ، أي: سقط . وقال مقاتل وقتادة والكلبي : ذهب ضوؤها . وقال مجاهد : اضمحلت . قال الواحدي : قال المفسرون : تجمع الشمس بعضها الى بعض ثم تلف ويرمى بها . فالحاصل أن التكوير لها بمعنى لف جرمها ، أو لف ضوؤها ، أو الرمي بها . قال ابن أبي حاتم : ثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح عن أبي بكر ابن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله (إذا الشمس كورت) التكوير : ١ . قال : كورت في جهنم (وإذا النجوم انكدرت) قال : انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم ، إلا ما كان من عيسى وأمه ، فلو رضيا أن يعبدا لدخلاها . قال الحافظ ابن رجب : غريب جداً ، وأبو بكر ابن أبي مريم فيه ضعف . وروي أن الشمس والقمر يكوران في النار . رواه عبد العزيز ابن المختار عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة يحدث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « ان الشمس والقمر ثوران عقيران في النار يوم القيامة » أخرجه البزار وغيره ، وخرجه البخاري مختصراً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

« الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » أخرجه البخاري . قوله : وهذا خاسف . خسف القمر : ذهب ضوؤه وأظلم . ويقـــال : خسف : إذا ذهب جميع ضوئه . وكسف : إذا ذهب بعض ضوئه . قوله: وكواكب الافلاك تنثر كلها الخ قال تعالى (وإذا النجوم انكدرت) التكوير : ٢ أي : تهافتت ، وتساقطت ، وانقضت ، وتناثرت ، يقال : انكدر الطائر من الهوى ، اذا انقض ، والأصل في الانكدار الانصباب ، قال الخليل : يقال : انكدر عليهم القوم إذا جاؤوا أرسالاً فانصبوا عليهم . قال أبو عبيدة: انصب كما ينصب العقاب . قال الكلبي وعطاء : تمطر السماء يومئذ نجوماً ، فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على الارض ، وقيـــل: انكدارها : طمس نورها . وقال ابن عباس : تغيرت . قوله : وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً . الخ قال الله سبحانه (إذا السماء انشقت) الانشقاق : ١ ؛ أي : انصدعت ، وتفطرت . فيه حـــذف ، والتقدير : إذا انشقت السماء انشقت ، لأن اذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية ، وماجاء من هذا ونحوه فمؤول محافظة على قاعدة الاختصاص ، والسماء فاعل لفعل محـــذوف . قال الواحدي : قال المفسرون : انشقاقها من علامات القيامة ، ومعنى انشقاقها انفطارها بالغمام الأبيض ، كما في قوله (ويوم تشقق السماء بالغمام) الفرقان ٢٥ وقيل: تنشق من المجرة ، وبه قال علي بن أبي طالب . والمجرة باب السماء ، وأهل الهيئة يقولون : انها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس . واختلف في جواب إذا ، فقال الفراء: إنه أذنت ، والواو زائدة ، وكذلك ألقت ، قال ابن الأنباري : هذا غلط ، لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع حتى ، كقوله (حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها) الزمر : ٧١ ومع لما كقوله (ولما أسلما وتــــله

للجبين وناديناه) الصافات ١٠٣ ولا تقحم مع غير هذين . وقيل: إن الجواب في قوله (فملاقيه) أي : فأنت ملاقيه ، وبه قال الاخفش . قوله : وتمور أيضاً أيما موران . قال تعالى (يوم تمور السماء موراً) الطور ٩٠ المور : الاضطراب والحركة ، قال أهل اللغة : مار الشيء يمور موراً : إذا تحرك ودار وجاء وذهب ، قاله الاخفش وأبو عبيدة . وقال ابن عباس : تحرك . وقال الضحاك : يموج بعضها في بعض . وقال مجاهد : تدور دوراً . وقيل : تجري جرياً ، وقيل تتكفأ ، قاله الاخفش . قال البغوي : والمور يجمع هذه المعاني ، إذ هو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب ، ويطلق المور على الموج ، ومنه ناقة موارة اليد ، أي سريعة تموج في مشيها موجاً ، ومعنى الآية أن العذاب يقع بالعصاة ، ولا يدفعه عنه دافع في هذا اليوم ؛ الذي تكون فيه السماء هكذا ، وهو يوم القيامة . قوله : وتصير بعد الانشقاق كمثل هذا المهل الخ . . . قال الله تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) الرحمن : ٣٧ انشقت ، أي : انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة ، وانفك بعضها من بعض ، لقيام الساعة . وقيل : انفجرت فصارت أبواباً ، لنزول الملائكة ، لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض لئلا يهرب بعضهم من المحشر . وقيل . المراد منه خراب السماء ، وفيه تهويل وتعظيم للأمر . (فكانت وردة) أي : كوردة حمراء أو محمرة مثلها . قال سعيد بن جبير وقتادة : المعنى فكانت حمراء ، وقيل : فكانت كلون الفرس الورد . قال ابن عباس ، وهو الابيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة كالدهان . قال الفراء وأبو عبيد : تصير السماء كالأديم ، لشدة حر النار . وقال ابن عباس :

كالأديم الأحمر، أي على خلاف العهد بها ، وهو الزرقة . وقال الفراء أيضاً : شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل ، وشبه الورد في ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه . والدهان جمع دهن ، نحو قرظ وقراظ ، ورمح ورماح. وقيل : إنه اسم مفرد ؛ أي : اسم لما يدهن به ، كالحزام ، والادام . قاله الزمخشري . وقيل: المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها . وقال الحسن: كالدهان ؛ أي : كصبيب الدهن ، فانك إذا صببته ترى فيه ألواناً. وقال زيد بن أسلم : تصير كعصير الزيت . وقال الزجاج وقتادة : إنها اليوم خضراء ، وسيكون لها لون أحمر . حكاه الثعلبي . قال الماوردي : زعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة وأنها لكثرة الحوائل والحواجز ، يرى الدم في العروق أزرق ، ولا هواء هناك يمنع من اللون الاصلي . ذكره الكرخي والعمادي والكازروني . والمهل : ماأذيب من النحاس والرصاص والفضة . وقال مجاهد : هو القيح من الصديد والدم. وقال عكرمة وغيره : هو دردي[1] الزيت ، وبه قال ابن عباس . قال الناظم :

والعرش والكرسي لا يفنيهما ... أيضاً وإنهما لمخلوقان
والحور لا تفنى كذلك جنة الـ ... مأوى وما فيها من الولدان
ولأجل هذا قال جهم إنها ... عدم ولم تخلق الى ذا الآن
والانبياء فانهم تحت الثرى ... أجسامهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبداً وهم تحت التراب يدان

---

(١) قال في « المختار » : دردي الزيت وغيره . مايبقى في آخره .
(ابن مانع)

وكذاك عجب الظهر لا يبلى بلى منه تركب خلقـــة الانسان

قوله : والعرش والكرسي الخ . . . المستثنى من الهـــلاك في قوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) القصص : ٨٨ ثمانية أشياء، نظمها الجـــلال السيوطي فقال :

ثمانية حكم البقاء يعمهـــا من الخلق والباقون في حيز العدم

هي العرش والكرسي ونار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وقد زاد الناظم على ذلك الحـــور في قوله: والحور لا تفنى الخ . . . قال الامام احمد في رواية ابنه عبد الله : فأما السماء والارض فقد زالتا ، لأن أهلها صاروا الى الجنة والى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ، لأنه سقف الجنة ، والله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يهلك ولا يبيد . واما قوله : (كل شيء هالك الا وجهه) وذلك أن الله تعالى أنزل (كل من عليها فان) فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض، فطمعوا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الارض أنهم يموتون ، فقال : (كل شيء هالك الا وجهه). يعني . كل شيء ميت الا وجهه ، لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت . انتهى كلامه . وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر ابن يعقوب الاصطخري : ذكره ابو الحسين في كتاب « الطبقات » قال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم ، وأصحاب الأثر وأهل السنة ، المتمسكين بعروتها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ الى يومنا هذا ، وأدركت من العلماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن

فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ، وساق أقوالهم . . الى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها ، وخلقت النار وما فيها ، خلقها الله عز وجل ، وخلق لهما أهلاً، ولا يفنيان ، ولا يفنى مافيها أبداً ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) وبنحو هذا من متشابه القرآن . قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ، ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت . فمن قال خلاف ذلك ؛ فهو مبتدع ، وقد ضل عن سواء السبيل . وأطال الإمام أحمد رحمه الله الكلام .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولأجل ذلك لم يقر الجهم بالـ	أرواح خارجة عن الأبدان
لكنها من بعض أعراض بها	قامت وذا في غاية البطلان
فالشأن للارواح بعد فراقها	أبدانها والله أعظم شان
إما عذاب أو نعيم دائم	قد نعمت بالروح والريحان
وتصير طيراً سارحاً مع شكلها	تجني الثمار بجنة الحيوان
وتظل واردة لأنهار بها	حتى تعود لذلك الجثمان
لكنّ أرواح الذين استشهدوا	في جوف طير أخضر ريان

فلهم بذاك مزية في عيشهم ونعيمهم بالروح والابدان
بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم أجسام تلك الطير بالاحسان
ولها قناديل اليها تنتهي مأوى لها كمساكن الانسان
فالروح بعد الموت أكمل حالة منها بهذي الدار في جثمان
وعذاب أشقاها أشد من الذي قد عاينت أبصارها بعيان

قوله : ولأجل ذلك لم يقر الجهم الخ ؛ أي : أن الجهم بن صفوان يقول : إن الروح لا داخل البدن ، ولا خارجه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه ، كما ذكر ذلك عنه الإمام أحمد رحمه الله في كتاب « الرد على الجهمية » قال : وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس الى المتشابه من القرآن والحديث ، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً ، فكان مما بلغنا عن الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله تبارك وتعالى ، فلقي ناساً من المشركين يقال لهم : السمنية : فعرفوا الجهم ، فقالوا له : نكلمك فان ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، وكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له : ألست تزعم أن لك إلهاً ؟ قال الجهم : نعم ، فقالوا له : فهل رأيت إلهك ؟ قال : لا ، فقالوا له : هل سمعت كلامه ؟ قال : لا ، قالوا : فشممت له رائحة ؟ قال : لا ، قالوا : فوجدت له حساً ؟ قال : لا ، قالوا : فوجدت له مجساً ؟ قال : لا ، قالوا : فما يدريك أنه إله ؟ قال : فتحير الجهم ، فلم يدر من يعبد أربعين يوماً ، ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة

الزنادقة من النصارى ، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هي من روح الله ، من ذات الله ، وإذا أراد الله أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه ، فتكلم على بعض لسان خلقه ، ويأمر بما يشاء ، وينهى عما يشاء ، وهو روح غائب عن الأبصار ، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسمني : ألست تزعم أن فيك روحاً ؟ فقال : نعم. قال: فهل رأيت روحك ؟ قال لا ، قال : فسمعت كلامه ؟ قال : لا ، قال : فوجدت له حساً ؟ قال لا ، قال : فكذلك الله لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، فلا يكون في مكان دون مكان . قال : ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه ، قوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١ . (وهو الله في السموات وفي الأرض) الأنعام : ٣ . (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) الأنعام : ١٠٣ . فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ ، وزعم أن من وصف شيئاً مما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو حدث عنه رسول الله ﷺ كان كافراً ، وكان من المشبهة ، وأضل بشراً كثيراً ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية ، فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مبدأ حال جهم ، إمام المتكلمين ، فإنه لما ناظر من ناظره من المشركين السمنية من الهند ، وجحدوا الإله ، لكون الجهم لم يدركه بشيء من حواسه لا بسمعه ولا ببصره ، ولا بشمه ، ولا بذوقه ، ولا بحسه ، كان مضمون هذا الكلام أن كل ما لا يحسه الانسان بحواسه الخمس ، فإنه ينكره ولا يقربه ، فأجابهم بأنه قد يكون في

الوجود مالا يمكن الإحساس به بشيء من هـــذه الحواس ، وهي الروح التي في العبد ، وزعم أنها لا تختص بشيء من الأمكنة ، وهذا الذي قاله هو قول الصابئة الفلاسفة المشائين . وحاصل هذه الأبيات في شـــأن الأرواح بعد المفارقة بالموت ، ومالها من النعيم والعذاب ، وذكر أرواح الشهداء وما أعـد الله لهم من النعيم المقيم. قال الله تعالى : (فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين. فنزل من حميم . وتصلية جحيم) الواقعة : ٨٨ - ٩٤ فقسم سبحانه الأرواح الى ثلاثة أقسام ، مقربين ، وأخبر أنها في جنة النعيم ، وأصحاب يمين ، وحكم لهـا بالسلام ، وهو يتضمن سلامتها من العذاب ، ومكذبة ضالة ، وأخبر أن لها نزلاً من حميم . وتصلية جحيم . وقال تعالى : (يا أيتهـــا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي) الفجر : ٢٧ - ٢٩ قال غير واحد من الصحابة والتابعين : إن هذا يقال عند خروجها من الدنيا ، يبشرهـا الملك بذلك ، ولا ينافي ذلك قول من قال : إن هذا يقال لها في الآخرة ، فانه يقال لها عند الموت ، وعند البعث ، وهذا من البشرى التي قال الله تعالى (إن الذين قالوا ربنـــا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فصلت ٣٠ وهـــذا التنزل يكون عند الموت ، ويكون في القبر ، ويكون عند البعث ، وأول بشارة الآخرة عند الموت . وفي حديث البراء بن عازب ان الملك يقولها عند قبضها : أبشري بروح وريحان ، وهذا من الجنة . وروى مالك في « الموطأ » عن ابن شهاب عن عبـــد الرحمن بن كعب بن مالك أنه أخبره أن أباه كعب بن

مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه» قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر: واختلف العلماء في معنى هذا الحديث. فقال قائلون منهم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم. واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه شهيداً من غير شهيد، واحتجوا بما روي عن أبي هريرة أن أرواح الابرار في عليين، وأرواح الفجار في سجين. وعن عبد الله ابن عمر، ومثل ذلك قال أبو عمر، وهذا قول يعارضه من السنة ما لا مدفع في صحة نقله، وهو قوله «اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من اهل الجنة، فمن أهل الجنة، وان كان من اهل النار فمن أهل النار. يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة»[1] وقال آخرون: إنما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم، لأن القرآن والسنة إنما يدلان على ذلك، اما القرآن فقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله) الاية آل عمران: ١٦٩، ١٧٠ وأما الآثار، فذكر حديث أبي سعيد الخدري من طريق بقي بن مخلد مرفوعاً: «الشهداء يغدون ويروحون، يكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش، فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها؟ فيقولون: لا، غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا في أجسادنا حتى نقاتل

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

مرة أخرى فنقتل في سبيلك » رواه عن هناد عن اسماعيل بن المختار عن عطية، ثم ساق حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما أصيب اخوانكم -يعني يوم أحد- جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا أننا احياء في الجنة نرزق لئلا يتكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد ؟ قال : فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ والحديث في « مسند الامام أحمد » و « سنن أبي داود » ، ثم ذكر حديث لاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ فقال : أما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله فقال : «أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت ، تأوي الى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً؟ قالوا : وأي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» . والحديث في « صحيح مسلم »

قلت : وفي «صحيح البخاري » عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ألا

تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب - فان كان في الجنة صبرت، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال : يا أم حارثة إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » ثم ساق ابن عبد البر من طريق بقي بن مخلد : ثنا يحي بن عبد الحميد، ثنا ابن عيينة، عن عبيد الله ابن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة . ثم ذكر عن معمر عن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة . ومن طريق أبي عاصم النبيل عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو : أرواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون، ويرزقون من ثمر الجنة . قال أبو عمرو : هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم . وفي بعضها : في صور طير . وفي بعضها: في أجواف طير . وفي بعضها: كطير خضر . قال : والذي يشبه عندي والله أعلم أن يكون القول قول من قال : كطير أو صور طير، لمطابقته لحديثنا المذكور، يريد حديث كعب بن مالك . وقوله فيه : نسمة المؤمن كطائر، ولم يقل : في جوف طائر . قال: وروى عيسى بن يونس حديث ابن مسعود عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله: كطير خضر . قلت : والذي في « صحيح مسلم » « في أجواف طير خضر » قال أبو عمر : فعلى هذا التأويل فكأنه ﷺ قال: « انما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة » قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الروح » قلت : لا تنافي بين قوله ﷺ «: نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » وبين قوله : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعدة بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن

أهل النار » وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد ، كما أن قوله : « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » يتناول الشهيد وغيره ، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ترد روحه أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها . وأما المقعد الخاص به ، والبيت الذي أعد له ، فانه إنما يدخله يوم القيامة . ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي اليها أرواحهم في البرزخ قطعاً ، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش،فان الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ، ودخول الارواح في الجنة في البرزخ أمر دون ذلك . ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدواً وعشياً ، فاذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ ، فتنعم الارواح بالجنة في البرزخ شيء ، وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر ، فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دو غذائها مع بدنها يوم البعث ، ولهذا قال : تعلق في شجر الجنة ؛ أي : تأكل . وأما تمام الأكل والشرب واللبس والتمتع ، فانما يكون إذا ردت الى أجسادها يوم القيامة ، فظهر أنه لايعارض هذا القول من السنة شيء ، وانما تعاضده السنة وتوافقه .

وأما قول من قال : ان حديث كعب في الشهداء دون غيرهم ، فتخصيص ليس في اللفظ مايدل عليه ، وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته ، فان الشهداء بالنسبة الى عموم المؤمنين قليل جداً ، والنبي ﷺ علق هذا الجزاء بوصف الايمان ، فهو المقتضي له ، ولم يعلقه بوصف الشهادة. ألا ترى أن الحكم الذي اختص بالشهداء علق بوصف الشهادة، كقوله في حديث المقدام

ابن معدي كرب : « للشهيد عند الله سبع خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الايمان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه » فلما كان هذا يختص بالشهيد قال : ان للشهيد ، ولم يقل : ان للمؤمن ، وكذلك قوله في حديث قيس الجزامي : يعطى الشهيد ست خصال . وكذلك سائر الاحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة ، وأما ما علق عيه الجزاء بالايمان ، فانه يتناول كل مؤمن شهيداً كان أو غير شهيد . وأما النصوص والآثار التي ذكرت في رزق الشهداء وكون أرواحهم في الجنة ، فكلها حق ، وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ، ولاسيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس . فيقال لهؤلاء : ما تقولون في أرواح الصديقين ، هل هي في الجنة أم لا ؟ فإن قالوا : إنها في الجنة ، ولا يسوغ لهم غير هذا القول ؛ قيل : فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك ، وإن قالوا : ليست في الجنة ؛ لزمهم من ذلك أن تكون أرواح سادات الصحابة ، كأبي بكر الصديق ، وأبي بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، وأبي الدرداء ، وحذيفة بن اليمان ، وأشباههم ليست في الجنة ، وأرواح شهداء زماننا في الجنة ، وهذا معلوم البطلان ضرورة . فان قيل : فإذا كان هذا حكماً لا يختص بالشهداء ؛ فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص ؟ قيل : الموجب لذلك التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها ، وإن هذا مضمون لأهلها ولا بد ، وان لهم أوفر

نصيب ، فنصيبهم من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم ، وان كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم ، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه ، ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل ارواح الشهداء في أجواف طير خضر ، فانهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه ، أعاضهم منها في البرزخ ابداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامـــة ، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم المجردة عنها ، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ، ونسمة الشهيد في جوف طير .

وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال : « نسمة المؤمن طير » فهذا يعم الشهيد وغيره ، ثم خص الشهداء قال : « هي في جوف طير » ومعلوم أنها اذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير ، فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضاً ، ويدل على أنه حق من عند الله ، وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر وترجيحه رواية من روى : أرواحهم كطير خضر ، بل الروايتان حق وصواب ، فهي كطير أخضر ، وفي أجواف طير خضر . انتهى كلام الناظم رحمه الله تعالى . قوله : حتى تعود لذلك الجثمان . الجثمان : هو الجسم . قال الجوهري : قال أبو زيد : الجسم الجسد ، وكذلك الجسمان والجثمان . وقال الاصمعي : الجسم والجسمان : الجسد ، والجثمان الشخص ، قال : وجماعة[1] جسم الانسان أيضاً يقال له : الجسمان ، مثل ذئب وذؤبان . انتهى .

وقول الناظم :

لكن أرواح الذين استشهدوا   في جوف طير أخضر ريان

---

(١) في الاصل : وقال جماعة . وهو خطأ ، وما أثبتناه هو الذي جاء في «الصحاح»

يعني : أن الشهداء لهم خصوصية بأن أرواحهم تجعل في جوف طير خضر ، كما صرح بذلك في كلامه المتقدم بقوله . ثم خص الشهداء بأن قال : هي في جوف طير ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والقائلون بأنها عرض أبوا ذا كله تبـــاً لذي نكران
واذا أراد الله إخراج الورى بعد الممات الى المعاد الثاني
ألقى على الأرض التي هم تحتها والله مقتدر وذو سلطان
مطراً غليظاً أبيضا متتابعاً عشراً وعشراً بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجسام الورى ولحومهم كمنـــابت الريحان
حتى اذا ما الأم حان ولادها وتمخضت فنفاسهـــا متدان
أوحى لها رب السما فتشققت فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخلت الأم الولود فأخرجت أثقالها أنثى ومن ذكـــران
والله ينشىء خلقه في نشأة أخرى كما قد قال في القرآن
هذا الذي جاء الكتاب وسنة الهـ ـادي به فاحرص على الايمان
ما قال إن الله يعدم خلقه طراً كقول الجاهل الحيران

قوله : والقائلون بأنها عرض . أي : إن القائلين بأن الروح عرض أبو ذا كله ، لأنها عندهم تعدم وتتلاشى ، وعندهم أنهـــا عرض من أعراض

البدن ، وهو الحياة ، وهذا قول الباقلاني ومن تبعه . وكذلك قال أبو الهذيل العلاف : النفس عرض من الأعراض ، وقال غيرهم بأنه الحياة ، كما عينه ابن الباقلاني ، ثم قال : هي عرض كسائر أعراض الجسم ، وهؤلاء عندهم أن الجسم إذا مات ، عدمت روحه كما تعدم سائر أعراضه المشروطة بالحياة . ومن يقول منهم : إن العرض لا يبقى زمانين ، كما يقوله أكثر الأشعرية ، فمن قولهم : إن روح الإنسان الآن هي غير روحه قبل ، وهو لا ينفك يحدث له روح ، ثم تفنى ، ثم روح ، ثم تفنى ، هكذا أبداً ، فيبدله ألف روح فأكثر في ساعة من الزمان فما دونها ، فإذا مات فلا روح تصعد الى السماء ، وتعود الى القبر ، وتقبضها الملائكة ، ويستفتحون لها أبواب السموات ، ولا تنعم ، ولا تعذب ، وإنما ينعم ويعذب الجسد ، إذا شاء الله تنعيمه أو تعذيبه ؛ رد الحياة في وقت يريد نعيمه وعذابه ، وإلا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة . وقال بعض أرباب هذا القول : ترد الحياة الى عجب الذنب ، فهو الذي يعذب وينعم فحسب ، وهذا قول يرده الكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة ، وأدلة العقول والفطرة ، وهو قول من لم يعرف روحه ، فضلاً عن روح غيره ، وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج ، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل ، وتقبض وتمسك ، وترسل وتستفتح لها أبواب السماء ، وتسجد وتتكلم ، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة ، وتكفن وتحنط في أكفان الجنة او النار ، وأن ملك الموت يأخذها بيده ، ثم يتناولها الملائكة من يده ، ويشم لها كأطيب نفحة مسك ، أو كأنتن جيفة ، وتشيع من سماء الى سماء ، ثم تعاد الى الأرض مع الملائكة ، وأنها إذا خرجت تبعها البصر حيث يراها ، وهي خارجة ، ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها ، وجميع

ماورد من الأدلة الدالة على تلاقي الارواح وتعارفها ، وأنها اجناد مجندة... الى غير ذلك، يبطل هذا القول . وقد شاهد النبي ﷺ الأرواح ليلة الإسراء عن يمين آدم وشماله ، وأخبر النبي ﷺ أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، وأخبر تعالى عن أرواح آل فرعون أنها تعرض على النار غدواً وعشياً . ولما أورد ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب وقال : يخرج على هذا أحد وجهين ، إما بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسم ، وإما أن يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب حبة خردل، وهذا قول في غاية الفساد من وجوه كثيرة . وأي قول أفسد من قول من يجعل روح الإنسان عرضاً من الأعراض تبدل كل ساعة ألوفاً من المرات ، فإذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ، ولا تصعد ولا تنزل ، ولا تمسك ولا ترسل ، فهذا قول مخالف للعقل ، ونصوص الكتاب والسنة ، والفطرة ، وهو قول من لم يعرف نفسه ، والله أعلم . وقوله : وإذا أراد الله إخراج الورى الخ . أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مابين النفختين أربعون ، قيل : أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة : أبيت ، قال : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قال : أربعون سنة ؟ قال : أبيت ، ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، وليس من الانسان شيء الا يبلى، إلا عظم واحد ، وهو عجب الذنب ، منه يركب الخلق يوم القيامة » وفي رواية المسلم « ان في الانسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب الخلق يوم القيامة ، قالوا : أي عظم هو يارسول الله ؟ قال : عجب الذنب» رواه الإمام مالك وأبوداود، والنسائي باختصار قال : « كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ، منه خلق ؛

وفيه يركب » قال الحافظ المنذري كغيره : عجب الذنب . بفتح العين المهملة ، وإسكان الجيم بعدها باء موحدة أو ميم : هو العظم الذي يكون في أسفل الصلب . وأصل الذنب من ذوات الأربع . وقد روى الإمام أحمد وابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ «يأكل التراب كل شيء من الانسان إلا عجب ذنبه . قيل : ماهو يارسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل منه تنشؤون» . وروى الثعلبي في تفسير سورة (الأعراف) وابن عطية في تفسيره عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم : إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى ، يعني : نفخة الصعق ، أمطر عليهم أربعين عاماً كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان ، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا استكملت أجسادهم ، نفخ فيهم الروح ، ثم يلقي عليهم نومة فينامون في قبورهم ، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية ، قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم ، كما يجده القائم إذا استيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون : (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) يس : ٥٢ . وقول أبي هريرة رضي الله عنه : أبيت ، فيه ثلاث تأويلات ، أحدها : امتنعت من بيان ذلك . وقيل : أبيت أسأل النبي ﷺ عن ذلك . وقيل : نسيت . وقيل : إن سر ذلك لأنه لا يعلمه إلا الله تعالى ، لأنه من أسرار الربوبية ، لكن في حديث «إن بين النفختين أربعين عاماً[1]» وقول الناظم : طراً هو بضم الطاء ؛ أي : جميعاً . قال الناظم رحمه تعالى :

وقضى بأن الله ليس بفاعل فعلا يقوم به بلا برهان

(١) قال المناوي في « فيض القدير » ووقع لولي الله النووي في « مسلم » «أربعين سنة » قال ابن حجر : وليس كذلك .

بل فعله المفعول خارج ذاته ... كالوصف غير الذات في الحسبان

والجبر مذهبه الذي قرت به ... عين العصاة وشيعة الشيطان

كانوا على وجل من العصيان إذ ... هو فعلهم والذنب للانسان

واللوم لا يعدوه إذ هو فاعل ... بإرادة وبقدرة الحيوان

فأراحهم جهم وشيعته من اللـ ... ـوم العنيف وما قضوا بأمان

لكنهم حملوا ذنوبهم على ... رب العباد بعزة وأمان

وتبرؤوا منها وقالوا إنها ... أفعاله ما حيلة الإنسان

ما كلف الجبار نفساً وسعها ... أنى وقد جبرت على العصيان ؟!

وكذا على الطاعات أيضاً قد غدت ... مجبورة فلها إذاً جبران

والعبد في التحقيق شبه نعامة ... قد كلفت بالحمل والطيران

إذ كان صورتها تدل عليهما ... هذا وليس لها بذاك يدان

تضمن كلام الناظم رحمه تعالى مسألتين عظيمتين ، إحداهما في أفعال الله تعالى ، هل لله تعالى فعل يقوم به بمشيئته وقدرته ، أم الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ؟ فالاول هو الذي ذكره الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك في كتبهم ، كما ذكره فقهاء الحنفية ، كالطحاوي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم ، وكما ذكره البغوي في « شرح السنة » وكما ذكره أصحاب أحمد ، كأبي إسحاق ، وأبي بكر عبد العزيز ، والقاضي ذكره في الخلق: هل هو المخلوق أو غيره ؟ على قولين ، ولكن استقر قوله على

ان الخلق غير المخلوق ، وان خالف ابن عقيل . وكما ذكره أبو بكر محمد ابن اسحاق الكلاباذي في كتاب له ، وكما ذكره أئمة الحديث والسنة . قال البخاري في آخر « الصحيح » في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة : باب ماجاء في تخليق السموات والارض ونحوها من الخلائق . وهو فعل الرب وأمره ، فالرب بصفاته وفعله ، وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه ، فهو مفعول مخلوق مكون ، وذهبت الجهمية والمعتزلة أو أكثرهم ، والكلابية والاشعرية إلى أن الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ، وليس لهؤلاء عند الرب فعل ولا صنع يقوم به . تعالى الله عما يقول الجاحدون علواً كبيراً . قوله : والجبر مذهبه الذي قرت به الخ . أي : ان مذهب جهم هو الجبر ، ومعنى ذلك أن الناس اختلفوا في أفعال العباد هل هي مقدورة للرب والعبد أم لا ؟ فقال جهم وأتباعه الجبرية : إن ذلك الفعل مقدور للرب لا للعبد ، وكذلك قال الأشعري وأتباعه : إن المؤثر فيه قدرة الرب دون قدرة العبد . وقال جمهور المعتزلة : إن الرب لايقدر على عين مقدور العبد ، واختلفوا : هل يقدر على مثل مقدوره ؟ فأثبته البصريون كأبي علي وأبي هاشم ، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون ، واحتج المعتزلة بأنه لو كان مقدوراً لهما للزم إذا أراد أحدهما شيئاً أو أمراً ، وكرهه الآخر ، مثل أن يريد الرب تحريكه ، ويكرهه العبد ، أن يكون موجوداً معدوماً ، لأن المقدور من شأنه أن يوجد عند توفر دواعي القادر ، وأن يبقى على العدم عند توفر صارفه ، فلو كان مقدور العبد مقدوراً لله لكان إذا أراد الله وقوعه ،

وكره العبد وقوعه ، لزم أن يوجد لتحقق الدواعي ، ولا يوجد لتحقق الصارف ، وهو محال . وقد أجاب الجبرية عن هذا بما ذكره الرازي ، وهو أن البقاء على العدم عند تحقق الصارف ممنوع مطلقاً ، بل يجب إذا لم يقم مقامه سبب آخر مستقل ، وهذا أول المسألة ، وهذا جواب ضعيف ، فإن الكلام فى فعل العبد القائم به إذا قام بقلبه الصارف عنه دون الداعي إليه ، وهذا يمتنع وجوده من العبد في هذه الحال ، وما قدر وجوده بدون إرادته لم يكن فعلاً اختيارياً ، بل يكون بمنزلة حركة المرتعش ، والكلام إنما هو في الاختياري ، ولكن الجواب منع هذا التقدير ، فإن ما لم يرده العبد بأفعاله يمتنع أن يكون الله مريداً لوقوعه ، إذ لو شاء وقوعه جعل العبد مريداً له ، فإذا لم يجعله مريداً له علم أنه لم يشأه . ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن الانسان لو قال : والله لأفعلن كذا وكذا إن شاء الله ؛ ثم لم يفعله أنه لا يحنث ، لأنه لما لم يفعله علم أن الله لم يشأه ، إذ لو شاءه لفعله العبد ، فلما لم يفعله علم أن الله لم يشأه . واحتج الجبرية بما ذكره الرازي وغيره بقولهم : إذا أراد الله تحريك جسم ، وأراد العبد تسكينه ، فإما أن يمتنعا معاً ، وهو محال ، لأن المانع من وقوع مراد كل واحد منهما هو موجود مرادالآخر ، فلو امتنعا معاً ، لوجدا معاً وهو محال ، أو يقعا ، وهو محال أيضاً ، أو يقع أحدهما ، وهو باطل ؛ لأن القدرتين متساويتان في الاستقلال بالتأثير في ذلك المقدور الواحد ، والشيء الواحد حقيقة لاتقبل التفاوت ، فإذا القدرتان بالنسبة إلى اقتضاء وجود ذلك المقدور على السوية ، وإنما التفاوت في أمور خارجة عن هذا المعنى ، وإذا كان كذلك امتنع الترجيح فيقال : هذه الحجة باطلة على المذهبين أما أهل السنة فعندهم يمتنع أن يريد الله

تحريك جسم ، ويجعل العبد مريداً ، لا أن يجعله العبد ساكناً مع قدرته على ذلك ، فإن الارادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المقدور ، فلو جعله الرب مريداً مع قدرته لزم وجود مقدوره ، فيكون العبد يشاء ما لا يشاء الله وجوده ، وهذا ممتنع ، بل ما شاء الله وجوده يجعل القادر عليه مريداً لوجوده ، لا يجعله مريداً لما يناقض مراد الرب . وأما على قول المعتزلة فعندهم تمتنع قدرة الرب على عين مقدور العبد ، فيمتنع اختلاف الإرادتين في شيء واحد ، وكلا الحجتين باطلة ، فإنهما مبنيتان على تناقض الإرادتين ، وهذا ممتنع ، فإن العبد إذا شاء أن يكون «شيء» لم يشأه حتى يشاء الله مشيئته ، كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا ان يشاء الله رب العالمين) ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإذا شاء الله جعل العبد شائياً له ؛ واذا جعل العبد كارهاً له غير مريد له، لم يكن هو في هذه الحال شائياً له ، فهم بنوا الدليل على تقدير مشيئة الله له ، وكراهة العبد له ، وهذا تقدير ممتنع ، وهذا تناقض من تقدير ربين وإلهين ، وهو قياس باطل ، لأن العبد مخلوق لله ، وهو وجميع مفعولاته ليس هو مثلاً لله ، ولا نداً ، والله أعلم . وقول الناظم رحمه الله تعالى :

كانوا على وجل من العصيان إذ   هو فعلهم والذنب للانسان

أي : إن أفعال العباد غير اختيارية ، بل هم مجبورون عليها ، كحركة المرتعش ، وتحريك الهواء للاشجار ، ونحو ذلك ، فإذا كان أصل القدرية المجبرة أن ارادة الرب تعالى هي عين محبته ورضاه ، فكل ما شاءه فقد أحبه ورضيه ، وكل ما لم يشأه فهو مسخوط له مبغوض ، فالمبغوض المسخوط هو ما لم يشأه ، والمحبوب المرضي هو ما شاءه ، هذا أصل القدرية الجبرية ، المنكرين

للحكم ، والتعليل والاسباب ، وتحسين العقل وتقبيحه ، وأن الافعال كلها سواء لا يختص بعضها بما صار حسناً لأجله ، وبعضها بما صار قبيحاً لأجله ، ويجوز في العقل ان يأمر بما نهى عنه وينهى عما أمر به ، ولا يكون ذلك مناقضاً للحكمة ، اذ الحكمة ترجع عندهم الى مطابقة العلم الازلي لمعلومه والارادة الازلية لمرادها ، والقدرة لمقدورها ، فاذاً الافعال بالنسبة إلى المشيئة والارادة مستوية لا توصف بحسن ولا قبح ، فاذا تعلق بها الأمر والنهي صارت حينئذ حسنة وقبيحة ، وليس حسنها وقبحها زائداً على كونها مأموراً بها ومنهياً عنها .

قوله : والعبد في التحقيق شبه نعامة الخ . . أي : لأجل أن لها أجنحة فتشبه الطير من هذا الوجه ولها اخفاف تشبه اخفاف الناقة ، فلهذا قال : قد كلفت بالحمل والطيران .

قوله : وليس لها بذاك يدان . المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء باسم سببه ، لأن القدرة هي تحريك اليد . يقال : فلان له يد في كذا وكذا .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فلذاك قال بأن طاعات الورى	وكذاك ما فعلوه من عصيان
هي عين فعل الرب لا أفعالهم	فيصح عنهم عند ذا نفيان
نفي لقدرتهم عليها أولا	وصدورها منهم بنفي ثان
فيقال ما صاموا ولا صلوا ولا	زكوا ولا ذبحوا من القربان
وكذاك ماشربوا وما قتلوا وما	سرقوا ولا فيهم غوي زان
وكذاك لم يأتوا اختياراً منهم	بالكفر والاسلام والايمان

الا على وجه المجاز لانها قامت بهم كالطعم والألوان

جبروا على ماشاءه خلاّقهم ما ثم ذو عون وغير معان

والكل مجبوروغير ميسر كالميت أدرج داخل الاكفان

وكذاك أفعال المهيمن لم تقم أيضاً به خوفاً من الحدثان

فاذا جمعت مقالتيه أنتجا كذباً وزوراً واضح البهتان

إذ ليست الافعال فعل إلهنا والرب ليس بفاعل العصيان

فاذا انتفت صفة الإله وفعله وكلامه وفعائل الانسان

فهناك لاخلق ولا أمر ولا وحي ولا تكليف عبد فان

لما فرغ الناظم رحمه الله من الكلام على القول بالجبر ، وذكر بعض ما يلزم أهله ، شرع أيضاً في بيان ما يلزمهم من وجه آخر من الشناعات ، فقال : وكذاك افعال المهيمن الخ ... أي : أن مذهب الجهمية ومن وافقهم ،أن الرب تعالى لاتقوم به الأفعال الاختيارية ،بل الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، كما تقدم حكاية ذلك عنهم ، لأنهم على زعمهم إذا قالوا بذلك لزم قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى ، فيلزم حدوثه تعالى وتقدس ، كما أن ما قامت به الحوادث ، فهو حادث . والعبد عندهم أيضاً ليس بفاعل بالاختيار ، بل هو مجبور ، وغير ميسر ، وحركته كحركة المرتعش ، أو كالميت أدرج داخل الأكفان ، فإذا كان فعل الرب تعالى غير قائم به عندهم ، بل المفعول هو المفعول ، والعبد عندهم ليس بفاعل ، فلذلك

قال الناظم : فاذا جمعت مقالتيه انتجا ، اي: إذا كان الفعل ليس فعلاً للرب ، والعبد مجبور لا فعل له في الحقيقة ، بل تسمى أفعالا له مجازاً ، كان نسبة ذلك إلى الرب تعالى كذباً ، لأن الرب ليس بفاعل للمعاصي ، وصار نسبته للعبد أيضاً كذباً ، لأنه ليس بفاعل ، وإنما هو مجبور ، فاذا انتفت صفة الفعل والكلام في حق الرب تعالى،فهناك لاخلق ولا أمر ولاوحي ولاتكليف ، كما ألزمهم بهالناظم رحمه الله تعالى . قوله: الكل مجبور الخ ...

قال الناظم في « شرح منازل السائرين » مشهد أصحاب الجبر ،وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وأنها واقعة بغير قدرتهم واختيارهم ، بل لايشهدون أنها أفعالهم البتة ، ويقولون : ان أحدهم غير فاعل في الحقيقة ، ولا قادر ، وأن الفاعل فيه ، والمحرك له سواه وأنه آلة محضة ، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح ، وحركات الأشجار ، وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر ، وحملوا ذنوبهم عليه ، وقد يغلون في ذلك حتى يروا افعالهم كلها طاعات خيرها وشرها ، لموافقتها المشيئة والقدر ، ويقولون: كما ان موافقة الأمر طاعة ، فموافقة المشيئة طاعة ، كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله لأفعالهم دليلاً على امره بها ورضاه بها قال : وهؤلاء شر من القدرية النفاة ، واشد عداوة لله ، ومناقضة لكتبه ورسله ودينه ، حتى إن من هؤلاء من يعتذر عن ابليس لعنه الله ، ويتوجع له ، ويقيم عنده بجهده ، وينسب ربه الى ظلمه بلسان الحال والقال ، ويقول : ماذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه ؛ وقد وافق حكمه ومشيئته فيه ، وارادته منه ! ثم كيف يمكنه السجود ، وهو الذي منعه منه ، وحال بينه وبينه ؟ وهل كان في ترك سجوده لغيرك محسناً؟ ولكن:

إذا كان المحب قليل حظ ... فما حسناته الا ذنوب

قال رحمه الله : وهؤلاء أعداء الله حقاً وأولياء إبليس وأحبابه وإخوانه ، واذا ناح منهم نائح على إبليس ، رأيت من البكاء والحنين أمراً عجيباً ، ورأيت من تظلم الاقدار واتهام الجبار ما يبدو على فلتات ألسنتهم ، وصفحات وجوههم ، وتسمع من أحدهم التظلم والتوجع ماتسمعه من الخصم المغلوب ، العاجز عن خصمه . قال : فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تائيته

ويدعى خصوم الله يوم معادهم ... الى النار طراً فرقة القدرية

يعني : الجبرية . انتهى . وقول الناظم رحمه الله تعالى : وغير ميسر اشارة الى أنهم خالفوا ماثبت في « الصحيحين » عنه ﷺ ، أنه قال : « مامنكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ، ومقعده من النار . قالوا يارسول الله : أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب ؟ فقال : لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وفي « الصحيح » أيضاً أنه قيل : يارسول الله أرأيت مايكدح الناس فيه اليوم ، ويعملون ، شيء قضي عليهم ومضى ، أم فيما يستقبلون مما آتاهم فيه الحجة ؟ فقال : بل شيء قضي عليهم ، ومضى فيهم . قالوا : يارسول الله ؛ أفلا ندع العمل ، ونتكل على كتابنا ، فقال : لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وقضى على أسمائه بحدوثها ... وبخلقها من جملة الأكوان

فانظر إلى تعطيله الأوصاف والا أفعال والأسماء للرحمن

ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من نفي ومن جحد ومن كفران

لكنه أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن

وأتى الى الكفر العظيم فصاغه عجلاً ليفتن أمة الثيران

وكساه أنواع الجواهر والحلى من لؤلؤ صاف ومن عقيان

فرآه ثيران الورى فأصابهم كمصاب إخوتهم قديم زمان

عجلان قد فتن العباد بصوته إحداهما وبحرفه ذا الثان

والناس أكثرهم فأهل ظواهر تبدو لهم ليسوا بأهل معان

فهم القشور وبالقشور قوامهم واللب حظ خلاصة الانسان

ولذا تقسمت الطوائف قوله وتوارثوه إرث ذي السهمان

لم ينج من أقواله طراً سوى أهل الحديث وشيعة القرآن

فتبرؤوا منها براءة حيدر وبراءة المولود من عمران

من كل شيعي خبيث وصفه وصف اليهود محللي الحيتان

أي : إن جهماً وأتباعه ذهبوا إلى حدوث أسماء الرب تعالى وقالوا : أسماء الله تعالى غيره ، فان أسماء الله تعالى من كلامه ، وكلامه غيره ، ثم قالوا : وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه . وقول الناظم : فانظر إلى تعطيله الأوصاف والأفعال والأسماء للرحمن . أي : لأنه يقول بحدوث أسماء الله

تعالى ، وأنها مخلوقة. وتعطيله الاوصاف ، أي : أنه نفى صفات الباري سبحانه. وتعطيل الأفعال ؛ أي : بأنه يقول: الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق. فانظر إلى ماتضمنه هذا من الجحد والتعطيل والكفران. وقوله : لكنه أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن . أقول : قال العلامة تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتاب « الخطط » بعد كلام سبق : ثم حدث بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به ، فإنه نفى أن يكون لله تعالى صفة ، وأورد على أهل الإسلام شكوكاً ، أثرت في الملة الاسلامية آثاراً قبيحة تولد عنها بلاء كبير ، وكان قبيل المائة من سني الهجرة ، فكثر أتباعه على أقواله التي تؤول إلى التعطيل ، فأكبر أهل الاسلام بدعته ، وتمالؤوا على انكارها ، وتضليل أهلها ، وحذروا من الجهمية ، وعادوهم في الله ، وذموا من جلس إليهم ، وكتبوا في الرد عليهم ماهو معروف عند أهله . انتهى كلامه . وقد تقدم في كلام الإمام أحمد والبخاري وعبد الله بن المبارك وغيرهم رضي الله عنهم أشياء من أحوال جهم وأتباعه ، والتحذير من بدعهم . ولقد زرع هذا الخبيث في الإسلام شراً عظيماً لايزول الى قيام الساعة ، نعوذ بالله من الخذلان .

قوله : فتبرؤوا منها براءة حيدر . هو لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه والمولود من عمران : هو موسى عليه السلام . يعني : أن أهل الحديث والسنة تبرؤوا من مذهب الجهم وشيعته كما تبرأ موسى عليه السلام من بني اسرائيل الذين عبدوا العجل ، وكما تبرأ علي رضي الله عنه من الشيعة الذين تبرؤوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، بل ادعى بعضهم فيه الإلهية ، فاستتابهم فلم يتوبوا ، فخدد لهم الأخاديد وأضرم فيها النار ، وأحرقهم فيها

قـــال :

إني اذا شاهدت أمراً منكراً ... أججت ناري ودعوت قنبرا

والقصة معروفة . قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

في مقدمة نافعة قبل التحكيم

يا أيها الرجل المريد نجاته ... إسمع مقالة ناصح معوان

كن في أمورك كلها متمسكاً ... بالوحي لا بزخارف الهذيان

وانصر كتاب الله والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان

واضرب بسيف الوحي كل معطل ... ضرب المجاهد فوق كل بنان

واحمل بعزم الصدق حملة مخلص ... متجرد لله غير جبـــان

واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى ... فإذا أُصبت ففي رضى الرحمن

واجعل كتاب الله والسنن التي ... ثبتت سلاحك ثم صح بجنان

من ذا يبارز فليقدّم نفسه ... أو من يسابق يبد في الميدان ؟

واصدع بما قال الرسول ولا تخف ... من قلة الانصار والأعوان

فالله ناصر دينه وكتابــــه ... والله كاف عبده بأمان

لا تخش من كيد العدو ومكرهم ... فقتالهم بالكذب والبهتان

فجنود أتباع الرسول ملائك ... وجنودهم فعساكر الشيطان

شتان بين العسكرين فمن يكن ... متحيزاً فلينظر الفئتان

واثبت وقاتل تحت رايات الهدى ... واصبر فنصر الله ربك دان

واذكر مقاتلهم لفرسان الهدى ... لله در مقاتل الفرسان

وادرء بلفظ النص في نحر العدى ... وارجمهم بثواقب الشهبان

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى ... وذبابه أتخاف من ذبان ؟!

واشغلهم عند الجدال ببعضهم ... بعضاً فذلك الحزم للفرسان

واذا هم حملوا عليك فلا تكن ... فزعاً لحملتهم ولا بجبان

واثبت ولا تحمل بلا جند فما ... هذا بمحمود لدى الشجعان

فإذا رأيت عصابة الاسلام قد ... وافت عساكرها مع السلطان

فهناك فاخترق الصفوف ولا تكن ... بالعاجز الواني ولا الفزعان

هذا شروع في وصية نافعة ومقدمة جامعة قبل الشروع في المحاكمة بين الطوائف ، أوصى بها المصنف قدس الله روحه ، ونور ضريحه لمن يعقل عن الله ، وذلك أن الانسان لم يخلق سدى مهملاً ، بل خلقه الله لأمر عظيم ، وخطب جسيم ، خلقه الله سبحانه لعبادته الجامعة لمحبته وخشيته والذل والخضوع له ، وهيـأ دارين دار جزاء للمحسنين ، ودار عقاب للمخالفين ، فيتعين على من طلب نجاة نفسه التهيؤ والاستعداد لما يقربه من رضى ربه ، وينجيه

من عقابه وعذابه ، ولاسبيل الى ذلك إلا متابعة الرسول ﷺ في الدق والجل ، وتقديم طاعته على طاعة غيره ، فلهذا قال : ياأيها الرجل المريد نجاته الخ ... وكما قال المصنف فيما يأتي : يامن يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم وموقد النيران ، اتبع رسول الله في الاعمال والأقوال الخ .. قوله : مقدمة بكسر الدال كمقدمة الجيش ، أول مايتقدم منه ، وبفتحها على قلة ، وقوله : معوان . هو اسم فاعل . وعاونه معاونة وعواناً : أعانه . والمعوان : الحسن المعونة أو كثيرها . قاله في « القاموس » قوله : اضرب بسيف الوحي . استعار اسم السيف للوحي اشارة الى قطعه المنازع ، لأن الوحي دليل قاطع سمعي عقلي ، والوحي هو العلم النافع والدليل القاطع ، لازخارف المتكلمين ، وهذيان الفلاسفة والمتصوفين ، القاطعة عن الله ورسوله . من تبعها وقدمها على الوحي المبين ، والمنهج الواضح المستبين ، وهو كتاب الله المتين ، وسنة رسوله الصادق الأمين ، فقد ضل سواء السبيل . ولله در القائل :

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي سفيه

كلا ولا نصب الخلاف جهالة ... بين النصوص وبين رأي فقيه

كلا ولا رد النصوص تعمداً ... حذراً من التجسيم والتشبيه

حاشا النصوص من الذي رميت به ... من فرقة التعطيل والتمويه

قوله : وادرأ بلفظ النص في نحر العدى . الدرء : الدفع ، وبابه قطع

قوله : همج . الهمج بفتحتين جمع همجة ، وهي ذباب صغير كالبعوض ، يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها ، ويقال للرعاع الحمقى : انما هم همج . « مختار الصحاح » قوله : ذباب . الذب : المنع والدفع ، وبابه رد ، والذبابة بالضم وتشديد الباء ونون قبل الهاء[1] واحدة الذباب . ولا[2] تقل : ذبانة بالكسر . وجمع الذباب في القلة : أذبة ، والكثير : ذبان كغراب وأغربة وغربان « مختار الصحاح » قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمّة وهوان

ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان

وتحل بالانصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان

واجعل شعارك خشية الرحمن مع ... نصح الرسول فحبذا الأمران

وتمسكنّ بحبله وبوحيه ... وتوكلنّ حقيقة التكلان

فالحق وصف الرب وهو صراطه الـ ... ـهادي إليه لصاحب الإيمان

وهو الصراط عليه رب العرش أيـ ... ـضاً ذا وذا قد جاء في القرآن

والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن

وبذاك يظهر حزبه من حزبه ... ولاجل ذاك الناس طائفتان

ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ ... ـكفار مذ قام الورى سجلان

---

(١) في الأصل : قبل إنها

(٢) في الأصل : و لان .

لكننا العقبي لأهل الحق إن ... فاتت هنا كانت لدى الديان

قوله : تعر . فعل أمر من التعري. يقال : عري من ثيابه بالكسر عرياً بالضم فهو عار وعريان، والمرأة عريانة ، وما كان على فعلان فمؤنثه بالهاء . قاله في « مختار الصحاح » قوله : الجهل المركب : هو تصور الشيء على غير ماهيته ، وذلك أن حكم العقل بأمر على أمر جازم غير مطابق في الخارج هو الاعتقاد الفاسد ، وهو الجهل المركب ، لتركبه من عدم العلم بالشيء، واعتقاد غير مطابق ، فهو أن يجهل الحق ، ويجهل جهله به . والجهل البسيط : عدم العلم ، وقيل : عدم معرفة الممكن بالفعل لا بالقوة .

قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي اليه لصاحب الإيمان. أما اشتقاق الصراط ، فالمشهور أنه من صرطت الشيء أصرطه : إذا بلعته بلعاً سهلاً ، فسمي الطريق صراطاً ، لأنه يصترط المارة فيه . والصراط : ما جمع خمسة أوصاف : ن يكون طريقاً مستقيماً ، سهلاً، مسلوكاً ، واسعاً ، موصلاً إلى المقصود ، فلا تسمي الطريق المعوج صراطاً ، ولا الصعب المشق ، ولا المسدود غير الموصل ، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين ذلك ، قال :

أمير المؤمنين على صراط ... إذا أعوج الموارد مستقيم (١)

وبنوا الصراط على زنة فعال ، لأنه يشتمل على سالكه اشتمال الحق على الشيء المسروط . وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء ، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش . كذا أفاده الناظم . قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي . إن الرب تعالى يوصف بأنه الحق ، كما في الحديث

---

(١) القائل : هو جرير

الصحيح في «صحيح البخاري» من حديث عبدالله بن عباس «اللهم أنت الحق ووعدك حق، ولقاؤك حق . . » الحديث. وقوله : وهو الصراط عليه رب العرش ، يشير إلى قوله تعالى: (إن ربي على صراط مستقيم)هود: ٥٦؛ أي : هو على الحق والعدل .

قوله : وهو صراطه الخ . . قال الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)الأنعام: ١٥٤. قال ابن مسعود: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقـال : هـذه سبل ، على كل سبيل شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ قوله تعالى :(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . وهذا لأن الطريق الموصلة إلى الله واحدة ، وهو مابعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، لا يصل اليه أحد إلا من هذه الطريق ، ولو اتى الناس من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة ، والأبواب عليهم مغلقة ، إلا من هـذا الطريق الواحد ، فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله . قال تعالى : (هذا صراط علي مستقيم)الحجر: ٤١ قال الحسن: معناه: صراط الي مستقيم، وهذا يحتمل أمرين . ان يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ، فقامت أداة (علي) مقام (إلي) ، والثاني أنه أراد التفسير على المعنى ، وهو الأشبه بطريق السلف : ؛ أي : صراط موصل إلي . وقال مجـاهد : الحق يرجع إلى الله ، وعليه طريقه لايعرج على شيء . ومثل قول الحسن ، وأبين منـه ، وهو من أصح ماقيل في الآية . وقيل : (علي) فيه للوجوب ؛ أي : علي بيانه

وتعريفه والدلالة عليه. والقولان نظير القولين في آية النحل ، وهي (وعلى الله قصد السبيل) النحل : ٩ والصحيح فيها كالصحيح في آية (الحجر) أن السبيل القاصد ، وهو المستقيم المعتدل يرجع الى الله ويوصل اليه . قال طفيل الغنوي :

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

أي مرورنا عليهم ، واليهم وصولنا . وقال الآخر :

فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو عليّ طريقها

أفاده المصنف في تفسير هذه الآيات . قال الناظم رحمه الله تعالى :

واجعل لقلبك هجرتين ولا تنم فهما على كل امرىء فرضان

فالهجرة الاولى إلى الرحمن بالا إخلاص في سر وفي إعلان

فالقصد وجه الله بالاقوال والا أعمال والطاعات والشكران

فبذاك ينجو العبد من إشراكه ويصير حقـــاً عابد الرحمن

والهجرة الاخرى الى المبعوث بالا حق المبين وواضح البرهان

فيدور مع قول الرسول وفعله نفياً واثباتاً بلا روغـــان

ويحكمّ الوحي المبين على الذي قال الشيوخ فعنده حكمان

لايحكمان بباطل أبداً وكلُّ العدل قد جاءت به الحكمان

وهما كتاب الله أعدل حاكم ... فيه الشفا وهداية الحيران

والحاكم الثاني كلام رسوله ... ما ثم غيرهما لذي إيمان

فإذا دعوك لغير حكمهما فلا ... سمعاً لداعي الكفر والعصيان

قل لا كرامة لا ولا نعماً ولا ... طوعاً لمن يدعو الى طغيان

واذا دعيت الى الرسول فقل لهم ... سمعاً وطوعاً لست ذا عصيان

وإذا تكاثرت الخصوم وصيّحوا ... فاثبت فصيحتهم كمثل دخان

يرقى الى الأوج الرفيع وبعده ... يهوي الى قعر الحضيض الداني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ذكر الهجرتين ، فالهجرة الأولى الى الله تعالى باخلاص الاعمال والتوجه اليه ، بامتثال أمره ، واجتناب نهيه . والهجرة الثانية الى الرسول ﷺ ، باتباعه ، وتقديم قوله في الدق والجل ، وترك قول غيره لقوله . وللمصنف رحمه الله تعالى كتاب سماه « سفر الهجرتين وطريق السعادتين » أتى بما لا مزيد عليه ، فراجعه إن شئت.

وقوله: إلى الأوج الرفيع. الأوج معرب أوك، وهو كلمة أعجمية ، معناها: العلو . والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . وفي الحديث انه أهدي الى رسول الله ﷺ هدية ، فلم يجد شيئاً يضعه عليه ، فقال : « ضعه بالحضيض فانما انا عبد آكل كما يأكل العبد »[١] يعنى ضعه بالارض. قال الناظم رحمه الله تعالى :

---

(١) في الاصل : العبيد ، والتصحيح من « النهاية في غريب الحديث » لابن الاثير. والحضيض : قرار الارض وأسفل الجبل .

هذا وان قتال حزب الله بالـ … أعمال لا بكتائب الشجعان

والله ما فتحوا البلاد بكثرة … أنى وأعداهم بلا حسبان

وكذاك مافتحوا القلوب بهذه الـ … آراء بل بالعلم والايمان

وشجاعة الفرسان نفس الزهد في … نفس وذا محذور كل جبان

وشجاعة الحكام والعلماء زهـ … ـد في الثنا من كل ذي بطلان

فاذا هما اجتمعا لقلب صادق … شدت ركائبه الى الرحمن

واقصد الى الأقران لا أطرافها … فالعز تحت مقاتل الاقران

واسمع نصيحة من له خبر بما … عند الورى من كثرة الجولان[1]

ما عندهم والله خير غير ما … أخذوه عمن جاء بالقرآن

والكل بعد فبدعة أو فرية … أو بحث تشكيك ورأي فلان

فاصدع بأمر الله لا تخش الورى … في الله واخشاه تفز بأمان

واهجر ولو كل الورى في ذاته … لا في هواك ونخوة الشيطان

واصبر بغير تسخط وشكاية … واصفح بغير عتاب من هو جان

واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى … ان لم يكن بد من الهجران

---

(١) يقال : جال في الحرب جولاً وجولاناً

قوله : والله مافتحوا البلاد بكثرة الخ ... أي : ان الاسلام في بدايته كان غريباً كما قال ﷺ : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ »[١] وكما في حديث عمرو بن عبسة لما قدم على النبي ﷺ وهو مستخف بمكة ، فقال له : من معك على هذا ؟ قال : حر وعبد ؛ يعني أبا بكر وبلالاً رضي الله عنهما ، ثم فتح الله عليه وعلى أصحابه من بعده ماهو معروف في كتب السير . والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الجماعة من الخيل والجيش .

قوله : والكل بعد فبدعة أو فرية . البدعة هي : ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة . والفرية : الكذب . يقال : فرى كذباً ، خلقه ، والاسم الفرية . وقوله تعالى : (شيئاً فرياً) مريم : ٢٧ اي : مصنوعاً مختلقاً . وقوله : الجولان . جال من باب قــال ، وجولاناً أيضاً ، بفتح الواو . الجولان بسكون الواو جبل بالشام ، وتجاولوا في الحرب : جال بعضهم على بعض « مختارالصحاح » .

قوله : نخوة الشيطان . النخوة : الكبر والعظمة . يقال : انتخى فلان علينا ؛ أي : افتخر وتعظم ، قاله في « مختار الصحاح » .

قوله : واهجرهم الهجر الجميل الخ .. قال الناظم في « بدائع الفوائد » سمعت شيخ الاسلام يقول : ذكر الله الصبر الجميــل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل . فالصبر الجميل : الذي لاشكوى معه ، والهجر الجميل : الذي لا أذى معه ، والصفح الجميل : الذي لاعتاب معه . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ « بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء » وفيه أيضاً عن ابن عمر بلفظ « ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية الى جحرها » .

وانظر الى الأقدار جارية بما   قد شاء من غي ومن ايمان
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما   بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحكم وارحمهم بها   اذ لاترد مشيئة الديان
وانظر بعين الأمر واحملهم على   أحـــكامه فهما اذاً نظران
واجعل لوجهك مقلتين كلاهما   من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم   فالقلب بين أصابع الرحمن
واحذر كمائن نفسك اللاتي متى   خرجت عليك كسرت كسر مهان
واذا انتصرت لها فأنت كمن بغى   طفي الدخان بموقد النيران
والله أخبر وهو أصدق قائل   أن سوف ينصر عبده بأمان
من يعمل السوآى سيجزى مثلها   أو يعمل الحسنى يفز بجنان
هذي وصية ناصح ولنفسه   وصى وبعد لسائر الاخوان

مراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الابيات أن يبين الحكم الكوني القدري ، والحكم الديني الامري الشرعي ، فان جميع أفعال الخلق من الطاعات والايمان ، والكفر والايمان ، لاتخرج عن حكم الرب تعالى الكوني القدري ، فان جميع الأشياء خلقه تعالى بقدرته ومشيئته ، ولكن مع ذلك لابد من النظر الى الحكم الديني الشرعي ، فمعنى كلامه : إنك إذا نظرت الى الخلق بعين الحكم رحمتهم ، لأن مشيئة الله تعالى لاترد ، وما شاء

الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ولكن مع ذلك انظر الى عين الامر ، واحملهم عليها ، أي : فحد الزاني ، واقطع السارق ، واجلد القاذف ، واقتل القاتل ، ونحو ذلك مما امر الله ورسوله به. وهذا معنى قوله: فانظر بعين الحكم وارحمهم بها الخ.. ومعنى قوله: وانظر بعين الامر واحملهم على الخ.. قال المصنف رحمه الله تعالى في «شرح منازل السائرين» في منزلة الفكرة لما تكلم على الفناء الذي يذكره الصوفية. فصل: وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية وهو رؤية تفرد الله بخلق الاشياء وملكها واختراعها، وأنه ليس في الوجود قط إلا ماشاءه وكونه ؛ فيشهد ما اشتركت فيه المخلوقات من خلق الله اياها ، ومشيئته لها وقدرته عليها ، وشمول قيوميته وربوبيته لها ، ولا يشهد مافترقت فيه من محبة الله لهذا ، وبغضه لهذا ، وأمره به ، ونهيه عما نهى عنه ، وموالاته لقوم ، ومعاداته لآخرين ، فلا يشهد التفرقة في الجمع ، وهي تفرقة الخلق والأمر في جمع الربوبية ، وتفرقة موجب الالهية في جمع الربوبية ، وتفرقة الارادة الدينية في جمع الارادة الكونية ، وتفرقة مايحبه ويرضاه في جمع ماقدره وقضاه ، ولا يشهد الكثرة في الوجود ، وهي كثرة معاني الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ؛ واقتضاؤه لآثارها في وحدة الذات الموصوفة بها ، فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته على وحدة ذاته ، فهو الله لا اله الا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، وكل اسم له صفة والصفة حكم ، فهو سبحانه واحد الذات ، كثير الأسماء والصفات ، فهذه كثرة في وحدة . والفرق بين مأموره ومنهيه ، ومحبوبه ومبغوضه ، ووليه وعدوه ، تفرقة في جمع ، فمن لم يتسع شهوده لهذه الامور الأربعة فليس من خاصة أولياء الله العارفين ، بل لو ضاق شهوده عنها مع اعترافه بها فهو مؤمن ناقص ، وإن جحدها أو شيئاً منها ، فكفر صريح ، أو بتأويل ،

مثل أن يجحد تفرقة الأمر والنهي ، أو جمع القضاء والقدر ، أو كثرة معاني الأسماء والصفات ووحدة الذات ، فليتدبر اللبيب السالك هذا الموضع حق التدبر ، وليعرف قدره ، فانه مجامع طرق العالمين ، وأصل تفرقهم . قد ضبطت لك معاقده ، وأحكمت لك قواعده ، وبالله التوفيق . وإنما يعرف قدر هذا من اجتاز القفار واقتحم البحار ، وعرض له ما يعرض لسالك القفر وراكب البحر ، ولم يسافر ويخرج عن وطن طبعه ومرباه ، وما الف عليه اصحابه وأهل زمانه ، فهو بمعزل عن هذا ، فان عرف قدره وكفى الناس شره ، فهذا يرجى له السلامة ؛ وان عدا طوره ، وأنكر ما لم يعرفه ، وكذب بما لم يحط به علماً ، ثم تجاوز الى تكفير من خالفه ولم يقلد شيوخه ، ويرضى بما رضي به لنفسه ؛ فذلك هو الظالم الجاهل الذي ماضر الا نفسه ؛ ولا أضاع الا حظه . انتهى ؛ والله اعلم .

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم .

فاجلس إذاً في مجلس الحكمين للـرحمن لا للنفس والشيطان

الاول النقل الصحيح وبعده الـ ... عقل الصريح وفطرة الرحمن

واحكم اذاً في رفقة قد سافروا ... يبغون فاطر هذه الأكوان

فترافقوا في سيرهم وتفارقوا ... عند افتراق الطرق بالحيران

فأتى فريق ثم قال وجدته … هذا الوجود بعينه وعيان

ما ثم موجود سواه وانما … غلط اللسان فقال موجودان

فهو السماء بعينها ونجومها … وكذلك الأفلاك والقمران

وهو الغمام بعينه والثلج والـ … أمطار مع برد ومع حسبان

وهو الهواء بعينه والماء والتـ … ـرب الثقيل ونفس ذي النيران

هذي بسائطه ومنه تركبت … هذي المظاهر ما هنا شيئان

وهو الفقير لها لاجل ظهوره … فيها كفقر الروح للأبدان

وهي التي افتقرت اليه لأنه … هو ذاتها ووجودها الحقان

وتظل تلبسه وتخلعه وذا الـ … إيجاد والاعدام كل أوان

ويظل يلبسها ويخلعها وذا … حكم المظاهر كي يرى بعيان

وتكثر الموجود كالأعضاء في الـ … محسوس من بشر ومن حيوان

أو كالقوى في النفس ذلك واحد … متكثر قامت به الأمران

فيكون كلاً هذه أجزاؤه … هذي مقالة مدعي العرفان

أو أنها كتكثر الانواع في … جنس كما قال الفريق الثاني

فيكون كلياً وجزئياته … هذا الوجود فهذه قولان

حداهما نص «الفصوص» وبعده … قول ابن سبعين وما القولان

عند العفيف التلمسانيّ الذي | هو غاية في الكفر والبهتان
إلا من الاغلاط في حس وفي | وهم وتلك طبيعة الانسان
والكل شيء واحد في نفسه | ما للتعدد فيه من سلطان
فالضيف والمأكول شيء واحد | والوهم يحسب ها هنا شيئان
وكذلك الموطوء عين الوطء والـ | ـوهم البعيد يقول ذان اثنان

تقسيم الكل الى أجزائه ، كانقسام السكنجبين الى خل وعسل ، وتقسيم الكلي الى جزئياته كانقسام الحيوان الى انسان وفرس .

وار بما قالا مقالته كما | قد قال قولهما بلا فرقان
وأبى سواهم ذا وقال مظاهر | تجلوه ذات توحد ومثان
فالظاهر المجلو شيء واحد | لكن مظاهره بلا حسبان
هذي عبارات لهم مضمونها | ماثم غير قط في الاعيان
فالقوم ما صانوه عن إنس ولا | جن ولا شجر ولا حيوان
كلا ولا علو ولا سفل ولا | واد ولا جبل ولا كثبان
كلا ولا طعم ولا ريح ولا | صوت ولا لون من الألوان
لكنه المطعوم والملبوس والـ | ـمشموم والمسموع بالآذان
وكذاك قالوا انه المنكوح والـ | ـمذبوح بل عين الغويّ الزاني

والكفر عندهم هدى ولو انه ... دين المجوس وعابدي الأوثان

قالوا وما عبدوا سواه وانما ... ضلوا بما خصوا من الاعيان

ولو انهم عموا وقالوا كلها ... معبودة ما كان من كفران

فالكفر ستر حقيقة المعبود بالتخصيص عند محقق رباني

قالوا ولم يك كافراً في قوله ... أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

بل كان حقاً قوله إذ كان عيـ ... ـن الحق مضطلعاً بهذا الشان

ولذا غدا تغريقه في البحر تطـ ... ـهيراً من الاوهام والحسبان

قالوا ولم يك منكراً موسى لما ... عبدوه من عجل لذي الخوران

الا على من كان ليس بعابد ... معهم وأصبح ضيق الأعطان

ولذاك جر بلحية الأخ حيث لم ... يك واسعاً في قومه لبطان

بل فرق الانكار منه بينهم ... لما سرى في وهمه غيران

ولقد رأى ابليس عارفهم فأهـ ... ـوى بالسجود هوي ذي خضعان

قالوا له ماذا صنعت فقال هل ... غير الإله وأنتما عميان

ماثم غير فاسجدوا ان شئتم ... للشمس والاصنام والشيطان

فالكل عين الله عند محقق ... والكل معبود لذي العرفان

هذا هو المعبود عندهم فقل ... سبحانك اللهم ذا السبحان

يا أمة معبودها موطوؤها　　أين الإله وثغـرة الطعان

يا أمة قد صار من كفرانها　　جزء يسيّر جملة الكفران

أقول وبالله التوفيق : شرع الناظم رحمه الله تعالى فيما وضع له الكتاب وهو المحاكمة بين الطوائف ، فبدأ بمقالة الوجودية الذين هم أكفر أهل الأرض ، نعوذ بالله من الزيغ .

قوله : فيكون كلاهـذه اجزاؤه ؛ أي : إن احـد قوليهم : إنـه كالاعضاء في الصورة الحيوانية ، او كالقوى المعنوية في النفس ، فيكون كلًا . وأجزاؤه الاعضاء ، أو القوى . وعلى القول الثاني لهم : إنه كتكثر الأنواع في الجنس . فتكون الموجودات جزئياته . وهو كلي لهـا . تعالى الله عما يقول الزائغون علواً كبيراً ، والأول نص «الفصوص» والثاني قول ابن سبعين ، ولكن عند العفيف التلمساني القولان من الأغلاط . والكل عنده شيء واحد في نفسه ، وربما قالا مقالته ، أي : ابن سبعين ، وابن عربي ربما قالا مقالته ، وهو قد يقول قولهما ، نعوذ بالله من ذلك .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيميه في كتابـه المسمى بـ «السبعينية» أقوال هؤلاء ، فذكر أن كلام صاحب « الفصوص » يدور على أصلين أحدهما : أن الاشياء كلها ثابتة في العدم ، مستغنية بنفسها ، نظير قول من يقول : المعدوم شيء ، لكن هذا لايفرق بين ذات الخالق ، وذات المخلوق ، اذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة ، وان كان قد يتناقض في ذلك قولهم ، فانهم كلهم يتناقضون ، وكل من خالف الرسل فلا بد أنـه يتناقض . قال تعالى (إنكم لفي قول مختلف . يؤفك عنه من أفك) الذاريات : ٨، ٩ وقال : (ولو كان من عند غير الله لوجـدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء . ٨٢

الأصل الثاني ان الوجود الذي لهذه الذوات الثابة ، هو عـــين وجود الحق الواجب ، ولهـــذا قال في أول « الفصوص » الشيثية : ومن هؤلاء يعني الذين لايسألون الله من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله ، هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه قبل وجودها ، ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به ، وهو ما كان عليه في حال ثبوته ، فيعلم علم الله به من أين حصل . وما ثم صنف من أهل الله أعلى وأكشف من هذا الصنف ، فهم الواقفون على سر القدر ، وهم على قسمين ، منهم من يعلم ذلك مجملاً ، ومنهم من يعلم ذلك مفصلاً ، والذي يعلمه مفصلاً أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملاً ، فانه يعلم ما في علم الله فيه ، إما باعلام الله إياه بما اعطاه عينه من العلم به ، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة ، وانتقالات الأحوال عليها ، الى مالا يتناهى ، وهو اعلى ، فانه يكون فى علمه بنفسه بمنزلة علم الله به ، لأن الأخذ من معدن واحد ، هذا لفظه . وقد كشف شيخ الاسلام ابن تيمية عن مقالات رؤوس هؤلاء الاتحادية ، وأوضح كلام كل واحد منهم في رسالته الى الشيخ نصر المنبجي ، قال فيها : وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام ، فما علمت أحداً سبقهم اليه إلا من أنكر وجود الصانع ، مثل فرعون والقرامطة ، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وان وجود ذات الله خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات ، فلا يتصور عندهم أن يكون الله خلق غيره ، ولا أنه رب العالمين ، ولا أنه غني وما سواه فقير ، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق ، وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم ، لأنه أمر مبهم الأول : أن يقولوا : ان الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ، وان ذاتها أبدية أزلية ، حتى ذوات الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والحركات ،

والسكنات ، وان وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها وجود الحق ، وذواتها ليست ذات الحق يفرقون بين الوجود والثبوت ، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك ، ويقولون : ان الله سبحانه لم يعط أحداً شيئاً ، ولا أغنى أحداً ، ولا أسعده ، ولا أشقاه ، وانما وجوده فاض على الذوات ، فلا تحمد إلا نفسك ، ولا تذم إلا نفسك . ويقولون: إن هذا هو سر القدر ، وان الله تعالى إنما علم الأشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم ، خارجاً عن نفسه المقدسة ، ويقولون : ان الله تعالى لا يقدر أن يغير ذرة من العالم ، وأنهم قد يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم ، وعلم الله تعالى من معدن واحد ، وأنهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه ، لأنهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسل ، ويقولون : إنهم لم يعبدوا غير الله ، ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى ، وان عباد الاصنام ماعبدوا إلا الله سبحانه ، وان قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) الاسراء: ٢٣ بمعنى حكم ، لا بمعنى أمر ، فما عبد غير الله في كل معبود ، فان الله تعالى ماقضى بشيء إلا وقع ، ويقولون : إن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو ؛ فانه ما عدم من البداية فيدعى الى الغاية ، وان قوم نوح قالوا : لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ، لأنهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منهم ، لأن للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، وينكره من أنكره ، وان التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة ، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية ، وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد ، فان الجاهل يقول : هذا حجر وشجر ، والعارف يقول : هذا مجلى إلهي ، ينبغي تعظيمه ، فلا تقتصر ، وان

النصارى إنما كفروا ، لأنهم خصصوا ، وان عباد الأصنام ما أخطؤوا إلا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر ، والعارف يعبد كل شيء ، والله أيضاً يعبد كل شيء ، لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والاحكام ، وهو غذاؤها بالوجود وهو فقير اليها ، وهي فقيرة اليه ، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى . ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة واضافة بين الوجود والثبوت ، وليست إلا أموراً عدمية . ويقولون : من أسمائه الحسنى (العلي) .عن ماذا وماثم الا هو ؟ وعلى ماذا وما ثم غيره ؟ فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو ، وما نكح الا نفسه ، وما ذبح سوى نفسه ، والمتكلم هو عين المستمع ، وان موسى إنما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه . وإن موسى كان أوسع في العلم ، فعلم أنهم لم يعبدوا إلا الله ، وأن أعلى ماعبد الهوى ، وأن كل من اتخذ إلهه هواه ، فما عبد إلا الله ، وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين ، وقد صدقه السحرة في قوله (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ وفي قوله : (ما علمت لكم من إله غيري) القصص : ٣٨ وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء وأقول : إن حقيقة امرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الصانع حتى حدثني بعض الثقات عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون : نحن على قول فرعون ، وهذه المعاني كلها هي قول صاحب « الفصوص » والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه ، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الاحياء منهم والأموات ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

والمقصود أن هذا حقيقة ماتضمنه كتاب « الفصوص » المضاف الى النبي ﷺ أنه جاء به ، وهو ما إذا فهمه المسلم ، علم بالاضطرار أن جميع

الأنبياء والمرسلين ، وجميع الأولياء والصالحين ، بل وجميع عوام أهـــل الملل من اليهود والنصارى والصابئين يبرؤون الى الله تعالى من بعض هذا القول ، فكيف منه كله ، ويعلم أن المشركين عباد الأوثان ، والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخـــالق البارىء المصور الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، ربهم ورب آبائهم الاولين ، رب المشرق والمغرب ، ولا يقول أحد منهم : إنه عين المخلوقات ، ولا نفس المصنوعات كما يقوله هؤلاء ، حتى إنهم يقولون لو زالت السموات والأرض زالت حقيقة الله ، وهذا مركب من أصلين ، أحدهما : أن المعدوم شيء ثابت في العدم ، كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة ، وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والإجماع . وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالقاضي أبي بكر ، كفر من يقول بهذا ، وإنما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالاشياء قبل كونها ، وأنها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ ، وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى ، فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء بعلمه القديم الأزلي ، وأنه سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها ، فيفرقون بين الوجود العلمي الكتابي وبين الوجود العيني الخارجي ، ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله ﷺ سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان مالم يعلم) العلق : ١ - ٥ فذكر المراتب الأربعة، وهي الوجود العيني الذي خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه ، ولهذا ذكر التعليم بالقلم ، فانه مستلزم للمراتب الثلاثة ، وهذا القول أعني قول من يقول : ان المعدوم شيء ثابت في نفسه ، خارج عن علم الله تعالى ، وان كان باطلا ، ودلالته واضحة ، لكنه قد ابتدع في

الاسلام من نحو أربعمائة سنة، وابن عربي وافق اصحابه، وهو أحد أصلي مذهبه الذي في «الفصوص».

والأصل الثاني أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق، ليس غيره ولا سواه، وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية، لكن ابن عربي[1] اقربهم الى الإسلام وأحسن، أما في مواضع كثيرة، فانه يفرق بين الظاهر والمظاهر، فيقر الأمر والنهي والشرائع على ماهي عليه، ويأمر في السلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكه، فينتفعون بذلك، وان كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله، وأما صاحبه الصدر الرومي، فإنه كان متفلسفاً، فهو أبعد عن الشريعة والاسلام، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول: كان شيخي القديم متروحنا متفسلفاً، والآخر فيلسوفاً متروحناً، يعني الصدر الرومي، فانه كان قد أخذ عنه، ولم يدرك ابن عربي، وهو في كتاب «مفتاح غيب الجمع والوجود» وغيره يقول: إن الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في الكائنات، فاذا تعين لم يقل: إنه هو، ويفرق بين المطلق والمعين، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين، والجسم المطلق والجسم المعين، والمطلق لايوجد في الخارج مطلقاً، لايوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة، فحقيقة قوله أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة، ولا ثبوت، إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات، ولهذا يقول هو وشيخه: إن الله تعالى لايرى أصلاً، وانه ليس في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده، تعالى الله عما يقولون.

---

(١) في الاصل: ابن العربي، وهو الطائي المعروف صاحب «الفصوص» و «الفتوحات المكية» والصواب تنكيره، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي صاحب «أحكام القرآن» و «العارضة».

وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم ، وأعمقهم في الكفر ، فانه لايفرق بين الوجود والثبوت ، كما يفرق ابن عربي ، ولا يفرق بين المطلق والمعين ، كما يفرق الرومي ، ولكن عنده ماثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه ، وأن العبد إنما يشهد السوى مادام محجوباً ، فاذا انكشف حجابه ، ورأى أنه ماثم غير ، يتبين له الأمر ، ولهذا كان يستحل جميع المحرمات ، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول : البنت والأم والأجنبية شيء واحد ، ليس في ذلك حرام علينا ، وانما هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم . وكان يقول : القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد في كلامنا ، وكان يقول : أنا ماأمسك بشريعة واحدة . واذا أحسن القول يقول : القرآن يوصل الى الجنة ، وكلامنا يوصل الى الله تعالى ، وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذي له ، وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء ، وشعره في صناعة الشعر جيد ، ولكنه كما قيل : لحم خنزير في طبق صيني ، وصنف للنصيرية عقيدة ، وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر ، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه . وأما ابن سبعين ، فانه في البدء والاحاطة يقول أيضاً بوحدة الوجود ، وأنه مائم غير ، وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك ، لكن لم يصرح ، هل يقول بمثل قول التلمساني ، أو قول الرومي ، أو قول ابن عربي ، وهو الى كلام التلمساني أقرب ، لكن مارأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني ، وآخر يقال له : البلناني من مشايخ شيراز ، ومن أشعارهم .

وفي كل شيء له آية ندل على أنه عينه

وأيضـــاً

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائق

وأيضـــاً

وتلتذ إن مرت على جسدي يدي لأني في التحقيق لست سواكم

وأيضـــاً

ما بال عينك لا يقر قرارها وإلام ظلك لا يني متنقـــلا

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا اليـــك اذا بلغت المنزلا

وأيضـــاً

ما الأمر الا نسق واحـــد مافيه من حمـــد ولا ذم

وانما العادة قد خصصت والطبع والشارع بالحكـــم

وأيضـــاً

ياعاذلي أنت تنهاني وتأمرني والوجد أصدق نهاء وأمّار

فان أطعك وأعص الوجد نلت عمى عن العيان الى أوهام أخبار

فعين ما أنت تدعوني اليه اذا حققته تره المنهي ياجـــار

أيضـــاً

وما البحر الا الموج لا شيء غيره وان فرقته كثرة المتعدد

الى أمثال هذه الأشعار ، وفي النثر مالا يحصى ، ويوهمون الجهال أنهم مشايخ الإسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة ، مثل سعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، ومالك

ابن انس، والأوزاعي ، وابراهيم بن أدهم ، وسفيان الثوري ، والفضيل بن عياض ، ومعروف الكرخي ، والشافعي ، وأبي سليمان الداراني ، وأحمد ابن حنبل ، وبشر الحافي ، وعبد الله بن المبارك ، وشقيق البلخي ، ومن لايحصى كثرة ، الى مثل المتأخرين ، مثل الجنيد بن محمد القواريري ، وسهل ابن عبد الله التستري ، وعمرو بن عثمان المكي ، ومن بعدهم الى أبي طالب المكي . الى مثل الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، والشيخ عدي ، والشيخ أبي البيان ، والشيخ أبي مدين ، والشيخ عقيل ، والشيخ أبي الوفاء ، والشيخ رسلان ، والشيخ عبدالرحيم ، والشيخ عبد الله اليونيني ، والشيخ القرشي ، وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز ، والشام ، والعراق ، ومصر ، والمغرب ، وخراسان ، من الأولين والآخرين ، كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم ، فان الله سبحانه وتعالى ليس هو خلقه ، ولا جزءاً من خلقه ، ولا صفة لخلقه ، بل هو سبحانه متميز بنفسه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية ، من التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والقرآن ، وعليه فطر الله تعالى عباده ، وعلى ذلك دلت العقول ، وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار ، واندراس شريعة الاسلام ، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله ، فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم ، أما على رأي صاحب « الفصوص » فان بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم ، لعظم ذاته الثابتة في العدم ، وأما على رأي الرومي ، فان بعض المتعينات يكون أكبر ، فان بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض ، وأما على رأي البقية ، فالكل أجزاء منه ، وبعض الاجزاء أكبر من بعض ، فالدجال عند

هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين، وأكبر من الرسل بعد نبينا محمد ﷺ، وإبراهيم، وموسى وعيسى عليهم السلام، فموسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبية، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى - الذي قيل فيه إنه الله تعالى، وهو بريء من ذلك - على مسيح الضلالة الذي قال: إنه الله، ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي ﷺ قال: « إنه أعور »[1] وكونه قال: « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » وابن الخطيب أنكر أن يكون النبي ﷺ قال هذا، لأن ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال، أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور. فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية، وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى الحلولية، ظهر سر دلالة النبي ﷺ لأمته بهذه العلامة، فانه بعث رحمة للعالمين، فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور الرب في البشر، أو يقول: إنه هو البشر، كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلاً على انتفاء الالهية عنه. وقد خاطبني قديماً شخص من خيار أصحابنا كان يميل إلى الاتحاد ثم تاب منه، وذكر هذا الحديث، فبينت له وجهه، وجاء الينا شخص كان يقول: إنه خاتم الأولياء، فزعم أن الحلاج لما قال: أنا الحق، كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، وأن الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي ﷺ، كان من هذا الباب، فبينت له فساد هذا، وأنه لو كان كذلك، كان الصحابة بمنزل موسى بن عمران، وكان من خاطبه من هؤلاء أعظم من موسى، لأن موسى سمع الكلام الإلهي من الشجرة، وهؤلاء يسمعون من الحي الناطق، وهذا يقوله قوم من الاتحادية، لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذي يذهب إليه الفاجر التلمساني وذووه، وبين الاتحاد المعين الذي يذهب اليه النصارى والغالية، وقد كان سلف

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود ، كما قال عبد الله بن المبارك ، والبخاري ، وغيرهما ، وانما كانوا يلوحون تلويحاً ، وقل أن كانوا يصرحون بأن ذاته في كل مكان . وأما هؤلاء الاتحادية فانهم أخبث وأكفر من أولئك الجهمية ، ولكن السلف والأئمة أعلم بالاسلام وبحقائقه ، فان كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى ، فلما اطلع السلف على سر القول ، نفروا منه ، وهذا كما قال بعض الناس : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء ، وذلك لأن متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد ، فهو يصف ربه بصفات العدم والموت . وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد ، والقلب لا يقصد إلا موجوداً ، لا معدوماً ، فيحتاج أن يعبد المخلوقات ، إما الوجود المطلق ، وإما بعض المظاهر ، كالشمس ، والقمر ، والبشر ، والأوثان ، وغير ذلك ، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم ويعم ، ولا يوحدون الله سبحانه وتعالى ، وانما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات ، فهم بربهم يعدلون . ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب الى الهند ، وقال : إن ارض الإسلام لا تسعه ، لأن الهند مشركون يعبدون كل شيء ، حتى النبات ، والحيوان ، وهذا حقيقة قول الاتحادية . وأعرف ناساً لهم اشتغال في الفلسفة والكلام ، وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية ، فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا : ليس بكذا ، ليس بكذا ، ووصفوه بأنه ليس هو المخلوقات ، كما يقوله المسلمون ، لكن يجحدون صفات الاثبات التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، واذا صار لأحدهم ذوق ، ووجد له تأله ، وسلك طريق الاتحادية وقال : إنه هو الموجودات

كلها ، فاذا قيل له : إن ذلك النفي من هذا الاثبات ؟ قال ذلك عقدي ، وهذا ذوقي ، فيقال لهذا الضال : كل ذوق ووجد لايطابق الاعتقاد ، فأحدهما أو كلاهما باطل ، وإنما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات ، فان علم القلب وحاله متلازمان ، فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والحال ، ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين أمروا بعبادة الله وحده لاشريك له ، ووصفوه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله ، واتبعوا طريق السابقين الأولين ، لسلكوا طريق الهدى ، ووجدوا برد اليقين ، وقرة العين ، فان الامر كما قال بعض الناس : إن الرسل جاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، والصابئة المعطلة جاؤوا بنفي مفصل ، واثبات مجمل . فالقرآن مملوء من قوله تعالى : (إن الله بكل شيء عليم) العنكبوت : ٦٢ و (على كل شيء قدير) الملك : ١ و (إن الله سميع بصير) الحج : ٧٥ (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) غافر : ٧ ، وفي النفي (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ (ولم يكن له كفواً أحد) الصمد : ٤ (هل تعلم له سمياً) مريم : ٦٥ (سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين) الصافات : ١٨٠ ، ١٨١ انتهى المقصود منه . ونقل الحافظ الحجة شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » عن العلامة سيف الدين عبد اللطيف بن عبد الله السعودي الحنفي أنه رفع سؤالاً الى العلماء على رأس القرن السابع عن كتاب « الفصوص » لابن عربي ، ونصه : ماتقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، عن كتاب بين أظهر الناس ، زعم مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس باذن النبي صلى الله عليه وسلم في منام زعم أنه رآه ، وأكثر كتابه ضد لما أنزل الله من كتبه المنزلة ، وعكس وضد عن

عن قول أنبياء الله المرسلة ؛ فمما قال فيه : إن آدم عليه السلام إنما سمي انساناً لأنه الحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر . وقال في موضع آخر : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه . وقال في قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، لجهلوا من الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء ؛ ثم قال : فان للحق في كل معبود وجهاً ؛ يعرفه من عرفه ؛ ويجهله من جهله ؛ فالعالم يعلم من عبد ، وفي أي صورة ظهر ؛ حتى العبد ؛ وإن التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة ؛ ثم قال في قوم هود عليه السلام : إنهم حصلوا في عين القرب ؛ فزال مسمى جهنم في حقهم ؛ ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة ؛ وانما أخذوه بما استحقت حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها ؛ وكانوا على صراط الرب المستقيم ؛ ثم انه أنكر فيه حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد ؛ فهل يكفر من يصدقه في ذلك ، أو يرضى به منه ، أم لا ؟ وهل يأثم سامعه إذا كان بالغاً عاقلاً ولم ينكره بلسانه ؛ أو بقلبه ؟ أفتونا بالوضوح والبيان كما أخذ الميثاق والتبيان ؛ فقد أضر الاهمال بالضعفاء والجهال ، وبالله المستعان ؛ وعلى الله الاتكال ، أن يعجل للملحدين النكال اصلاح الحال ، وحسم مادة الضلال . فأجاب عن هذا السؤال جهابذة الاسلام والعلماء الأعلام ، كالشمس محمد بن يوسف الجزري ، والحافظ الحجة سعد الدين الحارثي ، والشيخ نور الدين البكري ، والزواوي المالكي ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، والامام نجم الدين محمد بن عقيل البالسي ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بأجوبة طويلة كافية شافية ، ذكرها السخاوي رحمه الله ، وتركناذكرها اختصاراً . ثم قال السخاوي رحمه الله تعالى : قرأت له ،

يعني السيف السعودي مصنفاً أفادنيه العلامة مفخر الزمان الأمين أبو زكريا الأقصرائي الحنفي ؛ فسح الله في أجله، وهو بخط أحمد بن آقش الشبلي، جمعه السيف في شهور سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وسماه « بيان حكم مافي « الفصوص » من الاعتقادات المفسودة، والاعتقادات الباطلة المردودة» التي من اعتقدها كفر ، ومن لم ينكرها أثم وخسر ، والاستدلال لصحة ذلك بالكتاب والسنة الواضحة عنه اهل المعرفة والفطنة ، ونسخ فتاوى أهل العلم والأئمة من أهل المراتب والحلم على اختلاف مذاهبهم ، واتفاق مطالبهم ، لنصرة دين الله ، واتباع رسوله الخاتم ، فمن خالفهم بعد ذلك فهو بالمخالفة ضال ظالم ، وافتتحه بقصيدتين من نظمه ، قافية الاولى على الهاء المكسورة ، مطلعها :

عجبت لمنكر إنكار قوم على منشي «الفصوص» ومفتريه

وهي تسعة وعشرون بيتاً ، والثانية أولها

فرض علينا اتباع نبينا بحقيقة منا وحكم جازم

وذكرها وهي سبعة وأربعون بيتاً . ثم قال : وهذه قصيدة ثالثة أوردها الناظم أثناء كتابه . وقال : إنه لقبها بـ « جلاء الفصوص على فهم كل تقي مخصوص » فقدمتها هنا .

تغني المخابر دون شرح كلامه في وصف جرأته وفي إقدامه

من يستبيح بأن يقول تعمداً كذباً على الهادي بزور منامه

أقواله تنبي اللبيب بأنه كذب بلا شك لسوء مرامه

لولا الحليم بحلمه عم الورى　　فضلا وجوداً ذاك من إنعامه
لاندكت الاجبال مما قاله　　في حق منشيه وفي علامـــه
اذ قال فيه إنه هو خلقه　　والخلق يشمل ذكر كل هوامه
ويراه صورة كل شيء قد بدا　　وعيونه ووجود وصف قوامه
وهو المنعّم باللاذ وضدها　　يتألم الوجدانـ من إيلامه
ويقول نحن غذاؤه بالحكم هل　　صمد يكون له غذاً كطعامه
ما كل ماقد قال يمكن شرحه　　لقبيح مفهوم وثبت حرامه
جل المقدس والمعظم دائماً　　عن كل فهم جل عن إعظامه
هي فتنة للامتحانـ بلية　　لبيان دين القوم عند كلامه
فالمؤمنون المتقون تراهم　　قاموا انتصر الدين حق قيامه
غضبوا فلما يرضهم إنكاره　　بالقول فيه كلائم لغلامه
لكنهم لو مكنوا لرأيتهم　　كلا مكان القول ضرب حسامه
للملحدين الزاعمين لوحده　　فيها استباح القول نص حرامه
وعبادة الأصنام عرفان لهم　　وبذاك كل سل من إسلامه
سجدوا بما زعموا وإذ لم يسجدوا　　مع كل ذي شرك لدى أصنامه
قاموا بكفر الكافرين بأسرهم　　قصداً وعقداً ثم في إبرامه

ومصدق لهمُ بحكم مثلهم وسط الضلالة باتباع إمامه
قد حاز كل الاثم ممن قد مضى وله مزيد الكفل مع آثامه
هذا نصيب رئيسهم وإمامهم في الورد إذ وردوا على أقدامه
من قال في أعداء نوح إنهم كانوا على حق وجوب لزامه
ولو استجابوا تاركي أصنامهم جهلوا حقائق فيه حق تمامه
من قال في عـــاد بأنهم ثووا في عين قرب وسط دار سلامه
سلكوا الصراط المستقيم بجرمهم وبه استحقوا الجود من إكرامه
ما نيلهم للقرب منه منة لكنه حق يرى بقيامه
من قال في حق الخليل بأنه لم يدر تعبيراً لحلم منامه
من بعد حصر صفات ذات قدست إثبات مالم يرتقي لمرامه
فأراد يذبح إبنه بتوهم ففداه رب العرش من أوهامه
من قال في اسماعيل مرضيّ له وكذاك مرضيّ جميع أنامه
هذا الكلام جميعه متناقض في الحكم معناه لدى فهّامه
من قال في فرعون ما قد قاله فهو البريء لديه من إجرامه
ويقول مات مطهراً في وقته من كفره حكماً ومن آثامه
علم المجهول بحكم مالم يبده موسى الرسول المصطفى لكلامه

وكذا النبيّ المصطفى لم يبده ... بمقالة للنـــاس في إفهامـــه

من قال في موسى الكليم بأنه ... لما بـــدا بعتابـــه وخصامه

لأخيه هارون النبي معنفاً ... لمْ لا اتسعت وذاك من إفهامه

إن العبادة صادفت من قومه ... في العجل عين الحق في اقسامه

لو كان ذلك لم يحرّق عجلهم ... وبنفسه في اليم محو نظامـــه

من قال في أيوب جهل صبره ... اذ لم يعجل باشتكاء سقامـــه

من قال ان عذاب خلد ذوقه ... كنعيم خلد لذ في إلمامه

في حق كل الكافرين بأسرهم ... والفرق رأي العين وصف قيامه

فعسى يكون نصيبه ماقاله ... من وهمه يلقاه بعد حمامـــه

فيرى خلاف فساد وهم ظنونه ... نزع الشوى منه وحطم عظامه

من جهّل الرسل الكرام بأسرهم ... بمقاله فيهم وسوء مســـامه

فشهادتاه[1] هو الخداع وهكذا ... حكم الصلاة وحكم وصف قيامه

يحمي به النفس الخبيثة خائفاً ... من قتلها كفراً لدى حكامه

جهل الشرائع والحقائق كلها ... هلك الذي والاه باستسلامه

خاب المقلد غير معصوم وقد ... أبدى خلاف الحق في إيهامه

من كان متبع الرسول فحكمه ... فيه كمعصوم لفضل إمامـــه

---

(١) في الاصل . فشهادتيه . وهو خطأ . والصواب ماأثبتناه .

من صد عنـــه مخالفاً بتعمد أصمـاه راميه بوقع سهامــه

إبليس قوس الرمي هذا وصفه وسهامه الأقوال من إلزامه

من نقص المختار ضل عن الهدى في قوله فيه بنقض ختامه

ومقاله في إستقم لم يدر مـــا منه المراد فشاب من إبهامه

ماشك قط المصطفى في قوبه وبسر عصمته علو مقامــه

فيقول شاب لأنه لم يدر هل قول استقم في الامر من اقسامه

ويقول في غير النبيّ بأنـــه ساوى الا آلـه بعلمه لدوامه

في حكم أقدار عليه مفصلا أبداً يحقق ذاك في أحكامه

من يستحق سواه ما قد قاله في تابع إن صح من خدامه

من جهّل الصدّيق فيما قاله من عجز إدراك لعظم مرامه

هل بعد جملة ماذكرت ضلالة قد عم ظلمة من مضى بظلامه

أقوال ضد للشرائع كلها ومخالف العلام في إعلامــه

فعليه من غضب الاله بعلمه مايستحق بظنــه وكلامه

وعلى مصدّقه ومن يرضى به أبداً يجدد مع مـــدى أيامه

واغفر لناظمها وكـــل موفق لبيان وجــه الحق باستلزامه

عبد اللطيف مراده في وضعها تبيان لبس القول في إعجامه

لزوال وهم تخيل عن فهم من ... قد صد ظناً منه في إحجامه

لتابع الحق المبين بلا امترا ... فينال فضل الجود من قسامه

فيها نصيحة كل بر صالـــح ... وعداوة المفتون مع اغمامه

وشفاء صدر سالم من غله ... ومزيد ذي الإصمام من اصمامه

من صد عنها معرضاً متعللا ... متوقفاً بالوهم مع أخصامـه

دع مايقول و تابع الهادي الذي ... تهدى به وتحل بين خيامـــه

فتصير مع أهل الخيام برملة ... وتنال منه حقيقة لذمامـــه

فيها النجاة لكل عبد مسلم ... فعليه من ربي دوام سلامـة

وعلى النبي وآله مع صحبه (١) ... علماء أصل الدين عقد نظامه

والحمد لله العظيم ختامها ... حمداً وشكراً فهو في إلهامه

حمداً بدا من جوده أجزاؤه ... وعليه بالإفضال حكم تمامه

فيه الوصول لواصل لمراده ... وبه تمسك واتقى بعصامه

ثم قال الناظم : تمت الابيات مختصرة المعاني ، صحيحة المباني ، متضمنة اعتقاده ، ومبينة لكل لبيب فساده بذكر مازعمه وأراده . فلنورد مقدمات الفتاوى مع بيان ماأوجب ذلك من الكتاب والسنة بما هـــو ظاهر لذوي البصائر والفطنة ، ثم أجوبة العلماء التابعين لخاتم الانبياء بتكفير صاحب « الفصوص » والمصدق له فيما أورده من مخالفة النصوص ، وتحذير من لم

---

(١) في الاصل : وعلى نبيه مع آله وصحبه . ولا يستقيم به الوزن

ينكره من الوقوع في المخالفة والمحنة . وبيان أنه بمن أخطأ طريق الجنة الا إن كان غير عالم بما وجب عليه ، وندب من الله ورسوله إليـــه من القيام بالإنكار ، وابداء المداوة لأعداء الله الفجار ، قال : وكان الواجب لأخذ هـــذه الفتاوى ماقرره النبي ﷺ مما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعاً « الدين النصيحة » قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » فمفهوم مضمون هذا الحديث أنه لايحل لمسلم يسمع في حق الله مالا يليق بكماله ، وعظمته وجلاله ، أو يسمع من يلحد في آياته ، ويخوض في معاني كتابه العزيز بباطل تأويلاته ، ويحرفه عن مواضعه ، أو يخرجه في الاحـكام عن مواقعه ، كتحليل حرامه ، أو تحريم حلاله ، أو تغيير كلامه ، أو مناقضة شيء من أحـــكامه ، أو يسمع من ينتقص رسله الكرام ، أو يرد قولاً من أقوال نبيه عليه السلام ، أو يغض من قدره بصريح لفظ معلوم ، أو بتلويح مشعر بذلك لأرباب الفهوم ، ثم يسكت ان أمكنه الكلام ؛ أو يرضى به أحد من الأنام إن وسعه السكوت . والنصيحة لأئمة المسلمين مفهومة بالمناصحة في الدين ، وإعانتهم على مصالح المسلمين . وأمـــا النصيحة لعامتهم فبما يأمرهم بـه من المعروف ، وينهاهم عن المنكر ، والمساعدة والعون بما تصل إليـه القدرة بما حض الله ورسوله عليه ، ودفع ضرر الأديان أهم ، وهـو في النفع أخص ، وفي بذل النصيحة أعم ، ويؤيد المقصود في هـــذا المعنى مارواه مسلم في « صحيحه » أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ، قال « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من امته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعـــدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهـدهم بيده فهو

مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ؟ وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ، وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج : ٧٨ الاية . فقد ثبت وتعين وجوب الجهاد على أهل الإيمان في كل زمان ومكان ، وبذل الاجتهاد طلباً لرضوان رب العباد ، ولا يصح لك شاهد الاجتباء ,لا بوجود الغضب لله ، والمجاهدة في سبيله ديناً ومذهباً ، لكونه صار في الذمة حتماً مرتباً ، وقال عز من قائل :(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) المجادلة : ٢٢ الاية . وقد علمنا أن الله سبحانه وتعالى قد شرط في صحة الإيمان به الكفر بالطاغوت ، لقوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) البقرة : ٢٥٦ فصار الكفر بالطاغوت شرطاً في صحة الإيمان بالله واجباً لا يمكن وجود الايمان الا بوجوده ، وصاحب «الفصوص» زعم في التوحيد أن ترك عبادة الأصنام جهل ، وذا كاف لمن رد عليه ، والسلام . وهذا هو الموجب للقيام ، وأخذ الفتاوي ليرتدع المشاقق والمناوي ، بعد أن رأيت من يعتقد صحة مقاله ، ويزعم أنه حق ؛ فبادرت لبيان ضلاله ، وإثبات محاله ، فإن في قوله ذلك عدة أنواع من الكفر لمن ميزه واعتبره ، وأبدا ماأظهره خفي ماأضمره ، من رده نص محكم الكتاب ، وتصويبه الكفر السريع الانقلاب ، وتمييزه من تعاطاه على من أنكره . وقد ثبت في الاحكام ، وشاع فهمه بين الأنام أنه ماعبد الأصنام إلا أجهل الخلق اللئام ، ولا أنكره عليهم الا أفضل الخلق ، وأعلمهم بالله ، أعني : الرسل الكرام ، والانبياء عليهم الصلاة والسلام . فانظر الى هذا الإقدام ، والتجريء على الله بما يخالف ملة الاسلام بل سائر الملل عند ذي الأفهام ... الى أن قال بعد خطبة الكتاب : ولما

كملت المائة السادسة من الهجرة ظهرت مبادىء تلك الفترة بظهور من ينسب إلى العلم والتصوف ممن أعطي في ألفاظه نوعاً من التصرف ، لاكتسابه العلوم الفلسفية والطبيعية وغيرهما من العلوم التي لا يرجى خيرها ، فتولد من هذه المركبات في الذهن عبارات ، وانواع إشارات بلسان يستغرب ، وعند غير العارف الذكي تستعذب ، وهي فاسدة المعاني ،واهية المباني ،مخالفة لظواهر النصوص ، معاكسة لقول كل نبي مخصوص ، مع تحريفه تأويل ما يعتضد به من المنقول على حكم اعتقاده في الوحـــدة ، أو الاتحاد والحلول ، وتزايد به الأمر حتى أقدم على المضادة ، وأظهر المخالفة والمعاندة بمـــا وضعه في كتاب « الفصوص » المشارك لـــه في وضـــعه إبليس ، قصـداً للتدليس ، واظهاراً للتلبيس ، فأظهر الله بالتحقيق ذلك لذوي التوفيق ، فمن أعظم تحيلاته ، وكذبه على الله ، وافترائه ، مازعمه في مقدمة الكتاب المذكور من البهتان والزور حيث قال : إنه رأى النبي ﷺ في المنام ، وبيده كتاب ، فقال له : هذا كتاب « فصوص الحكم » خذه وأخرجه إلى الناس ينتفعون به ، وأنه أخرجه كما حده له النبي صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان . فانظر الى هذا الخلل ، وظهور دلائل الزلل ، وذلك أنه زعم أنه ناوله اياه وسماه له ، ولم يقل : قرأته عليـــه ، ولا انتبهت فوجدته في يدي ، فكيف عرف حده وكل مافيه من قول ومعنى ، من نظم ونثر ، واستدلال بعلوم فلسفية وطبيعية وهندسية من العلوم التي لا تنسب إلى الحضرة المحمدية ، وما فيها من الشعر ، فلا ينسب الى نبي ، ولا ملك ، ولا الى حضرة إلهية من مبادىء تجليات الحق سبحانه في المنام ولا غيره ، هذا إذا كان الشعر والكلام موافقاً لما جاءت به الرسل الكرام ، فظهرت دلائل كذبه فيما جعله لدفع الشبهة عنه من أقوى سببه ليلفت به اليه العوام ، ويصغي نحوه أهل البلادة بالايهام ، فيحصل منهم عنه

فيما ينكرونه عليه الإحجام . وكان أول منكر بدأ بالانكار عليه ، وثبت كفره وكذبه لديه ، شيخ الاسلام ، ومفتي الانام عز الدين بن عبد السلام ، مع أنه ما اتصل بنا أنه وقف على كتاب « الفصوص » ومخالفته فيه لصريح أحكام الله في النصوص ، بل ذلك بما بلغه من فاسد أقواله ، وثبت عنده من مخالفة طرق أهل الحق في انتحاله . ثم تابعه في الانكار ، الشيخ الامام ، بركة الاسلام ، القطب القسطلاني تغمده الله برحمته ، وأسكنه أعالي غرف جنته ، وحذر الناس من تصديقه ، وبين في مصنفاته فساد قاعدته ، وضلال طريقه في كتاب سماه بـ « الارتباط » ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ثم الشيخ الصالح العارف ، المحقق برهان الدين الجعبري ، قدس الله روحه بما نقلته عنه العدول ، بما هو مذكور عنه ومنقول ، ثم بعد ذلك تواتر الانكار من الصلحاء العباد ، والاتقياء الزهاد ، وأهل الورع من الأفراد ، مما لا سبيل لحصرهم ، ولا تفصيل ذكرهم ، إلى أن أقام الله في ذلك من أقام ، ونبه عليه الخاص والعام ، وأذهب عن المنكرين ببيانه الاحجام ، وأزال بتبيانه الشبهة عن الأوهام ، واستضاء اهل البصائر من أولي التوفيق بنور القرآن ، إذ علموا أن به يتضح الفرقان ، وان صحيح الأحاديث النبوية عمدة أهل العرفان ، وتحققوا أن من خالف الكتاب والسنة ، فقوله مردود ، وهو عن جناب الحق مبعود ، ومن صدقه ضل ، وعقد دينه بتصديقه انحل ، فنهضت عليه أنصار الحق من علماء الصدق بسيوف فتاويهم القاطعة ، وأنوار أدلتهم الساطعة لما سمعوا منادي الإسلام ينادي : الصلاة جامعة ، بصحيح عقد جازم للقيام بوجوب فرض لازم ، نصيحة لرب العالمين ، ونصرة لكتابه المبين ، وتأييداً لدينه الذي ارتضاه وأظهره على كل دين ، وانتصاراً لرسله الكرام وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، من كيد إلحاد الملحدين ، ممن جعل

الكفر إيماناً ، والجهل عرفاناً ، والشرك توحيداً ، والعصيان طاعــة ، لايستحق العاصي عليه وعيداً ، ولم يفرق بين عباده الصنم والصمد ، بل عنده من سجد للصنم أعلى ممن كفر به وجحد ، فأصاب العلماء المفتون ، واستجابوا لداعي الحق بالصــدق وهم منتصرون . ثم إني خشيت نسيان أقوال أهل الإرشاد واستمرار ماتقدم وصفه بين أظهر المسلمين من الفساد ، فاستخرت الله في كتابة فتيا متضمنة لنبذة من كلامه ، منبئة عن مفهوم معتقده الفاسد ومرامه ، ليشملها خطوط العلماء السادة الذين أورثهم الله بالعلم الخشية فاغتبطوا بالافادة ، فأسرعوا بالبيان والإيضاح والتبيان ، قياماً بما أخذ عليهم من الميثاق في بيانه للناس ، وهو في كل زمان فرض باق ، وكتب عليها كل من راقب الله وخشيه ، وامتنع من التنبه مخافة غــيره وخشيه ، فالكاتب قد قام لله بلوازم فرضه ، والممتنع مسؤول عن ذلك يوم عرضه ، بل زعم أنه ترك ذلك خوف الفتنة من المخالفين ، فتلك محنة في الدين ، وكفى بالله رقيباً ، وعلى كل شيء حسيباً ، وهو الغني بعلمه ،المحيط عن أخبار المخبرين ، المطلع على سرائر الصامتين ، وضمائر المجيبين ، ثم كتب السؤال الماضي ذكره ، وساق ألفاظ المجيبين ، وهم : ابن جماعــة الحارثي والجزري والكناني والبكري والزواوي والبالسي وقال : ولما تمت الفتاوى المذكورة ، المرقومة المسطورة ، قال لي بعض الفضلاء ، الذين يقولون الحق ، ويعتمدون الصدق في النصح بين الخلق : لم لاسألت التقي ابن تيمية ، فإن غيرته في دين الله قوية ، ومعرفته بأقوال المبدعين وفية ؟ . فقلت له : إنهم يزعمون أنه لهم غريماً ، وبعاداتهم في دين الله موسوماً ، فقال : العالم لا يستخصم ، والحاكم العادل لا يستظلم ، والمفتي لا يكتب بقلمه إلا ما يعتقد فيه بالكتاب والسنة ، بعد أن يعرض نفسه على النار والجنة ، ويعلم

أنه مسؤول عما كتب ، إما في الدنيا من ذوي الحكم وأرباب الرتب ، أو في الآخرة من الرب العظيم الذي يخشى ويرتقب ، في يوم تجثو فيه الأمم على الركب ، فبان لي وجه الصواب في قول القائـــل ، وأض عن تأويل الم رض الجاهل ، وأرسلت إليه . فبادر بالجواب ، ورفع الله عن قلبه في ذلك كل حجاب ، وما راعى غير الله فيما علم ، ولا أبقى ممكناً فيما إظهاره لزم ، ثم أورد الجواب ، بفيه طول تركناه اختصاراً ، ودعا له بالتأييد فيما يرومه من إظهار الحق للحق بالحق في الخلق ، ويقصده من قيامه ونصرته ، فإنه أشفى وما اشتفى ، وكف مظاهر الملحدين وما اكتفى ، فإن الغضب إذا كان لله لايزول مده إلا بزوال موجبـــه ، ولكن المرجو من الله استئصال أهله وكتبه ، ثم ساق السيف عن أبي جعفر الطحاوي قوله في عقيدته المشهورة: إن الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لايزال عليها أبدياً ، ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا بإحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محيي الموتى بعد ماأحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، وكذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لايحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير . فهذا فصل من عقائد المسلمين يتضمن بمعانيها ومفهوم ألفاظها ضده قول صاحب « الفصوص » اللعين . ثم قال الطحاوي فيها : إنه من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فكيف بصاحب « الفصوص » القـــائل بأن الحق المنزه هو الخلق المشبه ، وأن العـــالم صورته وهويته ؟! إلى غير ذلك ممـــا تقدم . ثم قـــال الطحاوي : إن من رد حكم كتاب الله عز وجل ، فهو

من الكافرين ، وكم قد رد صاحب « الفصوص » من حكم الله من أصول الشرائع التي لاتنقض ولا تنسخ ، ككفر عباد الأصنام ، وضلال مخالفي الرسل ، وأنهم بمخالفتهم أعداء الله ، وأنهم أهل النار ، ولهم فيها الخزي والعذاب الشديد السرمد . وقال في الجنة والنار : إنهما واحد في الذوق ، وانما التغاير في اللون ، هذه خضراء ، وتلك سوداء أو حمراء ، وإن الطائع ، والعاصي ، والمؤمن ، والكافر ، الكل مرضيون مستحقون الوعد ، وما ثم وعيد أصلاً . وقد قال الطحاوي في العقيدة المشار اليها : إن الأمن واليأس ينقلان عن الملة ، وإن اعتقاد عدم حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب غاية الأمن ، ونهاية الكفر ، نسأل الله السلامة. ثم نقل السيف عن الأوسي الحنفي في تصنيف له في الأصول ، أن من تكلم بكلمة الكفر ، فضحك غيره ، واستحسن ، كفر ، وكذا من وصف الله بما لايليق به كفر ؛ ومن أنكر وعده أو وعيده كفر ، أو قال : الله في ست جهات ، أو قال : يوجد في كل مكان ، ومن عاب نبياً من الأنبياء ، أو صغر اسمه ، أو لم يرض بسنته ، أو سمع القول بأنه كان يحب القرع أو الحل ، فقال : أنا لاأحبه ، أو سخر بالشريعة ، أو بحكم من أحكامها ، أو قال : إن الخمر لم يثبت تحريمه بالقرآن ، أو صدق كلام أهل الأهواء ، أو قال : إنه كلام معنوي ، أوله معنى صحيح ، أو من يعرف أن الله يرحم الكافر ، أو الشيطان وأهل الأهواء ؛ فإنه يكفر بذلك كله ، فكيف بمن اعتقد ذلك في قوم نوح وقوم هود وفرعون ، وجعل كل كافر ، وفاجر ، وفاسق ، وعاص عند ربه مرضياً ؟! فعلى قائل ذلك ومعتقده اللعنة إن مات على اعتقاد ماوضعه في كتابه المذكور ، ثم نقل عن القاضي عياض قوله في « الشفاء » : اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ ،

أو عابه ، أو ألحق به نقصاً في نفسه ، أو نسبه ، أو دينه ، أو خصلة من خصائله ، أو عرض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه والعيب له ، فهو ساب له ، والحكم فيه حكم الساب ، يقتل كما بينته ، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد ، ولا نمتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً . ونقل عن ابن عتاب أنه قال : الكتاب والسنة موجبان ، ان من قصد النبي ﷺ بأذى ، أو نقص ، معرضاً أو مصرحاً وان قل ، فقتله واجب . قال : وقد علمت تنقيص صاحب « الفصوص » للمرسلين والأنبياء تصريحاً لا تلويحاً ، وأورد من كلامه قوله : وأما العارفون بالأمر على ماهو عليه ، فيظهرون صورة الانكار لما عبد من الصور ، لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت بحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم ، الذي به سموا مؤمنين ، فهم عباد الوقت مع علمهم بأنهم ماعبدوا من تلك الصور أعيانها ، وانما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم ، وجهله المنكر الذي لاعلم له بما تجلى ، فيا أهل العلم والمتقين من أولي الفهم ، معلوم باجماع المسلمين من المتقدمين والمتأخرين ، واليهود والنصارى ، أن ماعبد الأصنام وغيرها من الأوثان على اختلاف أصناف ماعبدته الكفار الا أجهل الناس في كل زمان ، وما أنكره عليهم سوى المرسلين والأنبياء ، ومن تبعهم من الصديقين ، وصالح المؤمنين الموفقين ، وقد عمم هذا الضال بهذه المقالة تنقيص الجميع ، ونسبهم الى الجهل وعدم الفهم ، وأثبت لعباد الأصنام والأوثان الاصابة والمعرفة بالله ،

فعليه إن مات عليه وكان[1] معتقده لعنة الله وغضبه والناس أجمعين.

انتهى كلامه .

أقول : ماذكرناه عن هؤلاء الأئمة عن ابن عربي وأتباعه من الشناعات والكفريات ، قليل من كثير ، وغيض من فيض ، وينبغي أن تعلم أن ابن عربي ونحوه لايتجاسرون على إعلان هذه الكفريات ، وانما يدسونها دساً في كتبهم ، لأن الاسلام قد بقيت منه بقية ، والعلماء والسلاطين قائمون في نحر من يبدي شيئاً من هذه الضلالات ، ولما ضعف الاسلام ، وانحلت عراه ، واشتدت غربته ، صار هؤلاء الأبالسة[2] لا يتحاشون من إطلاق هذه الكفريات ، وصار كثير من الخواص وأكثر العوام يعتقدون فيهم أنهم صفوة الأولياء وخلاصة الاتقياء ، فلاتسأل عما أحدثه هؤلاء الطواغيت ، وان شئت فانظر كتاب « الانسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي ، ترى مافيه من الطامات ، والامور الفظيعة ، والقبائح الشنيعة ، فالله المستعان .

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

قالوا ولم يك كافراً في قوله   أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

أقول : قال ابن عربي في « الفصوص » لما كان فرعون في منصب الحكم صاحب السيف ، وإن جاز في العرف : الناموسي لذلك ، قال : أنا ربكم الأعلى ؛ أي : وان كان الكل أرباباً نسبة ما ، فأنا أعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له وقالوا (اقض ماأنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) طه : ٧٢ فصح قول

---

(١) في الاصل : كذا .

(٢) في الاصل : الابابسة ؛ والمعهود في كتب اللغة ان جمع ابليس أباليس ، وأبالسة.

فرعون : أنا ربكم الاعلى ، فكان فرعون عين الحق . وقد صنف الشيخ محمد سعيد الدواني المدني مصنفاً في إيمان فرعون متابعة لابن عربي ، وقد رد عليه العلامة الملا علي بن محمد القاري الهروي ، برسالة سماها « فر العون عن مدعي إيمان فرعون » أجاد فيها وأفاد ، جزاه الله خيراً . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في جراب له عن هؤلاء الوجودية بعد أن حكى عنهم القول بإيمان فرعون قال : وهذا القول كفر ، معلوم فساده بالاضطرار من دين الاسلام ، لم يسبق ابن عربي اليه فيما أعلم أحـــد من أهل القبلة ، ولا من اليهود ولا من النصارى ، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون ، وهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل ، فانه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والالهية مثل فرعون ، وأطال الكلام .

قوله : ولقد رأى ابليس عارفهم الخ . . لم أقف على اسم هذا العارف ولعله ابن عربي ، والله اعلم .

قوله : ثغرة الطعان . الثغرة : نقرة النحر بين الترقوتين ، قالـــه في « القاموس » وممن جاهد أتباع هؤلاء الملاعين حق الجهاد ، وبلغ جهده في قمع أهل الزندقة والالحاد ، العلامـة شرف الدين أبو محمد إسماعيل ابن أبي بكر بن عبد الله بن المقري الشافعي صاحب « عنوان الشرف » و « مختصر الحاوي » و « الروضة » وغيرهما من التصانيف البديعة ، فانه قام في تقبيح ابن عربي وأتباعه أتم قيام ، وصار ينظم القصائد الحسان في ذكر قبائح المنتمين إلى هذا المذهب ، والانتصار عليهم بالعلماء والسلطان ، وأفرد من « الفصوص » كراسة وقف عليها الفقهاء والعلماء ، وأكثر من النظم في ذلك نظماً رائقاً يرسخ بسماعه الايمان في قلوب المؤمنـــين ، وتنسجم به

عبرات المحبين لشرائع النبيين ، وتتزلزل به أقدام المبتدعـــين ، وانتشرت قصائده ، وظهرت بها فضائحه عند أهل تهامة وأهل الجبال ، اذ نقلت الى الامام علي بن صلاح بصنعاء ، ونظم بعض فقهاء الأشراف على نحو نظمه شكراً له وتحريضاً ، فشاع في الناس تكفير من يتدين بمذهب ابن عربي من الوصفية بـ : زبيد . وقال التقي الفاسي: انه حدثه من حال ابن عربي بما لم يبينه غيره ، لأن جماعة من صوفية زبيد أوهموا من ليس له كبير نباهة علو مرتبة ابن عربي ، ونفي العيب عن كلامه ، قال : وقد ذكر ذلك ابن المقري مع شيء من حال المتصوفة المشار اليهم في قصيدة طويلة من نظمه ، وهي على قافية الراء المكسورة ، وقد سماها ناظمها « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغـــة » وهي مائتان وثلاثة وأربعون بيتاً ، موجودة في ديوانه. وله قصيدة أخرى يحض فيها سلطان اليمن على نصر السنة ، وخذلان هذه الطائفة ، وهي احدى وأربعون بيتاً . وصنف رحمه الله تصنيفين في هذا المعنى ، سمى أحدهما « النصيحة » والآخر « الذريعة الى مكارم الشريعة » قال الحافظ السخاوي في « القول المنبي » وقد قال ابن المقري في الردة من كتاب « الروض » مختصر « الروضة » من تردد في تكفير اليهود والنصارى وابن عربي وطائفته فهو كافر ، وقد ترجم له ابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية » وقال بعد أن بالغ في مدحه : ناظر أتباع ابن عربي حتى عميت منهم الأبصار ، ودمغهم بما بلغ حجة في الافكار . انتهى

قوله: نص « الفصوص» هو كتاب لابن عربي الطائي المشهور ، وهو محمد بن علي بن محمد أبو بكر الحاتمي الطائي ، ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ، ونشأ بها ، وانتقل الى اشبيلية سنة ٥٧٨ [1] ثم ارتحل وطاف البلدان ،

---

(١) في الاصل : سنة ٧٨ ، ولعلها ٥٧٨ كما أثبتناه لان وفاته كانت سنة ٦٣٧

فطوف بلاد الشام ، والروم ، والمشرق ، ودخل بغداد ، وحدث بها بشيء من مصنفاته ، ولـه التآليف الكثيرة ، توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنه ٦٣٧ ثمان وثلاثين وستمائة بدمشق في دار القـاضي محي الدين بن الزكي ، وحمل الى قاسيون فدفن في تربته المعلومة ، وهو صاحب المقالات الشنيعة ، والكفريات الفظيعة ، أسـأل الله العافيـة . وقد صنف العلماء قديماً وحديثاً في الرد على « الفصوص » وصاحبه ، فمن ذلك كتاب « أشعة النصوص في هتك استار الفصوص » للشيخ الامام الأوحد أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين ، وكتاب « تسورات النصوص على تهورات الفصوص » للشيخ الامام شمس الدين محمد بن محمد العيزري تلميذ التاج السبكي ، والعلامة الملا علي بن محمد القاري ، والحافظ جمال الدين ابن الخياط اليمني ، والفقيه محمد بن علي المعروف بابن نور الدين الموزعي اليماني ، وغيرهم . وقال العلامة سيبويه زمانه ، جمـال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام الانصاري النحوي صاحب « المغني » و « التوضيح » وغـيرهما لما وقف على « الفصوص » ما نصـه :

هـذا الـذي بضـلاله ضلت أوائل مع أواخر
من ظن فيـه غير ذا فليناً عني فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ، ونقيض الحكم ، وضلال الأمم ، كتاب يعجز الذام عن وصفه ، وقد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيناً ، لأنه مخالف لما أرسـل به رسله ، وأنزل به كتبه ، وفطر عليه خليقته ، وذلك أني لما وقفت على هذا الكتاب ، وجدته قد عقد لكل نبي من الأنبياء فصاً ، فوقفت على فص

نوح عليه السلام ، فقال فيه : لو قال بدل قوله : (استغفروا ربكم انه كان غفاراً) الى آخر كلامه : ادعوا ربكم ليكشف لكم الحجاب ، لأجابوه. انتهى وقد أدرجه العيزري فيمن كفره . وذكر الحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » وهو مجلد عن الحافظ الجهبذ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي أنه قال بعد كلام حكاه عن ابن عربي بعد حكايته : أستغفر الله ، وحاكي الكفر ليس بكافر ، ثم حكى عن الذهبي كلامه في ابن عربي في « العبر » و« الميزان » . . . الى ان قال الذهبي : ومن أمعن النظر في « فصوص الحكم » وأنعم التأمل ، لاح له العجب ، فان الذكي إذا تأمل من ذلك الاقوال والنظائر والأشباه ؛ فهو أحد رجلين ؛ اما من الاتحادية في الباطن ؛ واما من المؤمنين بالله الذين يعدون هذه النحلة من أكفر الكفر . نسأل الله العافية ، وأن يكتب الايمان في قلوبنا ؛ وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فوالله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ؛ ويؤمن بالله واليوم الآخر ، خير له بكثير من هذا العرفان ، وهذه الحقائق ، ولو قرأ مائة كتاب ، أو عمل مائة خلوة . وقال الذهبي في ترجمة علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري من « تاريخه الكبير » بعد أن نقل كلاماً للسيف بن المجد فيه : رحم الله السيف بن المجد ، ورضي الله عنه ، فكيف لو رأى كلام الشيخ ابن عربي [١] الذي هو محض الكفر والزندقة ، لقال : ان هذا الدجال المنتظر ، ولكن كان ابن عربي منقبضاً عن الناس ، انما يجتمع به آحاد الاتحادية ، ولا يصرح بأمره لكل أحد ، ولم تشتهر كتبه الا بعد موته

---

(١) في الاصل : ابن العربي ، والصواب ابن عربي ، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي .

بدة . ولهذا تمادى أمره ، فلما كان على رأس السبعمائة ، جدد الله لهذه الأمة دينها بهتكه وفضيحته ، ودار بين العلماء كتابه « الفصوص » وقـــد حط عليه الشيخ القدوة الصالح ابراهيم بن معضاد الجعبري ، فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج البرنباري ، أنه سمع الشيخ ابراهيم يذكر ابن عـــربي قال : كان يقول بقدم العالم ، ولايحرم فرجاً ، وساقه الذهبي في موضع آخر عن الجعبري بغير اسناد . قلت : ورئيت في جواب لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى عن سؤال سئل فيه عن بيان حقيقة مذهب الاتحادية ، قال : حدثني تاج الدين البرنباري الفقيه المصري الفاضل ، أنه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول : رأيت ابن عربي شيخاً مخضوب اللحية ، وهو شيخ نجس ، يكفر بكل كتاب أنزله الله ، وبكل نبي ارسله الله ، قال : وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم أنـــه قال : كنت وأنا شاب بدمشق أسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسرو شاهي : إن كلاهما زنديق ، أو كلاماً هذا معناه . وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين البرنباري أنه سمع الشيخ العارف ابراهيم الجعبري يقول : رأيت في منامي ابن عربي ، وابن الفارض ، وهما شيخان أعميان ، يمشيان ويقرآن ، ويقولان : كيف الطريق ؟ أين الطريق؟ وحدثني شهاب الدين بن مري ، عن شرف الدين ابن الشيخ نجم الدين ابن الحكم عن أبيه أنه قال : قدمت دمشق ، فصادفت موت ابن عربي ، فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد ، فرأيتها لا تشبه جنائز الاولياء ، وقال : فعلمت ان هذه أونحو هذا ، وعن أبيه عن الشيخ عن اسماعيل الكوراني أنه كان يقول : ابن عربي شيطان . ونقل الذهبي عن القدوة العارف العلامـة شيخ الوقت ابراهيم الرقي أنه حذر من « الفصوص » وقال في موضع آخر : وممن حط عليه وحذر من كلامه الشيخ القدوة الولي ابراهيم الرقي . قال السخاوي :

ثم ظفرت في ترجمة محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحنبلي من « تاريخ الاسلام » نقلاً عن الرقي أنه قال في كلام ابن عربي ، وابن الفارض ، مثله ، مثل عسل أديف فيه سم ، فيستعمله الشخص ويستلذ بالعسل وحلاوته ، ولا يشعر بالسم ، فيسري فيه وهو لا يشعر ، فلا يزال فيه حتى يهلكه .
قال السخاوي : وكذا قال شيخنا المحب البغدادي الحنبلي فيما سمعه من البدر الدميري عن ابن الفارض أنه أخذ شهداً أدخل فيه سماً . قال السخاوي : أنبأني العز ابو محمد الحنفي رحمه الله عن الصلاح أبي الصفا خليل ابن إيبك الصفدي أنه سمع الحافظ ابن سيد الناس يقول : سمعت ابن دقيق العيد يقول : سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي فقال : شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً . انتهى . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : قال الفقيه أبو محمد بن عبد السلام لما قدم القاهرة وسألوه عنه فقال : هو شيخ سوء كذاب ، مقبوح ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً . وقال ابن مرزوق : حدثني غير واحد من أشياخنا عن شيخنا عز الدين بن عبد السلام أنه قال فيه : شيخ سوء كذاب ، وذكر ما سمعه مما يقتضي كذبه ، وأفتى هو وابن الحاجب بتكفيره . انتهى : قال السخاوي : أخبرناه باختصار أبو محمد اللخمي بمكة مشافهة . قال : أنبأ والدي أبو اسحق عن الحافظ ابي الفتح اليعمري فيما وجد بخطه قال : سمعت الامام الحافظ الزاهد العلامة أبا الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري يقول : سمعت شيخنا الامام أبا محمد بن عبد السلام ، وجرى ذكر ابي عبد الله محمد بن عربي فقال : شيخ سوء مقبوح كذاب . فقلت له : وكذاب أيضاً ؟ قال : نعم ، تذاكرنا يوماً بمسجد الجامع بدمشق التزويج بجواري الجن ، فقال : هذا فرض محال ، لأن الإنس جنس كثيف ، والجن روح لطيف ، ولن يعلو

الجسم الكثيف الروح اللطيف ، ثم بعد قليل رأيته وبه شجة ، فسألته عن سببها ، فقال : تزوجت امرأة من الجن ، ورزقت منها ثلاثة أولاد ، فاتفق أن تفاوضنا ، فأغضبتها ، فضربتني بعظم حصلت منه هذه الشجة ، فانصرفت فلم أرها بعد هذا ، أو معناه . وقال الشمس ابن الجزري شيخ القراء : حدثني شيخنا الامام المصنف شيخ الاسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين بن ابي عمر ابن كثير من لفظه غير مرة قال : حدثني شيخ الاسلام العلامة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قال : حدثني الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاة علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي قال : حدثني شيخ قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد القائل في أواخر عمره : لي أربعون سنة ماتكلمت بكلمة إلا وأعددت لها جواباً بين يدي الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين ابا محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي عن ابن عربي قال : شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، ثم قال ابن الجزري : كذا حدثني شيخنا ابن كثير من لفظه ، ورأيت ذلك في كلام الشيخ تقي الدين السبكي ، وفيه زيادة رواها بعضهم عن ابن عبد السلام ، وهي أنه وقع بيني وبينه يوماً كلاماً في وجود الجن ، فأنكر وجودهم ، ثم رأيته بعد ذلك فقال : رجعت عن ذلك القول . واني قد تزوجت بجنية وولدت لي وغضبت علي يوماً فشجتني في وجهي ، وهذه الشجة منها ، وأشار الى وجهه انتهى . قال الذهبي : وممن افتى بأن كتابه « الفصوص » فيه الكفر الأكبر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وقاضي القضاة سعد الدين مسعود الحارثي والعلامة زين الدين عمر بن أبي الحزم الكناني ، وجماعة سواهم . قال الذهبي :

ولقد اجتمعت بغير واحد ممن كان يقول بوحدة الوجود، ثم رجع وجدد إسلامه ، وبينوا أن مقالة هؤلاء : ان الوجود هوالله تعالى، وأنه تعالى يظهر في الصورة المليحة والأشياء البديعة ، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً . وقال العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي في تفسير سورة (المائدة) من كتابه « البحر المحيط » عند قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) المائدة : ٧٢ ومن بعض اعتقادات النصارى ، استنبط بعض من تستر بالاسلام وانتمى الى الصوفية ، حلول الله تعالى في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحدتهم الى القول بالاتحاد والوحدة ، كالحلاج ، والشوذي ، وابن أحلى ، وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء ، كابن سبعين ، والشستري تلميذه ، وابن مطرف المقيم بـ « مرسية » والصفار المقتول بـ « غرناطة » وابن لباج ، وأبو الحسن المقيم كان بـ « لورقة » وممن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني ، وله في ذلك أشعار كثيرة . وابن عياش المالقي الأسود الأقطع . المقيم كان بـ « دمشق » وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بـ « صعيد مصر » والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بـ « خانكان سعيد السعدا » بالقاهرة من ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشر ، تلميذ الششتري المقيم كان بـ « حارة زويلة » بالقاهرة ، وانما سردت أسماء هؤلاء نصحاً للدين ، يعلم الله ذلك ، وشفقة على ضعفاء المسلمين ليحذروهم ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله ، ويقولون بقدم العالم ، وينكرون البعث ، وقد أولع جماعة ممن ينتمي الى التصوف بتعظيم هؤلاء ، وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه ، والأمر فيهم كما ذكرت ، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة ، هو من علم أصول الدين . انتهى .

وقال السخاوي في « القول المنبي » نقلاً عن شيخ الاسلام سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي : وقرأت بخطه على فتيا أيضاً مانصه : لم يكن هذا الفاجر المذكور يعني ابن عربي ، على الكتاب والسنة بل كان مخالفاً ، ولا يحل اعتقاد عقيدته ، ولا العمل بما يأتي من الباطل ، وليس لكلامه ومعتقده الفاسد تأويل يقتضي موافقة الكتاب والسنة ، ومن اعتقد عقد الباطل ، أو تمسك به ، فليس على طريق الحق ، بل هو على طريق الباطل ، فيلزم من اعتقد ذلك ، أو تمسك به ، أن يتوب الى الله تعالى من كفره وإلحاده وزندقته ، فان تاب والا ضربت عنقه لزندقته . وقد كتبت على ذلك كراريس بالقاهرة ودمشق ، بينت فيها أنه أتى بأنـــواع من الكفر والالحاد والزندقة ، ولم يأت بها غيره ، فنعوذ بالله من طريقة هذا الشيطان ، ومن طريقة من اتبعه ، وأن يجنبنا ماابتدعه ، والحال ماذكر ، والله تعالى أعلم بالصواب .

قال السخاوي : وسمعت شيخنا حافظ العصر ، فريد الدهر ، الشهاب أبا الفضل ، أحمد بن محمد العسقلاني المصري الشافعي المر ف [١] بابن حجر ، سمعته يقول مراراً : انه جرى بيني وبين شخص يقال له : ابن الأمين من المحبين لابن عربي منازعة كبيرة في أمر ابن عربي ، حتى نلت من ابن عربي لسوء مقالته ، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في امره ، وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، يعتقده الظاهر برقوق ، فهددني المذكور بأنه يغريه بي فيذكر للسلطان أن بمصر جماعة منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك فقلت : ماللسلطان في هذا مدخل ، لكن نتباهل أنا وإياك في امره ، لأنه

---

(١) في الاصل : عرف

قلما يتباهل اثنان فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب ، فأجاب للمباهلة . قال شيخنا فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك ، فقال ذلك ، وقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك ، وافترقنا . قال : وكان يسكن الروضة : فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة ، فحضر عنده لضيافته ، ثم بدا له عدم المبيت عنـــده ، وخرج في أول الليل ، وصحبه من يشيعه الى الشختور ، فلما رجع أحس بشيء مر على رجله ، فقال لأصحابه : مر على رجلي شيء ناعم ، فانظروا ، فلم يروا شيئاً ، وما رجع إلى منزله الا وقد عمي بصره ، وما أصبح الا ميتاً ؛ وكان ذلك في ذي القعـــدة ، سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وكانت المباهلة في رمضان منها . قال : وكنت عنـد وقوع المباهلة ، عرفت من حضر ، أن من كان مبطلاً في المباهلة ، لا تمضي عليه السنة . انتهى . وقد حكاها القاضي التقي الفاسي في تصنيفه فقـال : سمعت الحـافظ شهاب الدين ابن حجر ، وذكر معناها ، وأنه كتبها له بخطه . قلت : وأحـوال هذا الرجل ، وما أظهر من الكفريات والضلالات والزندقة كثير مشهور ، ومن أراد استقصاء ذلك ، فليطالع كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » وفيما ذكرناه كفاية . ولقد أحسن العلامـــة شرف الدين أبو محمـــد اسماعيل ابن أبي بكر المقري اليمني الشافعي رحمه الله تعـالى حيث يقول في منظومته الرائية التي سماها « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة »

فقد حدثت في المسلمين حوادث ... كبار المعاصي عندها كالصغائر

حوتهن كتب حارب الله ربها ... بها عز من عز بين الحواضر

تجاسر فيها ابن العرابي[1] واجترى ... على الله فيما قال كل التجاسر

فقال بأن الرب والعبد واحد ... فربي مربوب بغير تغاير

وأنكر تكليفاً إذ العبد عنده ... إله وعبد فهو إنكار جائر

وخطأ إلا من يرى الخلق صورة ... وهويّة لله عند التناظر

وقال يحل الحق في كل صورة ... تجلى عليها فهي احدى المظاهر

وأنكر أن الله يغني عن الورى ... ويغنون عنه لاستواء المقادر

كما ظل في التهليل يهزأ بنفيه ... وإثباته مستجهلا للمغاير

وقال الذي ينفيه عين الذي أتى ... به مثبتاً لا غير عند التحاذر

فأفسد معنى ما به الناس أسلموا ... وألغاه الغاً بينات التهاتر

فسبحان رب العرش عما يقوله ... أعاديه من أمثال هذي الأكابر

وقال عذاب الله عذب وربنا ... ينعّم في نيرانه كل فاجر

وقال بأن الله لم يعص في الورى ... فما ثم محتاج لعاف وغافر

وقال مراد الله وفق لأمره ... فما كافر إلا مطيع الأوامر

وكل امرىء عند المهيمن مرتضى ... سعيد فما عاص لديه بخاسر

---

(١) يريد ابن عربي الطائي صاحب « الفصوص » وغيرها المليئة بالطامات. والاصل تنكيره (ابن عربي) وعرف ومد لضرورة الشعر .

وقال يموت الكافرون جميعهم وقد آمنوا غير المفاجي المبادر

وما خص بالايمان فرعون وحده لدى موته بل عم كل الكوافر

فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن وإلا فصدقه تكن شر كافر

وأثنى على من لم يجب نوح اذ دعا الى ترك ود أو سواع وناسر

وسمى جهولا من يطاوع أمره على تركها قول الكفور المجاهر

ولم ير بالطوفان إغراق قومه ورد على من قال رد المناكر

وقال بلى قد أغرقوا في معارف من العلم والباري لهم خير ناصر

كما قال فازت عاد بالقرب واللقا من الله في الدنيا وفي اليوم الاخر

وقد أخبر الباري بلعنته لهم وإبعادهم فاعجب له من مكابر

وصدق فرعون وصحح قوله أنا الرب الاعلى وارتضى كل سامر

وقال خليل الله في الذبح واهم ورؤيا ابنه تحتاج تعبير عابر

ويعظم أهل الكفر والانبياء لا يعاملهم الا بحط المقادر

ويثني على الاصنام خيراً ولا يرى لها عابداً ممن عصى أمر آمر

وكم من جراآت على الله قالها وتحريف آيات بسوء تفاسر

ولم يبق كفر لم يلابسه عامداً ولم يتورط فيه غير محاذر

وقال سيأتينا من الصين خاتم من الأولياء الأولياء الأكابر
له رتبة فوق النبي ورتبة له دونه فاعجب لهذا التنافر
فرتبته العليا يقول لأنه من التابعيه في الأمور الظواهر
وقال اتباع المصطفى ليس واضعاً لمقداره الأعلى وليس بحافر
فان يدن عنه لاتباع فانه يرى منه أعلا من وجوه أواخر
ترى خال نقصاً في (وجوب)[1] اتباعه لاحمد حتى جا بهذي المعاذر
فلا قدس الرحمن شخصاً يحبه على مايرى من قبح هذي المخابر
وقال بأن الانبياء جميعهم بمشكاة هذا تستضيء في الدياجر

الى أن قال :

فهل أبصرت يا ابن الأخاير
بأكذب من هذا وأكفر في الورى وأجرا على غشيان هذه البواطر
فلا يدعي من صدقوه ولاية وقد ختمت فليؤ خذوا بالأقادر
فيا لعباد الله مائم ذو حجى له بعض تمييز بقلب وناظر
اذا كان ذو كفر مطيعاً كمؤمن ولا فرق فينا بين بر وفاجر
كما قال هذا إن كل أوامر من الله جاءت فهي وفق المقادر
فلمْ بعثت رسل وسنت شرائع وأنزل قرآن بهذي الزواجر

(١) زيادة لم تكن في الاصل . ولا يستقيم الوزن بدونها .

أيخلع منكم ربقة الدين عاقل لقول غريق في الضلالة حائر

ويترك ماجاءت به الرسل من هدى لاقوال هذا الفيلسوف المغادر

فيا محسني ظن بمافي «فصوصه» ومافي «فتوحات» الشرور الدوائر

عليكم بدين الله لاتصبحوا غداً مساعر نار قبحت من مساعر

فليس عذاب الله عذباً كمثل ما يمنيكم بعض الشيوخ المدابر

ولكن أليم مثل ماقال ربنا به الجلد ينضج ان يبدل بآخر

غداً تعلمون الصادق القول منهما اذا لم يتوبوا اليوم علم مباشر

ويبدو لكم غير الذي يعدونكم بأن عذاب الله ليس بضائر

ويحكم رب العرش بين محمد ومن سن علم الباطن المتهاتر

ومن جا بدين مفتر غير دينه فأهلك أغمـــاراً به كالأباقر

فلا تخذلن المسلمين عن الهدى وما للنبي المصطفى من مآثر

ولا تؤثروا غير النبي على النبي فليس كنور الصبح ظلم الدياجر

دعوا كل ذي قول لقول محمد فمـــا آمن في دينه كمخاطر

وأمار جالات «الفصوص» فانهم يعومون في بحر من الكفر ظاهر

إذا راح بالريح المتابع أحمداً على هديه راحوا بصفقة خاسر

سيحكي لهم فرعون في دار خلده بإسلامه المقبول عند التحاور

ويا أيها الصوفي خف من «فصوصه» خواتم سوء غيرها في الخناصر

فلاسفة باسم التصوف أبرزوا عقائد كفر بالمهيمن ظاهر

كلام «الفصوص» احذره فهو كما ترى وتسمع لا تعدل به كفر كافر

وحار به في الباري فقد ضل واعتدى وكان على الاسلام أجور جائر

وفي بعض ما أمليته من كلامه غنى بعضه كاف لأهل البصائر

ويا علماء الدين ما العذر في غد من الله ان عوتبتم في التدابر

أما أخذ الميثاق في أن تبينوا علومكم للناس عند التذاكر

وأوجب لعناً منه في معشر عصوا ولم يتناهوا عن فعال المناكر

يسب إله العرش فيكم وكلكم حضور ألا لا قدست من محاضر

يقال بأن الرب عبد وعبده هو الرب والتكليف ليس بظاهر

وان رسول الله يأتي وراءه من الصين من يعلوه عند التفاخر

ويطرق سمعاً بينكم مثل هذه ويهنيكم طعم الكرى في المحاجر

أيدعى بمحيي الدين هذا فتسكتوا برئت الى الرحمن من كل غادر

أما لكم في الله والرسل غيره أما رجل منكم شديد المرائر

أعيذكم أن تسمعوا فيهم الأذى وتبدون حلم الموجع المتصابر

فان لم تصبكم في الإله حمية ... وتفتوا بما دونتم في الدفاتر
وإلا فلا أبدت لكم صفحاتها ... ولا وضعت أقلامكم في المحابر
لمن تحفظون العلم أو تدخرونه ... اذا لم تقوموا عند مذي الجرائر
أفي الله أو في المصطفى ذو صداقة ... تحابونه او ذو وداد معاشر
وهل من عزيز عندكم تؤثرونه ... على الله والمختار عند التضافر
تباع وتقرا هذه الكتب فيكم ... وانتم سواء والذي في المقابر
فان قلتمُ لم تنه فينا علومه ... فها أنا قد أنهيت هل من مبارز
أما أحرقت في مصر والشام كتبه ... باجماع أهل العلم باد وحاضر
أما رجعوا فيها الى ملك أرضهم ... فشد لنصر الله عقد المآزر
وذب عن الدين الحنيفي بسيفه ... برغم عرانين الأنوف الصواغر
فما العذر إن لم تنهضوا وتناصروا ... على ما أمرتم عنده بالتناصر
وللطير في الخطب اجتماع وضجة ... فهل أنتمُ في الضعف دون العصافر

الى أن قال في مخاطبة بعض من حاوره في ابن عربي .

فان قلت دين ابن العرابي[٢] ديننا ... وتكفيره تكفيرنا فالتحاذر

(١) عرف هنا ومد لضرورة الشعر.

أقل إنك الآن المكفر نفسه   وأنت الذي ألقيتها في التهاتر
فذلك دين غير دين محمد   وكفر لجوج في الضلالة ماهر
أتى بمحال لو عقلت رفضته   وكنت له في الله أول هاجر
كلام كأقوال المجانين بثه   اليكم جرف من الكفر هائر
أضل به من يقتفيه من الورى   فما منكم للمقتفين بعاذر
تجنيت لي ذنباً بذمي «فصوصكم»   وذلك عند الله إحدى ذخائر
هل الأمر بالمعروف عندك غيبة   وهل سب عرضاً من نهى عن مناكر

وهي طويلة نحو مائتين وثلاث وأربعين بيتاً .

وأما ابن سبعين ، فهو عبد الحق بن ابراهيم . قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » عبد الحق بن ابراهيم الشيخ الضال أبو محمد المريسي الصوفي الفيلسوف ، وله كلام في الحقيقة على طريقة الاتحاد ، مات بمكة سنة ٦٦٩ وسبب نزوله مكة أنه ظهر منه كلام أوجب للعلماء الفتوى بقتله ، فهرب اليها وأظهر لأبي نمي - يعني الشريف صاحب مكة - أشياء من السيمياء والكيمياء ، حتى صار عنده في الذروة ، وأحدث له ابن سبعين هذه الخطبة التي يخطب فيها المؤذن على قبة زمزم ، ويذكر نسبه الى علي بن أبي طالب

رضي الله عنه ؛ وقال ابن سبعين لأبي نمي : دعني أخرب هذا الركن الاسود ، وأستخرج لك من تحته سراً ليس عند ملك مثله . قـــال : فحكاها لخطيب مكة ، فزاد فيها ، أنه قال : وأحفر داخل البيت عن دفائن وخبايا ، وكان يعيب الطائفين ويقول : لماذا يدور أحدهم حول البيت ؟! وكان يخرج إلى مفازة ظاهر مكة ، فيسجد للشمس ، وكان يسجد للقطب الشمالي ، ولمـــا مات لم يشيعه إلا نفر قليل جداً ، فان الناس شكوا في أمره ، وظهر منه أعمال من جنس السحر . انتهى .

قال الذهبي : قلت : مازال ابن سبعين بحمد الله تعالى ممقوتاً عند علمـاء الإسلام ، إلا من كان على خبيث نحلته ، قال : والسبعينية ، فقهاء زنادقة ، يتركون الصلاة ، ويفعلون العظائم ، ولهم رموز وإشارات أكره أن أتفوه بها ، ثم قال : إن فتحنا باب التأويل عن المقالات والضلالات ، بطلت دواوين الملل والنحل ، لأن أبا حامد ذكر في « مشكاة الأنوار » فصلا في حال الحسين الحلاج ، وأخذ يعتذر عما صدر منه من الاطلاقات الكفرية ، وأقبل يحملها على محامل بعيدة ، وقال هذا من شدة الوجـــد ، كما قيل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

قال الذهبي : قلت : كان البدريين أشد حباً لله ، فما تطفوا بهذا ، وقد يقول العارف كلاماً لا بأس بالاعتذار عنه ، أما من يقول : أن هذا العالم هو حقيقة الله ، فهذا لعين . والمسلم إذا تأمل كتب هؤلاء ، وأمعن النظر فيها ، حصل له مالا يندفع أنهم فرقة مارقة عن الاســـلام ، وأنهم يقولون : إن الخالق هو عـين المخلوقين ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، لكن من لطف الله تعالى أن هؤلاء الباطنية خاملون لا يجسرون أن يعلنوا

بافكهم في مساجد الإسلام ، ولا في بلاد الكتاب والسنة ، فسل ربك الثبات على كلمة التقوى . انتهى كلامه .

وذكره ابن عبد الملك في «التكملة» وقال فيه : وكثر أتباعه على مذهبه [١] الذي كان يدعو إليه من التصوف ، نحلة ارتسموا بها من غير تحصيل لها ، وصنف في ذلك أوضاعاً كثيرة تلقوها منه ، ونقلوها عنه ، وبثوها في البلاد شرقاً وغرباً لا يخلى أحد منها بطائل ، وهي إلى وساوس المخبولين ، وهذيان الممرورين ، أقرب منها الى منازع أهل العلم ، ولفظه [٢] غير بلد وصقع ، لما كان يرمى به من بلايا ، الله أعلم بحقيقتها ، ومطلع على سريرته فيها . وتعقبه بعض علماء السنة من المغاربة فقال : كان ينبغي أن لا يثبته في مصنفه ، فانه لا ينبغي أن يذكر مع أهل العلم والتفسير ولا كرامة [٣] ولا والله مع أهل التوحيد .

وأما العفيف التلمساني ، فهو سليمان بن علي بن عبدالله التلمساني الأديب . قال الذهبي : من فحول الشعراء وكبار الاتحادية ، يدعي العرفان ، له شعر رائق ، وكان كاتباً على سوق الغنم بدمشق ، له هيئة وحرمة ، وكان يتعاطى [٤] الخمر ويتملطخ بمعايب ، نسأل الله العفو ، وكان قد دخل الروم ، وعمل الخلوة وجاع ، وشرح « مواقف النفري » [٥] وهو القائل :

---

(١) في الاصل : مذهبهم .

(٢) اللفظ : أن ترمي بشيء كان في فيك . ويقال : البحر يلفظ الشيء ، أي : يرمي به الى الساحل ، واللفظ مالفظ ، أي : طرح ، والمعنى : لم يقبله غير بلد وصقع لما كان يرمى به (ابن سبعين) من البلايا .

(٣) في الاصل : ولا كره ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) في الاصل : يتغانى .

(٥) في الاصل : « مقامات النفري » وهو خطأ ، والتصويب من « الشذرات » و « الاعلام » .

الى الراح هبوا حين تدعو المثالث فما الراح للارواح الا البواعث

هي الجوهر الصرف القديم فان بدت لها حبب زينت بها وهو حادث

مات سنة ٦٠٩ وذكره أبو حيان فقال : ورأيت بالقاهرة العفيف أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ثابت الكوفي ، وكان يحضر عندي في بيتي في المدرسة الصالحية ، وينظر في شيء من النحو ، وأنشد لي قطعاً من شعره ، وكان قد تزوج بنت ابن سبعين ، وأولدها ولداً يسمى : محمداً ، وكان شاعراً ظريفاً ، ومات وهو شاب ، ولما حضر معنا للقراءة على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني ، سأله : من أنت ؟ فقال : أنا ابن مملوكك العفيف التلمساني ، فتبسم وقال : أنت عريق في الالوهية ، أمك بنت ابن سبعين ، وأبوك العفيف التلمساني ، وكان هذا التلمساني متقلباً في أحواله ، فتارة يكون شيخ زاوية ، وتارة يشتغل في ديوان الخدم ، قدم علينا القاهرة ، فنزل في « خانكاه سعيد السعدا » في ايالة شيخ الشيوخ إذ ذاك ، وأقام أشهراً ، ثم حكي عنه أنه حضر مجلس أنس ومعهم مغن مليح فشاع عنه أنه قبل المغني ، وقال : أنت الله ، فرمى الصبي الطار من يده ، ووجم لمقالة العفيف ، وأصبح أهل المجلس يتحدثون بما قاله العفيف ، فخاف على نفسه ، وخرج فاراً قبل الظهر الى الشام .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى : وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه ، أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد ، قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً فرأيته

مخالفاً للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال : القرآن ليس فيه توحيد ، بل القرآن كله شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد ، قال: قلت له : ماالفرق عندكم بين الزوجة الأجنبيه والأخت ، الكل واحد ؟ قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً . فقلنا : هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فما ثمّ حرام . وحدثني كمال الدين بن المراغي أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذكور ؛ قال : وكنت أقرأ عليه في ذلك ، فانهم كانوا قد عظموه عندنا ، ونحن مشتاقون الى معرفة «فصوص الحكم» فلما صار يشرحه الي أقول : هذا خلاف القرآن والاحاديث ، فقال : ارم هذا كله خلف الباب ، واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد ، أو كما قال . ثم خاف أن أشيع ذلك عنه ، فجاء إلي باكياً وقال : استر عني ما سمعته مني .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قال وجدته	بالذات موجوداً بكل مكان
هو كالهواء بعينه لا عينه	ملأ الخلو ولا يرى بعيان
والقوم ماصانوه عن بئر ولا	قبر ولا حش ولا أ . . .

بل منهم من قد رأى تشبيهه ... بالروح داخل هذه الأبدان

ما فيهم من قال ليس بداخل ... أو خارج عن جملة الاكوان

لكنهم حاموا على هذا ولم ... يتجاسروا من عسكر الايمان

وعليهمُ رد الأئمة أحمـــد ... وصحابه من كل ذي عرفان

فهم الخصوم لكل صاحب سنة ... وهم الخصوم لمنزل القرآن

ولهم مقالات ذكرت أصولها ... لما ذكرت الجهم في الأوزان

أقول : هذا الذي ذكره الناظم ، هو قول النجارية ، وهو أن الله تعالى بذاته في كل مكان ، وأما الجهمية الفحول ، فهم يقولون : إنـــه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، ولهذا قال الناظم : وعليهم رد الأئمة أحمد الخ . أي ، إن كلام الامام أحمد وأصحابه إنما هو في الرد على القائلين بأن الله في كل مكان .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « الايمان » : كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل اليهم من كلام أهل البدع ، كما تجـــدهم في الجهمية ، إنما يحكون عنهم أن الله في كل مكان ، وهذا قول طائفة منهم ، كالنجارية ، وهو قول عوامهم ، وعبادهم ، وأما جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة والضرارية وغيرهم ، فانما يقولون : هو لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو فوق العالم . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه	هذا ولكن جد في الكفران
فأسرّ قول معطل ومكذب	في قـــالب التنزيه للرحمن
إذ قال ليس بداخل فينا ولا	هو خارج عن جملة الاكوان
بل قال ليس ببائن عنها ولا	فيها ولا هو عينها ببيان
كلا ولا فوق السموات العلى	والعرش من رب ولا رحمن
والعرش ليس عليه معبود سوى	العدم الذي لاشيء في الأعيان
بل حظه من ربه حظ الثرى	منه وحظ قواعد البنيان
لو كان فوق العرش كان كهذه الـــ	أجسام سبحان العظيم الشان
ولقد وجدت لفاضل منهم مقا	ماً قامه في الناس منذ زمان
قال اسمعوا ياقوم إن نبيكم	قد قال قولاً واضح البرهان
لا تحكموا بالفضل لي أصلاً على	ذي النون يونس ذلك الغضبان

هذا يرد على المجسم قوله الله فوق العرش والاكوان

ويدل أن إلهنا سبحانه وبحمده يلقى بكل مكان

قالوا له بيّن لنا هـذا فلم يفعل فأعطوه من الأثمان

ألفاً من الذهب العتيق فقال في تبيانه فاسمع لذا التبيان

قد كان يونس في قرار البحر تحـت الماء في قبر من الحيتان

ومحمد صعد السماء وجاوز السـبع الطباق وجاز كل عنان

وكلاهما في قربه من ربـه سبحانه إذ ذاك مستويان

فالعلو والسفل اللذان كلاهما في بعده من ضده طرفان

إن ينسبا لله نـزه عنهما بالاختصاص بلى هما سيان

في قرب من أضحى مقيما فيهما من ربه فكلاهما مثلان

فلأجل هذا خص يونس دونهم بالذكر تحقيقاً لهذا الشان

فأتى النثار عليه من أصحابه من كل ناحية بلا حسبان

فاحمد إلهك أيها السني اذ عافاك من تحريف ذي بهتان

والله مايرضى بهذا خائف من ربه أمسى على الايمان

هذا هو الالحاد حقاً بل هو التـ حريف محضاً أبرد الهذيان

والله مابلي المجسم قط ذي الـ بلوى ولا أمسى بذي الخذلان

أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ أديار حين سرى الى الأديان

والله لولا الله حافظ دينه لتهدمت منه قوى الاركان

أقول : هذا الركب هم الأشاعرة ، وقوله : ولقد وجدت لفاضل منهم الخ . . هذا الفاضل هو الامام أبو المعالي عبد الملك ابن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين . مولده كما في « الكامل » سنة عشر وأربعمائة وفي « تاريخ ابن ابي الدم » سنة تسع عشرة وأربعمائة، امام العلماء في وقته ، فحل المذهب ، سافر الى بغداد ، ثم الى الحجاز ، وأقام بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي ويصنف ، وأم في الحرمين الشريفين ، وبذلك لقب ، ثم رجع الى نيسابور ، وجعل اليه الخطابة ومجلس الذكر والتدريس ثلاثين سنة ، وحظي عند نظام الملك . ومن تلاميذه الغزالي ، وأبو القاسم الأنصاري ، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الكيا الهراسي ، وادعى إمام الحرمين الاجتهاد المطلق ، لأن أركانه حاصلة له ، ثم عـــاد إلى اللائق به ، وتقليد الامام الشافعي . ولما مرض حمل الى قرية موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء اسمها « بشنقان » فمات بها ونقل الى نيسابور تلك الليلة ، ودفن من الغد في داره ، ثم نقل بعد ست سنين الى مقبرة الحسين ، فدفن بجنب أبيه ، وصلى عليه ولده أبو القاسم ، فأغلقت الاسواق يوم موته ، وكسر منبره في الجامع ، وقعد الناس لعزائه ، ورثوه كثيراً ، ومنه :

قلوب العالمين على المقـــالي وأيام الورى شـــبه الليالي

أيثمر غصن أهل الفضل يوماً وقدمات الامام أبو المعالي

وكانت تلامذته يومئذ نحو أربعمائة . ومن مصنفاته « نهاية المطلب في دراية المذهب » و « الشامل » و « الارشاد » كلاهما في اصول الدين ، و « الرسالة النظامية في الأركان الاسلامية » و « البرهان » في أصول الفقه . وغيرها . توفي رحمه الله تعالى في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب « النبلاء » في ترجمة الامام أبي المعالي ، كان هذا الامام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته ، لايدري الحديث كما يليق به ، لا متنا ولا إسناداً ذكر في كتاب « البرهان » حديث معاذ في القياس ، فقال : هو مدون في الصحاح ، متفق على صحته . قلت : بل مداره على الحارث ابن عمرو ، وفيه جهالة عن رجال من أهل حمص ، عن معاذ ؟ فاسناده صالح . انتهى .
وقصة مقامه المذكور ذكرها الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في « تذكرته » فقال : فصل : قوله ﷺ « ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » للعلماء فيه تأويلات ، أحسنها وأجملها ماذكره القاضي أبو بكر ابن العربي . قال : أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، أنه سئل : هل الباري في جهة ؟ فقال : لا ، هو يتعالى عن ذلك . قيل له : فما الدليل عليه ؟ قال : الدليل عليه قول النبي ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى » فقيل له : وما وجه الدليل من هذا الخبر ؟ فقال : لا أقوله حتى يأخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي به ديناً ، فقام رجلان فقالا : هي علينا ،

فقال : لا يتبع بها اثنين ، لأنه يشق عليه ، فقال واحد : هي علي . فقال: إن يونس بن متى ﷺ رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت ، وصار في قعر البحر في ظلمـــات ثلاثة ، ونادى (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) الأنبياء : ٨٧ كما أخبر الله ، ولم يكن محمد ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر ، وارتقى به صعداً حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الأقلام ، وناجاه ربه بما ناجى به ، وأوحى اليه ما أوحى ؛ بأقرب الى الله من يونس في ظلمة البحر . انتهى سياق القرطبي .

قلت : كان هذا الامام مع فرط ذكائه وغزارة علمه تتلون آراؤه ، ففي كتاب « الشامل » وكتاب « الارشاد » مشى على تأويل الصفات الخبرية ، وفي كتاب « الرسالة النظامية » مشى على أن التأويل محرم . قال في « الرسالة النظامية » : اختلف مسالك العلماء في هـــذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم ذلك في آي الكتاب ، وما يصح من السنن . وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الرب عز وجل . والذي نرتضيه ديناً ، وندين الله به عقيدة ، اتباع سلف الأمة ، والدليل القاطع السمعي في ذلك ، وأن إجماع الأمة حجة متبعة . فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجـه المتبع ، فلتجر آية الاستواء ، وآية المجيء ، وقـــوله : (لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ على ذلك .

قال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » قال الحافظ الحجة عبد القادر الرهاوي : سمعت عبد الرحيم ابن أبي الوفاء الحاجي يقول : سمعت محمد بن

طـاهر المقدسي يقول : سمعت الأديب أبا الحسن القيرواني بنيسابور : يقول ـ وكان يختلف إلى دروس الاستاذ ابي المعالي الجويني ، يقرأ عليه الكلام يقـول ـ : سمعت الاستاذ أبا المعالي اليوم يقول : باأصحابنا لاتشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي الى مابلغ ، مااشتغلت به . وقال الفقيه أبو عبد الله الرستمي الذي أجـاز لكريمة : حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال : دخلنا على الامـام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته ، فقعد،فقال لنا : اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ماقـال السلف الصالح ، واني أموت على مـاتموت عليه عجـائز نيسابور . قـال أبو منصور بن الوليد الحـافظ في رسالة له إلى الزنجاني : أنبأ عبد القادر الحافظ بحران ، أنبأ الحافظ أبو العلاء ، أنبأ أبو جعفر بن أبي علي الحافظ قال : سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قـوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ فقال : كان الله ولا عرش ؛ وجعل يتخبط في الكلام ، فقلت : قد علمنا ماأشرت اليه ، فهل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال: ماتريد بهذا القول ؛ وما تعني بهذه الإشارة ؟ فقلت : ماقال عارف قط : يارباه ؛ إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه ، قصد لايلتفت يمنة ولا يسرة ، يقصد الفوق ، فهل لهذا القصد الضروري عندك حيلة ؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت ، وبكيت وبكى الخلق ، فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح بالحيرة ، وخرق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، ونزل ولم يجبني الا : ياحبيبي الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة ، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون :

سمعناه يقول : حيرني الهمذاني . توفي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وله ستون سنة ، وكان من بحور العلم في الاصول والفروع ، يتوقد ذكاء ، لكن قول الناظم رحمه الله تعالى عن إمام الحرمين في حكاية مذهبه : ويدل أن إلهنا سبحانه يلقى بكل مكان ؛ فيه نظر ، فان القول بأن الله تعالى في كل مكان ، هو قول النجارية . وأما الاشاعرة . فقولهم : إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوقه ولا تحته ، ولا يوصف بأن له مكاناً ؛ فضلاً عن أن يقال : إنه بكل مكان ؛ كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى في أول الأبيات . ولهذا ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في التسعينية قال : لما نوظر ابن فورك قدام محمود بن سبكتكين أمير المشرق ؛ فقيل له : لو وصف المعدوم لم يوصف الا بما وصفت به الرب ، من كونه لا داخل العالم ولا خارجه ، كتب الى أبي اسحاق الاسفراييني في ذلك ولم يكن جوابهم الا أنه لو كان خارج العالم للزم أن يكون جسماً . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه هذا وزاد عليه في الميزان
قال اسمعوا ياقوم لاتلهيكم هذي الأماني هن شر أماني

أتعبت راحلتي وكلت مهجتي　　وبذلت مجهودي وقد أعياني

فتشت فوق وتحت ثم أمامنا　　ووراء ثم يسار مع أيمان

ما دلني أحد عليه هنا كمُ　　كلا ولا بشر اليه هداني

الا طوائف بالحديث تمسكت　　تعزي مذاهبها الى القرآن

قالوا الذي نبغيه فوق عباده　　فوق السماء وفوق كل مكان

وهو الذي حقاً على العرش استوى　　لكنه استولى على الأكوان

واليه يصعد كل قول طيب　　واليه يرفع سعي ذي الشكران

والروح والاملاك منه تنزلت　　واليه تعرج عند كل أوان

واليه أيدي السائلين توجهت　　نحو العلو بفطرة الرحمن

واليه قد عرج الرسول فقدرت　　من قربه من ربه قوسان

واليه قد رفع المسيح حقيقة　　ولسوف ينزل كي يرى بعيان

واليه تصعد روح كل مصدق　　عند المات فتنثني بأمان

واليه آمال العباد توجهت　　نحو العلو بلا تواص ثان

بل فطرة الله التي لم يفطروا　　الا عليها الخلق والثقلان

يشير الناظم رحمه الله تعالى إلى أن هذا الركب أقروا بما دل عليه الكتاب والسنة ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، من العقائد التي تضمنها

هذا الفصل ؛ وذكر نصوص الفوقية ، والعلو ، والاستواء ، والصعود ، كقوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (ثم استوى الى السماء) فصلت : ١١ وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وقوله تعالى : (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر) القدر : ٤، ٥ وذكر معراج الرسول ﷺ إلى الله الذي تواترت به الأحاديث ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها . عن أنس ابن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله حدثه عن ليلة أسري به قال : « بينا أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجعاً[1] إذ آتاني آت » فذكر الحديث ، وفيه قال « ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار أبيض يقع خطوه عند أقصى [2] طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ فقال . جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء. قال : ففتح ، فلما خلصت ، إذا فيها آدم . قال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، قال : ثم صعد حتى أتى

---

(١) في الاصل : مضجع ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري ».

(٢) في الاصل : عند انقضى ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري » وفي « صحيح مسلم » « منتهى طرفه » .

السماء الثانية . فاستفتح . قيل : من هــذا ؟ قــال : جبريل . قيل : ومن معك ؟قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما ؛ فسلمت ، فردا السلام ، وقالا : مرحباً بالاخ الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قــال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه . فسلمت عليــه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل اليه ؟قال : نعم.قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا إدريس.قال : هذاادريس؛فسلم عليه؛فسلمت عليه ،فردالسلام ثم قال: مرحباًبالأخ الصالح والنبي الصالح : قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامســة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ، قال : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال: ففتح ،فلماخلصت فاذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال : فلسمت عليــه ، فرد السلام ثم قــال : مرحباًبالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح . قيل : من هـذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرســل اليه ؟ قال : نعم . قال : مرحبــاً به ونعم المجيء جاء ، ففتح . فلما خلصت فــاذا أنا بموسى قال : هذا موسى فسلم عليه . فسلمت فرد السلام ؛ ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ؛ والنبي الصالح . قال : فلما تجاوزت بكى . فقيل : ما يبكيك ؟

قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فإذا ابراهيم قال: هذا ابراهيم، فسلم عليه؛ قال فسلمت، فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . قال: ثم رفعت الى سدرة المنتهى، ثم رفع لي البيت المعمور . قال: ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة في كل يوم؛ فرجعت؛ فمررت على موسى . فقال : بم أمرت؟ فقلت : بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ؛ واني قد خبرت[1] الناس قبلك ؛ وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت ؛ فوضع عني عشراً؛ فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم؛ واني قد خبرت الناس قبلك ؛ وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم . قال ان أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجـــة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى . فقال بم أمرت؟

---

(١) في صحيح البخاري جربت ، حيث وردت ، وفي « صحيح مسلم » فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم .

قلت بعشرين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع عشرين صلاة كل يوم ، واني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بعشر صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع عشر صلوات كل يوم ، واني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة . قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ، ولكني أرضى وأسلم ، فلما نفذت ، نادى مناد : قد أنفذت فريضي ، وخففت عن عبادي » متفق عليه . قال النووي رحمه الله في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض : الحق الذي عليه أكثر الناس ، ومعظم السلف ، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، أنه أسري بجسده ﷺ ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج الى تأويل . انتهى .

قوله : فقدرت من قربه من ربه قوسان . يشير إلى قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨،٩ وهذا على أحد

التفسيرين في الآية ، وان الرب عز وجل هو الذي دنا فتدلى [١] وسيأتي بسط الكلام على ذلك في شرح الدليل الخامس من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه . والله أعلم . وقال تعالى في حق المسيح صلوات الله عليه : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ الآية .

وقوله : واليه تصعد روح كل مصدق الخ ... يعني أن روح المؤمن المصدق تصعد الى الله بعد الموت . وقد روى ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو ابن عطاء عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس

---

(١) الحق أن الضمير في قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) يعود على جبريل عليه السلام ، لا على الله تعالى . وهو الذي يفهم من الآيات المتقدمة (ان هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الاعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) لان الوحي إنما هو بواسطة جبريل ، وكذلك ثبت في « الصحيحين » عن عائشة ام المؤمنين ، وابن مسعود ، وهو كذلك في « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بها . وما جاء في « صحيح البخاري » من رواية شريك ابن عبدالله بن ابي نمر عن أنس بن مالك في حديث الاسراء : « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » وقد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية . وذكروا اشياء فيها من الغرابة ، وان شريك بن عبد الله بن ابي نمر اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ولم يضبطه . وقال الحافظ البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل ، يعني قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » قال : وقول عائشة وابن مسعود وابي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل اصح . وهذا الذي قاله الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى هو الحق . ومن شاء الزيادة على ذلك فليرجع الى « تفسير ابن كثير » في أول سورة (الاسراء) وعند قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) من سورة (النجم) .

الطيبة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله تعالى . وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

وقوله : فتنثني بأمان . يشير إلى ما في حديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا الى القبر ولما يلحد ، فجلس وجلسنا حوله كأن على أكتافنا فلق الصخر ، وعلى رؤوسنا الطير ، فأزم قليلا ـ والازمام : السكوت ـ فلما رفع رأسه قال : « إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا ، نزل عليه ملائكة من السماء ، معهم حنوط من الجنة ، وكفن من الجنة ، فيجلسون منه مد بصره ، وجاءه ملك الموت ، فجلس عند رأسه ، ثم يقول : اخرجي أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه ، فتسيل نفسه كما تقطر القطرة من السقاء ، فاذا خرجت نفسه ، صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، إلا الثقلين . ثم يصعد به الى السماء ، فتفتح له السماء ، ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، الى العرش ، مقربو كل سماء ، فاذا انتهى الى العرش ، كتب كتابه في عليين ، فيقول الرب عز وجل : ردوا عبدي الى مضجعه ، فاني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة اخرى ، فيرد الى مضجعه . وذكر الحديث[1].

قوله : واليه آمال العباد توجهت الخ ... عن سلمان الفارسيّ قال : قال

---

(١) وهو حديث صحيح .

رسول الله ﷺ : ان ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه اليه يدعو أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء »[1] هذا حديث مشهور .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا أنهم فطروا على ... إقرارهم لا شك بالديان

لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا ... مرضى بداء الجهل والخذلان

فسألت عنهم رفقتي وأحبتي ... أصحاب جهم حزب جنكسخان

من هؤلاء ومن يقال لهم فقد ... جاؤوا بأمر مالىء الآذان

ولهم علينا صولة ما صالها ... ذو باطل بل صاحب البرهان

أو ما سمعتم قولهم وكلامهم ... مثل الصواعق ليس ذا الجبان

جاؤوكم من فوقكم وأتيتم ... من تحتهم ما أنتم سيان

جاؤوكم بالوحي لكن جئتمُ ... بنحاتة الافكار والاذهان

قال في « القاموس » نحته ينحته كيضربه وينصره ويعلمه : براه . والنحاته بالضم : البراية .

قالوا مشبهة مجسمة فلا ... تسمع مقال مجسم حيوان

والعنهم لعناً كبيراً واغزهم ... بعساكر التعطيل غير جبان

(١) رواه أحمد ، وابو داود ، والترمذي وقال : حسن غريب ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : سنده جيد .

واحكم بسفك دمائهم وبحبسهم أولا فشردهم عن الأوطان

حذر صحابك منهم فهم أضل من اليهود وعابدي الصلبان

واحذر تجادلهم بـ« قال الله »أو « قال الرسول » فتنثني بهوان

أنى وهم أولى به قد أنفذوا فيه قوى الأذهان والأبدان

فاذا ابتليت بهم فغالطهم على التـ أويل للأخبـار والقرآن

وكذاك غالطهم على التكذيب للآ حاد ذا ولصحبنا أصلان

أوصى به أشياخنا أشياخهم فاحفظهما بيديك والأسنان

واذا اجتمعت بهم بمشهد مجلس فابدر بايراد وشغل زمان

لا يملكوه عليك بالآثار والـ أخبار والتفسير للفرقـان

فتصير إن وافقت مثلهم وان عارضت زنديقاً أخا كفران

واذا سكت يقال هذا جاهل فابدر ولو بالفشر والهذيان

الفشار الذي تستعمله العامة ، بمعنى الهذيان ، ليس من كلام العرب ، قاله في « القاموس »

هذا الذي أوصى به أشياخنا في سالف الاوقات والأزمان

فرجعت من سفري وقلت لصاحبي ومطيتي قـد آذنت بحران

قال في « القـاموس » : حرنت الدابة كنصر وكرم ، حرانا

بالكسر والضم ، فهي حرون ، وهي التي اذا استدر جريها وقفت ، خاص بذوات الحوافر .

عطل ركابك واسترح من سيرها ماثم شيء غير ذي الأكوان

لو كان للأكوان رب خالق كان المجسم صاحب البرهان

او كان رب بائن عن ذي الورى كان المجسم صاحب الايمان

ولكان عند الناس أولى الخلق بالـ إسلام والإيمان والإحسان

ولكان هذا الحزب فوق رؤوسهم لم يختلف منهم عليه اثنان

أي لو كانت هذه الأقوال حقاً وهي اعتقاد المجسمة بزعمهم ، لكانوا عند الله أولى بالاسلام والايمان والاحسان ، ولكان هذا الحزب فوق رؤوس الناس ، ولأجمعوا على أنهم أهل الحق ولم يختلف منهم اثنان .

فدع التكاليف التي حملتها واخلع عذارك وارم بالارسان

خلع العذار كناية.

ماثم فوق العرش من رب ولم يتكلم الرحمن بالقرآن

لو كان فوق العرش رب ناظر لزم التحيز وافتقار مكان

أي : لو نقول بأن الله فوق العرش ، لزم أن يكون متحيزاً يكون له مكان .

لو كان ذا القرآن عين كلامه حرفاً وصوتاً كان ذا جثمان

فاذا انتفى هذا وهذا ما الذي يبقى على ذا النفي من إيمان

أي إذا نفرا علو الله سبحانه فوق عرشه ونفوا أن يكون هذا القرآن عين كلام الرب سبحانه ، فكيف بقاء الايمان مع ذلك ؟!

فدع الحلال مع الحرام لأهله   فيها السياج لهم على البستان
فاخرقه ثم ادخل ترى في ضمنه   قد هيئت لك سائر الالوان
وترى بها ما لا يراه محجب   من كل ماتهوى به زوجان

قال في « القاموس » : سياج ككتاب : الحائط ، وما أحيط به على شيء ، مثل النخل والكرم ، وقد سيج حائطه تسييجاً .

واقطع علائقك التي قد قيدت   هذا الورى من سالف الازمان
لتصير حراً لست تحت أوامر   كلا ولا نهي ولا فرقان
لكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى   فوق السما للناس من ديان
لو قلت مافوق السماء مدبر   والعرش تخليه من الرحمن
والله ليس مكلما لعباده   كلا ولا متكلما بقران
ماقال قط ولا يقول ولا له   قول بدا منه إلى إنسان
لحللت طلسمه وفزت بكنزه   وعلمت أن الناس في هذيان

قوله : منه بدا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في « شرح عقيدة الاصفهاني » : قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به ، وأن كلامه تعالى غير مخلوق ، وانكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم . إن كلامه تعالى مخلوق ، خلقه

في غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة ، فكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء ، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق ؛ منه بدأ وإليه يعود . قال : ومعنى قولهم : منه بدأ . أي : هو المتكلم به ، لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات ؛ وأنه سبحانه لم يقم به كلام . قال : ولم يرد عن السلف أنه كلام فارق ذاته ؛ فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف ؛ بل صفة المخلوق لاتفارقه ، وتنتقل الى غيره ؛ فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره ؟ ! ولهذا قال الامام أحمد : كلام الله ليس ببائن منه .

قال شيخ الاسلام : ومعنى قول السلف : واليه يعود ، ماجاء في الآثار أن القرآن يسرى به حتى لايبقى في المصاحف منه حرف ، ولا في القلوب منه آية . وما جاءت بـــه الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين ، كالحديث الذي رواه الامام احمد في « المسند » وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه عن النبي ﷺ أنــــه قال : « ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منــــه » يعني القرآن . وفي لفظ « أحب اليه مما خرج منه » وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة : ان هذا كلام لم يخرج من إله . أي : من رب . وقول ابن عباس رضي الله عنهما لما سمع قائلاً يقول لميت لما وضع في لحده : اللهم رب القرآن ، اغفر له . فالتفت اليه ابن عباس رضي الله عنهما فقـــال : مه ، القرآن كلام الله ، ليس بمربوب ، منه بدأ ، واليه يعود . وهـــذا الكلام معروف عن ابن عباس ، وقول السلف : القرآن كلام الله غـير مخلوق ، منه بدأ ، واليـــه يعود ، كما استفاضت الآثار عنهم بذلك ، كما هو منقول عنهم في الكتب المسطورة بالأسانيد المشهورة .

قال شيخ الاسلام في « شرح الاصفهانية » : وهذه الروايات لا يدل شيء منها على أن الكلام يفارق المتكلم ، وينتقل الى غيره ، وإنما تدل على ان الله هو المتكلم بالقرآن - ومنه سمع - لا أنه خلقه في غيره ، كما فسره بذلك الامام أحمد وغيره من الأئمة .

قال ابو بكر الخلال : سئل الامام أحمد عن قوله : القرآن كلام الله ، منه خرج ، واليه يعود ، يعني ماقدمنا .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن زعمت بأن ربك بائن ... من خلقه إذ قلت موجودان

وزعمت أن الله فوق العرش والـ ... ـكرسي حقاً فوقه القدمان

وزعمت أن الله يسمع خلقه ... ويراهم من فوق ست ثمان

وزعمت أن كلامه منه بدا ... وإليه يرجع آخر الأزمان

ووصفته بارادة وبقدرة ... وكراهة ومحبة وحنان

ووصفته بالسمع والبصر الذي ... لا ينبغي إلا لذي الجثمان

وزعمت أن الله يعلم كل ما ... في الكون من سر ومن إعلان

والعلم وصف زائد عن ذاته ... عرضاً يقوم بغير ذي جثمان

وزعمت أن الله كلم عبده ... موسى فأسمعه ندا الرحمن

أفتسمع الآذان غير الحرف والـ ... ـصوت الذي خصت به الأذنان

وكذا النداء فانه صوت باجمـ ... ـاع النحاة واهل كل لسان

لكنه صوت رفيع وهو ضـ ... ـد للنجاء كلاهما صوتان

فزعمت أن الله ناداه ونا ... جاه وفي ذا الزعم محذوران

قرب المكان وبعده والصوت بل ... نوعاه محذوران ممتنعان

قوله : ويراهم من فوق ست ثمان . أي : السموات السبع ، والإرضين السبع .

قوله : والعلم وصف زائد عن ذاته . لاخصوصية للعلم عن سائر الصفات ، فان مراد أهل الاثبات بقولهم : نحن نقول باثبات صفات لله زائدة على ذاته ، فحقيقة ذلك أنا نثبتها زائدة على ما أثبته النفاة من الذات ، فان النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات ، فقال أهل الاثبات : نحن نقول باثبات صفات زائدة على ما اثبته هؤلاء . وأما الذات نفسها الموجودة ، فتلك لايتصور أن تتحقق بلا صفة أصلاً ، بل هذا بمنزلة من قال : اثبت انساناً ، لاحيواناً ، ولا ناطقاً ، ولا قائماً بنفسه ، ولا بغيره ، ولا له قدرة ، ولا حياة ، ولا حركة ، ولا سكون ، ونحو ذلك ، أو قال : أثبت نخلة ليس لها ساق . ولا جذع ، ولاليف ، ولا غير ذلك ، فان هذا يثبت مالا حقيقة له في الخارج . ولا يعقل ، ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفاة ، معطلة ، لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله ، وان كانوا هم قد لايعلمون أن قولهم مستلزم التعطيل ، والله أعلم . وهذا الركب الرابع الذي ذكره الناظم قولهم ، هم فيمايظهر ، الفخر الرازي ، والأسدي ، والشهرستاني والأثير الأبهري ، ونحوهم ممن خلط الكلام بالفلسفة ، فان لهم كلاماً يشبه ماذكره الناظم ، خصوصاً الفخر الرازي ، فانه قال في كتاب «أقسام اللذات» لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم ، وأنه ثلاث مقامات : العلم بالذات ، والصفات ، والأفعال ، وعلى كل مقام عقدة ، فعلم الذات عليه عقدة ، هل

الوجود هو الماهية أو زائدة على الماهية ؟ وعلم الصفات عليه عقدة ، هل الصفات زائدة على الذات أو لا ؟ وعلم الأفعال عليه عقدة ، هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها ، ثم قال : ومن الذي وصل الى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب ، ثم أنشد :

نهاية أقدام العقول عقال　　وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا　　وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا　　سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ولاتروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ ولا يحيطون به علماً) طه : ١١٠ (هل تعلم له سمياً) مريم : ٧ ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي .

وقول الناظم رحمه الله تعالى : وكذاك غالطهم على التكذيب الآحاد الخ .. يشير الى أن المخالفين للكتاب والسنة قد أعدوا لدفع الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله أصلين : أحدهما التأويل الآيات والأحاديث . والثاني : دعوى أن الأحاديث الصحيحة في ذلك أخبار آحاد ، وهي لاتفيد العلم واليقين . وللامام القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي رحمه الله تعالى في ذلك كتاب « إبطال التأويل » مجلد ، وكذلك للشيخ الامام أبي محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي كتاب « ذم التأويل » في جزء لطيف ، فارجع اليها ان شئت .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كلامه : ولهـــذا اعترض عبد الجبار ، وابن خطيب الري على الحديث ، وجعلوه من الآحـــاد ، لما رأوا أحاديث تخالف العقل ، وهي في الأصل موضوعة . انتهى .

وينبغي أن نتكلم هنا على أخبار الآحـاد ، وأنها تفيد العـلم ، وله أدلة كثيرة ذكرها الناظم في كتاب « الصواعق »[1] .

الأول : أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد وهم بقباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت الى الكعبة ، قبلوا خبره ، وتركوا الجهة التي كانوا عليها واستداروا الى القبلة ؛ ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ ، بل شكروا على ذلك . وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الاولى ؛ فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لايفيد العلم . وغاية مايقال فيه إنه خبر اقترن به قرينة ، وكثير منهم يقول : لايفيد العـلم بقرينة . ولا غيرها ، وهذا في غاية المكابرة . ومعلوم أن قرينة تلقي الأمة له بالقبول وروايته قرناً بعد قرن من غير نكير ، من أقوى القرائن وأظهرها ، فأي قرينة فرضتها ؛ كانت تلك أقوى منها .

الثاني قوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الحجرات : ٦ وفي القراءة الاخرى (فتثبتوا) وهـذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد ؛ لأنه يحتاج الى التثبت ؛ ولو كان خبره لايفيد العلم ؛ لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم . وأيضاً فالسلف الصالح وأئمة الاســلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وفعل كذا ، وأمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وهـــذا معلوم في كلامهم بالضرورة . وفي « صحيح البخاري » قال رسول الله ﷺ في عـــدة مواضع ؛ وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم : قال رسول الله ﷺ ، وإنما سمعه من صحابي غيره ،

---

(١) هو كتاب « الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » للناظم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

وهذه شهادة من القائل ، وجزم على رسول الله ﷺ بما نسبه اليه من قول أو فعل . فلو كان خبر الواحد لايفيد العلم ، لكان شاهداً على رسول الله ﷺ بغير علم .

الثالث : أن أهل بالحديث لم يزالوا يقولون : صح عن رسول الله ﷺ ، وذلك جزم منهم بأنه قاله .

الرابع : قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة : ١٢٢ والطائفة تقع على الواحد فما فوقه ، فأخبر أن الطائفة تنذر قومهم اذا رجعوا اليهم ، فلو كان خبر الواحد لايفيد العلم ، لكان ذلك الانذار أمراً بما لافائدة فيه .

الخامس : قوله : (ولا تقف ماليس لك به علم) الاسراء : ٣٦ أي : لاتتبعه ، ولا تعمل به ، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ، ويعملون بها ، ويثبتون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لاتفيد علماً ، لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهم قد قفوا ماليس لهم به علم .

السادس : قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) النحل ٤٣ فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر ، وهم أولو الكتاب والعلم ، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم ، لم يأمر بسؤال من لايفيد خبره علماً ، وهو سبحانه لم يقل : سلوا عدد التواتر ، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقاً ، فلو كان واحداً ، لكان سؤاله وجوابه كافياً .

السابع : قوله تعالى : (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ وقال : (وما على الرسول

الا البلاغ المبين) المائدة : ٩٩ وقال النبي ﷺ : « بلغوا عني »[١] وقال لأصحابه في الجمع الأعظم يوم عرفة : « أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون؟» قالوا : نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت[٢] ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العبد ، فان الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم . وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه ، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد ، أو اثنان ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل ، فيلزم من قال : إن أخبار رسول الله ﷺ لا تفيد العلم أحد أمرين : إما أن يقول : ان الرسول لم يبلغ غير القرآن وما رواه عنه عدد التواتر ، وما سوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ ، وإما أن يقول : إن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علماً ولا يقتضي علماً ، وإذا بطل هذان الامران ، بطل القول بأن أخباره ﷺ التي رواها الثقات العدول الحفاظ ، وتلقتها الامة بالقبول ، لا تفيد علماً ، وهذا ظاهر لا خفاء به .

---

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ».

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ « وانتم تسألون عني ، فما انتم قائلون ؟» قالوا : نشهد انك قد بلغت ، واديت ونصحت . ورواه بلفظ « انتم مسؤولون عني » ابو داود ، والدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

الثامن : قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة : ١٤٣ . وقوله : (وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس) الحج : ٧٨. وجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أنه جعل هذه الأمة عدولاً خياراً ، ليشهدوا على الناس بأن رسلهم قد بلغوهم عن الله رسالته ، وأدوا عليهم ذلك ، وهذا يتناول شهادتهم على الأمم الماضية ، وشهادتهم على أهل عصرهم ومن بعدهم أن رسول الله ﷺ أمرهم بكذا ، ونهاهم عن كذا ، فهم حجة الله على من خالف رسول الله ﷺ وزعم أنه لم يأتهم من الله ماتقوم به عليه الحجة ، ويشهد كل واحد بانفراده بما وصل اليه من العلم الذي كان به من أهل الشهادة ، فلو كانت أحاديث رسول الله لا تفيد (العلم) لم يشهد به الشاهد ، ولم تقم به الحجة على المشهود عليه .

التاسع : قوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) الزخرف : ٨٦. وهذه الاخبار التي رواها الثقات الحفاظ عن رسول الله ﷺ ، إما أن تكون حقاً ، وإما أن تكون باطلاً ، أو مشكوكاً فيها ، ولا يدرى هل هي حق أو باطل ، فان كانت باطلاً أو مشكوكاً فيها ، وجب اطراحها وأن لا يلتفت اليها ، وهذا انسلاخ من الاسلام بالكلية . وان كانت حقاً ، فتجب الشهادة بها على البت أنها عن رسول الله ﷺ ، وكان الشاهد بذلك شاهداً بالحق وهو يعلم صحة المشهود به .

العاشر : قول النبي ﷺ « على مثلها فاشهد »[١] وأشار الى الشمس ،

(١) اخرجه ابن عدي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : « ترى الشمس ؟» قال : نعم . قال : « على مثلها فاشهد او دع » . وقال الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » اخرجه ابن عدي باسناد ضعيف ، وصححه الحاكم فأخطأ .

ولم تزل الصحابة والتابعون وأئمة الحديث يشهدون عليه ﷺ على القطع أنه قال كذا وأمر به ، ونهى عنه ، وفعله ، لما بلغهم اياه الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ، فيقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وحرم كذا ، وأباح كذا ، وهذه شهادة جازمة يعلمون أن المشهود به كالشمس في الوضوح ، ولا ريب أن كل من له التفات الى سنة رسول الله ﷺ واعتناء بها ، يشهد شهادة جازمة إن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة ، وأن قوماً من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة ، وان الصراط حق ، وتكليم الله لعباده يوم القيامة كذلك ، وأن الولاء لمن أعتق ، الى غير أضعاف أضعاف ذلك ، بل يشهد بكل خبر صحيح متلقى بالقبول لم ينكره أهل الحديث شهادة لا يشك فيها .

الحادي عشر : أن هؤلاء المنكرين لافادة أخبار النبي ﷺ للعلم يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم وأقوالهم ، وأنهم قالوا وقيل لهم . (ولو قيل لهم)[1] : انها لم تصح عنهم ، لأنكروا ذلك غاية الانكار ، وتعجبوا من جهل قائله . ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم الا الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ونحوهم ، لم يروها عنهم عدد التواتر ، وهذا معلوم يقيناً ، فكيف حصل لهم العلم الضروري ، أو المقارب للضروري ، بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتوا بكذا ، وذهبوا الى كذا ، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ ، ولا بما رواه عنهم التابعون ، وشاع في الأمة وذاع ، وتعددت طرقه ، وتنوعت ، وكان حرصه عليه أعظم

---

(١) جملة « ولو قيل لهم » زيادة وجدت على هامش الاصل .

بكثير من حرص أولئك على أقوال متبوعهم . إن هذا لهو العجب العجاب .

الثاني عشر : قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال : ٢٤ . ووجه الاستدلال أن هذا أمر لكل مؤمن بلغته دعوة الرسول ﷺ الى يوم القيامة ، ودعوته نوعان : مواجهة ، ونوع بواسطة المبلغ ، وهو مأمور باجابة الدعوتين في الحالتين ، وقد علم أن حياته في تلك الدعوة ، والاستجابة لها ، ومن الممتنع أن يأمره الله تعالى بالاجابة لما لا يفيد علماً ، أو يحييه بما لا يفيد علماً ، أو يتوعده على ترك الاستجابة لما لا يفيد علماً ، بأنه إن لم يفعل عاقبه ، وحال بينه وبين قلبه .

الثالث عشر : قوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ . وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره ﷺ الى يوم القيامة ، ولو كان ما بلغه لم يفد علماً ، لما كان متعرضاً بمخالفة ما لا يفيد علماً للفتنة والعذاب الأليم ، فان هذا انما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر .

الرابع عشر : قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) النساء : ٥٩ الى قوله : (واليوم الآخر) النساء : ٥٩ ووجه الاستدلال أنه أمر أن يرد ما تنازع فيه المسلمون الى الله ورسوله ، والرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرد اليه في حياته ، والى سنته بعد وفاته ، فلولا أن المردود اليه يفيد العلم وفصل النزاع ، لم يكن في الرد اليه فائدة ، إذ كيف يرد حكم المتنازع فيه إلى ما لا يفيد علماً البتة ، ولا يدرى أحق هو أم باطل ؟!

وهذا برهان قاطع بحمد الله ، فلهذا قال من زعم أن أخبار رسول الله

ﷺ لاتفيد علماً : إنا نرد ماتنازعنا فيه إلى العقول ، والآراء ، والأقيسة ، فانها تفيد العلم .

الخامس عشر [١] : مااحتج به الشافعي رحمه الله تعالى ، فانه قال : أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه الى غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم ،

---

(١) إن كل ماتقدم من الادلة على ان خبر الواحد العدل يفيد العلم ، إنما هو منقول عن كتاب « مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » للعلامة ابن القيم ، وقد اسقط الشارح هنا الدليل الخامس عشر ، وانتقل الى السادس عشر فسماه : الخامس عشر . فأحببنا اثبات الدليل الخامس عشر الذي اسقطه الشارح هنا :

الدليل الخامس عشر : قوله تعالى : (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) المائدة : ٤٩ الى قوله : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة : ٥٠ ووجه الاستدلال ان كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما انزل الله ، وهو ذكر من الله انزل على رسوله ، وقد تكفل سبحانه بحفظه ، فلو جاز على حكمه الكذب والغلط والسهو من الرواة ولم يقم دليل على غلط وسهو ناقله ، لسقط حكم ضمان الله وكفالته لحفظه ، وهذا من اعظم الباطل ، ونحن لاندعي عصمة الرواة ، بل نقول : إن الراوي اذا كذب او غلط او سها ، فلا بد ان يقوم دليل على ذلك ، ولا بد ان يكون في الامة من يعرف كذبه وغلطه ليتم حفظه لحججه وأدلته ، ولا تلتبس بما ليس منها ، فانه من حكم الجاهلية ، بخلاف من زعم انه يجوز ان تكون كل هذه الاخبار والاحكام المنقولة الينا آحاداً كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغايتها ان يكون كما قاله من لا علم عنده : (ان نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) الجاثية : ٣٢ .

فان دعوتهم تحيط من ورائهم [١]

قال الشافعي : فلما ندب رسول الله ﷺ الى استماع مقالته وحفظها وأدائها ، أمر أن يؤديها ولو واحد ، دل على أنه لا يأمر من يؤدي عنه إلا ماتقوم به الحجة على من أدي اليه ، لأنه إنما يؤدى عنه حلال يؤتى ، وحرام يتجنب ، وحد يقام ، ومال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة في دين ودنيا ، ودل على أنه قد يحمل الفقه غير الفقيه ، يكون له حافظاً ولا يكون فيه فقيهاً ، وأمر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين ، مما يحتج به في أن إجماع المسلمين لازم . انتهى .

والمقصود أن خبر الواحد العدل ، لو لم يفد علماً لأمر رسول الله ﷺ أن لا يقبل من أدى اليه إلا من عدد التواتر الذي لا يحصل العلم إلا بخبرهم ، ولم يدع للحامل المؤدي ، وان كان واحداً ، لأن ما حمله لا يفيد العلم ، فلم يفعل ما يستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه الى أهل التواتر ، وهذا خلاف مااقتضاه الحديث .

ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما ندب الى ذلك ، وحث عليه ، وأمر به لتقوم به الحجة على من أدي اليه ، فلو لم يفد العلم ، لم يكن فيه حجة .

---

(١) اورده الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » في الترغيب في الاخلاص والترغيب في سماع الحديث وتبليغه ، مطولاً ومختصراً ، من رواية احمد ، وابي داود ، والترمذي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ومن رواية ابن ماجه ، وابن حبان في « صحيحه » والبزار والطبراني في « الاوسط » و « الكبير » قال المنذري : وقد روي هذا الحديث عن ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وابي الدرداء ، وابي قرصافة جندرة بن خشينة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، واسانيد بعضهم صحاح .

السادس عشر ، حديث أبي رافع الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري يقول : لاندري ماهذا ؟ بينا وبينكم القرآن ، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه » ووجه الاستدلال أن هذا نهي عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أن يخالفه ، أو يقول : لا أقبل إلا القرآن ، بل هو أمر لازم ، وفرض حتم بقبول أخباره وسننه ، وإعلام منه ﷺ ، انها من الله أوحاها اليه ، فلو لم تفد علماً لقال من بلغته : إنها أخبار آحاد لاتفيد علماً ، فلا يلزمني قبول مالا علم لي بصحته ، والله تعالى لم يكلفني العلم بما لم أعلم صحته ، ولا اعتقاده ، بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ أمته ،ونهاهم عنه . ولما علم أن في هذه الأمة من يقوله ، حذرهم منه ، فان القائل : إن أخباره لاتفيد العلم ، هكذا يقول ،سواء ، ماندري ماهذه الأحاديث ، وكان سلف هؤلاء يقولون : بيننا وبينكم القرآن ، وخلفهم يقولون : بيننا وبينكم أدلة العقول ، وقد صرحوا بذلك وقالوا : نقدم العقول على هذه الاحاديث آحادها ومتواترها ، ونقدم الأقيسة عليها .

السابع عشر : ماروا مالك عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح ، وأبا طلحة الانصاري ، وأبي بن كعب شراباً من فضيخ ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة : قم يا أنس الى هذه الجرار فاكسرها ، فقمت الى مهراس لنا فضربتها بأسفله ، حتى كسرتها .

وجه الاستدلال أن أبا طلحة أقدم على قبول خبر التحريم حيث ثبت به التحريم لما كان حلالاً وهو يمكنه أن يسمع من رسول الله ﷺ شفاها ،

وأكد ذلك القبول باتلاف الإناء وما فيه ، وهو مال ، وما كان ليقدم على اتلاف المال بخبر من لا يفيد خبره العلم ، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ، فقام خبر ذلك الآتي عنده وعند من معه مقام السماع من رسول الله ﷺ ، بحيث لم يشكوا ولم يرتابوا في صدقه ، والمتكلفون يقولون : إن مثل ذلك الخبر لا يفيد العلم ، لا بقرينة ولا بغير قرينه .

الثامن عشر : أن خبر الواحد لو لم يفد العلم ، لم يثبت به الصحابة التحليل ، والتحريم ، والاباحة ، والفروض ، ويجعلون ذلك ديناً يدان به في الأرض إلى آخر الدهر ، فهذا الصديق رضي الله عنه زاد في الفروض التي في القرآن ، فرض الجدة ، وجعله شريعة مستمرة الى يوم القيامة بخبر محمد ابن مسلمة ، والمغيره بن شعبة فقط ، وجعل حكم ذلك الخبر في اثبات هذا الفرض حكم نص القرآن في اثبات فرض الأم ، ثم اتفق الصحابه والمسلمون بعدهم على إثباته بخبر الواحد ، وأثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخبر حمل بن مالك دية الجنين ، وجعلها فرضاً لازماً للأمة ، وأثبت ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الضحاك بن سفيان الكلابي وحده ، وصار ذلك شرعاً مستمراً الى يوم القيامة ، وأثبت عثمان بن عفان شريعة عامة في سكنى المتوفى عنها بخبر فريعة بنت مالك وحدها ، وهذا اكثر من أن يذكر ، بل هو إجماع معلوم منهم . ولا يقال على هذا إنما يدل على العمل بخبر الواحد في الظنيات ، ونحن لا ننكر ذلك ، لأنا قد قدمنا أنهم أجمعوا على قبوله والعمل بموجبه ، ولو جاز أن يكون كذباً أو غلطاً في نفس الأمر ، لكانت الامة مجمعة على قبول الخطأ والعمل به ، وهذا قدح في الدين والأمة .

التاسع عشر : أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يقبلون خبر

الواحد ، ويقطعون بمضمونه ، فقبله موسى من الذي جاء من أقصى المدينة قائلاً له : (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) القصص ٢٠ فجزم بخبره ، وخرج هارباً من المدينة ، وقبل خبر ابنة صاحب مدين لما قالت (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) القصص : ٢٥ وقبل خبر أبيها في قوله : هذه ابنتي ، وتزوجها بخبره ، وقبل يوسف الصديق خبر الرسول الذي جاءه من عند الملك ، وقال له : (ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة) يوسف : ٥٠ وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له ، وغزاهم بخبرهم ، واستباح دماءهم وأموالهم ، وسبى ذراريهم . ورسل الله صلواته وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار أحكامها ، وهم يجوزون أن تكون كذباً وغلطاً ، وكذلك الامة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد ، وهم يجوزون أن تكون كذباً على رسول الله ﷺ في نفس الأمر ، ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لا علم لهم به ، بل يجوز أن يكون كذباً وخطأ في نفس الأمر ، هذا مما يقطع ببطلانه كل عالم مستبصر .

العشرون : أن خبر العدل الواحد المتلقى بالقبول ، لو لم يفد العلم ، لم تجز الشهادة على الله ورسوله بمضمونه ، ومن المعلوم المتيقن أن الأمة من عهد الصحابة الى الآن ، لم تزل تشهد على الله وعلى رسوله بمضمون هذه الأخبار جازمين بالشهادة في تصانيفهم وخطاباتهم ، فيقولون : شرع الله كذا وكذا على لسان رسوله ﷺ ، فلو لم يكونوا عالمين بصدق الأخبار ، جازمين بها ، لكانوا قد شهدوا بغير علم ، وكانت شهادة زور ، وقولاً[1] على الله ورسوله بغير علم . لعمر الله هذا حقيقة [illegible] بشهادة الزور من سادات الأمة وعلمائها .

---

(١) في الاصل : والقول.

قال أبو عمرو ابن الصلاح وقد ذكر الحديث الصحيح المتلقى بالقبول المتفق على صحته : وهـــذا القسم جميعه مقطوع بصحته ، والعلم اليقيني النظري واقع به ، خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد الا الظن ، وإنما تلقته الأمة بالقبول ، لأنه يجب عليهم العمل بالظن ، والظن قد يخطىء . قال : وقد كنت أميل الى هذا وأحسبه قوياً ، ثم بان لي المـذهب الذي اخترناه هو الصحيح ، لأن ظن من هـــو معصوم من الخطأ لا يخطىء ، والأمة في اجماعها معصومة من الخطأ ، ولهذا كان الاجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعاً بها ، وأكثر إجماعات العلماء كذلك ، وهـــذه نكتة نفيسة نافعة . انتهى .

ونقـل الناظم ايضاً قال : قال شيخ الاسـلام ابن تيمية وقـد قسم الأخبار الى تواتر وآحاد ، فقال بعد ذكر التواتر : وأما القسم الثاني من الأخبار ، فهو ما لا يرويه الا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه . ولكن تلقته الأمة بالقبول ، عملاً به ، أو تصديقاً له ، كخبر عمر بن الخطاب . « إنما الأعمـــال بالنيات »[١] وخبر ابن عمـر « نهى عن بيع الولاء وهبته »[٢] وخبر أنس « دخـل مكـة وعلى رأسه المغفر »[٣] وكخبر أبي هريرة « لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها »[٤] وكقوله : « يحرم من الرضاعـة مايحرم من النسب »[٥] وقـوله : « إذا جلس بين شعبها الأربع ، ثم جهدها ، فقد وجب الغسل »[٦] وقوله في المطلقة ثلاثاً :

---

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه . (٤) متفق عليه .
(٥) رواه مسلم في « صحيحه » عن عائشة بهذا اللفظ . وورد بلفظ آخـــر في « الصحيحين » عن عائشة « ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » .
(٦) متفق عليه من حديث ابي هريرة .

« حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك »[١] وقوله : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ »[٢] وقوله : « إنما الولاء لمن أعتق »[٣] وقوله ، يعني ابن عمر : فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر في رمضان ، على الصغير والكبير ، والذكر والأنثى .[٤] وأمثال ذلك ، فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين .

أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، وأما الخلف ، فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، مثل السرخسي ، وأبي بكر الرازي من الحنفية ، والشيخ أبي الطيب ، والشيخ أبي اسحاق من الشافعية ، وابن خويز منداد وغيره من المالكية ، ومثل القاضي أبي يعلى ، وابن أبي موسى ، وأبي الخطاب وغيرهم من الحنبلية ، ومثل اسحق الاسفرايني ، وابن فورك ، وأبي اسحاق النظام من المتكلمين ؛ وانما نازع في ذلك طائفة ، كابن الباقلاني ومن تبعه ، مثل أبي المعالي ، والغزالي ، وابن عقيل ، وقد ذكر أبو عمرو ابن الصلاح القول الأول ، وصححه ، واختاره ، ولكنه لم يعلم كثرة

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة قالت : جاءت امرأة رفاعة القرظي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : كنت عند رفاعة فطلقني ، فبت طلاقي ، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير ، وانما معه مثل هدبة الثوب ، فقال : « أتريدين ان ترجعي الى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ؟ ! »

(٢) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) متفق عليه بمعناه ، وهو ملفق من حديثين .

القائلين به ليتقوى بهم ، وانما قاله بموجب الحجة الصحيحة ، وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين لهم علم ودين ، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة ، أن هـذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو ، انفرد به عن الجمهور ، وعـذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل الى مايجدونه من كلام ابن الحـاجب . وإن ارتقوا درجة ، صعدوا الى السيف الآمدي ، والى ابن الخطيب ، فان علا سندهم صعدوا الى الغزالي ، والجويني ،والباقلاني . قال : وجميـع أهـل الحديث على ماذكر الشيخ أبو عمرو ، والحجة على قول الجمهور أن تلقي الأمة للخبر تصديقاً وعملاً إجماع منهم ، والأمـة لاتجتمع على ضلالة ، كما لو اجتمعت على موجب عموم أو مطلق ، او اسم حقيقة ، أو على موجب قياس ، فانها لاتجتمع على خطأ ، وان كان الواحـد منهم لوجود النظر اليه لم يؤمن عليه الخطأ ، فان العصمة ثبتت بالسنة الاجماعية ، كما أن خبرالتواتر يجوز الخطأ والكذب على واحدمن المخبرين بمفرده ، ولا يجوز على المجموع ، والأمة معصومة من الخطأ في روايتها ورأيها ورؤياها ، كما قال النبي ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر ،فمن كان متحريهافليتحرها في السبع الأواخر »[1] فجعل تواطأ الرؤيا دليلاً على صحتها ، والآحاد في هذا الباب قد يكون ظنونا بشروطها ، فاذا قويت صـارت علوماً ، واذا ضعفت صارت أوهاماً وخيالات فاسدة ، قال : وأيضاً فلا يجوز أن يكون في نفس الأمر كذباً على الله ورسوله وليس في الأمة من ينكره ، اذ هو خلاف ماوصفهم الله تعالى به . فان قيل : أما الجزم بصدقـــه ، فلا يمكن منهم ، وأما العمل به ، فهو الواجب عليهم ، وان لم يكن صحيحاً

(١) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي اللهعنهما ، بلفظ « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر » .

ورواه البخاري ايضاً بلفظ«أرى رؤياكم في العشر الاواخر فاطلبوها فيالوترمنها ».

في الباطن ، وهذا سؤال ابن الباقلاني . قلنا : وأما الجزم بصدقه ، فانه قد يحتف به من القرائن ما يوجب العلم ، إذالقرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها ، فكيف اذا احتفت بالخبر ، والمنازع بنى على هذا أصله الواهي ؛ أن العلم بمجرد الأخبار لايحصل الا من جهة العدد ، فلزمه أن يقول ما دون العدد لايفيد أصلا ، وهذا غلط خالفه فيه حذاق أتباعه ، وأما العمل به ، فلو جاز أن يكون في الباطن كذباً - وقد وجب علينا العمل به - لانعقد الاجماع على ماهو كذب وخطأ في نفس الأمر ، وهذا باطل ، فاذا كان تلقي الأمة له بالقبول يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول باجماع السلف والصحابة، أولى أن يدل على صدقه ، فانه لايمكن أحداً أن يدعي إجماع الأمة إلا فيما أجمع عليه سلفها من الصحابة والتابعين ، وأما بعد ذلك ، فقد انتشرت انتشاراً لاتضبط أقوال جميعها .

قال : واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب ، كما ذكر الشيخ أبو عمرو ومن قبله من العلماء ، كالحافظ أبي طاهر السلفي وغيره ، فانما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق، فهو محصل للعلم ، مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فان الاعتبار في الاجماع على كل أمر من الأمور الدينية على أهل العلم به ، دون غيرهم ، كما لم يعتبر على الاجماع في الأحكام الشرعية الا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء ، وكذلك لايعتبر في الاجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله ، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم ، الضابطون لأقواله وأفعاله ، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيهم ، فكما أن العلم بالتواتر ينقسم الى عام وخاص ، فيتواتر عند الخاصة مالايكون معلوماً لغيرهم، فضلا (عن) أن يتواتر

عندكم ، فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم ، وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله ، يعلمون من ذلك علماً لايشكون فيه ، مما لاشعور لغيرهم به البتة ، فخبر أبي بكر ، وعمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وابن مسعود ، ونحوهم ، يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بقسم الضروريات ، وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علماً ، وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله ﷺ لم يقل ذلك ، ويعلمون بالضرورة أن نبيهم ﷺ ، أخبر عن خروج قوم من النار بالشفاعة ، وعند المعتزلة والخوارج لم يقل ذلك .

وبالجملة فهم جازمون بأكثر الأحاديث الصحيحة ، قاطعون بصحتها عنه ، وغيرهم لاعلم عنده بذلك ، والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند جمهور العقلاء . انتهى .

وقد أطال الناظم رحمه الله تعالى الكلام في هذا المقام ، وأكثر النقول عن العلماء في أن أخبار الآحاد تفيد العلم واليقين ، ولكن تركناه اختصاراً ، وفيما ذكرناه كفاية ، والله أعلم .

وقول الناظم :

وزعمت أن الله كلم عبده موسى فأسمعه ندا الرحمن

أفتسمع الأذنان غير الحرف والـ ـصوت الذي خصت به الاذنان

وكذا النداء فانه صوت باجمـ ـاع النحاة وأهل كل لسان

لكنه صوت رفيع وهو ضـ ـد للنجاء كلاهما صوتان

فزعمت أن الله ناداه ونــــا جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكان وبعده والصوت بل نوعان محذوران ممتنعــان

هذا إشارة الى الرد على القائلين بالكلام النفسي ، والمعنى المجرد .

قال شيخ الاسلام : فقول الله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) النساء : ١٦٤ (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الأعراف : ١٤٣ (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا) مريم : ٥٢ (فلما أتاها نودي ياموسى ، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) طه : ١١ - ١٤ الآيات ؛ تكليم يسمعه موسى ، والمعنى المجرد لايسمع بالضرورة ، ومن قال : انــــه يسمع فهو مكابر ، ودل الدليل على أنه ناداه ، والنداء لايكون إلا صوتاً مسموعاً ، فلا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لاحقيقة ولا مجازاً . انتهى .

وقال الامام موفق الدين بن قدامـــة في قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) (وكلمه ربه) وقال تعالى : (وناديناه من جانب الطور الأيمن) وقال تعالى : (إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) أجمعنا على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من الله ، لا من شجرة ، ولا من حجر ، ولا من غيره ، لأنـــه لو سمع من غير الله تعالى ، لكان بنو اسرائيل أفضل في ذلك منه ، لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منـــه موسى ، لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام ، وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة . ثم يقال لهم : لم سمي موسى كليم الله ، وإذا ثبت أن موسى عليه السلام إنما سمع من الله عز وجل لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتاً وحرفاً ، فانه لو كان معنى في النفس وفكرة ورؤية ، لم يكن

ذلك تكليما لموسى ، ولا هو شيء يسمع ، والفكر لا يسمى مناداة ، فان قالوا : نحن لا نسميه صوتاً مع كونه مسموعاً . قلنا : هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى ، فانه لا يعني بالصوت الا ما كان مسموعاً ، ثم إن لفظ الصوت قد صحت به الأخبار .

وقال الحافظ ابن حجر في « شرح البخاري » : ومن نفى الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل ألهمهم إياه إلهاماً . قال : وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع الى القياسات على أصوات المخلوقين ، لأنها التي عهدت ذات مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ، ولئن سلم ، فيمنع القياس المذكور ، لأن صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين ، وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة ، وجب الايمان به .

وقال ابن حجر أيضاً في موضع آخر من « شرح البخاري » قوله ﷺ : « ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب ، كما يسمعه من بعد » حمله بعض الأئمة على مجاز الحذف ، أي : يأمر من ينادي ، فاستبعده بعض من أثبت الصوت ، لأن في قوله : « يسمعه من بعد » إشارة إلى أنه ليس من المخلوقات ، لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم ، وبأن الملائكة إذا سمعوه صعقوا ، واذا سمع بعضها بعضاً لم يصعقوا . قال : فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته ، ليس يشبه صوت غيره ، إذ ليس يوجد شيء من صفات المخلوقين . قال : وهكذا قرره المصنف يعني الامام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » انتهى .

ومن الاحاديث في اثبات الصوت ، مارواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : خرجت الى الشام الى عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه ، فقال عبد الله بن أنيس : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يحشر الله العباد »

«الناس» وأومأ بيده الى الشام «حفاة عراة غرلاً بهماً» قال: ليس معهم شيء . قال: «فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبة بظلمه حتى اللطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بظلمة حتى اللطمة» قلنا: كيف وانما نأتي حفاة عراة غرلاً ؟ ! قال: «بالحسنات والسيئات» أخرج أصله البخاري تعليقاً مستشهداً به إلى قوله: «أنا الملك، أنا الديان» وأخرجه الامام أحمد[١] وأبو يعلى الموصلي، والطبراني، وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي بسنده الى جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، قال: بلغني أن للنبي ﷺ حديثاً في القصاص، وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريت بعيراً، فشددت عليه رحلا، وسرت حتى وردت مصر، فمضيت الى باب الرجل الذي بلغني عنه الحديث فقرعت بابه، فخرج الي مملوكه، فنظر في وجهي ولم يكلمني، فدخل الى سيده فقال: أعرابي. فقال: سله من انت ؟ فقال: جابر بن عبد الله الانصاري: فخرج الي مولاه، فلما تراءينا اعتنق أحدنا بصاحبه، فقال: ياجابر، ماجئت تعرف؟ فقلت: حديث بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم في القصاص، ولا تظنن أن أحداً ممن مضى وممن بقي أحفظ له منك . قال: نعم ياجابر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أن الله تعالى يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة غرلاً بهما، ثم ينادي بصوت رفيع غير

---

(١) واورده الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» بلفظ قريب مما أورده الشارح هنا عن عبدالله بن أنيس، وقال في آخره: رواه احمد باسناد حسن .

فظيع ، يسمعه من بعد كمن قرب : أنا الديان ، لاتظالم اليوم ، أما وعزتي لايجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف ، أو يد على يده ألا وان أشد ما أتخوف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط ، فلترتقب أمتي العذاب ، اذا تكافأ النساء بالنساء والرجال بالرجال » . وقد رواه عبد الحق الاشبيلي من طريق الحارث بن ابي أسامة ، ومن « مسنده » نقله ، وخرجه علي بن معبد البغوي المكي وغيره ، وفيه : فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ، ثم سرت اليه ، فسرت شهراً حتى قدمت الشام ، فاذا عبد الله بن أنيس الانصاري ، فأتيت منزله ، فأرسلت اليه أن جابراً على الباب ، فرجع الرسول الي فقال : جابر بن عبد الله ؟ قلت : نعم ، فرجع اليه ، فخرج فاعتنقته : فقلت : حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد » أو قال : « الناس » . . . الحديث . وفي حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر[1] السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، فاذا جاءهم جبريل ، فزع عن قلوبهم ، فيقولون : ياجبريل ماذاقال ربك ؟ قال : فيقول :[2] الحق ، فينادون : الحق الحق » أخرجه أبو داود ورجاله ثقات ، ونحوه من حديث أبي هريرة رواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، وكذا رواه الامام أحمد ، وابنه عبد الله ، وقال : سألت أبي ، فقلت : ياأبي ، الجهمية يزعمون أن الله لايتكلم بصوت ، فقال : كذبوا إنما يدورون على التعطيل .

---

(١) في الاصل : كجر ، وهو خطأ ، والتصويب من « سنن ابي داود » .

(٢) في الاصل : يقول ، والتصحيح من « سنن ابي داود »

وروى الامام احمد رضي الله عنه بسنده الى عبد الله بن مسعود قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء . قال السجزي . وما في رواة هذا الخبر الا إمام مقبول ، وتتمة الخبر : فيخرون سجداً ، حتى إذا فزع عن قلوبهم - قال : سكن عن قلوبهم - قال أهل السماء : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق . قال كذا وكذا . قال القاضي أبو الحسين وغيره : ومثل هذا لايقوله ابن مسعود رضي الله عنه إلا توقيفاً ، لأنه إثبات صفة للذات . انتهى .

وقد روي في اثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثاً ، بعضها صحاح ، وبعضها حسان ، ويحتج بها ، أخرجها الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره .

وأخرج الإمام أحمد غالبها ، واحتج به ، وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضاً في « شرح البخاري » واحتج به البخاري وغيره من أئمة الحديث ، على أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت ، وقد صححوا هذا الأصل ، واعتقدوه ، واعتمدوا على ذلك ، منزهين الله تعالى عما لايليق بجلاله من شبهات الحدوث ، وسمات النقص ، كما قالوا في سائر الصفات ، فاذا رأينا أحداً من الناس ممن لايقدر عشر معشار هؤلاء ، قد دونوا هذه الصفات ، وعملوا بها ، ودانوا لله سبحانه وتعالى بها ، وصرحوا بأن الله تعالى تكلم بحرف وصوت ، لايشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة ، معتمدين على ماصح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله الذي لاينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى ، مع اعتقادهم الجازم الذي لايعتريه شك ولا وهم ولا خيال ، نفي التشبيه والتمثيل ، والتحريف ، والتعطيل ، بل يقولون في صفة الكلام ، كما يقولون في سائر الصفات ، إثباتاً بلا تمثيل ،

وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما عليه سلف الامة ، وفحول الأئمة ، فهو حق اليقين ، وما بعد الحق الا الضلال .

قال الناظم رحمه الله تعالى

وزعمت أن محمداً أسري به ليلا إليــه فهو منه دان

وزعمت أن محمداً يوم اللقا يدنيه رب العرش بالرضوان

حتى يرى المختار حقاً قاعداً معه على العرش الرفيع الشان

وزعمت أن لعرشه أطاً بـه كالرحل أط براكب عجلان

وزعمت أن الله أبدى بعضه للطور حتى عاد كالكثبان

لما تجلى يوم تكليم الرضى موســى الكليم مكلّم الرحمنَ

وزعمت للمعبود وجهاً باقيا وله يمين بل زعمت يــدان

وزعمت أن يديه للسبع العلى والارض يوم الحشر قابضتان

وزعمت أن يمينه ملأى من الخيرات ما غاضت على الازمان

وزعمت ان العدل في الاخرى بها رفع وخفض وهو بالميزان

وزعمت ان الخلق طراً عنده يهتز فوق اصابع الرحمن

وزعمت ايضاً ان قلب العبد ما بين اثنتين من الأصابع عان

وزعمت ان الله يضحك عندما يتقابل الصفان يقتتلان

من عبده يأتي فيبدي نحره لعدوه طلباً لنيل جنــان

وكذاك يضحك عندما يثب الفتى من فرشه لتلاوة القرآن

وكذاك يضحك من قنوط عباده إذ أجدبوا والغيث منهم دان

وزعمت ان الله يرضى عن أولي الحسنى ويغضب من أولي العصيان

وزعمت ان الله يسمع صوته يوم المعاد بعيدهم والداني

لما يناديهم أنا الديان لا ظلم لديّ فيسمع الثقلان

وزعمت أن الله يشرق نوره في الارض يوم الفصل والميزان

وزعمت ان الله يكشف ساقه فيخر ذاك الجمع للأذقان

وزعمت ان الله يبسط كفه لمسيئنا ليتوب من عصيان

وزعمت ان يمينه تطوي السما طي السجل على كتاب بيان

وزعمت ان الله ينزل في الدجى في ثلث ليل آخر أو ثان

فيقول هل من سائل فأجيبه فأنا القريب أجيب من ناداني

وزعمت أن له نزولا ثانيا يوم القيامة للقضاء الثاني

وزعمت أن الله يبدو جهرة لعباده حتي يرى بعيان

بل يسمعون كلامه ويرونه فالمقلتان اليه ناظرتان

وزعمت أن لربنا قدماً وان الله واضعها على النيران

فهناك يدنو بعضها من بعضها وتقول قط قط حاجتي وكفاني

وزعمت أن الناس يوم مزيدهم ... كل يحاضر ربه ويداني

بالحاء مع ضاد وجامع صادها ... وجهان في ذا اللفظ محفوظان

في الترمذي ومسند وسواهما ... من كتب تجسيم بلا كتمان

ووصفته بصفات حي فاعل ... بالاختيار وذانك الأصلان

أصل التفرق بين هذا الخلق في الباري فكن في النفي غير جبان

أولا فلا تلعب بدينك ناقضاً ... نفياً باثبات[1] بلا فرقان

فالناس بين معطل او مثبت ... او ثالث متناقض صنعان

والله لست برابع لهم بلى ... إما حماراً او من الثيران

فاسمح بانكار الجميع ولا تكن ... متناقضاً رجل له وجهان

اولا ففرق بين ما أثبته ... ونفيته بالنص والبرهان

فالباب باب واحد في النفي والـ ... إثبات في عقل وفي ميزان

فمتى أقر ببعض ذلك مثبت ... لزم الجميع او ائت بالفرقان

ومتى نفى شيئاً وأثبت مثله ... فمجسم متناقض ديصان

فذروا المراء وصرحوا بمذاهب القدماء وانسلخوا من الايمان

قول الناظم رحمه الله تعالى : وزعمت أن محمداً أسري به الخ . تقدم الكلام في الاسراء بما يغني عن الاعادة .

قوله . وزعمت أن محمداً يوم اللقا يدنيه رب العرش بالرضوان الخ

---

(١) في الاصل : واثبات ، والصواب ما اثبتناه .

ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب «العلو» قال: أخبرنا اسماعيل بن عبد الرحمن بن المبارك: أنبأنا عبد الله بن أحمد الفقيه، أنبأ ابن البطي، أنبأ ابن خيرون، أنبأنا أبو علي ابن شاذان، أنبأنا أبو سهل القطان، ثنا عبد الكريم الدير عاقولي، ثنا يحيى بن عبد الحميد وغيره قالوا: أنبأنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء: ٧٩ قال: يجلسه، أو يقعده على العرش، لهذا القول طرق خمسة. وأخرجه ابن جرير في تفسيره، وعمل فيه المروذي مصنفاً، ثم قال الذهبي بعد ذلك: فأما قضية قعود نبينا على العرش، فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واه، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه، فقد أنكره بعض أهل الكلام. فقام المروذي وقعد وبالغ في الانتصار لذلك، وجمع فيه كتاباً، وطرق قول مجاهد، منه رواية ليث ابن أبي سليم، وعطاء بن السائب، وأبي يحيى القتات، وجابر بن يزيد، فممن أفتى في ذلك العصر بأن هذا الاثر يسلم ولا يعارض، أبو داود السجستاني صاحب «السنن» وابراهيم الحربي، وخلق، بحيث أن ابن الامام أحمد قال عقيب قول مجاهد: أنا منكر على كل من رد هذا الحديث، وهو عندي رجل سوء منهم، سمعته من جماعة، وما رأيت محدثاً ينكره. وعندنا إنما تنكره الجهمية. وقد حدثنا هارون ابن معروف، ثنا محمد بن فضيل، عن ليث عن مجاهد في قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء: ٧٩ قال: يقعده على العرش، فحدثت به أبي رحمه الله. فقال: لم يقدر لي أن أسمعه من ابن فضيل، بحيث أن المروذي روى حكاية (ينزل) عن إبراهيم بن عرفة: سمعت ابن عمير يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: هذا قد تلقته العلماء بالقبول. وقال المروذي: قال أبو داود السجستاني. ثنا ابن أبي صفوان الثقفي،

ثنا يحيى بن كثير ، ثنا سالم بن جعفر وكان ثقة ، ثنا الجريري ، ثنا سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة جيء بنبيكم ﷺ ، حتى يجلس بين يدي الله عز وجل على كرسيه . . . الحديث

وقد رواه ابن جرير في تفسيره ، أعني قول مجاهد ، ثم قال ابن جرير : ليس في فرق الاسلام من ينكر هذا ، لا من يقر أن الله فوق العرش ، ولا من ينكره ، وكذلك أخرجه النقاش في تفسيره . وكذلك رد شيخ الشافعية ابن سريج على من انكره . انتهى .

قوله : وزعمت أن لعرشه أطاً به الخ ..عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، نهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال . فاستسق ربك ، فانا لنستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : « سبحان الله ، سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال : ويحك أتدري ما الله : إن شأنه أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع به على أحد ، وإنه لفوق سمواته على عرشه ، وانه عليه لهكذا » وأشار وهب بيده مثل القبة عليه . وأشار ابن الازهر أيضاً « وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب »[١] أخرجه أبو داود عن أحمد بن سعيد عن وهب ، ولفظه : إن عرشه على سمواته ، ساقه الذهبي في كتاب «العلو» من عدة طرق ، من طريق ابن إسحق ، ثم قال : هذا حديث غريب جداً فرد ، وابن اسحق حجة في المغازي إذا أسند ، وله مناكير وعجائب ، فالله أعلم ، هل قال ﷺ هذا أم لا ؟ والله عز وجل ليس كمثله شيء ، جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ،

---

(١) هذا الحديث رواه محمد بن اسحاق معنعناً ، فهو ضعيف لتدليسه ، ولا يصح في أطيط العرش حديث .

ولا إله غيره . والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل وللعرش ، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل . ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الأحاديث: إننا نؤمن بما صح منها ، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره ، فاما ما في إسناده مقال ، واختلف العلماء في قبوله وتأويله ، فانا لا نتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب . انتهى كلامه .

قوله : وزعمت أن الله أبدى بعضه الخ ... روى الترمذي في « جامعه » عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً) الاعراف : ١٤٣ قال حماد : هكذا ، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى ، قال : فساخ الجبل ، وخر موسى صعقاً . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة . وروى ابن أبي عاصم في كتاب « السنة » عن ابن عباس (فلما تجلى ربه للجبل) قال : ما تجلى منه إلا مثل الخنصر . قال : فجعله دكاً . قال : تراباً (وخر موسى صعقاً) غشي عليه ، (فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك) عن أن أسألك الرؤية (وأنا أول المؤمنين) قال : أول من آمن بك من بني اسرائيل . ورواه الطبراني أيضاً . ورواه البيهقي في كتاب إثبات الرؤية له : اخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن اسحق . يعني العدناني ، ثنا عمرو ابن طلحة في التفسير ، ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : تجلى منه مثل طرف الخنصر ، فجعله دكاً .

قوله : وزعمت للمعبود وجهاً باقياً وله يمين الخ ... يأتي الكلام في الوجه

واليدين إن شاء الله تعالى [1]

قوله : وزعمت أن يديه للسبع العلى الخ... روى البخاري في « صحيحه » عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « ان الله يقبض يوم القيامة الأرض ، وتكون السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك » . وفي « الصحيحين » أيضاً ، واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملك ؛ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

قوله : وزعمت أن يمينه ملأى الخ . . . يشير إلى قوله ﷺ : « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم مـــا أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فانه لم يغض ما في يمينه ، وفي يده الأخرى العدل ، يخفض بها ويرفع » . قوله : وزعمت أن الله يضحك عندما الخ... يشير الى قوله ﷺ (« يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد ») [2] .

قوله : وزعمت أيضاً أن قلب العبد ما... الخ . . عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء » ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك » رواه مسلم .

---

(١) في الاصل بياض هنا ، ولعله اراد ان يقول : يأتي الكلام في الوجه واليدين إن شاء الله تعالى في بابه .

(٢) في الاصل بياض هنا ، وأثبتنا هذا الحديث الذي رواه البخاري بين القوسين ، لانه هو الذي يشير الى قول المصنف : وزعمت ان الله يضحك عندما الخ .

قوله: وكذلك يضحك من قنوط عباده . . يشير الى ما في حديث أبي رزين عن النبي ﷺ قال : « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ، ينظر اليكم أذلين قنطين ، ويظل يضحك ، يعلم أن فرجكم قريب » فقال له أبو رزين : أو يضحك الرب ؟ قال : نعم . فقال : لن نعدم - من رب يضحك - خيراً .

قوله : وزعمت أن الله يبسط كفه ... يشير الى حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم ، (وقوله في الحديث المتفق على صحته « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا الطيب ، تقبلها بيمينه » وقوله : « ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم »)[1] .

قال الخلال في كتاب « السنة » قال حنبل : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروي أن الله تبارك وتعالى ينزل الى سماء الدنيا ، وأن الله يرى ، وأن الله يضع قدمه ، وما أشبه هذه الأحاديث . فقال أبو عبد الله : نؤمن بها ، ونصدق بها ، ولا كيف ، ولا معنى ، ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق اذا كان بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ، ولا غاية ، ليس كمثله شيء . وقال حنبل في موضع آخر : ليس كمثله شيء في ذاته ، كما وصف به نفسه . وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفة

---

(١) كان في الأصل هنا بياض ، فاخترنا هذه الزيادة التي بين القوسين تتميما للفائدة .

لنفسه ، فحد لنفسه صفة ، ليس يشبهه شيء ، فنعبد الله بصفاته غير محدودة، ولا معلومة ، إلا بما وصف الله نفسه به . قال الله تبارك وتعالى : (وهو السميع البصير) الشورى : ١١ وقال حنبل في موضع آخر : وهو سميع بصير ، بلا حد ، ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفته ، وصفاته منه وله ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال ، ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ولا تبلغه صفة الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله ، محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، ووصف وصف به نفسه من كلام ، وخلوه بعبده ، ووضعه كنفه عليه ، هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا بدعة . والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا بما وصف به نفسه ، سميع بصير ، لم يزل متكلما غفوراً عالمــــاً ، عالم الغيب والشهادة ، عـلام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه ، لاترد ولا تدفع ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٧ كيف شاء ، المشيئة اليه عز وجل ، والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء ، وهو كما وصف نفسه ، سميع بصير بلا حد . ولا تقدير قول ابراهيم لأبيه (لم تعبد مــــا لا يسمع ولا يبصر) مريم : ٤٢ فثبت أن الله سميع بصير ، صفاته منه ، لانتعدى القرآن والحديث والخبر : يضحك الله ، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ، وتثبيت القرآن ، لايصفه الواصفون ، ولا يحده أحد ، تعالى الله عمـــا تقول الجهمية والمشبهة . قلت له : والمشبهة مايقولون ؟ قال : من قال : بصر كبصري ، ويد كيدي . انتهى .

قوله : فالنـــاس بين معطل أو مثبت الخ . . . المعطلة ، كالجهمية ، والمعتزلة . والمثبتة ، يعني السلف وأتباعهم . والثالث المتناقض ، كالذين

يثبتون بعض الصفات ، وينفون بعضها ، ولهذا قال الناظم : فمتى أقر ببعض ذلك مثبت لزم الجميع ؛ أي : إنه يلزمكم إذا أثبتم بعض الصفات أن تثبتوا جميعها ، وإلا فانفوها جميعها ، اذ ليس بأيديكم فرق صحيح ، وسيأتي إبطال مافرقوا به في كلام الناظم رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

وقوله : ديصان . قال الناظم في « إغاثة اللهفان » وحكى أرباب المقالات عنهم ، أي عن الثنوية أن قوماً منهم يقال لهم : الديصانية ، زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة[1] ، وكانت تحاكي جسم النور الذي هو الباري عندهم – زماناً ، فتأذى بها ، فلما طال ذلك عليه قصد تنحيتها عنه ، فتوحل فيها[2] واختلط بها ، فتركب من بينهما هذا العالم المشتمل على الظلمة والنور ، فما كان من جهة الصلاح ، فمن النور ، وما كان من جهة الفساد ، فمن الظلمة. قال : وهؤلاء يقتالون الناس ويخنقونهم ، ويزعمون أنهم يحسنون إليهم بذلك ، وأنهم يخلصون الروح النورانية من الجسد المظلم . انتهى .

وقوله : القدماء ، يعني الفلاسفة .

اوقاتلوا مع يمة[3] التجسيم والتشـبيه تحت لواء ذي القرآن

أولا فلا تتلاعبوا بعقولكم وكتابكم وبسائر الأديان

فجميعها قد صرحت بصفاته وكلامه وعلوه ببيان

والناس بين مصدق أو جاحد أو بين ذلك أو شبيه أتان

فاصنع من التنزيه ترساً محكما وانف الجميع بصنعة وبيان

وكذاك لقب مذهب الإثبات بالتجسيم ثم احمل على الأقران

---

(١) في الاصل حسنة . (٢) في الاصل : فتحول عنها

(٣) أي مع أئمة ، وحذفت الهمزتان لضرورة الوزن .

فمتى صرحت لهم بوصف واحد ... حملوا عليك بحملة الفرسان

فصرعت صرعة من غدا متلبطاً ... وسط العرين ممزق اللحمان

فلذاك أنكرنا الجميع مخافة التجسيم ان صرنا الى القرآن

ولذا خلعنا ربقة الأديان من ... أعناقنا في سالف الازمان

ولنا ملوك قاوموا الرسل الألى ... جاؤوا باثبات الصفات كمان

في آل فرعون وقارون وها ... مان ونمروذ وجنكسخان

قوله : جنكسخان ، ويقال : جنكزخان ، وهو طاغية التتار ، وملكهم الأول الذي خرب البلاد ، ولم يكن للتتار قبله ذكر ، إنما كانوا ببادية الصين فملكوه عليهم ، وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم ، وكان مبدأ ملكه سنة (٥٩٩ هـ) [1] واستولى على بخارى وسمرقند ١٠ سنة ، واستولى على مدن خراسان ١٧ سنة ، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند ، ووصل الى مدينة سكب من بلاد الخطا ، فمرض بها ومات في رابع شهر رمضان ٦٢٤ سنة فكانت أيام مملكته خمساً وعشرين سنة . وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرجي ، ومات على دينهم وكفرهم ، وخلف من الاولاد ستة ، وفوض الأمر إلى أركتاي أحدهم بعد ما استشار الخمسة الباقين ، فلما مات امتنع أركتاي من الملك ، وقال : في إخواني وأعمامي من هو أكبر مني ، فلم يزالوا به بعد أربعين يوماً حتى تملك عليهم ، ولقبوه :

---

(١) في الاصل « ٥٠٩ » وهو خطأ ، والتصحيح من « البداية والنهاية » لابن كثير.

القان الأعظم ، ومعناه : الخليفة فيما قيل ، وبعث جنوده وفتح الفتوحات، وطالت أيامه ، وولي بعده الامر موتكوقا ، وهو القان الذي هو لاكو من بعض مقدميه ، وولي بعده أخوه قبلاي ، وطالت أيام قبلاي ، وبقي في الأمر الى سنة ٧٤٠ ومات بمدينة خان بالق ، يقال : إنــه لما كان السلطان خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار ، ويقتلهم ، ويسبي ذراريهم وأولادهم ، ويمنعهم الخروج عن حدود بلادهم ، اجتمع[1] التتار ، وشكوا ما يلاقون[2] من خوارزم شاه ، وما هم فيه من الضيق والبلاء . فقال لهم جنكزخان : إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعــة واتباع الذي أضعه لكم شرعة ، رددت خوارزم عنكم ، فالتزموا له بذلك ، وكان مما وضعه لهم أن قال : كل من أحب امرأة بنتاً كانت او غيرها ، لا يمنع من التزوج ، ولو كان زبالاً والمرأة بنت ملك ، وكان غرضه ان يتناكحوا بشهوة شديدة[3] ويتضاعف نسلهم ، ويكثر عددهم ، فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه ، وعقدوا مهادنته عشرين سنة ؛ فما جاءت العشرون سنة إلا وهم أمم لا يحصون ، ولا يحصرون . وكان من جملة ماقرره أنه إذا حرم القان على احد شيئاً ، فلا يحل له الى أن تأتيه الممات ، وقرر لهم أن (من) رعف وهو يأكل قتل كائناً من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم اليسق قتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم ، لعلمــه أنهم يداخلهم الحسد له ، ويستصغرونه ، فتركهم يوماً وهم على سماطه ، فرعف فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرر ، وهابوه في ذلك ، فتركهم أياماً ، وجمعهم وقال : لأي شيء ما أمضيتم حكم

---

(١) في الاصل : اجتمعوا (٢) في الاصل : يلاقوا .

(٣) في الاصل شديد .

اليسق في ، وقد رعفت وأنا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك .
فقال : لم تعملوا باليسق ولا أمضيتم أمره ، وقد وجب قتلكم ، فقتل
أكابرهم ، واستراح منهم . والترك يزعمون أنه ولد الشمس ، لأن في صحاريهم
أماكن فيها غاب الغاب ، لا يقربه أحد من الذكران ، وأن أمه أعتقت
فرجها ، وراحت الى ذلك الغاب وغابت فيه مدة ، وأتتهم
وقالت : هذا من الشمس ، لأن الشمس دخلت في فرجي بعض الأيام وأنا
أغتسل ، فحملت بهذا . ويقال : إنه كان حداداً ، والله اعلم ، كذا في
« تاريخ ابن شاكر »

قوله : أتان بفتح الهمزة : هي الأنثى من الحمير . قال ابن السكيت :
ولا يقال أتانة : وجمع القلة: أتن ، مثل عنق وأعنق ، وجمع الكثرة :
أتن بضمتين .

قال الناظم رحمه الله تعالى

ولنا الأئمة كالفلاسفة الألى ... لم يعبؤوا أصلاً بذي الأديان
منهم أرسطو ثم شيعته إلى ... هذا الأوان وعند كل أوان
مافيهم من قال إن الله فو ... ق العرش خارج هذه الاكوان
كلا ولا قالوا بأن إلهنا ... متكلم بالوحي والقرآن
ولأجل هذا رد فرعون على ... موسى ولم يقدر على الإيمان
إذ قال موسى ربنا متكلم ... فوق السماء وأنه ناداني

وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا أتباعه بل صانعوا بدهان

وكذلك الطوسيّ لما أن غدا ذا قدرة لم يخش من سلطان

قتل الخليفة والقضاة وحاملي القرآن والفقهاء في البلدان

إذ هم مشبهة مجسمة ومـا دانوا بدين أكابر اليونان

ولنا الملاحدة الفحول أئمة التـعطيل والتشبيه آل سنان

ولنا تصانيف بها غاليتمُ مثل «الشفا» و«رسائل الاخوان»

وكذا الاشارات التي هي عندكم قد ضمنت لقواطع البرهان

قد صرحت بالضد مما جاء في التـوراة والانجيل والفرقـان

هي عندكم مثل النصوص وفوقها في حجة قطعيـة وبيان

وإذا تحاكمنا فانّ اليهم يقع التحاكم لا إلى القرآن

إذ قد تساعدنا بأن نصوصه لفظية عزلت عن الايقان

فلذاك حكّمنا عليه وأنتمُ قول المعـلم أولاً والثاني

يا ويح جهم وابن درهم والألى قالوا بقولهما من الخوران

بقيت من التشبيه فيه بقية نقضت قواعده من الأركان

ينفي الصفات مخافة التجسيم لا يلوي على خبر ولا قرآن

ويقول إن الله يسمع أو يرى وكذاك يعلم سر كل جنان

ويقول إن الله قد شاء الذي ... هو كائن من هذه الاكوان

ويقول إن الفعل مقدور له ... والكون ينسبه الى الحدثان

وبنفيه التجسيم يصرخ في الورى ... والله ما هـذان متفقان

لكننا قلنا محال كل ذا ... حذراً من التشبيه والإمكان

أما ابن سينا ، فهو على ما في « تاريخ ابن خلكان » وغـيره . أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري (والده من بلخ . سكن بخارى أيام الأمير نوح ، ثم تزوج امرأة بقرية (أفشنة) وبها ولد أبو علي المذكور الملقب بالرئيس ، وختم القرآن وهو ابن عشر سنين ، وقرأ الحكمة على أبي عبد الله الناتلي ، وحل اقليدس ، والمجسطي ، والطب ، وهو ابن ثماني عشرة سنة ، ثم انتقل من بخارى الى جرجان وغيرها ، ثم اتصل بخدمة مجد الدولة ابن بويه بالري ، ثم خدم قابوس بن شكمير ، ثم قصد علاء الدولة ابن كاكويه بأصبهان ، وتقدم عنده ، ثم مرض بالصرع ، والقولنج ، وترك الحمية ، ومضى الى همذان مريضاً ومات بها سنة ٤٢٨ أربعمائة وثمان وعشرين ، وعمره إحدى وخمسون سنة[١] . قال ابن خلكان : ثم إن ابن سينا لما أيس من العافية على ما قيل ، ترك المداراة ، واغتسل ، وتاب ، وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه ، وأعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة ختمة . مات بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان وقيل : مات في السجن ، وولادته سنة ثلاثمائة وسبعين ، والله أعلم . وله نحو مائة مصنف ، منها كتاب « الشفاء » في الحكمة « و الاشارات » ، وفي الطب « القانون » وغـيره ، وله شعر ، ومنـه القصيدة المشهورة في الروح ، وهي :

---

(١) في الاصل : ومات سنة اربعمائة وثمان وثلاثين سنة ، وعمره ثمان وخمسون سنة وهو خطأ ، والتصحيح من « الاعلام » و « وفيات الاعيان » .

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وأما النصير الطوسي . فهو محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين الطوسي ، صاحب « الرياضي » ، « و « الرصد » ، كان رأساً في علم الأوائل ، لا سيما في الأرصاد ، والمجسطي ، فانه فاق الكبار . قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي ، وغيره ، وكان ذا حرمة وافرة ، ومنزلة عالية عند هولاكو ، وكان يطيعه فيما يشير به عليه ، والأموال في تصريفه ، وابتنى ب(مراغة) قبة ، ورصداً عظيماً ، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء ، و لأها من الكتب التي نهبت من بغداد ، والشام ، والجزيرة ، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة الف مجلد ، وقرر بالرصد المنجمين ، والفلاسفة ، والعقلاء ، وجعل له أوقافاً ، وكان حسن الصورة ، سمحاً كريماً ، جواداً حليماً ، حسن العشرة ، غزير الفضائل ، واختصر « المحصل » للامام فخر الدين ، وهذبه ، وزاد فيه ، وشرح « الاشارات » ورد على الامام فخر الدين في شرحه ، وقال : هذا جرح ، وما هو بشرح . وقال فيه : حررته في عشرين سنة ، وناقض فخر الدين كثيراً . ومن تصانيفه « التجريد » في المنطق و « أوصاف الاشراف » و « قواعد العقائد » و « التلخيص » في الكلام و « شرح كتاب ثمرة بطليموس[1] » ، وكتاب « المجسطي » و « شرح مسألة العلم » و « رسالة الإمامة » ورسالة الى نجم الدين الكاتبي في اثبات الواجب ، وحواشي على كليات « القانون » وغير ذلك . وقال شمس الدين ابن المؤيد العرضي : أخذ النصير العلم من كمال الدين بن يونس الموصلي ، ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي ، وغيرهما ، وكان منجماً لا ئقاً[2] بعد أبيه ،

(١) في الاصل : « وشرح الهمزة لبطليموس » ، والتصحيح من كتاب « الاعلام » .
(٢) هذه الكلمة لم تكن واضحة في الأصل .

وكان يعمل الوزارة لهولاكو ، من غير أن يدخل يده في الأموال ، واحتوى على عقله ، حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به ، ومولد النصير بطوس ٥٩٧ سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد ، ودفن في مشهد الكاظم . انتهى ملخصاً من « تاريخ ابن شاكر »

قلت : ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في « منهاج السنة النبوية » في الرد على ابن المطهر الرافضي لما ذكر قوله : قال شيخنا الأعظم خواجه نصر الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه ، الى آخر ما ذكر ابن المطهر . فقال الشيخ في الجواب :

الجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا الامامي قد كفر من قال : إن الله موجب بالذات ، كما تقدم من قوله : يلزم أن يكون موجباً بذاته لا مختاراً ، فيلزم الكفر ، وهذا الذي جعله شيخه الاعظم ، واحتج بقوله ، هو ممن يقول بأن الله موجب بالذات ، ويقول بقدم العالم ، كما ذكر ذلك في كتاب « شرح الاشارات » له ، فيلزم على قوله أن يكون شيخه هذا الذي احتج به كافراً ، والكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين .

الثاني : ان هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الاسماعيلية بالألموت ، ثم لما قدم الترك المشركون الى بلاد المسلمين ، وجاؤوا الى بغداد دار الخلافة ، كان هـذا منجماً مشيراً لملك الترك المشركين هولاكو . أشار عليه بقتل الخليفة ، وقتل أهل العلم والدين ، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا ، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين ، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء

المشركين وشيوخهم من النجشية السحرة وأمثالهم ، وانه لما بنى الرصد الذي بـ(مراغة) على طريقة الصابئة ، كان أخس الناس نصيباً منه من كان إلى أهل الملل أقرب ، وأوفرهم نصيباً من كان أبعد عن الملل ، مثل الصابئة المشركين ، ومثل المعطلة ، وسائر المشركين ، وان ارتزقوا[1] بالنجوم والطب ونحو ذلك.

ومن المشهور عنه وعن أتباعه ، الاستهتار بواجبات الاسلام ومحرماته ، لا يحافظون على الفرائض كالصلوات ، ولا ينزعون عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات ، حتى إنهم في شهر رمضان يذكر عنهم من إضاعة الصلوات ، والفواحش ، وشرب الخمور ، ما يعرفه أهل الخبرة بهم ، ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى ، ولهذا كلما قوي الاسلام في المغول[2] وغيرهم من الترك ، ضعف أمر هؤلاء لفرط معاداتهم للاسلام وأهله ، ولهذا كانوا من أنقص الناس منزلة عند الأمير نوروز المجاهد في سبيل الله الشهيد الذي دعا ملك المغول غازان الى الاسلام ، والتزم له ان ينصره اذا أسلم ، وقتل المشركين الذين لم يسلموا من النجشية السحرة وغيرهم ، وهدم البدخانات ، وكسر الأصنام ، ومزق سدنتها كل ممزق ، وألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار ، وبسببه ظهر الاسلام في المغول وأتباعهم .

وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه في الاسلام والمسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ، ويوصف ، ومع هذا فقد قيل : إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ، ويشتغل بتفسير البغوي ، وبالفقه ، ونحو ذلك ، فان كان قد تاب من الالحاد ، فالله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، والله يقول : (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر : ٥٣ لكن ما ذكره

---

(١) في الاصل : ارتزقوم .

(٢) في الاصل : المغل

عنه هذا ، إن كان قبل التوبة ، لم يقبل قوله ، وان كان بعد التوبة ، لم يكن قد تاب من الرفض ، بل من الالحاد وحده . وعلى التقديرين ، فلا يقبل قوله ، والأظهر أنه كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجماً للمغول المشركين ، والالحاد معروف من حاله إذ ذاك . انتهى كلام شيخ الاسلام .

وقول الناظم : آل سنان . هو سنان البصري الذي كان بحصون الاسماعيلية بالشام ، وكان يقول : قد رفعت عنهم الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة . وأما « الشفاء » فهو من مصنفات ابن سينا ، وكذا « الاشارات » ، من تصانيفه أيضاً . وقوله : و « رسائل الاخوان » هي « رسائل اخوان الصفا » وهي على ما في « كشف الظنون » و « شرح عقيدة السفاريني » إحدى وخمسون رسالة ، وهي أصل مذهب القرامطة ، وربما نسبوها الى جعفر الصادق رضي الله عنه ترويجاً . وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه ، أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد النهرجوري ، والعرفي يزيد بن رفاعة ، كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك الشريعة المطهرة ، وفي « فتاوى ابن حجر الحديثية » ما نصه : نسبها كثير الى جعفر الصادق ، وهو باطل ، وإنما الصواب أن مؤلفها مسلمة بن قاسم الأندلسي ، كان جامعاً لعلوم الحكمة ، من الالهيات ، والطبيعيات ، والهندسة ، والتنجيم ، وعلوم الكيمياء وغيرها ، واليه انتهى علم الحكمة بالأندلس ، وعنه أخذ حكماؤها . وتوفي سنة ٣٥٣ وممن ذكره ابن بشكوال ، وكتابه فيه أشياء حكمية ، وفلسفية ، وشرعية . انتهى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « المنهاج » : حتى إن طائفة من الناس يظنون أن « رسائل إخوان الصفا » مأخوذة عن جعفر الصادق ، وهذا من الكذب المعلوم ، فان جعفراً توفي سنة ١٤٨ ثمان وأربعين ومائة ، وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة ، وضعت لما ظهرت دولة الاسماعيلية الباطنية الذين بنوا القاهرة المعزية ، سنة بضع وخمسين وثلاثمائة ، وفي تلك الأوقات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب الذي ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، فأظهروا اتباع الشريعة ، وأن لها باطناً مخالفاً لظاهرها ، وباطن أمرهم مذهب الفلاسفة ؛ وعلى هذا الأمر وضعت هذه الرسائل ؛ وضعها طائفة من المتفلسفة ؛ معروفون ؛ وقد ذكروا في أثنائها ما استولى عليه النصارى من أرض الشام ؛ وكان أول ذلك بعد ثلاثمائة سنة ٣٠٠ من الهجرة النبوية في أوائل المائة الرابعة. انتهى كلامه . قول الناظم :

فلذاك حكمنا عليه وأنتم ... قول المعلم أولاً والثاني

المعلم الأول أرسطاطاليس ؛ والمعلم الثاني هو أبو نصر الفارابي : وهو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي ، صاحب المصنفات المشهورة في المنطق ؛ والحكمة ؛ والموسيقى التي من ابتغى الهدى فيها أضله الله . مات سنة ٣٣٩ تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وله نحو من ٨٠ سنة .

قوله :

ياويح جهم وابن درهم والألى ... قالوا بقولهما من الحوَران

هذا على سبيل التهكم ، وإلزام جهم والجعد بن درهم التناقض ؛ أي : أن الجهم يقول : «إن الله يسمع» ويرى ، ويعلم ، ويثبت المشيئة والعلم لله، ومع ذلك ينفي التجسيم ؛ أي فالتجسيم لازم له إذا أثبت هذه الصفات ، وهذا من الحور ، أي الضعف .

قوله : ياويح . ويح : كلمه ترحم وتوجع ، تقال لمن وقـــع في هلكة لا يستحقها . قال في « القاموس » : ويح لزيد ، وويحاً له : كلمة رحمة ، ورفعه على الابتداء ، ونصبه بإضمارفعل ، وويح زيد ، ويا ويحه ، بنصبهما أيضاً ، وويحـــا زيد بمعناه ، وأصله: وي ، فوصلت بحـــاء مرة ، وبـــلام مرة . انتهى .

قال شيخ الاسلام في كتابه « التسعينية » : وكذلك الجهمية على ثلاث درجات ، فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا : هو مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ، ولا عالم ، ولا قادر ، ولا سميع ، ولابصير ، ولا يكلم ، ولا يتكلم ، وكذا وصف العلماء حقيقة قولهم ، كما ذكره الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهميه ، قال : فعندذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً ، لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية . فاذا قيل لهم : فمن تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر هذا الخلق . فقلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قالوا : نعم . قلنا : قـد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً ، انما تدفعون عن انفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم : هذا الذي يدبر هوالذي كلم موسى ؟ قالوا : لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية . واذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم إنما يقودهم قولهم الى ضلال وكفر . قال : وقال ابو الحسن الأشعري في « المقالات » : الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين ، وعمى العمين ، وحيرة المتحيرين ، الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا : ان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، لا صفات له ، ولا علم له ، ولا قدرة له ، ولا حياة له ،

ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولاعزة له ، ولا جلال له ، ولا عظمة له ولا كبرياء له . وكذلك قالوا في سائر صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه . قال : وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ، ليس بعالم ، ولا قادر ، ولا حي ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا قدير ، وعبروا عنه بأن قالوا : نقول: عين لم يزل ، ولم يزيدوا على ذلك ، غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره ، فأظهروا معناه ، فنفوا أن يكون للباري ، علم ، وقدرة ، وحياة ، وسمع وبصر ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك ، ولأفصحوا به ، غير أن الخوف يمنعهم من إظهار ذلك . قال : قد أفصح بذلك رجل يعرف بـ (ابن الايادي) كان ينتحل قولهم ، فزعم أن الباري، عالم ، قادر ، سميع ، بصير في المجاز لا في الحقيقة ، وهذا القول الذي هو قول الغالية النفاة للاسماء حقيقة ، هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من إخوانهم الصابئة الفلاسفة .

والدرجة الثانية من التجهم ، هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة ، لكن ينفون صفاته ، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون .

وأما الدرجة الثالثة ، الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية . لكن فيهم نوع من التجهم ، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ، الى آخر ماذكره رحمه الله تعالى. وقد تقدم ماذكره شيخ الاسلام في موضع آخر . والجهم هو

اعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللاسماء الحسنى .

قوله : من جنس قول الباطنية القرامطة . حتى ذكروا عنه أنه لا يسمي الله شيئاً ، ولا غير ذلك من الاسماء التي يسمى بها المخلوق ، لأن ذلك بزعمه من التشبيه والممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية ، وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادراً فاعلاً ، لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ، إذ كان هو رأس المجبرة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

قال الناظم :

فصل

في قدوم ركب الايمان وعسكر القرآن

وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا ... قد جئتكم من مطلع الايمان

من أرض طيبة من مهاجر أحمد ... بالحق والبرهان والتبيان

سافرت في طلب الإله فدلني الـ ... ـهادي عليه ومحكم القرآن

مع فطرة الرحمن جل جلاله ... وصريح عقلي فاعتلى ببيان

فتوافق الوحي الصريح وفطرة الـ ... ـرحمن والمعقول في إيمان

شهدوا بأن الله جل جلاله ... متفرد بالملك والسلطان

وهو الاله الحق لا معبود إلا وجهه الأعلى العظيم الشان

بل كل معبود سواه فباطل ... من عرشه حتى الحضيض الداني

وعبادة الرحمن غاية حبــه مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر مادار حتى قامت القطبان

ومــداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

فقيام دين الله بالاخـلاص والاحســان إنهما له أصلان

لم ينج من غضب الإله وتارة إلا الذي قامت به الأصلان

ينج بفتح الياء وضم الجيم ، مبني للفاعل ؛ أي : لم ينج من غضب الاله وناره الا الذي قام به الاخلاص والاحسان .

والناس بعد فمشرك بإلهه أو ذو ابتداع أوله الوصفان

والله لا يرضى بكثرة فعلنا لكن بأحسنه مع الإيمان

يشير إلى قول الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) الملك : ٢ قال: أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالعارفون مرادهم إحسانه والجاهلون عموا عن الاحسان

وكذاك قد شهدوا بأن الله ذو سمع وذو بصر هما صفتان

وهو العلي يرى ويسمع خلقه من فوق عرش فوق ست ثمان

فيرى دبيب النمل في غسق الدجى ويرى كذاك تقلب الأجفان

وضجيج أصوات العباد بسمعه ولديه لا تتشابه الصوتان

وهو العليم بما يوسوس عبده في نفسه من غير نطق لسان

بل يستوي في علمه الداني مع القاصي وذو الإسرار والإعلان

وهو العليم بما يكون غداً وما قد كان والمعلوم في ذا الآن

وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون موجوداً لذي الاعيان

وهو القدير فكل شيء فهو مقدور له طوعاً بلا عصيان

وعموم قدرته تدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان

هي خلقه حقاً وأفعال لهم حقاً ولا يتناقض الأمران

لكن أهل الجبر والتكذيب بالـــأقدار ما انفتحت لهم عينان

نظروا بعيني أعور إذ فاتهم نظر البصير وغارت العينان

فحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضى الرباني

قال الامام شفا القلوب بلفظة ذات اختصار وهي ذات بيان

أشار رحمه الله بهذه الأبيات إلى اثبات صفات الله تعالى التي نطق بها كتابه ، وسنة رسوله ﷺ . ومذهب سلف الأمة وأئمتها، إثبات صفات الله

تعالى التي ورد بها الكتاب ، وصحيح السنة وحسنها ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، خلافاً للجهمية ، والمعتزلة ، والاشاعرة ، والأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله تشبيهاً . انتهى . بل هو إثبات على مايليق بجلال الله وعظمته وكبريائه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قوله : وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون الخ . وذلك نحو خبر الله عن أهل النار أنهم (لو ردوا لعادوا الى مانهوا عنه) الانعام : ٢٨ وأنه (لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الأنفال : ٢٣ وأنه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الأنبياء : ٢٢ وأنه (لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلًا) الاسراء : ٤٢ وأنه (لوخرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا) التوبة : ٤٧ وأنه (لولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً) النور : ٢١ ونحو ذلك . وقد تقدمت الإشارة الى اثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى ، وكذلك تقدم الكلام في خلق أفعال العباد .

وأما الكلام في القدر ، فهو طويل ، ولكن نشير إلى ذلك اشارة ، فنقول : قول الناظم رحمه الله : لكن أهل الجبر والتكذيب بالأقدار الخ ... أي : إن الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العباد مجبورين على أفعالهم من الطاعات والمعاصي ، فأفعال العباد عندهم بمنزلة تحريك الهواء للأشجار ، وبمنزلة حركة المرتعش . وقابلهم النفاة للقدر ، وهم الذين جعلوا أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى .

وقد روى مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ،

عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من تكلم بالقدر في البصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر داخلاً المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الي. فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ، ويتقفرون العلم ، يزعمون أن لاقدر ، وأن الأمر أنف . فقال : إذا لقيت أولئك ، فأخبرهم أني منهم بريء ، وأنهم مني برآء ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر : لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ، ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرني عن الاسلام . قال رسول الله ﷺ : « الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا » قال : صدقت ، فعجبنا له ، يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الايمان. قال « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » . قال فأخبرني عن الساعة . قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال : فأخبرني عن أماراتها . قال « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » قال : فانطلق فلبثت ثلاثاً . وفي رواية مسلم : ملياً ، ثم قال : « ياعمر ، أتدري من

السائل ؟ » قلت : الله ورسوله اعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »

وروى الامام أحمد ، وأبو داود ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ؛ حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : ياأبتاه أوصني ، واجتهد لي . فقال : أجلسوني . فقال : يابني ، إنك لن تجد طعم الايمان ، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : ياأبتاه ، كيف أعلم ماخير القدر وشره ؟ قال : أن تعلم أن ماأخطاك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يابني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب . وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى ، وإحاطته بما كان ومايكون في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) الطلاق : ١٢

وقد قال الامام أحمد رحمه الله لما سئل عن القدر ، قال : القدر قدرة الرحمن ، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد ، كما ذكره الناظم . والمعنى أنه لايمنع عن قدرة الله شيء . ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى، فضلوا عن سواء السبيل .

وقد قال بعض السلف : ناظروهم بالعلم ، فان أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا .

وفي المسند » و « سنن ابى داود » عن ابن الديلمي ، واسمه عبد الله

ابن فيروز ؛ قال : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً ماقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال : فأتيت عبدالله بن مسعود ؛ فقال مثل ذلك ، ثم أتيت حذيفة بن اليمان ، فقال مثل ذلك ، ثم أتيت زيد بن ثابت . قال : فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك . واخرجه ابن ماجه . وقال العماد بن كثير رحمه الله : عن سفيان ، عن منصور ، عن ربعي بن خراش عن رجل ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره » وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن منصور به . ورواه من حديث أبي داود الطيالسي : عن شعبة ، عن ربعي ، عن علي ... فذكره .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانىء الخولاني ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة » زاد ابن وهب : « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذي ، وقال : حديث حسن غريب .

وكل هذه الاحاديث ، وما في معناها ، فيها الوعيد الشديد على عدم الايمان بالقدر ، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم . ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار ، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر ،

وأعظم المعاصي . وفي الحقيقية إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة ، من إثبات القـــدر ، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا ، وهذا لازم لهم على مذهبهم ، هذا وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة ، من إثبات القدر ، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وله الحياة كمالها فلأجل ذا ما للممات عليه من سلطان

وكذلك القيوم من أوصافه ما للمنام لديه من غشيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها ثبتت له ومدارها الوصفان

فمصحح الأوصاف والأفعال والـ أسماء حقاً ذانك الوصفان

ولأجل ذا جاء الحديث بأنه في آية الكرسي وذي عمران

اسم الإله الأعظم اشتملا على اسـ م الحي والقيوم مقترنان

فالكل مرجعها الى الاسمين يد ري ذاك ذو بصر بهذا الشان

أي : ومصحح الأوصاف والأفعال والأسماء حقاً، ذانك الوصفان ، وقوله : ولأجل ذا جاء الحديث الخ ... أي : جاء الحديث بأن الحي القيوم ، هما: اسما الله الأعظم . يشير الى ماروراه ابو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وحسنه الترمذي وصححه ، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله

عنها ، أن النبي ﷺ قال « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ ، وفاتحة سورة آل عمران (آلم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

واخرج الامام أحمد ، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ بأبي عياش زيد بن الصامت وهو يصلي ، وهو يقول : اللهم اني اسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت ، ياحنان يا منان ، يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكرام . فقال رسول الله ﷺ : « لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي إذا دعي به أجاب ، واذا سئل به أعطى » . رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وزاد هؤلاء الاربعة[1] : « ياحي ، ياقيوم » - وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وزاد الحاكم في رواية له - « أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار » .

وفي « جلاء الأفهام » للناظم قال : وفي « مسند أبي يعلى » الموصلي عن بعض الصحابة أنه طلب أن يعرف اسم الله الاعظم ، فرأى في منامه مكتوباً في السماء بالنجوم : يا بديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكرام . انتهى .

ولهالارادة والكراهة والرضى ... وله المحبة وهو ذو الاحسان
وله الكمال المطلق العاري عن التشبيه ... والتمثيل بالانسان
وكمال من أعطى الكمال بنفسه ... أولى وأقدم وهو أعظم شان
أيكون قد أعطى الكمال وماله ... ذاك الكمال أذاك ذو إمكان؟!
أيكون إنسان سميعاً مبصراً ... متكلماً بمشيئة وبيان؟!

---

(١) اي : ابو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم .

وله الحياة وقدرة وإرادة والعلم بالكليّ والأعيان

والله قد أعطاه ذاك وليس هـذا وصفه فاعجب من البهتان

بخلاف نوم العبد ثم جماعه والأكل منه وحاجة الأبدان

إذ تلك ملزومات كون العبد محـ ـتاجا وتلك لوازم النقصان

وكذا لوازم كونه جسداً نعم ولوازم الاحداث والامكان

يتقدس الرحمن جل جلاله عنها وعن أعضاء ذي جثمان

قوله : وله الكمال المطلق الخ ... اعلم أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصـل والفرع ، ولا بقياس شمول تستوي أفراده ، فان الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره في قضية كليه تستوي أفرادها ، ولهـذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الالهية ، لم يصلوا بها الى اليقين ، بل تناقضت أدلتهم ، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب ، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها .

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى ، سواء كان تمثيلًا أو شمولاً ، كما قال تعالى : (ولله المثل الأعلى) النحل : ٦٠ مثـل أن يعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو للمحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه ـ وهو ما كان كمالاً للموجود ، غير مستلزم للعدم ـ فالواجب القديم أولى به ، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول المدبر ، فانما استفاده من خالقه وربه ومدبره ، فهو أحق به منه ، وأن كل نقص وعيب في نفسه

- وهو ماتضمن سلب هذا الكمال - اذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات ، فانه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى ، وأنه أحق بالامور الوجودية من كل موجود . وأما الامور العدمية ، فالممكن المحدث بها أحق ، ونحو ذلك ، ومثل هذه الطرق ، هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب ، كما استعمل نحوها الامام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة الاسلام ، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين في التوحيد والصفات والمعاد ، ونحو ذلك . أفاده شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » .

والله ربي لم يزل متكلماً   وكلامه المسموع بالآذان

صدقاً وعدلاً أُحكمت كلماته   طلباً وإخباراً بلا نقصان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في إثبات صفة الكلام ، وقد ذهب جمهور أهل الحديث وأئمتهم الى أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الالهية ، وهو كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ، ليس ببائن (ولا) مخلوق ، ولا يقولون: إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ، ولا إن كلام الله من حيث هو حادث ، بل مازال متكلماً اذا شاء ، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته ، فكلامه لاينفد ، كما قال تعالى : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) الكهف : ١٠٩ الآيـة . ويقولون بما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة ، ودلت عليه العقول الزكية الصريحة ، فلا ينفون عن الله سبحانه وتعالى صفات الكمال ، ويجعلونه كالجمادات التي تتكلم ، ولاتسمع ، ولا تبصر ، فلا تكلم عابديها ، ولا تهديهم سبيلا ، ولا ترجع اليهم قولاً ، ولاتملك لهم ضراً ولا نفعاً . ومن

جعل كلام الله لايقوم الا بغيره ، كان المتصف به هو ذلك الغير ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى : (انني انا الله) طـه ١٤ ولهـذا اشتد نكير السلف على من قال ذلك ، وقالوا: هذا نظير قول فرعون (أنا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ أي : هذا كلام قائم بغير الله ، وهذا كلام قائم بغير الله ، وأهل هذا القول الموافقون للسلف لايقولون : إن الرب كان مسلوب صفات الكمال في الأزل ، وإنه كان عاجزاً عن الكلام حتى حدث له قدرة عليه كالطفل ، والذين يقولون : ان القرآن مخلوق ، يجعلون الكلام لغيره ، فيسلبونه صفات الكمال ، ويقولون : انه لا يقدر على الكلام في الأزل ، لا على كلام مخلوق ولا غيره ، وهم وإن لم يصرحوا بالعجز عن الكلام ، فهو لازم لقولهم .

قوله : وكلامه المسموع بالآذان . أي : ان كلام الله تعالى يسمع كما يسمعه جبريل عليه السلام ، وكما سمع موسى عليه السلام .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ورسوله قد عاذ بالكلمات من ... لدغ ومن عين ومن شيطان

أيعاذ بالمخلوق حاشاه من الـــإشراك وهو معلم الإيمان؟!

بل عاذ بالكلمات وهي صفاته ... سبحانه ليست من الأكوان

وكذلك القرآن عين كلامه الـ ... ـمسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظاً ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان

لكنّ أصوات العباد وفعلهم ... كمدادهم والرق مخلوقان

فالصوت للقاري ولكن الكلا ... م كلام رب العرش ذي الاحسان

هذا اذا ما كان ثَمّ وساطة ... كقراءة المخلوق للقرآن

فاذا انتفت تلك الوساطة مثلما ... قد كلم المولود من عمران

فهنالك المخلوق نفس السمع لا ... شيء من المسموع فافهم ذان

هذي مقالة أحمد ومحمد[1] ... وخصومهم من بعد طائفتان

إحداهما زعمت بأن كلامه ... خلق له ألفاظه ومعان

والآخرون أبوا وقالوا شطره ... خلق وشطر قام بالرحمن

زعموا القُران عبارة وحكاية ... قلنا كما زعموه قرآنان

هذا الذي نتلوه مخلوق كما ... قال الوليد وبعده الفئتان

والآخر المعنى القديم فقائم ... بالنفس لم يسمع من الديان

والأمر عين النهي واستفهامه ... هو عين اخبار وذو وحدان

وهو الزبور وعين توراة وإن ... جيل وعين الذكر والفرقان

الكل شيء واحد في نفسه ... لا يقبل التبعيض في الاذهان

ما إن له كل ولا بعض ولا ... حرف ولا عربي ولا عبراني

ودليلهم في ذاك بيت قاله ... فيما يقال الأخطل النصراني

(١) اي: محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح » .

ياقوم قد غلط النصارى قبلُ في ... معنى الكلام وما اهتدوا لبيان
ولأجل ذا جعلوا المسيح إلههم ... إذ قيل كلمة خالق رحمان
ولأجل ذا جعلوه ناسوتاً ولا ... هوتاً قديماً بعدُ متحدان
ونظير هذا من يقول كلامه ... معنى قديم غير ذي حدثان
والشطر مخلوق وتلك حروفه ... ناسوته لكن هما غيران
فانظر الى ذا الاتفاق فانه ... عجب وطالع سنة الرحمن
وتكايست أخرى وقالت إن ذا ... قول محال وهو خمس معان
تلك التي ذكرت ومعنى جامع ... لجميعها كالأس للبنيان
فيكون أنواعاً وعند نظيرهم ... أوصافه وهما فمتفقان
ان الذي جاء الرسول به لمخ ... لوق ولم يسمع من الديان
والخلف بينهمُ فقيل محمد ... أنشاه تعبيراً عن القرآن
والآخرون أبوا وقالوا إنما ... جبريل أنشأه عن المنان
وتكايست أخري وقالت إنه ... نقل من اللوح الرفيع الشان
فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد ... أنشاه خلقاً فيه ذا حدثان
هذي مقالات لهم فانظر ترى ... في كتبهم يامن له عينان
لكنّ أهل الحق قالوا إنما ... جبريل بلّغه عن الرحمن

ألقاه مسموعاً له من ربه   للصادق المصدوق بالبرهان

قوله : ورسوله قد عاذ بالكلمات الخ . . أقول : احتج الامام احمد وغيره ، على أن كلام الله غير مخلوق ، بأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بكلمات الله في غير حديث . فقال : « أعوذ بكلمات الله التامة » ففي « صحيح البخاري » عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين « أعيذكما بكلمات الله التامة » وذكر الحديث . وفي « صحيح مسلم » عن خولة بنت حكيم أن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا نزل منزلاً قال : أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء ، حتى يرحل من منزله ذلك » . وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ قال : « من قال حين يمسي : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » وذكر الحديث ، وذلك في أحاديث أخر . قال أحمد وغيره : ولا يجوز أن يقال : أعيذك بالسماء ، أو بالجبال ، أو بالانبياء ، أو بالملائكة ، أو بالعرش ، أو بالأرض ، أو بشيء مما خلق الله ، ولا يتعوذ إلا بالله ، أو بكلماته . قال البيهقي : ولا يصح أن يستعيذ من مخلوق بمخلوق ، فدل على أنه استعاذ بصفة من صفات ذاته . وذاته غير مخلوقة . ثم قال : وبلغني عن أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق .

وقول الناظم : هو قول ربي كله لابعضه الخ . هذا إشارة إلى قول أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، ومن اتبعه ، كالقلانسي ، وابي الحسن الأشعري ، وغيرهم : إن كلام الله معنى قائم بذات الله ، هو الأمر بكل مأمور أمر به ، والخبر عن كل مخبر أخبر الله عنه ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنه بالعبرية كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً . والأمر والنهي والخبر ليست أنواعاً له ينقسم الكلام إليها ، وانما

كلها صفات له اضافية ، كما يوصف الشخص الواحد بانه ابن لزيد ، وعم لعمرو ، وخال لبكر ، والقائلون بهذا القول موافقون للمعتزلة ، في أن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق ، وإنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلاماً سوى هذا ، والأشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى ، وأن المعتزلة يقولون : إن المخلوق كلام الله ، والأشعرية لايقولون : إنه كلام الله ، نعم يسمونه كلام الله مجازاً ، هذا قول جمهور متقدميهم . وقالت طائفة من متأخريهم : لفظ الكلام يقال على هذا الكلام المنزل الذي نقرؤه ونكتبه في مصاحفنا ، وعلى الكلام النفسي بالاشتراك اللفظي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لكن هذا ينقض أصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به ، وهم مع هذا لا يقولون: إن المخلوق كلام الله حقيقة، كما يقوله المعتزلة مع قولهم : إن كلامه حقيقة ، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله ، وهو كلامه حقيقة .

قال شيخ الاسلام : وهذا شر من قول المعتزلة ، وهذا حقيقة قول الجهمية . ومن هذا الوجه ، فقول المعتزلة أقرب . قال : وقول لآخرين وهو قول الجهمية المحضة ؛ لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء ، وإنما ينازعونهم في اللفظ الثاني : إن هؤلاء يقولون: كلام الله هو معنى قديم قائم بذاته ، والخلقية يقولون : لايقوم بذاته كلام ، ومن هذا الوجه ، فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر . ولكن جمهور المحققين من علماء السلف يقولون : إن اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاماً له حقيقة غير المخلوق ؛ لأنهم يقولون عن الكلام النفسي : إنه معنى واحد ، هو الأمر والنهي ؛ والخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنه بالعبرية

كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا . وجمهور العقلاء يقولون : إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام ، فانا إذا عربنا التوراة والانجيل ، لم يكن معناهما معنى القرآن ، بل معاني هذا ليست معاني هذا ، وكذلك (قل هو الله أحد) ليس هو معنى (تبت يدا أبي لهب) ولا معنى (آية الكرسي) آية الدين . وقالوا : إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً ، فجوزوا أن يكون العلم ، والقدرة ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، صفة واحدة ، فالتزم أئمة هذا القول ، بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي . ثم منهم من قال : الناس في الصفات ، إما مثبت لها ، وإما ناف لها ، وأما إثباتها واتحادها ، فخلاف الاجماع ، وممن اعترف بأن ليس له جواب أبو الحسن الآمدي .

وقول الناظم : لكن أصوات العباد وفعلهم الخ . أي : ان مذهب أئمة أهل الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما : أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والسلف والأئمة متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والقرآن بلغه جبريل عن الله الى محمد ، وبلغه محمد الى الخلق ، والكلام المبلغ عن قائله لا يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه ، بل هو كلام لمن قاله مبتدئاً ، لا كلام من بلغه عنه مؤدياً ، فالنبي ﷺ إذا قال : « إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى »[1] وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد ، حتى وصل إلينا ، كان من المعلوم أنا إذا سمعناه من المحدث به ، إنما سمعنا كلام رسول الله ﷺ الذي تكلم به بلفظه ومعناه ، وانما سمعناه من المبلغ عنه بفعله وصوته . ونفس الصوت الذي تكلم به النبي ﷺ لم

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

نسمعه ، وإنما سمعنا صوت المحدث عنه ، والكلام كلام رسول الله ﷺ ؟
لا كلام المحدث ، فمن قال : إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله ﷺ ،
كان مفترياً ، وكذلك من قال : ان هذا لم يتكلم به رسول الله ﷺ ،
وانما أحدثه في غيره ؛ وإن النبي ﷺ لم يتكلم بلفظه وحروفه ؛ بل كان
ساكتاً ، أو عاجزاً عن التكلم بذلك ، فعلم غيره مافي نفسه ، فنظم هذه
الألفاظ ليعبر عما في نفس النبي ﷺ ، أو نحو هذا الكلام ، فمن قال هذا ،
كان مفترياً . ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبي ﷺ ، كان
مفترياً ، فاذا كان هذا معقولاً في كلام المخلوق ، فكلام الخالق أولى باثبات
مايستحقه من صفات الكمال ، وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله ، هي
صفات العباد وأفعالهم ، أو مثل صفات العباد وأفعالهم ،
فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل
المسموع من القارئين كلام الله ، كما قال تعالى (وإن أحد من المشركين
استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ ليس هو كلاماً لغيره ،
لا لفظه ولا معناه ، ولكن بلغه عنه جبريل ، وبلغه محمد عن جبريل ،
ولهذا أضافه الله الى كل من الرسولين ؛ لأنه بلغه وأداه ، لا لأنه أحدث
لا لفظه ولا معناه ، إذلو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك ، لم يصح
إضافة الاحداث إلى الآخر ، فقال تعالى (انه لقول رسول كريم ، وما هو
بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ماتذكرون) الحاقة
٤٠ - ٤٢ فهذا محمد ﷺ ، وقال تعالى (انه لقول رسول كريم . ذي
قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) التكوير ١٩ - ٢١ فهذا
جبريل عليه السلام . وقد توعد تعالى من قال : (إن هذا إلا قول البشر)
المدثر : ٢٥ (ومن) قال : إن هذا القرآن قول البشر ، فقد كفر ، وقال

بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر . ومن قال : إن شيئاً منه قول البشر ، فقد قال ببعض قوله . ومن قال : إنه ليس بقول رسول كريم ، وانما هو قول شاعر ، أو مجنون ، أو مفتر ، أو قال : هو قول شيطان نزل به عليه ، ونحو ذلك ، فهو أيضاً كافر ملعون . وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه ، أو من المبلغ عنه ، وان موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة . ونحن انما نسمع كلام الله من المبلغين عنه ، واذا كان الفرق ثابتاً بين من سمع كلام النبي ﷺ منه ، ومن سمعه من الصاحب المبلغ عنه ، فالفرق هنا أولى ، لأن افعال المخلوق وصفاته ، أشبه بافعال المخلوق وصفاته ، من أفعاله وصفاته ، بأفعال الله وصفاته .

قوله : وخصومهم من بعد طائفتان .

إحداهما زعمت بأن كلامه　　　خلق له ألفاظه ومعان

أقول : هذا مذهب الجهمية والمعتزلة ، وقد تقدم حكاية كلامهم في الكلام بما أغنى عن إعادته .

قولـــه :

والآخرون أبوا وقالوا شطره　　　خلق وشطر قام بالرحمـــن

هذا قول الأشعرية والكلابية ، كما سيأتي الكلام على ذلك .

قوله : زعموا القرآن عبارة الخ . أي : قالت الأشاعرة : إن القرآن عبارة عن المعنى . وابن كلاب ومن تابعه قالوا : حكاية .

قوله :

ودليلهم في ذاك بيت قاله　　　فيما يقال الأخطل النصراني

أي : ودليلهم على إثبات الكلام النفسي قول الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما　　　جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره ، وقالوا : إنهم فتشوا ديوانه فلم يجدوه ، وهذا يروى عن أبي محمد بن الخشاب . قال بعضهم : لفظه : إن البيان لفي الفؤاد . ومن العجب أنه لو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في « الصحيحين » عن النبي ﷺ ، لقالوا : هذا خبر واحد ، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول ، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بالاسناد ، لا واحد ولا أكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام؟!

ويقال أيضاً : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه الى قول شاعر ، فان هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة ، وعرفوا معناه في لغتهم ، كما عرفوا مسمى الرأس ، واليد ، والرجل .

وأيضاً ، فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للالفاظ في معانيها ، لا بما يذكرونه من الحدود ، فان أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا ، واليد كذا ، والكلام كذا ، واللون كذا . بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها ، فتعرف لغتهم من استعمالهم ، فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ، ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة ، وإنما أراد إن كان قال ذلك ، ما فسر به المفسرون للشعر . أي : أصل الكلام من الفؤاد ، هو المعنى ، واذا قال الانسان بلسانه ما ليس في قلبه ، فلا تثق به ، وهذا كالاقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ، وذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولهذا قال الأخطل قبل ذلك .

لا يعجبنّك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه في الأصل ، ولهذا .
قال : حتى يكون مع الكلام أصيلا .

وقوله : مع الكلام .دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً وان لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه ، وهذا حجة عليهم ، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله:مع الكلام ، مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد. أراد به أصله ومعناه والمقصود به ، واللسان دليل على ذلك ، وبالجملة فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب ، والفرس ، والروم ، والترك ، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر ، فانه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين ، ليس من الشعراء القدماء ، وهو نصراني كافر مثلث ، واسمه الأخطل ، والخطل فساد في الكلام ، وهو نصراني ، والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام ، فجعلوا المسيح القائم بنفسه ، هو نفس كلمة الله ، ولهذا قال الناظم :

يا قوم قد غلط النصارى قبل في معنى الكلام وما اهتدوا لبيان

قال شيخ الاسلام : في « التسعينية » بعد كلام سبق : وأيضاً فهم - يعني الاشاعرة - في لفظ القرآن الذي حروفه واشتماله على المعنى لهم ، مضاهاة قوية بالنصارى في جسد المسيح الذي (هو) متدرع اللاهوت ، فان هؤلاء متفقون على أن حروف القرآن ليست من كلام الله ، بل هي مخلوقة ؛ كما أن النصارى متفقون على أن جسد المسيح لم يكن من اللاهوت ، بل هو مخلوق ، ثم يقولون : المعنى القديم لما أنزله بهذه الحروف المخلوقة ، فمنهم من يسمي الحروف : كلام الله حقيقة ، كما يسمي المعنى : كلام الله حقيقة ، ومنهم من يقول : بل هي كلام الله مجازاً ، كما أن النصارى ، منهم من

يجعل لاهوتاً حقيقة لا تحاده باللاهوت واختلاطه به ، ومنهم من يقول : هو محل اللاهوت ودعائه . ثم النصارى تقول : هذا الجسد إنما عبد لكونه مظهر اللاهوت ، وإن لم يكن هو إياه ، ولكن صار هو إياه بطريق الاتحاد ، وهو محله بطريق الحلول ، فعظم لذلك ، وهؤلاء يقولون : هذه الحروف ليست من كلام الله ، ولا يجوز أن يتكلم الله بها ، ولا تكلم بها ، بل لا يدخل في قدرته أن يتكلم بها ، ولكن خلقها ؛ فأظهر بها المعنى القديم ، ودل بها عليه ، فاستحقت الاكرام والتحريم لذلك حيث تدخل في حكمه ، بحيث لا يفصل بينهما ؛ أو يفصل بأن يقال : هذا مظهر هذا ودليله ؛ وجعلوا ماليس هو كلام الله ؛ ولا تكلم الله به قط ؛ كلاماً لله معظماً تعظيم كلام الله ، كما جعلت الناسوت - الذي ليس بآله قط ، ولاهو الكلمة - إلهاً وعظموه تعظيم الاله الذي هو كلمة الله عنده .

ومنها أن النصارى على ماحكى عنهم المتكلمون ، كابن الباقلاني أو غيره ، ينفون الصفات ، ويقولون : إن الأقانيم التي هي الوجود ، والحياة ، والعلم ، هي خواص ، هي صفات نفسية للجوهر ، وليست صفات زائدة على الذات ، ويقولون : إن الكلمة هي العلم ، ليست هي كلام الله ، فان كلامه صفة فعل ، وهو مخلوق ، فقولهم في هذا كقول نفاة الصفاة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، وهذا يكون قول بعضهم ممن خاطبه متكلمو الجهمية من النسطورية وغيرهم ، ومن تفلسف منهم على مذهب نفاة الصفات من المتفلسفة ونحو هؤلاء . وإلا فلا ريب أن في النصارى مثبتة للصفات ، بل غالية في ذلك ، كما أن اليهود أيضاً فيهم المثبته والنفاة ؛ والمقصود هنا أن تسميتهم للعلم كلمة دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك العلم ليس هو أمراً معقولاً كما نعقل الصفات القائمة بالموصوف ، ضاهاهم في ذلك هؤلاء

الذين يقولون : الكلام هو ذلك المعنى القائم بالنفس دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك المعنى هو المعقول من معـــاني الكلام . فحرفوا اسم الكلام ومعناه ، كما حرفت النصارى اسم الكلمة ومعناها . انتهى كلامه .

قولـــه :

وتكايست أخرى وقالت إن ذا قول محال وهو خمس معان

تكايست . قال في «القاموس» . الكيس خلاف الحمق ، والجمـــاع ، والطب ، والجود ، والعقل ، والغلبة بالكياسة ، وقد كاسه يكيسه . ثم قال بعد ذلك : تكيس : تظرف ، وكايسه : غلبه في الكيس . قال الآمدي في في « ابكار الافكار » فان قيل : إذا قلتم : ان الكلام قضية واحدة ، وان اختلاف العبارات عنها بسبب المتعلقات الخارجة ، فلم لم تجوزوا أن تكون[1] الارادة ، والعلم ، والقدرة ، وباقي الصفات راجعة الى معنى واحـــد ؟! ويكون اختلاف التعبيرات عنه بسبب المتعلقات ، لا بسبب اختـلافه في ذاته ، وذلك بأن يسمى ارادة عند تعلقه بالتخصيص ، وقادرة عند تعلقه بالايجاد ، وهكذا سائر الصفات . وان جاز ذلك ، فلم لا يجوز أن يعود ذلك كله إلى نفس الذات ، من غير احتياج الى الصفات ؟! وقـــال : أجاب الأصحاب عن ذلك بأنه يمتنع أن يكون الاختلاف بين القدرة والارادة بسبب التعلقات والمتعلقات ، اذ القدرة معنى من شأنه تأتي الايجـاد به ، والارادة معنى من شأنة تأتي التخصيص الحادث بحال دون حال ، وعند اختلاف التأثيرات ، لابد من الاختلاف في نفس المؤثر ، وهذا بخلاف الكلام ؛ فان تعلقاته بمتعلقاته لا يوجب أثراً ، فضلاً عن كونه مختلفاً . قال : وفيه نظر ، وذلك أنه وان سلم امتناع صدور الآثار المختلفة عن المؤثر الواحد مع امكان النزاع فيه ؛ فهو موجب للاختلاف في نفس القدرة : وذلك

---

(١) في الاصل : فلم لا جوزتم ان يكون .

لأن القدرة مؤثرة في الوجود ؛ والوجود عند أصحابنا نفس الذات ؛ لا أنه زائد عليها ، وإلا كانت الذوات ثابتة في العدم ؛ وذلك مما لانقول به . وإذا كان الوجود هو نفس الذات ، فالذوات مختلفة ؛ فتأثير القدرة في آثار مختلفة ، فيلزم أن تكون مختلفة كما قرروه ؛ وليس كذلك . وأيضاً فان ماذكروه من الفرق وإن استمر في القدرة والارادة ، فغير مستمر في باقي الصفات ؛ كالعلم ؛ والحياة ، والسمع ؛ والبصر ؛ لعدم كونها مؤثرة في أثر ما.

قال : والحق أن ما أوردوه من الاشكال على القول باتحاد الكلام ، وعود الاختلاف الى التعلقات والمتعلقات ؛ مشكل ؛ وعسى أن يكون عند غيري حله ؛ ولعسر جوابه فر بعض أصحابنا الى القول بأن كلام الله القائم بذاته ؛ خمس صفات مختلفة ؛ وهي الأمر ؛ والنهي والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء. انتهى كلامه .

قلت : وهذا الذي ذكره الآمدي هو الذي أراده الناظم بقوله : « تكايست أخرى الخ . فيكون الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ، والاستخبار ، والنداء ، صفات للمعنى النفسي على ما ذكره الآمدي عن هؤلاء . والصواب أن الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء ؛ أنواع للكلام ؛ والله أعلم .

قولـــه :

وتكايست أخرى وقالت إنه   نقل من اللوح الرفيع الشان

قال الأصفهاني في أوائل تفسيره : اتفق أهل السنة والجماعة على أن القرآن منزل ؛ واختلفوا في معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهار القراءة ؛ ومنهم من قال : إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال عن

المكان ؛ وعلّمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان.
وفي التنزيل طريقان.

أحدهما: أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية، وأخذه من جبريل.

والثاني: ان الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذه الرسول منه؛ والأول أصعب الحالين. انتهى.

وقال القطب الرازي في حواشي «الكشاف» الإنزال لغة: بمعنى الإيواء، وبمعنى تحريك الشيء من علو الى أسفل؛ وكلاهما لا يتحققان في الكلام؛ فهو مستعمل فيه في معنى مجازي؛ فمن قال: القرآن معنى قائم بذات الله تعالى؛ فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى؛ ويثبتها في اللوح المحفوظ. ومن قال: القرآن هو الألفاظ؛ فإنزاله: مجرد اثباته في اللوح المحفوظ؛ وهذا المعنى مناسب؛ لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين؛ ويمكن أن يكون المراد بانزاله، إثباته في السماء الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ؛ وهذا مناسب للمعنى الثاني. والمراد بانزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً، أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم. انتهى. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ: كل حرف منها بقدر جبل قاف؛ وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها الا الله. انتهى. وقال بعضهم: في المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه اللفظ والمعنى؛ وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به.

والثاني: أن جبريل انما انزل بالمعاني خاصة؛ وأنه ﷺ علم تلك المعاني

وعبر عنها بلغة العرب ؛ وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك) الشعراء : ١٩٣

والثالث : أن جبريل ألقى اليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك . انتهى .

ولما أشار الناظم الى هذه الاقوال التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ناسب أن نذكرها ليعلم حقيقة حالها ، ويتحقق بطلانها ، والله أعلم .

قولـــه :

لكنْ أهل الحق قالوا إنما جبريل بلّغه عن الرحمن

أقول : قال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتاب « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول » وذكر اثنا عشر إماماً ، وهم: الشافعي ، ومالك ، والثوري ، وأحمد ، والبخاري ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، واسحق بن راهويه ، وأبوزرعة ، وأبو حاتم : سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول : سمعت الامام أبا بكر عبد اللـه بن أحمد يقول : سمعت الشيخ أبا حامد الاسفراييني يقول : مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار أن القرآن كلام اللـه غير مخلوق ، ومن قال: مخلوق ، فهو كافر ، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من اللـه تعالى ، والصحابة سمعوه من رسول اللـه ﷺ ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا ، وفيما بين الدفتين ، وما في صدورنا مسموعاً ، ومكتوباً ، ومحفوظاً ومنقوشاً ، وكل حرف منه كالباء والتاء ، كله كلام اللـه غير مخلوق . ومن قال: مخلوق ، فهو كافر عليه لعائن اللـه والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مجامع طرق أهل الارض واختلافهم في القرآن

واذا أردت مجامع الطّرق التي ... فيها افتراق الناس في القرآن

فمدارها أصلان قام عليهما ... هذا الخلاف هما له ركنان

هل قوله بمشيئة أم لا وهل ... في ذاته أم خارج هـذان؟

أصل اختلاف جميع أهل الأرض في الـ ... ـقرآن فاطلب مقتضى البرهان

ثم الألى قالوا بغير مشيئة ... وإرادة منـه فطائفتان

إحداهما جعلته معنى قائماً ... بالنفس او قالوا بخمس معان

والله أحدث هذه الألفاظ كي ... تبديه معقولا الى الاذهان

وكذاك قالوا إنها ليست هي القرآن ... بل دلت على القرآن

ولربما سمي بها القرآن تسـ ... ـمية المجاز وذاك وضع ثان

وكذلك اختلفوا فقيل حكاية ... عنه وقيل عبارة لبيـان

اذ كان ما يحكى كمحكيّ وهـذا ... اللفظ والمعنى فمختلفان

ولذا يقال حكى الحديث بعينه ... اذ كان أوله نظير الثـاني

فلذاك قالوا لا نقول حكاية ونقول ذاك عبارة الفرقان
والآخرون يرون هذا البحث لفـــظياً ومافيه كـبير معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن العظيم ، وذكر أن اختلافهم يدور على أصلين ، وهما : هـــل قوله بمشيئة وارادة ، أم هو بغير مشيئة وارادة ؟ وهـل كلامه تعالى في ذاته ، أم هو خارج الذات ؟ وذكر أن القائلين بأنه بغير مشيئة وارادة طائفتان . إحداهما : الكلابية والاشاعرة ، والطائفـــة الثانية الاقترانية ، وهم السالمية أتباع ابي الحسن بن سالم ، وهذا هو البناء الأصيل ، والبرهان الذي يقوم عليه الدليل ، لا ماذكره الدواني في معنى اختــــلاف النـاس في القرآن من الكلام الجزاف ، والهذيان الذي بطلانه غير خاف ، وذلك أنه قال في شرحه لـ «العقائد العضدية» : لا خلاف بين أهل الملة في كونه تعالى متكلماً ، أي : موصوفاً بهذه الصفة ، لكن اختلفوا في تحقيق كلامه ، هل هو نفسي أو لفظي ؟ وحدوثه وقدمه ، وذلك أنهم لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة ، وهما : كلام الله تعالى ، صفة له ، وكل ماهو صفة له فهو قديم ، فكلام الله تعالى قديم . وكلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات مترتبة متعاقبة في الوجود ، وكل ماهو كذلك فهو حادث ، فكلام الله تعالى حادث ، اضطروا الى القدح في أحـد القياسين ضرورة امتناع حقية النقيضين ، فمنع كل طائفة بعض المقـدمات ، فالحنابلة ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات ، وهي قديمـــة ، ومنعوا قول : إن كل ماهو مؤلف من حروف وأصوات مترتبة ، فهو حادث ، بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف . قال : قلت : مابالهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد؟! قال : وقيل : إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام

اللفظي رعاية للأدب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسي ، كما قال بعض الأشاعرة : إن كلامه تعالى ليس قائماً بلسان أو قلب ، ولا حالاً في مصحف أو لوح ، ومنع اطلاق القول بحدوث كلامه ، وان كان المراد هو اللفظي رعاية الادب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم الى حدوث الكلام الأزلي . والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ؛ وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره ؛ ومعنى كونه متكلماً عندهم أنه موجد لتلك الحروف والأصوات في الجسم ، كاللوح المحفوظ ، أو كجبريل ، أو النبي ﷺ ؛ أو غيرها ؛ كشجرة موسى عليه السلام ، فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والأصوات صفة لله تعالى قديمة .

والكرامية لما رأوا أن مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة أشنع من مخالفة الدليل ، وأن ماالتزمه المعتزلة من كون كلامه تعالى صفة لغيره ، وأن معنى كونه متكلماً ، كونه خالقاً للكلام في الغير ، مخالف للعرف واللغة ، ذهبوا إلى إن كلامه تعالى صفة له ، مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى ، فهم منعوا أن كل ماهو صفة له فهو قديم ، والأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى ، قديم ، فهم منعوا أن كلامه تعالى مؤلف من الحروف والأصوات . ولا نزاع بين الشيخ [١] والمعتزلة في حدوث الكلام اللفظي ، وإنما نزاعهم في إثبات الكلام النفسي وعدمه ، وذهب المصنف الى أن مذهب الشيخ ، يعني الأشعري ، أن الألفاظ أيضاً قديمة ، وأفرد في ذلك مقالة ذكر فيها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ ، وأخرى على القائم بالغير ، فالشيخ لما قال: هو المعنى

(١) أي الاشعري .

النفسي ، فهم الأصحاب منه أن مراده به مدلول اللفظ ،وهو القديم عنده ، وأما العبارات ، فإنما سميت كلاماً مجازاً ، لدلالتها على ماهو الكلام الحقيقي ، حتى صرحوا بأن الألفاظ حادثة على مذهبه ، ولكنها ليست كلاماً له تعالى حقيقة ، الى غير ذلك مما لايخفى على المتفطنين في الاحكام الدينية ، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني ، فيكون الكلام النفسي عنده أمراً شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، قائماً بذات الله تعالى . انتهى كلام الدواني الذي هو في الوهن مثل بيت العنكبوت ، وأحسن منه البكم والسكوت ، وفيه أشياء يتعين التنبيه عليها .

الأول : قوله : إن الناس لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة الخ . يقال : أكثر أهل الاسلام لم يرفعوا بالمنطق رأساً ، ولم يراعوا هذه القواعد ، وإذا شئت أن تعرف ذلك ، فانظر الى ردود متكلمي أهل الاسلام على المنطق ، وبيان فساده وتناقضه ، كأبي سعيد السيرافي النحوي ، والقاضي أبي بكر ابن الطيب ، والقاضي عبد الجبار المعتزلي ، والجبائي وابنه ، وأبي المعالي الجويني ، وأبي القاسم الأنصاري ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، فإن له في نقضه كتابين ، صغير وكبير ، وبالله العجب ؟! أترى المعتزلة والكلابية والكرامية ، أسسوا مذاهبهم على قواعد المنطق ، فضلاً عن السلف وأتباعهم ؟! هذا لا يظنه إلا أجهل الخلق ، وأشدهم غفلة عن معرفة ديانات الناس ونحلهم .

الثاني : قوله : بعض الحنابلة قال بقدم الجلد والغلاف ، ثم تهكم بقوله : ماهم ، لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد ؟!

أقول : انظر الى هذا الكذب المجرد ، فبالله قل لي : من قال هذا القول منهم ؟ وفي أي كتاب يوجد من كتبهم ؟ ونحو مما حكاه الدواني

ماذكره أبو المعالي الجويني قال : وذهب الحشوية المنتمون الى الظاهر الى أن كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات . وقطعوا بأن المسموع من اصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ، وأطلق الرعاع منهم القول بأن المسموع صوت الله تعالى عن قولهم ، وهذا قياس جهالاتهم ، ثم قالوا : اذا كتب كلام الله بجسم من الأجسام رقوماً ورسوماً وأسطراً وكلمات ، فهي بأعيانها كلام الله القديم ، فقد كان اذ كان جسماً حادثاً ، ثم انقلب قديماً ، ثم قضوا بأن المرئي من الأسطر هو الكلام القديم الذي هو حرف وصوت . وأصلهم أن الأصوات على تقطيعها وتواليها ، كانت ثابتة في الأزل ، قائمة بذات الباري تعالى ، وقواعد مذهبهم مبنية على دفع الضرورات . انتهى كلامه .

قال شيخ الاسلام بعد أن حكى هذا الكلام عن ابي المعالي : ومعلوم أن هذا القول لايقوله عاقل يتصور مايقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ، ولا سمعناه من أحد منهم ، فما سمعنا من أحد ، ولا رأينا في كتاب أحد ، ان المداد الحادث انقلب قديماً ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ، ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم الى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يقول الكذب ، لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قوله ، بل يذكر كلاماً مجملاً يتناول النقيضين ، ولا يميز فيه بين لوازم أحدهما ولوازم الآخر ، الى آخر ماذكره . وأقبح من ذلك قوله ، أي : الدواني . وقيل : انهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام

النفسي ، فيالله العجب من هذا الاعتذارالبارد ! فان الحنابلة لا يعتقدون ثبوت الكلام النفسي ، بل ينفونه أشد النفي ، ويرونه من أعظم الباطل ، والكلام عندهم اسم للفظ والمعنى جميعاً ، كما هو مذهب السلف رحمة الله عليهم . ويسأل هذا المتحذلق : هل يوجد كلام لفظي ليس له معنى ؟ اللهم إلا كلام المجانين ، أو اللفظ المهمل ، فهو لا يسمى كلاماً ، إذ ليس له معنى ، وهذا معنى قول النحاة : الكلام لفظ مفيد ، فانه لا يفيد حتى يكون له معنى .

الثالث . قوله : والكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة الخ . . يقال : إن كان مخالفة الضرورة ضاراً ، فأصحابك الاشاعرة قد خالفوا الضرورة في إثبات المعنى النفسي ، فالتزموا أن الساكت متكلم ، والأخرس متكلم ، وغير ذلك من الشناعات .

الرابع . قوله : والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ، وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره الخ .

يقال : هذا في الحقيقة هو قول أصحابك الأشاعرة ، فانهم قضوا بحدوث الحروف ، وأنها مخلوقة ، وصرحوا بأنها إنشاء جبريل ، أو إنشاء محمد ﷺ ، أو أنها خلقت في محل آخر ، كاللوح المحفوظ ، والشجرة ، أو أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ ، فكان حقيقة قولهم إذا قالوا : إن محمد ﷺ أنشأه ، هو قول من قال : (إن هـذا إلا قول البشر) المدثر : ٢٥ ثم أصحابك أثبتوا شيئاً لا دليل على ثبوته ؛ وهو المعنى النفسي ، وخالفوا إجماع السلف والمعتزلة جميعاً ، فان الكلام عند السلف والحنابلة اسم للفظ والمعنى جميعاً ؛ وعند المعتزلة لا كلام لله تعالى إلا اللفظ المخلوق في محل ، وإنه غير قائم بالله تعالى ، وألزم السلف وأصحابك المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً إلا لمن قام به الكلام ، ثم نقض من نقض من أصحابك هذا الالزام ،

وقالوا : الكلام يطلق على المعنى واللفظ بالاشتراك ، فانهدم أصلهم الذي ردوا به على المعتزلة ؛ ولا خلاف بينكم وبين المعتزلة في الحقيقة ؛ اذ الألفاظ عندهم مخلوقة ، كما هو قولكم ؛ والمعنى الذي أثبتموه وخالفتم به جميع فرق الأمة ؛ هو شيء لاحقيقة له ، وليس بأيديكم إلا بيت الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد الخ . . .

وهذا البيت لم ينقل عن قائله باسناد ، لا واحد ولا اكثر ، ولو احتج عليكم محتج بحديث مخرج في « الصحيحين » لم تقبلوه ، وقلتم : هذه أخبار آحاد .

الخامس : أن اصحابك خالفوا فرق الأمة في اثبات هذا المعنى ، والأمر كما قال الامام أبو اليمن الكندي النحوي الحنفي ، قال : إن الأشعري رحمه الله سلب الكلام اسمه ، وسماه عبارة ، وسلب الفكر والرؤية اسمها ، وسماهما كلاماً .

السادس : قولك : الأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط ، ثم نقلت عن صاحب « المواقف » أنه أفرد لذلك مقالة ، حمل فيها كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري لما قال : هو المعنى النفسي ، أن ذلك يكون شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، ثم سكت عن إنكاره ، فكيف كان في الأول بسيطاً ، ثم صار مركباً من المعنى واللفظ ؟؟

السابع : أن تلميذك عفيف الدين الأيجي ، قد رد مذهب أصحابك ، وقدح فيه غاية القدح ، فقال ماحاصله : إن هذا الذي تدعيه الأشاعرة من أن الكلام له معنى آخر يسمى : النفسي ، باطل ، فاذا قلنا : زيد قائم ، فهناك أربعة أشياء : الأول : العبارة الصادرة عنه ، والثاني : مدلول هذه العبارة ، وما وضعت له هذه الألفاظ من المعاني المقصودة بها . الثالث : علمه بثبوت تلك

النسبة وانتفائها . الرابع ثبوت تلك النسبة وانتفائها بالواقع ، والأخيران ليسا كلاماً اتفاقاً، والأول لايمكن أن يكون كلام الله حقيقةعلى مذهبهم ، فبقي الثاني ، وكذا نقول : في الأمر والنهي هاهنا ثلاثة أمور : الاول : الارادة والكراهة الحقيقية . الثاني : اللفظ الصادر عنه . الثالث : مفهوم لفظه ومعناه ، الأول ليس كلاماً اتفاقاً ، والثاني كذلك على مذهبهم ، فبقي الثالث ، وبه صرح أكثر محققيهم ، وكونه كلاماً نفسياً ثابتاًلله ـ تعالى شأنه ـ محكوماً عليه بأحكام مختلفة ، باطل من وجوه : الاول : أنه مخالف للعرف واللغة ، فان الكلام فيهما ليس إلا المركب من الحروف . الثاني : أنه لايوافق الشرع ، إذ قد ورد فيما لايحصى كتاباً وسنة ، أن الله تعالى ينادي عباده ، ولا ريب أن النداء لايكون إلا بصوت ، بل قد صرح به في الأخبار الصحيحة وباب المجاز — وإن لم يغلق بعد ، الا ان حمل مايزيد على نحو مائة ألف من الصرائح على خلاف معناها - مما لايقبله العقل السليم . الثالث : أن ماقالوه من كون هذا المعنى النفسي واحداً يخالف العقل، فانه لاشك أن مدلول اللفظ في الأمر يخالف مدلوله في النهي ، ومدلول الخبر يخالف مدلول الانشاء ، بل مدلول أمر مخصوص غير مدلول أمر آخر ، وكذا في الخبر . ولا يرتاب عاقل أن مدلول اللفظ لايمكن أن يكون غير القرآن وسائر الكتب السماوية ، فيلزم أن يكون كل واحد مشتملاً على مااشتمل عليه الآخر ، وليس كذلك ، وكيف يكون معنى واحد خبراً وانشاء محتملاً للتصديق والتكذيب وغير محتمل ؟! وهو جمع بين النفي والاثبات . انتهى كلامه .

الثامن : قوله: ان الكرامية لمارأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة، يقال :

كلا ليس هذا مأخذ الكرامية ، وانما مأخذهم في ذلك أنهم شاركوا الجهمية والمعتزلة في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الأكوان المشهور المبني على منع التسلسل ، فلهذا جعلوا لكلام الله تعالى أولاً ، كما جعلوا لفعله أولاً، خوفاً من القول بالتسلسل ، فيسد ذاك عليهم اثبات الباري سبحانه ، وكلامه كفعاله ، الكل عندهم له بداية ، فوضح بطلان كلام الدواني من كل وجه.

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

ولربما سمي بها القرآن تسمية المجاز وذاك وضع ثان

أي : ان القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الحروف بعد اتفاقهم على انها مخلوقة ، هل تسمى كلام الله مجازاً ، أو يطلق الكلام عليها وعلى المعنى بالاشتراك؟ وقد تقدم أن القول بالاشتراك يهدم مذهبهم ، لأنهم ألزموا المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً الا لمن قام به الكلام ، فاذا كان كلام الله يطلق على المعنى وعلى الألفاظ بالاشتراك ؛ لزمهم مذهب المعتزلة . وقوله : وكذلك اختلفوا ، فقيل : حكاية عنه وقيل : عبارة لبيان . أي : ان القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الألفاظ الحادثة على مذهبهم ؛ هل يقال : هي حكاية عن المعنى القديم ؛ كما قاله ابن كلاب ؛ أو يقال : عبارة ؛ كما قال الأشعري ؟ فابن كلاب قال : الحرف حكاية عن كلام الله ، وليست من كلام الله ؛ لأن الكلام لابد ان يقوم بالمتكلم ؛ والله يمتنع أن يقوم به حروف واصوات ؛ فوافق الجهمية والمعتزلة في هذا النفي ، فجاء الأشعري بعده ؛ وهو موافق لابن كلاب على عامة اصوله ؛ فقال : الحكاية تقتضي ان يكون مثل المحكي ؛ وليست الحروف مثل المعنى ، بل هي عبارة عن المعنى ودالة ، وبعض القائلين بهذا القول يرون هذا البحث لفظياً لا طائل تحته ، كما قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مذهب الاقترانية

والفرقة الأخرى فقالت انه　　لفظ ومعنى ليس ينفصلان

واللفظ كالمعنى قديم قائم　　بالنفس ليس بقابل الحدثان

فالسين عند الباء لا مسبوقة　　لكن هما حرفان مقترنان

والقائلون بذا يقولوا[1] انما　　ترتيبها في السمع بالآذان

ولها اقتران ثابت لذواتها　　فاعجب لذا التخليط والهذيان

لكنّ زاغونيهم قد قالَ إنّ　　ذواتها ووجودها غيران

فترتبت بوجودها لا ذاتها　　يا المعقول وزيغة الاذهان

ليس الوجود سوى حقيقتها الذي الـ　　أذهان بل في هذه الاعيان

لكن اذاً أخذ الحقيقة خارجاً　　ووجودها ذهناً فمختلفان

والعكس أيضاً مثل ذا فاذاهما　　اتحدا اعتباراً لم يكن شيئان

---

(١) كان حقه أن يقول : والقائلون بذا يقولون، باثبات نون (يقولون) ، ولكن حذف النون لضرورة الشعر .

وبذا تزول جميع إشكالاتهم في ذاته ووجوده الرحمن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذهب الاقترانية في القرآن، وهم السالمية ومن وافقهم، وذلك أن كلام الله عندهم حروف وأصوات قديمة أزلية، ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم. ثم إن جمهورهؤلاء يقولون: ان تلك الأصوات هي الأصوات المسموعة من القراء، ولهم في ذلك تفاصيل، ليس هذا موضع ذكرها.

وقول الناظم رحمه الله تعالى:

لكن زاغونيهم قد قال إن ذواتها ووجودها غيران

يعني أن الزاغوني[1] من أئمة هذه الطائفة قال: ان وجود هذه الكلمات غيرذواتها، فرد عليه الناظم بقوله: يا للعقول وزيغة الاذهان؛ أي: كيف يكون وجودالشيء غيرذاته؟! ثم قرر الناظم رحمه الله تعالى ماهو الحق في المسألة، وهو أن الوجود والماهية إن أخذا ذهنيين، فالوجودالذهني عين الماهية الذهنية، وكذلك إن أخذا خارجيين، اتحدا أيضاً، فليس في الخارج وجود زائد على الماهية الخارجة، بحيث يكون كالثوب المشتمل على البدن، هذا خيال محض، وكذلك حصول الماهية في الذهن هو عين

---

(١) ابن الزاغوني، من علماء الفلسفة والكلام، واسمه علي، وهو المذكور والله أعلم في « ميزان الاعتدال » للذهبي و « لسان الميزان » لابن حجر، وأما علي ابن الزاغوني شيخ ابن الجوزي، فقد اثنى عليه ابن الجوزي في « المنتظم » وكذا ابن رجب، ومثله صاحب « الشذرات » وشيخ الحنابلة وواعظهم، والمتكلم ايضاً حنبلي، والظاهر انهما اثنان، ولا يضر اتفاقهما في الاسم واسم الاب والكنية والمذهب، فكلاهما حنبلي.

(ابن مانع)

وجودها، فليس في الذهن ماهية ووجود متغايرين ، بل ان أخذا ، أحدهما ذهنياً ، والآخر خارجياً ، فأحدهما غير الآخر . ولما قرر المصنف هذا قال:

وبذا تزول جميع إشكالاتهم في ذاته ووجوده الرحمن

قال الناظم :

فصل

في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والارادة

والقائلون بأنه بمشيئة وإرادة أيضاً فهم صنفان

إحداهما جعلته خارج ذاته كمشيئة للخلق والاكوان

قالوا وصار كلامه باضافة التشريف مثل البيت ذي الاركان

ما قال عندهمُ ولا هو قائل والقول لم يسمع من الديان

فالقول مفعول لديهم قائم بالغير كالاعراض والاكوان

هذي مقالة كل جهمي وهم فيها الشيوخ معلمو الصبيان

لكنّ أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

وهم الألى اعتزلوا عن الحسن الرضى البصريّ ذاك العالم الرباني

وكذاك أتباع على منهاجهم من قبل جهم صاحب الحدثان

لكنَّما متأخروهم بعد ذا ... لك وافقوا جهماً على الكفران
فهم بذا جهمية أهل اعتزا ... ل ثوبهم أضحى له عَلَمان
ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الامام حكاه عنـ ... ـهمْ بل حكاه قبله الطبراني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذاهب القائلين بأن كلام الله تعالى متعلق بالمشيئة والارادة . فذكر مذهب الجهمية القائلين بخلق القرآن ، ومن تبعهم من المعتزلة ، وذلك أن الكلام عندهم صفة فعل ، قالوا : وانما سمي : كلام الله ، للتشريف ، كما يقال : بيت الله ، وإلا فالله تعالى عندهم ما تكلم ولا يتكلم ، كما قال الامام أحمد رحمه الله تعالى فيما خرجه في الرد على الجهمية : بيان ما أنكرت الجهمية أن الله كلم موسى ﷺ ، وعلى نبينا . قلنا : لم أنكرتم ذلك ؟ قالوا : لأن الله لم يتكلم ، ولا يتكلم ، وانما كون شيئاً ، فعبر عن الله ، وخلق صوتاً فسمع ، فزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ، وفم ، وشفتين ، ولسان . فقلنا : فهل يجوز لمكون ، أو لغير الله أن يقول لموسى : (لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه : ١٤ و (إني أنا ربك) طه : ١٢ ؟ فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية ، ولو كان كما زعم الجهمية أن الله كون شيئاً ، كأن يقول ذلك المكون : يا موسى ان الله رب العالمين ، لا يجوز ان يقول : اني انا الله رب العالمين . وقد قال جل ثناؤه (وكلم الله موسى تكليما) النساء : ١٦٤ وقال : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الأعراف : ١٤٣ وقال (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) الأعراف : ١٤٤ فهذا منصوص

القرآن.قال: وأما ماقالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث سليمان الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ « ما منكم من احد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » ،[١] قال: وأما قولهم: إن الكلام لايكون إلا من جوف، وفم، وشفتين ولسان، أليس قال الله للسموات والارض: (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت: ١١ أترى انها قالت بجوف، وشفتين، ولسان. وقال الله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) الأنبياء ٧٩ أتراها أنها سبحت بفم، وجوف، ولسان، وشفتين. والجوارح إذا شهدت على الكفار[٢]. فقالوا (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فصلت: ٢١ أتراها نطقت بجوف، وشفتين، وفم، ولسان، ولكن الله أنطقها كيف شاء، من غير أن يقول: فم، ولسان، وشفتين. قال: فلما خنقته الحجج قال: إن الله كلم موسى، الا أن كلامه غيره، فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم. قلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون الشنعة عن أنفسكم بما تظهرون، وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يارب، هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم ياموسى هو كلامي، وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الالسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وانما كلمتك على قدر مايطيق بدنك، ولو كلمتك باكثر من ذلك مت. قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك. فقال: سبحان الله، وهل أستطيع أن

---

(١) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) في الاصل: الكافر:

أصفه لكم؟ قالوا : شبهه . قال : أسمعتم أشد مايسمع من أصوات الصواعق، فكأنه مثله[1] .

قال : وقلنا للجهمية من القائل لعيسى يوم القيامة (ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) المائدة : ١١٦ أليس الله هو القائل ؟ قالوا : يكون الله شيئاً يعبر عن الله ، كما كون لموسى فعبر ؟ فقلنا : فمن القائل (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) الاعراف : ٦ أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله إنما يكون الله شيئاً ، فيعبر عن الله . قلنا : قد أعظمتم على الله الفرية ، حين زعمتم أن الله لايتكلم ، فشبهتموه بالاصنام التي تعبد من دون الله ، لأن الأصنام لاتتكلم ، ولا تتحرك ، ولا تزول من مكان الى مكان ، فلما ظهرت عليه الحجة قال : أقول : ان الله قد يتكلم ، ولكن كلامه مخلوق. قلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق ، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لايتكلم ، حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لايتكلمون ، حتى خلق لهم كلاماً ، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه ، فتعالى الله عن هذه الصفة ، بل نقول : إن الله جل ثناؤه ، لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولا نقول : انه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً ، ولانقول : إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم ، ولا نقول : إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ، ولانقول : إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً ، ولا نقول : إنه كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة .

فقالت الجهمية لنا لما وصفنا من الله هذه الصفات : إن زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم بقول النصارى ، حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته . فقلنا : لانقول : إن الله لم يزل

---

(١) في الاصل: قال : أسمعتم أصوات الصواعق التي في تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله ،وهذا الاثر موجود في « تفسير الطبري » عن الزهري بغير هذا اللفظ .

وقدرته ، ولم يزل ونوره ، ولكن نقول : لم يزل بقدرته ونوره ، لا متى قدر ، ولا كيف قدر . فقالوا : لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا : كان الله ولا شيء . فقلنا : نحن نقول : كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها ، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته ، وضربنا لهم مثلاً في ذلك . فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع ، وكرب ، وليف ، وسعف ، وخوص ، وجمار ، واسمها اسم واحد ، سميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله جل ثناؤه ، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة له حتى خلق قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق فعلم ، والذي لا يعلم فهو جاهل ، ولكن تقول : لم يزل الله قادراً ، عالماً ، مالكاً ، لا متى ، ولا كيف ، وقد سمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي ، فقال : (ذرني ومن خلقت وحيداً) المدثر : ١١ وقد كان لهذا الذي سماه الله (وحيداً) عينان ، وأذنان ، ولسان ، وشفتان ، ويدان ، ورجلان ، وجوارح كثيرة . فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته ، فكذلك الله وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته إله واحد .

وفي «التسعينية» لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ومما ينبغي أن يعلم أن الجهمية لما كانت في نفس الأمر قولها قول أهل الشرك والتعطيل ، ليس هو قول أحد من أهل الكتب المنزلة ، ولكن لم يكن لهم بد من موافقة أهل الكتاب في الظاهر ؛ وان كانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم ، كما عليه طواغيتهم الذين علموا بمخالفة أنفسهم للرسل ؛ وأقدموا على ذلك ؛ وهؤلاء (إما) منافقون زنادقة ؛ وإما جهال بنفاق أنفسهم ؛ صاروا في الجمع بين

تكذيبهم الباطن ؛ وتصديقهم الظاهر ؛ جامعين بين النقيضين ؛ مضطرين الى السفسطـة في العقليات ، والقرمطة في السمعيات ، مفسدين للعقل والدين .

وقولهم بخلق القرآن ، ونفي الصفات من أصول نفاقهم ؛ وذلك أنه من المعلوم ببداية العقول ؛ أن الحي لا يكون حياً الا بحياة تقوم به ، لا يكون حياً بلا حياة ، أو بحياة تقوم ، بغيره وكذلك العالم ، والقادر ؛ لا يكون عالماً ، ولا قادراً إلا بعلم وقدرة تقوم به ، لا يكون عالماً قادراً بلا علم ولا قدرة ؛ أو بعلم وقدرة تقوم بغيره وكذلك ، الحكيم ؛ والرحيم ، والمريد ، لا يكون حكيماً ، ولا رحيماً ، أو متكلماً أو مريداً ، إلا بحكمة ورحمة تقوم بغـــيره ، ولا يكون متلكماً ولا مريداً بلا كلام ولا إرادة ، أو بكلام وإرادة تقوم بغيره ، وكذلك من المعلوم ببداية العقول أن الكلام ، والارادة ، والعلم ، والقدرة لا تقوم إلا بمحل ؛ إذ هــــذه صفات لا تقوم بأنفسها ؛ ومن المعلوم ببداية العقول أن المحـــل الذي يقوم به العلم يكون عالمـاً ، والذي تقوم به القدرة يكون قادراً ، والذي يقوم به الكلام يكون متكلماً ، والذي تقوم به الرحمة يكون رحيماً ، والذي تقوم به الارادة ، يكون مريداً ، فهذه الأمور مستقرة في فطر الناس ، تعلمها قلوبهم علماً فطرياً ضرورياً ، والألفـــاظ المعبرة عن هذه المعاني هي من اللغـات التي اتفق عليها بنو آدم ، فلا يسمون عالماً قادراً إلا من قام به العلم والقـدرة ، ومن قام بـه العلم والقدرة سموه عالماً قادراً ، وهذا معنى قول من قال من أهـــل الاثبات : إن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها إلى ذلك المحل ، وكان ذلك المحل هو العالم المتكلم ، دون غيره . ومعني قولهم : إن الصفة إذا قامت بمحل اشتق له منهـا اسم كما يشتق لمحل العلم عليم ، ولمحل الكلام متكلم ، ومعنى قولهم : إن صدق المشتق لا ينفك عن صدق المشتق منه أن لفظ العليم والمتكلم مشتق من لفظ العلم

والكلام ، فاذا صدق في الموصوف أنه عليم ، لزم أن يصدق حصول العلم والكلام له ، ولهذا كان أئمة السلف الذين عرفوا حقيقة من قال : مخلوق ، وأن معنى ذلك أن الله لم يقم به كلام ، بل الكلام قائم بجسم من الأجسام غيره ، وعلموا أن هـذا يوجب بالفطرة الضرورية أن يكون ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام ، دون الله ، وأن الله لا يكون متكلماً أصلاً ؛ صاروا يذكرون قولهم بحسب ماهو عليه في نفسه ، وهو أن الله لا يتكلم وإنما خلق شيئاً تكلم عنه . وهكذا كانت الجهمية تقول أولاً ، ثم إنها زعمت أن المتكلم من فعل الكلام ولو في غيره . واختلفوا هـل يسمى متكلماً حقيقة أو مجازاً ؟ على قولين . فلهم في تسمية الله تعالى متكلماً بالكلام المخلوق ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو حقيقة قولهم وهم فيه أصدق لاظهارهم كفرهم : ان الله لاتكلم ، ولا يتكلم .

والثاني :ـ وهم فيه متوسطون في النفاق ـ إنه يسمى متكلماً بطريق المجاز.

والثالث ـ وهم فيه منافقون نفاقاً محضاً ـ : إنه يسمى متكلماً بطريق الحقيقة ، وأساس النفاق الذي ينبني عليه الكذب ، فلهذا كانوا من أكذب الناس في تسمية الله متكلماً بكلام ليس قائماً به ، وإنما هو مخلوق في غيره ، كما كانوا كاذبين مفترين في تسمية الله عالماً ، قادراً ، مريداً ، متكلماً بلا علم يقوم به ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، ولا كلام ، وكانوا وإن نطقوا بأسمائه فهم كاذبون بتسميته بها ، وهم ملحدون في الحقيقة كإلحاد الذين نفوا عنه أن يسمى بالرحمن . (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) الفرقان : ٦٠ وبذلك وصفهم الأئمة وغيرهم ممن خبر مقالاتهم ، كما قال الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الجهمية : فاذا

قيل لهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق . قلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لايعرف بصفة ؟ قالوا : نعم. قلنا : قد عرف المسلمون أنكم لاتثبتون شيئاً ، انما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ،وقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا : لم يتكلم ، ولا يتكلم ، لأن الكلام لايكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية ، فإذا سمع الجاهل قولهم ،يظن أنهم من أشد الناس تعظيماًلله ، ولا يعلم أنهم انما يقودون قولهم إلى ضلالة و كفر . انتهى كلامه .

قوله :

لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

أي : أن قدماء المعتزلة ، ك . واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وغيرهما لم يذهبوا الى القول بخلق القرآن ، ولكن متأخروهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن ، ولهذا قال الناظم :

فهم بذا جهمية أهل اعتزا ل ثوبهم أضحى له علمان

العلم : رسم الثوب ورقمه ، قاله في « القاموس » .

قوله : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ . أي : أن القائلين بخلق القرآن ، كفرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين ، وهذا معنى قول الناظم : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ .

قوله : واللالكائي الامام حكاه عنهم الخ .

قال الامام الحافظ ابو القاسم اللالكائي وقد ذكر أقوال السلف والأئمة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ،وما ورد عنهم من تكفير من يقول ذلك ، ثم قال : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً وأكثر من التابعين ، وأتباع

التابعين ، والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الخيرين ، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ، ممن أخذ الناس بقولهم ، وتدينوا بمذاهبهم ، قال . ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكن اختصرت ، فنقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر ، لاينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه ، وأمروا بقتله ، أو نفيه ، أو صلبه . قال : ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال : القرآن مخلوق ، الجعد بن درهم ، ثم الجهم بن صفوان . فأما جعد ، فقتله خالد بن عبد الله القسري ، وأما جهم ، فقتل بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسأذكر قصتها إن شاء الله تعالى ، وقد حكى نحواً من هذا الطبراني ، كما ذكر الناظم رحمه الله تعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مذهب الكرامية

والقائلون بأنه بمشيئة	في ذاته أيضاً فهم نوعان
إحداهما جعلته مبدوءاً به	نوعاً حذار تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم	إثبات خالق هذه الاكوان
فلذاك قالوا إنه ذو أول	ما للفناء عليه من سلطان
وكلامه كفعاله وكلاهما	ذو مبدء بل ليس ينتهيان

قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا وأتوا بتشنيع بلا برهان
قلنا كما قالوه في أفعاله بل بيننا بون من الفرقان
بل نحن أسعد منهم بالحق إذ قلنا هما بالله قائمتان
وهم فقالوا لم يقم بالله لا فعل ولا قول فتعطيلان
لفعاله ومقاله شر وأبطل من حلول حوادث ببيان
تعطيله عن فعله وكلامه شر من التشنيع بالهذيان
هذي مقالات ابن كرام وما ردوا عليه قط بالبرهان
أنى وما قد قال أقرب منهم للعقل والآثار والقرآن
لكنهم جاؤوا له بجعاجع وفراقع وقعاقع بشنان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وإرادة ، فذكر مقالة الكرامية بتشديد الراء ، وهم أتباع أبي عبد الله محمد ابن كرام ، أبو عبد الله السجستاني الزاهد ، شيخ الطائفة الكرامية ، مات سنة ٢٥٥ وفي « القاموس » ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش ، وأنه جوهر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مذهب الكرامية ان كلام الله تعالى حادث ، قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلماً بكلام ، بل مازال عندهم قادراً على الكلام ، وهو عندهم لم يزل متكلماً ، بمعنى أنه لم يزل قادراً على الكلام ، وإلا فوجود الكلام

عندهم في الأزل ممتنع ، كوجود الأفعال عندهم وعند من وافقهم من اهل الكلام ، كالمعتزلة وأتباعهم ، وهم يقولون : إنه حروف وأصوات حادثة بذات الرب بقدرته ومشيئته، ولا يقولون : ان الأصوات المسموعة، والمداد الذي في المصحف قديم ، بل يقولون : ان ذلك محدث .

قوله : إحداهما جعلته مبدوءاً به . الى قوله :

وكلام كفعاله وكلاهما ذو مبدء بل ليس ينتهيان

أي : إن الكرامية قالت : ان كلام الله تعالى له أول ، ولفعاله أول، ولكن لانهاية لهما عندهم .

وقوله: حذار تسلسل الأعيان . أي : أن الكرامية قالوا هذا القول خوفاً من لزوم التسلسل ، وذلك لأنهم شاركوا الجهمية ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرهم في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الاعراض المشهور بين المتكلمين ، ومبنى الدليل على منع التسلسل . قالوا : فلو كان الباري تعالى متكلماً في الأزل بكلام لا أول له ، وفاعلاً لأفعال لا أول لها ، لزمنا القول بالتسلسل ، فبطل دليلنا الذي استدللنا به على حدوث العالم .

وقوله : قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا الخ . أي : قالت الكرامية لمن خالفهم من المتكلمين الذين شنعوا عليهم في مسألة الكلام : انا قلنا معشر الكرامية كما قلتم في أفعاله تعالى ، فان لها أولاً عندكم ، فليكن كلامه كذلك ، وأنتم قلتم : كلام الله وأفعاله غير قائمة به ، وهذا شيء غير معقول ، إذ لا يسمى متكلماً الا من قام به الكلام ، ولا فاعلاً الا من قام به الفعل ، وأنتم قلتم : هو قائل بقول لا يقوم به ، وفاعل بفعل لا يقوم

به ، فهذا تعطيل لفعاله ومقاله ، وهو شر من القول بحلول الحوادث، ولهذا قال النـاظم :

هذي مقالات ابن كرام وما ردوا عليه قط بالبرهان

وقد قال الفخر الرازي في « الأربعين » ان مسألة حلول الحوادث تلزم عامة الطوائف ، وذكر في « الأربعين » أنها تلزم أصحابه الأشاعرة أيضاً . فقال : ان الكرامية يجوزون ذلك ، وينكره سائر الطوائف . وقيل : أكثر العقلاء يقولون به ، وان انكروه باللسان ، فان أبا علي وأبا هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا : انه يريد بارادة حادثة ، ويكره بكراهـة حادثة ، لا في محل، إلا أن صفة المريدية والكارهيـة محدثة ، واذا حصل المرئي والمسموع ، حدث في ذاته تعـالى صفة السامعية والمبصرية ، لكنهم إنما يطلقون لفظ التجدد دون الحادث ، وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات ، والأشعرية يثبتون نسخ الحـكم مفسرين ذلك برفعـه أو انتهائه ، والارتفاع والانتهاء عدم بعـد الوجود ، ويقولون :إنه عالم بعلم واحد ، يتعلق قبل وقوع المعلوم بأنه سيقع، وبعده يزول ذلك المتعلق ، ويتعلق بأنه وقع ، ويقولون بأن قدرته تتعلق بإيجاد المعين ، واذا وجد انقطع ذلك التعلق لامتناع إيجـاد الموجود ، وكذلك تعلق الارادة بترجيح المعين ، وأيضاً المعدوم لايكون مرئياً ولا مسموعاً وعند الوجود يصير مرئياً مسموعاً ، فهـذه التعلقات حادثة ، فان التزم جاهل كون المعدوم مرئياً مسموعاً ، قلنا : الله تعالى يرى المعدوم معدوماً لا موجوداً ، وعند وجوده يراه موجوداً لا معدوماً ، لأن رؤية الموجود معأمدو ، أو بالعكس ، غلط ، وإنه يوجب ماذكرنا ،والفلاسفة مع بعدهم

عن هذا يقولون بأن الاضافات وهي القبلية والبعدية والمعية موجودة في الأعيان ، فيكون الله مع كل حادث ، وذلك الوصف الاضافي حدث ذاته . وأبوالبركات من المتأخرين منهم صرح في « المعتبر » بارادات محدثة ، وعلوم محدثة في ذاته تعالى ، زاعماً بأنه لايمكن الاعتراف بكونه إلهاً لهذا العالم إلا مع هذا القول ، ثم قال : الاجلال من هذا الاجلال ، والتنزيه من هذا التنزيه واجب :

قال الرازي : واعلم أن الصفة إما حقيقة عارية عن الاضافة ، كالسواد ، والبياض ، أو حقيقة يلزمها إضافة ، كالعلم والقدرة ، فانه يلزمها تعلق بالمعلوم والمقدور ، وهو اضافة مخصوصة بينهما ، واما إضافية محضة ، ككون الشيء قبل غيره وبعده ، ويمينه ويساره ، فان تغير هذه الأشياء لايوجب تغيراً في الذات ، ولا في صفة حقيقية منها ، فنقول : تغير الاضافات لا محيص عنه ، وأما تغير الصفات الحقيقية ، فالكرامية يثبتونه ، وغيرهم ينكرونه ، فظهر الفرق بين مذهب الكرامية : لايسمى ذلك صفة ، ولانقول : ان ذلك تغير في الصفات الحقيقية . انتهى .

ونقل السيد الشريف في « شرح المواقف » قال : وقالت الكرامية : العقلاء يوافقوننا في قيام الصفة الحادثة بذاته سبحانه وتعالى، وإن انكروا علينا[١] باللسان ، فان الجبائية قالوا بارادة وكراهية حادثتين لا في محل ، لكن المريدية والكارهية (قالوا) : حادثتان في ذاته تعالى ، وكذا السامعية والمبصرية تحدث بحدوث المسموع والمبصر ، وأبو الحسين يثبت علوماً متجددة ، والاشعرية يثبتون النسخ ، وهو إما رفع الحكم القائم بذاته أو انتهاؤه ، وهما عدم بعد الوجود ، فيكونان حادثين . انتهى .

قوله : لكنهم جاؤوا له بجعاجع الخ ، الجعجعة : صوت الرحى

---

(١) في الاصل : وإن أنكرونا .

والقعاقع : تتابع أصوات الرعـد ، فرقـع الأصابـــع نقضها ، فتفرقعت وافرنقعت ، قاله في « القاموس » .

قال الناظم رحمه ٱلله تعالى :

فصل

في ذكر مذهب اهل الحديث

والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ومحمـــد وأئمة الايمان

قالوا بأن الله حقـــاً لم يزل ... متكلماً بمشيئه وبيان

إن الكلام هو الكمال فكيف يخـلو عنه في أزل بــلا امكان

ويصير فيما لم يزل متكلماً ... ماذا اقتضاه له من الامكان

وتعـاقب الكلمات أمر ثابت ... للذات مثل تعاقب الازمان

والله رب العرش قال حقيقة ... (حم) مع (طه) بغير قران

بل أحرف مترتبات مثلمـا ... قد رتبت في مسمع الانسان

وقتان في وقت محال هكذا ... حرفان أيضاً يوجدا في آن

من واحد متكلم بل يوجدا ... بالرسم أو بتكلم الرجلان

هذا هو المعقول أما الاقترا ... ن فليس معقولاً لذي الاذهان

وكذا كلام من سوى متكلم ... أيضاً محال ليس في الامكان

الا لمن قام الكلام به فذا ... لك كلامه المعقول في الاذهان

أيكون حياً سامعاً أو مبصراً ... من غير ماسمع وغير عيان

والسمع والابصار قام بغيره ... هذا المحال وواضح البهتان

وكذا مريد والارادة لم تكن ... وصفاً له هذا من الهذيان

وكذا قدير ماله من قدرة ... قامت به من أوضح البطلان

والله جل جلاله متكلم ... بالنقل والمعقول والبرهان

قد أجمعت رسل الإله عليه لم ... ينكره من أتباعهم رجلان

فكلامه حقاً يقوم به والا لم يكن متكلماً بقران

والله قال وقائل وكذا يقول الحق ليس كلامه بالفاني

ويكلم الثقلين يوم معادهم ... حقا فيسمع قوله الثقلان

وكذا يكلم حزبه في جنة الحيوان بالتسليم والرضوان

وكذا يكلم رسله يوم اللقا ... حقاً فيسألهم عن التبيان

ويراجع التكليم جل جلاله ... وقت الجدال له من الانسان

ويكلم الكفار في العرصات تو ... بيخاً وتقريعاً بلا غفران

ويكلم الكفار أيضاً في الجحيم أن اخسؤوا فيها بكل هوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب النوع الثـــاني القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وارادة ، وانه سبحانه يتكلم من ذاته ، وهم أهـــل الحديث ، فقال : والآخرون أولو الحديث ، كأحمد ، ومحمد الخ . . أي : أن أصحاب الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما من الأئمة قالوا بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته إذا شاء ، وذلك أن الكلام من صفات الكمال ، فالذي لايتكلم ، أو حدث له الكلام بعد أن لم يكن متكلماً ، ناقص ، وهذا هو معنى قول الناظم :

إن الكلام هو الكمال فكيف يخـــلو عنه في أزل بلا إمكان

ويصير فيما لم يزل متكلماً ماذا اقتضاه له من الامكان

أي : كيف صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً .

وقوله .

والله رب العرش قال حقيقة (حم) مع (طه) بغير قران

بل أحرف مترتبات مثلما قد رتبت في مسمع الانسان

هذا إشارة إلى رد مذهب السالمية ومن وافقهم ، القائلين بأن كلام الله تعالى حروف واصوات قديمة أزليه ، وأن لها اقـــتراناً ثابتاً [1] لذواتها ، وأن السين لا تسبق الباء الخ .

ولهذا قال الناظم : وقتان في وقت محال هكذا ، أي : كما أنه لا يمكن أن يوجد وقتان في وقت ، فمحال أن يوجد حرفان في آن . أي : في وقت من متكلم واحد ، بل يمكن ذلك في الرسم . أي : في الخط ، أو بتكلم رجلين . فذلك يمكن أن يكون في وقت

---

(١) في الاصل اقتران ثابت

واحد، وأما النطق بحرفين معاً، فهو محال غير ممكن، ثم أشار الى رد مذهب الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلامه تعالى هو ما يخلقه في غيره، وذلك محال أيضاً، فلا يسمى متكلماً الا من قام به الكلام، وكذا لا يسمى سامعاً أو مبصراً الا من قام به السمع والبصر، وإلا فلا يسمى سامعاً او مبصراً بسمع او بصر قائم بغيره، وكذا لا يسمى مريداً وقديراً إلا من قامت به الارادة والقدرة، لا يسمى مريداً أو قديراً بارادة او قدرة بغيره. ثم قال الناظم.

والله جل جلاله متكلم ... بالنقل والمعقول والبرهان

وقد تقدم بسط الكلام في ذلك لما ذكرت مذهب الجهمية والمعتزلة في القرآن، بما أغنى عن إعادته.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

والله قد نادى الكليم وقبله ... سمع الندا في الجنة الأبوان

وأتى الندا في تسع آيات له ... وصفاً فراجعها من القرآن

وكذا يكلم جبرئيل بأمره ... حتى ينفذه بكل مكان

واذكر حديثاً «في صحيح محمد» ... ذاك البخاري العظيم الشان

فيه ندا الله يوم معادنا ... بالصوت يبلغ قاصياً والداني

هب أن هذا اللفظ ليس بثابت ... بل ذكره مع حذفه سيان

ورواه عندكم البخاري المجسم بل رواه مجسم فوقان

أيصح في عقل وفي نقل ندا ... ءٌ ليس مسموعاً لنا بأذان

أم أجمح العلماء والعقلاء من　　أهل اللسان وأهل كل لسان

ان النداء الصوت الرفيع وضده　　فهو النجاء كلاهما صوتان

والله موصوف بذاك حقيقة　　هذا الحديث ومحكم القرآن

واذكر حديثاً لابن مسعود صريحاً انه ذو أحرف ببيان

للحرف منه في الجزا عشر من الـ　　ـحسنات مافيهن من نقصان

وانظر الى السور التي افتتحت بأحـ　　ـرف فها ترى سراً عظيم الشان

لم يأت قط بسورة الا أتى　　في إثرها خبر عن القرآن

اذ كان إخباراً به عنها وفي　　هذا الشفاء لطالب الايمان

ويدل أن كلامه هو نفسها　　لا غيرها والحق ذو تبيان

فانظر الى مبدا الكتاب وبعدها　　(الاعراف) ثم كذا الى (لقمان)

مع تلوها أيضاً ومع (حم) مع　　(يس) وافهم مقتضى الفرقان

قوله : رأتى النداء في تسع آيات له الخ . وهو قوله تعالى في سورة الأعراف (وناداهما ربهما) الأعراف : ٢٢ الآية . وفي مريم (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) مريم : ٥٢ . وفي طه (فلما أتاها نودي ياموسى إني أنا ربك) طه : ١١ ، ١٢ . الآية . وفي سورة الشعراء (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين) الشعراء : ١٠ . وفي النمل (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) النمل : ٨ . وفي القصص (فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) القصص : ٣٠ .

(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) القصص : ٤٦ . (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) القصص : ٦٢ ، ٧٤ - في موضعين - (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) القصص : ٦٥ . وفي الصافات (وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥ . وفي النازعات (وهل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) النازعات . ١٥ ، ١٦ .

وقوله : وكذا يكلم جبرئيل بأمره . يشير الى حديث النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بالأمر ، تكلم بالوحي ، فاذا تكلم بالوحي ، أخذت السموات منه رجفة - أو قال : رعدة - شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل : (قال الحق وهو العلي الكبير) سبأ : ٢٣ . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض ، رواه ابن أبي حاتم[1] .

وقوله : واذكر حديثاً في « صحيح محمد » الخ . يشير الى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في القصاص ، وقد تقدم .

وقوله . ورواه عندكم البخاري المجسم الخ . يحكى عن الصاحب بن عباد أنه قال عن البخاري : إنه مجسم ساقط .

قوله : أيصح في عقل وفي نقل ندا . قال شيخ الاسلام في « منهاج السنة » . النداء لا يكون الا أصواتاً باتفاق أهل اللغة وسائر الناس .

---

(١) كان في هذا الحديث نقص ، فاستدركناه من « تفسير ابن كثير » .

وقول الناظم : وأتى الندافي تسع آيات له الخ. بل أتي النداءفي عشرة مواضع أو أكثر ، كما في « المنهاج » .

قوله : واذكر حديثاً لابن مسعود . هو مارواه الترمذي من طريق عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل فله عشر حسنات ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه غيره من الأئمة ، وفيه : « أما إني لاأقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرم ،ولام حرف ، وميم حرف » .

قوله : وانظر الى السور التي افتتحت الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « بدائع الفوائد » : تأمل سر (الم) كيف اشتملت على هذه الأحرف الثلاثة ، فالألف اذا بدىء بها أولاً كانت همزة ، وهي أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف ، ومخرجها من الفم ، وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف ، أعني الحلق ، واللسان ، والشفتين ، وتنزلت في التنزيل من البداية الى الوسط الى النهاية ، فهذه الحروف تعتمد (على) المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ، فيصير منها ثمانية[1] وعشرون حرفاً ، عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين ، مع تضمنها سراً عجيباً ، وهو أن الألف للبداية ، واللام للتوسط ، والميم للنهايـــة ، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينها ، وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة ، فهي مشتملة على بدء الخلق ، ونهايته ، وتوسطه ، فمشتملة على تخليق العالم وغايته ، وعلى المتوسط بين البداية والنهـاية من التشريع والأوامر ، وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فان الطـاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات ، لم يجمعها غيرها ، وهي الجهر ، والشدة ،

---

(١) في الاصل تسعة .

والاستعلاء ، والقلقلة ، والاطباق . والسين حرف مهموس، رخو، مستقل، صفير ، منفتح ، فلا يمكن أن يجمع الى الطاء الاحرف (التي) يقابلها ، كالسين والهاء ، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف . وتأمل السور التي اجتمعت على الحروف المفردة، كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ، فمن ذلك (ق) والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرر القول ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقي الملكين قول العبد ، وذكر الرقيب ، وذكر السائق والقرين، وذكر القبل مرتين، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، وبسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وحقوق الوعيد ، ولو لم يكن الا تكرار القول والمحاورة ، وسر آخر ،وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة، والجهر ، والعلو،والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح،فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة ، فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ ، وقولهم (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) ص : ٥ الى آخر كلامهم . ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم،وهو الدرجات والكفارات ، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ، ثم خصامه ثانياً في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الاخلاص منهم.

فليتأمل اللبيب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير (ص) وسورة (ق) غير حرفها ، وهذه قطرة من بعض أسرار هذه الحروف ، والله سبحـــانه أعلم. آخر كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في إلزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام

والله عز وجل موص آمر ... ناه مثيب مرسل لبيان
ومخاطب ومحاسب ومنبيء ... ومحدث ومخبر بالشان
ومكلم متكلم بل قائل ... ومحذر ومبشر بأمان
هاد يقول الحق يرشد خلقه ... بكلامه للحق والايمان
فاذا انتفت صفة الكلام فكل هـ ... ـذا منتف متحقق البطلان
واذا انتفت صفة الكلام كذلك الـ ... إرسال منفي بلا فرقان
فرسالة المبعوث تبليغ كلا ... م المرسل الداعي بلا نقصان
وحقيقة الارسال نفس خطابه ... للمرسلين وأنه نوعان
نوع بغير وساطة ككلامه ... موسى وجبريل القريب الداني
منه اليه من وراء حجابه ... إذ لا تراه هاهنا العينان
والآخر التكليم منه بالوسا ... طة وهو أيضاً عنده ضربان
وحي وإرسال اليه وذاك في الشورى أتى في أحسن التبيان

مضمون هذا الفصل إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام نفي الرسالة ، اذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل ، فاذا انتفت صفة الكلام ، لزم نفي الرسالة ، ثم ذكر أن حقيقة الارسال نفس خطابه تعالى للمرسلين ، وهو نوعان : بغير وساطة ، ككلامه تعالى لجبريل وموسى من وراء حجاب ، والنوع الثاني : تكليم بالوساطة ، كتكليمه سبحانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على لسان جبريل ، كما قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحيَ باذنه مايشاء) الشورى:٥١ الآيـة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الزامهم التشبية للرب بالجماد الناقص اذا انتفت صفة الكلام

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها	خرس وذلك غاية النقصان
فلئن زعمتم أن ذلك في الذي	هو قابل من أمة الحيوان
والرب ليس بقابل صفة الكلا	م فنفيها ما فيه من نقصان
فيقال سلب كلامه وقبوله	صفة الكلام أتم للنقصان
إذ أخرس الانسان أكمل حالة	من ذا الجماد بأوضح البرهان
فجحدت أوصاف الكمال مخافة التـ	ـجسيم والتشبيه بالانسان
ووقعت في تشبيهه بالجامدا	ت الناقصات وذا من الخذلان

الله أكبر هتكت أستاركم حتى غدوتم ضحكة الصبيان

قول الناظم :

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها خرس وذلك غاية النقصان

لاشك أن الكلام صفة كمال ، وكل كمال اتصف به المخلوق اذا لم يكن فيه نقص بوجه ما ، فالخالق أحق به ، لأنـــه هو الذي خلقه ، وكل كمال اتصف به موجود ممكن وحادث ، فالموجود الواجب القديم أولى به ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق موجود حادث ، فالخالق أولى بتنزيهه عنه .

قوله : فلئن زعمتم ان ذلك في الذي هو قابل الخ . قالت النفـــاة من الباطنية من المتفلسفة وغيرهم : لما قيل لهم ، اذا لم يوصف بالعلم ، والقدرة ، والحياة ، والكلام ، لزم أن يتصف بما يقابل ذلك ، كالعجز ، والجهل ، والموت ، والبكم . فقالوا : إنما يلزم ذلك لو كان قابلاً للاتصاف بذلك ، فان المتقابلين تقابل السلب والايجاب ، كالوجود والعدم ، اذا عدم أحدهما ثبت الآخر ، وأما المتقابلان تقابل العدم والملكة ، كالحياة والموت ، والعمى والبصر ، فقد يخلو المحل عنها ، كالجماد ، فانه لايوصف لا بهذا ولا بهذا . فقال لهم أهل الاثبات : فررتم (من)[1] تشبيهه بالحيوان الناقص الذي لايسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم ، مع امكان ذلك منه ، فشبهتموه بالجماد الذي لايقبل الاتصاف لا بهذا ولا بهذا ، فكان مافررتم اليه شراً مما فررتم منه .

---

(١) في الاصل : عن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه

أو ليس قد قام الدليل بأن أفعال العباد خليقة الرحمن

من ألف وجه أو قريب الالف يحصيها الذي يعنى بهذا الشان

فيكون كل كلام هذا الخلق عين كلامه سبحان ذي السلطان

اذ كان منسوباً اليه كلامه خلقاً كبيت الله ذي الاركان

هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد مصرحاً ببيان

حذر التناقض إذ تناقضتم ولكن طرده في غاية الكفران

فلئن زعمتم أن تخصيص القرا ن كبيته وكلاهما خلقان

فيقال ذا التخصيص لا ينفي العمو م (ولا الخصوص)[1] كرب ذي الأكوان

ويقال رب العرش أيضاً هكذا تخصيصه لاضافة القرآن

لا يمنع التعميم في الباقي وذا في غاية الايضاح والتبيان

هذا الالزام الذي ذكره الناظم هو إلزام مشهور للسلف ، الزموا به الجهمية القائلين بأن كلام الله مخلوق ، وأن إضافته الى الله اضافة تشريف وتعظيم ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ، فألزمهم السلف بأن جميع كلام

---

(١) جملة : « ولا الخصوص » زيادة لم تكن في الاصل ، ولا في غيره ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

الخلق عين كلام الله . قال سليمان بن داود الهاشمي : من قال : إن القرآن مخلوق فهو كافر ، وإذا كان القرآن مخلوقاً كما زعموا ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ . وزعموا أن هذا مخلوق . وقال (انني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني) طه : ١٤ . فقد ادعى ما ادعى فرعون ، فلما صار فرعون أولى بأن يخلد في النار اذ قال : (أنا ربكم الأعلى) من هذا ، وكلاهما عنده مخلوق ، فأخبر بذلك ابو عبيد ، فاستحسنه وأعجبه ، ذكر ذلك البخاري في كتاب خلق « أفعال العباد » ، وكذلك ذكر نظير هذا عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن ادريس ، ويحيى ابن سعيد القطان ، ولهذا قال الناظم : هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد ، أي : أن الاتحادية صرحوا بهذا اللازم ، فقالوا :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ولكن طرد هذا ، كما قال الناظم : في غاية الكفران ، أي : ان القول بهذا هو غاية الكفران ، بل لا أكفر ممن يقول ذلك ، نعوذ بالله .

قوله : فلئن زعمتم أن تخصيص القران الخ . أي : كما أنه اذا قيل : رب الأكوان ، ورب المخلوقات ، فالعرش داخل في عموم الأكوان والمخلوقات ، فاذا قلتم : ان اضافة القرآن اليه تعالى للتشريف ، لزمكم أن جميع كلام الخلق كلام الله ، والتخصيص في القرآن لاينفي العموم ، كما اذا قيل : رب العرش ، ورب الأكوان ، كما لايخفى ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين الخلق والأمر

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والـ ـأمر الصريح وذاك في الفرقان

وكلاهما عند المنازع واحد والكل خلق ما هنا شيئان

والعطف عندهم كعطف الفرد من نوع عليه وذاك في القرآن

فيقال هذا ذو امتناع ظاهر في آيـة التفريق ذو تبيان

فالله بعد الخلق أخبر أنها قد سخرت والأمر للجريان

وأبان عن تسخيرها سبحانه بالأمر بعد الخلق والتبيان

والأمر إما مصدر أو كان مفـ ـعولاً هما في ذاك مستويان

مأموره هو قابل للأمر كالـ ـمصنوع قابل صنعة الرحمن

فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور كالـ ـمخلوق ينفى لانتفا الحدثان

وانظر الى نظم السياق تجد به سراً عجيباً واضح البرهان

ذكر الخصوص وبعده متقدماً والوصف والتعميم في ذا الثاني

فأتى بنوعي خلقه وبأمره فعلاً ووصفاً موجزاً ببيان

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

قوله : ولقد أتى الفرقان بين الخلق والأمر الخ . أي : ان الله فرق بين الخلق والأمر في قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) الاعراف : ٥٤ فجعل الخلق غير الأمر ، ولكن الجهمية ومن تبعهم قالوا: ان الخلق هنا هو الأمر ، وقالوا : العطف لا يقتضي المغايرة ، بل هو من عطف الخاص على العام ، وهذا معنى قول الناظم : والعطف عندهم كعطف الفرد من نوع عليه الخ . وهذا مردود ؛ لأن الله سبحانه أخبر في هذه الآية أنها بعد الخلق قد سخرت بالأمر .

قوله : والأمر إما مصدر الخ . أي : ان الأمر في الآية ، إما ان يكون مصدراً ، كما هو الأظهر ، وإما ان يكون المراد به المأمور ، كما يقوله أهل التأويل ، فهما سواء ، فإن المأمور لابد له من آمر ، ولذلك سمي مأموراً ، كما ان المخلوق ينفى اذ انتفى الحدثان .

وقال الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في شرح « جمع الجوامع » قال البويطي عن الشافعي : انما خلق الله الخلق بـ (كن) ، فلو كانت هي مخلوقة ، فمخلوق خلق مخلوقاً . قال الأئمة : ولو كان (كن) الأول مخلوقاً، فهو مخلوق بأخرى ، وأخرى الى ما لا يتناهى ،وهو مستحيل . وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه في قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) الاعراف : ٥٤ الأمر: القرآن، ففصل بين المخلوق والأمر ، ولو كان الأمر مخلوقاً لم يكن لتفصيله معنى . قال ابن عيينة : فرق بين الأمر والخلق ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، وأما ان القرآن هو الأمر ، فلقوله تعالى (انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا) الدخان : ٣ - ٥ وروي هذا الاستنباط عن احمد بن حنبل، ومحمد ابن يحيى الذهلي ، واحمد بن سنان وغيرهم من الأئمة ، وذكر البيهقي بإسناد

صحيح عن عمرو بن دينار قال : سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : ومشيخته جماعة من الصحابة ، منهم ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وابن الزبير ، وأكابر التابعين ، ثم قال : وروينا هذا القول عن الليث بن سعد ، وسفيان ، وابن المبارك ، وحماد ابن زيد ، وابن مهدي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي عبيد ، والبخاري ، ومشيخة سواهم . وانما أحدث هذه البدعة الجعد بن درهم ، وعنه كان يأخذ الجهم ، فذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحى . انتهى.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين ما يضاف الى الرب تعالى من الاوصاف والأعيان

والله أخبر في الكتاب بأنه ... منه ومجرور بمن نوعان

عين ووصف قائم بالعين فالـ ... أعيان خلق الخالق الرحمن

والوصف بالمجرور قام لأنه ... أولى به في عرف كل لسان

ونظير ذا أيضاً سواء ما يضاف اليه من صفة ومن أعيان

فاضافة الأوصاف ثابتة لمن ... قامت به كارادة الرحمن

وإضافة الاعيان ثابتة له ... ملكاً وخلقاً ما هما سيان

فانظر إلى بيت الإله وعلمه ... لما أضيف كيف يفترقان

وكلامه كحياته وكعلمه ... في ذي الإضافة اذ هما وصفان
لكن ناقته وبيت إلهنا ... فكعبده أيضاً هما ذاتان
فانظر إلى الجهمي لما فاته الـ ... ـحق المبين واضح الفرقان
كان الجميع لديه باباً واحداً ... والصبح لاح لمن له عينان

قوله : والله أخبر في القران بأنه الخ . أي : كما في قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل:١٠٢ وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) الانعام : ١١٤ وقال تعالى عن المسيح (وروح منه) النساء : ١٧١ ومن لابتداء الغاية . وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) الجاثية . ١٣ ومن لابتداء الغاية.

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : المضاف الى الله تعالى اذا كان معنى لايقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات ، وجب ان يكون صفة لله تعالى قائمة به ، وامتنع اضافته اضافة مخلوق مربوب ، واذا كان المضاف عيناً قائمة بنفسها كجبريل ، وعيسى عليهما السلام ، وأرواح بني آدم ، امتنع ان يكون صفة لله تعالى ، لأن ماقام بنفسه لايكون صفة لغيره ، لكن الأعيان المضافة الى الله تعالى على وجهين :

أحدهما : أن تضاف اليه بكونه خلقها وأبدعها ، فهذا شامل لجميع المخلوقات ، كقولهم : سماء الله ، وأرض الله ، فجميع المخلوقين عبيد الله ، وجميع المال مال الله .

الوجه الثاني : ان يضاف اليه لما خصه به من معنى يحبه ، ويأمر به ، ويرضاه ، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لاتكون في غيره ، وكما يقال

في مال الخمس والفيء : هو مال الله ورسوله ، ومن هذا الوجه ، فعباد الله هم الذين عبدوه أوطاعوا أمره ، فهذه اضافة تتضمن ألوهيته ، وشرعه ، ودينه ، وتلك اضافة تتضمن ربوبيته وخلقه . انتهى ملخصاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وأتى ابن حزم بعد ذاك فقال ما ‏ للناس قرآن ولا إثنان

بل أربع كلٌ يسمى بالقرا ‏ ن وذاك قول بيّن البطلان

هذا الذي يتلى وآخر ثابت ‏ في الرسم يدعى المصحف العثماني

والثالث المحفوظ بين صدورنا ‏ هذي الثلاث خليقة الرحمن

والرابع المعنى القديم كعلمه ‏ كل يعبر عنه بالقرآن

وأظنه قد رام شيئاً لم يجد ‏ عنه عبارة ناطق ببيان

إن المعين ذو مراتب أربع ‏ عقلت فلا تخفى على إنسان

في العين ثم الذهن ثم اللفظ ثم ‏ الرسم حين تخطه ببنان

وعلى الجميع الاسم يطلق لكن الـ ‏ أولى به الموجود في الأعيان

بخلاف قول ابن الخطيب فانه ‏ قد قال ان الوضع للأذهان

فالشيء شيء واحد لا أربع ‏ فدهى ابن حزم قلة العرفان

ابن حزم : هو الامام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري المشهور ، عالم الأندلس ، صاحب المصنفات المشهورة ، كـ « الملل والنحل » و « المحلى شرح المجلى »[1] وكتاب « الاجماع » وكتاب « الايصال » وغير ذلك ، وشهرته تغني عن الاطناب في ذكره ، والاسهاب في أمره.
وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » : ولد رحمه الله تعالى بقرطبة سنة ٣٨٤ أربـــع وثمانين وثلاثمائة ، وسمع من أبي عمر أحمد بن الحسور ، ويحيى بن مسعود ، ويوسف بن عبد الله القاضي ، وحمام بن أحمد القاضي ، وعبد الله ابن ربيع التميمي ، وأبي عمر الطلمنكي ، وخلق . روى عنه أبو عبد الله الحميدي فأكثر ، وابنه أبو رافع الفضل ، وطائفة . وكان إليه المنتهى في الذكاء ، والحفظ ، وسعة الدائرة في العلوم ، وكان شافعياً ، ثم انتقل الى القول بالظاهر ، ونفى القول بالقياس ، وتمسك بالعموم والبراءة الأصلية ، وكان صاحب فنون ، فيه دين ، وتورع ، وتزهد ، وتحر للصدق ، وكان أبوه وزيراً جليلاً ، محتشماً ، كبير الشأن ، وكان لأبي محمد كتب عظيمة ، لاسيما كتب الحديث ، والفقه ، وقد صنف كتاباً كبيراً في فقــه الحديث سماه « الايصال الى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام والحلال والحرام » اورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم ، والحجة لكل قول ، وله كتاب « الإحكام لأصول الأحكام » مجلدان ، وكتاب « المجلى » في الفقه على مذهبه واجتهاده مجلد ، وشرحه وهو « المحلى » في ثمـــاني مجلدات ، وكتاب « الفصل في الملل والنحل » ثلاث مجلدات ، وكتاب « إظهار تبديل اليهود

---

(١) لقد جمع ابن حزم مسائل مختصرة في كتاب سماه « المجلى » ثم رغب اليه بعض الناس أن يشرحه ، فاستجاب وسماه « المحلى شرح المجلى » وهو كتاب عظيم ومرجع كبير في الفقه الاسلامي ، غير أنه ـ رحمه الله ـ كان شديد اللهجة في الرد على مخالفيه.

والنصارى للكتابين التوراة والانجيل » وكتاب « التقريب لحد المنطق » والمدخل اليه بألفاظ أهل العلم ، لا بألفاظ أهـل الفلسفة ، ومثله بالأمثلة الفقهية . أخذ المنطق عن محمد بن حسن المذحجي ، وأمعن فيه ، فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء .

قال أبو حامد الغزالي : وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه ، وسيلان ذهنه .

وقال صاعد بن أحمد : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة ، والشعر ، ومعرفته بالسنن والآثار . اخبرني ولده الفضل أنـه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تآليفه أربعمائة مجلد ، يحتوي على نحو من ثمانين الف ورقة .

قال الحميدي : كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه ، مستنبطاً للاحكام من الكتاب والسنة ، متقناً في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء ، وسرعـة الحفظ ، وكرم النفس والتـدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع ، وباع طويل ، مارأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ، وشعره كثير ، جمعه على حروف المعجم .

قال أبو محمد عبد الله بن محمد المغربي : صحبت ابن حزم سبعة أعوام ، وسمعت منه جميع مصنفاته ، سوى المجلد الأخـير من كتاب « الفصل » وقرأنا عليه من كتاب « الإيصال » سبع مجلدات في سنة ست وخمسين[1] ، وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ومن تآليفه كتاب « الصادع » في الرد على من قال بالتقليد ، وكتاب « شرح أحاديث الموطأ » ، وكتاب « الجامع » في صحيح الحديث باختصار الأسانيد ، وكتاب « منتقى الإجماع » وكتاب

(١) لعله يقصد : سنة ست وخمسين بعد الاربعمائة .

« كشف الالتباس لمابين الظاهرية وأصحاب القياس » وله « السيرة النبوية » في مجلد ، وتصانيفه كثيرة .

قال أبو مروان بن حيان : كان ابن حزم حامل فنون ، من حديث ، وفقه ، وجـــدل ، ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة ، من المنطق ، والفلسفة ، وله كتب كثيرة ، لم يخل فيها من غلط ، لجراءته في التسور على الفنون ، لاسيا المنطق ، فإنهم زعموا أنه زل هنالك ، وضل في سلوك المسالك ، وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض ، ومال أولاً في النظر الى الشافعي ، وناضل عنه ، حتى وسم به ، فاستهدف بذلك لكثيرمن الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل عن ذلك الى الظاهر ، فنقحه وجادل عنه ، ولم يكن يلطف صدعه بما عنده بتعريض ، ولابتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجندل ، وينشقه انشقاق الخردل ، فتنفر عنـــه القلوب ، وتقع به الندوب ، حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فتمالؤوا عليه ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو منـــه ، فطفق الملوك يقصدونه ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به منقطع أثره ، وهي بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع ، ولاراجع ، الى آخر كلام لأبي حيان ، تركته اختصاراً . انتهى . توفي ٤٥٦ سنة ستة وخمسين وأربعمائة ، وله اثنتان وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقوله في القرآن قول مهجور ، لا نعـــلم قائلاً به ، وهو من جمله مجازفته وتهوره ، رحمه الله ، ولكن الناظم ، لما ذكر جميع ما قاله الناس في القرآن العظيم ، ذكر هذا القول ، لأنه من جملة الأقوال التي قيلت ، والا فشيخ الاسلام رحمه الله تعالى قد ذكر في المسألة المصرية أقوال الناس في القرآن ، فبلغت

سبعة أقوال ، أو ثمانية ، ولم يذكر قول ابن حزم هذا ، وحيث ذكره الناظم ، فلا بد من بيان معناه . فقوله : بل أربع كل يسمى بالقرآن ، هذا الذي يتلى ، والثاني : المكتوب في المصاحف ، والثالث : المحفوظ في الصدور ، والمراد بالرسم : الخط . وقوله : هذه الثلاث خليقة الرحمن ، وهذا القول من أبطل الأقوال التي قيلت في القرآن ، ولذلك قال الناظم : وذاك قول بين البطلان .

قوله : والرابع المعنى القديم الخ . كأنه والله أعلم وافق الاشاعرة والكلابية في إثبات المعنى النفسي ، وقد تقدم القول في المعنى النفسي بما أغني عن الإعادة .

وقول الناظم : وأظنه قد رام شيئاً لم يجد ، إلى قوله : ان المعين ذو مراتب أربع الخ .. أي : أن المعين كزيد مثلا له أربع وجودات : وجود خارجي ، ووجود ذهني ، ووجود لفظي ، أي : في اللفظ ، اذا تلفظت بلفظ زيد ، ووجود رسمي ، أي : خطي ، فهذه الوجودات الأربعة ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم) القلم : ١ — ٤ فذكر المراتب الأربعة ، وهي الوجود العيني الخارجي الذي هو خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، فمذهب ابن حزم أن القرآن في المراتب الثلاثة مخلوق ، وهي وجوده العيني ، واللفظي ، والرسمي ، ولكن الاولى بالتسمية بالقرآن ـ وهو وجوده العيني ـ بقي عنده المعنى القديم ، فهو غير مخلوق ، كالعلم .

وقول الناظم : بخلاف قول ابن الخطيب الخ . أي : أن قول ابن

الخطيب ، أي الفخر الرازي ، قال : ان الكلام موضوع لما في الذهن . وهو المعنى النفسي على ما هو معروف من مذهب الاشاعرة ، وإنه معنى واحد ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله أخبر أنه سبحانه ... متكلم بالوحي والفرقان

وكذاك أخبرنا بأن كلامه ... بصدور أهل العلم والايمان

وكذاك أخبر أنه المكتوب في ... صحف مطهرة من الرحمن[1]

وكذاك أخبر أنه المتلو والـ ... مقروء عند تلاوة الانسان

والكل شيء واحد لا أنه ... هو أربع وثلاثة واثنان

وتلاوة القرآن أفعال لنا ... وكذا الكتابة فهي خط بنان

لكنما المتلو والمكتوب والـ ... محفوظ قول الواحد المنان

والعبد يقرؤه بصوت طيب ... وبضده فهما له صوتان

وكذاك يكتبه بخط جيد ... وبضده فهما له خطان

أصواتنا ومدادنا وأداتنا ... والرق ثم كتابة القرآن

ولقد أتى في نظمه من قال قو ... ل الحق فيه وهو غير جبان

إن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان

هو قول ربي آيه وحروفه ... ومدادنا والرق مخلوقان

---

(١) في الاصل : الشيطان ، وعلى هامش الاصل : نسخة الرحمن .

فشفى وفرق بين متلو ومصنوع وذاك حقيقة العرفان

الكل مخلوق وليس كلامه المتلو مخلوقاً هما شيئان

فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الاذهان والآراء كل زمان

وتلاوة القرآن في تعريفها بالـلام قد يعنى بها شيئان

يعنى بها المتلو فهو كلامه هو غير مخلوق كذي الاكوان

ويراد أفعال العباد كصوتهم وأدائهم وكلاهما خلقان

هذا الذي نصت عليه أئمة الـ إسلام اهل العلم والعرفان

وهو الذي قصد البخاري الرضى لكن تقاصر قاصر الاذهان

عن فهمه كتقاصر الافهام عن قول الإمام الاعظم الشيباني

في اللفظ لما أن نفى الضدين عنـه واهتدى للنفي ذو عرفان

فاللفظ يصلح مصدراً هو فعلنا كتلفظ بتلاوة القرآن

وكذاك يصلح نفس ملفوظ به وهو القرآن فذان محتملان

فلذاك أنكر أحمد الاطلاق في نفي وإثبات بلا فرقان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان القراءة ، والمقروء ، والتلاوة ، والمتلو ، والكتابة ، والمكتوب ، والمحفوظ ، واللفظ ، والملفوظ ،

وأطنب في ذلك لكثرة ماوقع في ذلك من التخبيط والتخليط، فقال[1]: والله أخبر أنه سبحانه متكلم الخ . كما قال تعالى (حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتو العلم) العنكبوت : ٤٩، وقال تعالى (في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة) عبس : ١٣، ١٤ وقال تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة : ١٨ ثم قال : والكل شيء واحد ، لأنه هو أربع ، وثلاثة ، واثنان ، ثم قال:

وتلاوة القرآن أفعال لنا   وكذا الكتابة فهي خط بنان

قال شيخ الاسلام بعد كلام سبق: وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك، أي: في مسألة اللفظ في القرآن، فصار طائفة منهم يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق ، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم صوت العبد كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ، ومحمد بن داود المصيصي ، وطوائف غير هؤلاء ، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك ، أو يقف فيه ، ففهم ذلك بعض الأئمة ، فصار يقول : أفعال العباد (و) أصواتهم مخلوقه ، رداً لهؤلاء ، كما فعل البخاري ، ومحمد بن نصر المروزي ، وغيرهما من أهل العلم والسنة ، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة ، وأهواء للنفوس ، حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ماهو معروف ، وصار قوم مع البخاري ، كمسلم بن الحجاج ونحوه . وقوم عليه ، كأبي زرعة ، وأبي حاتم ، ونحوهما ، وكلا هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث، وهم من أصحاب أحمد بن حنبل ، ولهذا قال ابن قتيبة : إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم ، إلا في مسألة اللفظ ، وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، وليس

(١) أي الناظم .

مرادهم بالتلاوة المصدر ، فالذين قالوا : التلاوة هي المتلو من أهـــل العلم والسنة ، قصدوا بذلك أن التلاوة هي القول ، والكلام المقترن بالحركة وهي الكلام المتلو . وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء . والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث ، أرادو بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله ، ولا أصوات العباد هي صوت الله ، وهذا الذي قصده البجاري ، وهو مقصود صحيح . انتهى كلامه ملخصاً من كتاب « العقل والنقل » .

وقال الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» : قال عبدالرحمن بن محمد الحافظ : حدثنا عبدالله بن محمد بن الفضل الصيداوي ، سمعت اسحق بن داود الشعراني يذكر أنه عرض على محمد بن أسلم الطوسي كلام بعض من تكلم في القرآن ، فقال محمد : القرآن كلام الله غير مخلون أين ماتلي وحيث ما كتب ، لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل . قال الذهبي : صدق والله ، فانك تنقل من المصحف مائة مصحف ، وذلك الأول لا يتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في نفسك باق بهيئته لا يفصل عنك ولا يتغير ، وذلك لأن المكتوب واحد ، والكتابة تعددت ، والذي في صدرك واحد ، ومـا في صدور المقرئين ، هو عين ما في صدرك سواء ، والمتلو وان تعدد التالون به ، واحد ، مع كونه صور وآيات ، وأجزاء متعددة ، وهو كلام الله ووحيه ، وتنزيله وإنشاؤه ، ليس هو بكلامنا أصلاً . نعم وتكلمنا به وتلاوتنا له ونطقنا به من أفعالنـــا ، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا . قال الله عز وجل (والله خلقكم وما تعملون) الصافات : ٩٦ فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنـا ، كلام الله ، ليس بمخلوق ، وهذا إنما يحصله الذهن . وأما في الخارج ، فلا يتأتى وجود القرآن إلا من تال وفي مصحف ، فإذا سمعه المؤمنون في الآخرة من

رب العالمين ، فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين ، ولهذا يقول الامام أحمد : من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن ، فهو جهمي ، فتأمل هذا ، فالمسألة صعبة ، وما فصلته فيها ـ وإن كان حقاً ـ فأحمد رحمه الله تعالى وعلماء السلف ، لم يأذنوا في التعبير عن ذلك ، وفروا عن الجهمية ومن الكلام بكل ممكن ، حتى إن حرب بن اسماعيل قال : سمعت ابن راهويه وسئل عن الرجل يقول : القرآن ليس بمخلوق ، وقراءتي إياه مخاوقة ، لأني أحكيه ، فقال : هذا بدعة لايقار على هذا حتى يدع قوله .

قلت : أظن اسحق نفر من قوله : لأني أحكيه ، بحيث أن الحافظ الثبت عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنه قال: سألت أبي في رجل قال: التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ، قال : هذا كلام الجهمية . قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال النبي ﷺ : «حتى أبلغ كلام ربي »[1] وقال : « إن هذه الصلاة لايصلح فيها شيء من كلام النـــاس» [2]

---

(١) الذي في « سنن أبي داود » « ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي ، فان قريشاً قد منعوني ان ابلغ كلام ربي » كان يقول ذلك عندما يعرض نفسه على الناس في المواسم .

(٢) والحديث بتمامه : عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه ، إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه : ما شأنكم تنظرون الي ـ قـــال ـ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي وأمي ، مارأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولاشتمني ، قال: « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح ، والتكبير ، وقراءة القرآن » . رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائي . وابو داود ، وقال : « لا يحل» مكان « لا يصلح » .

وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، او يقال: مخلوق، أوغير مخلوق.

قلت: فعل الامام أحمد رضي الله عنه هذا حسما للمادة، والا فالملفوظ كلام الله، والتلفظ به فمن كسبنا. انتهى كلام الذهبي. وقول الناظم: وهو الذي قصد البخاري الرضى الى آخره. يعني ان الامام أحمد قال فيما نقل عنه نقلاً مستفيضاً أنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.

قال الناظم في كتاب «الصواعق المرسلة»[1] فان قيل: فاذا كان الأمر كما قررتم، فكيف أنكر الامام احمد على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وبدعة، ونسبه الى التجهم، وهل كانت محنة أبي عبد الله البخاري الا على ذلك، حتى هجره أهل الحديث، ونسبوه الى القول بخلق القرآن. قيل: معاذ الله أن يظن بأئمة الاسلام هذا الظن الفاسد، فقد صرح البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» وفي آخر «الجامع»[2] بأن القرآن كلام الله غير مخلوق. وقال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق.. الى أن قال: فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله، فان الامام احمد سد الذريعة، حيث منع اطلاق لفظ المخلوق نفياً وإثباتاً على اللفظ، وهذا المنع في النفي والاثبات من كمال علمه باللغة والسنة، وتحقيقه لهذا الباب، فانه امتحن بما لم يمتحن به غيره، وصار كلامه قدوة وإماماً لحزب الرسول ﷺ الى يوم القيامة، والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران: أحدهما:

---

(١) على الجهمية والمعطلة.

(٢) أي «الجامع الصحيح» وهو المعروف بـ «صحيح البخاري».

الملفوظ نفسه ، وهو غير مقدور للعبد ، ولا فعل له . والثاني : التلفظ به ، والادالة ، وفعل العبد ، فاطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الاول ، وهو خطأ ، واطلاق نفي الخلق عليه ، قد يوهم المعنى الثاني ، وهو خطأ ، فمنع الاطلاقين . وأبو عبد الله البخاري ، ميز ، وفصل ، وأشبع الكلام في ذلك ، وفرق بين ماقام بالرب ، وبين ما قام بالعبد ، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد ، وأصواتهم ، وحركاتهم ، وأكسابهم ، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ ، وهو القرآن الذي سمعه جبريل من الله تعالى ، وسمعه محمد ﷺ من جبريل ، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب « خلق أفعال العباد » وأتى فيها من الفرقان والبيان بما يزيل الشبهة ، ويوضح الحق ، ويبين محله من الامامه والدين ، ورد على الطائفتين أحسن الرد. وقال أبو عبد الله البخاري: فأما ما احتج به الفريقان لمذاهب احمد ، ويدعيه كل لنفسه ، فليس بثابت كثير من اخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه ، بل المعروف عن احمد وأهل العلم ان كلام الله تعالى غير مخلوق ، وما سواه فهو مخلوق ، وانهم كرهوا البعث والتفتيش عن الاشياء الغامضة. و(كان) يجتنب أهل الكلام ، والخوض ، والتنازع الا فيما جاء به العلم ، وبينه النبي ﷺ ، والفريقان اللذين عناهما البخاري ، وتصدى للرد عليهما وابطال قولهما ، ثم أخبر البخاري أن كل واحدة من الطائفتين الزائغتين تحتج بأحمد ، وتزعم ان قولها قوله ، وهو كما قال رحمه الله ، فان اولئك اللفظية يزعمون أنه كان يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وأنه على ذلك استقر أمره ، وهذا قول من يقول : التلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، والكتابة هي المكتوب ، والطائفة الثانية الذين يقولون : التلاوة والقراءة مخلوقه ، ويقولون : ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، ومرادهم بالتلاوة والقراءة نفس ألفاظ القرآن العربي الذي

سمع من رسول الله ﷺ ، والمتلو والمقروء عندهم هو المعنى القائم بالنفس، وهو غير مخلوق ، وهو اسم للقرآن ، فاذا قالوا: القرآن غير مخلوق ، أرادوا به ذلك المعنى ، وهو المتلو والمقروء . وأما المقروء والمسموع المثبت في المصاحف ، فهو عبارة عنه ، وهو مخلوق ، وهؤلاء يقولون : التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء ، والكتابة غير المكتوب ، وهي مخلوقة ، والمتلو المقروء غير مخلوق ، وهو غير مسموع ، فانه ليس بحروف ولا أصوات ، والفريقان مع كل منهما حق وباطل .

فنقول وبالله التوفيق . اما الفريق الاول ، فأصابوا في قولهم : إن الله تعالى تكلم بهذا القرآن، على الحقيقة حروفه ومعانيه ، تكلم به بصوته وأسمعه من شاء من ملائكته ، وليس هذا القرآن العربي مخلوقاً من جملة المخلوقات ، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا الصوت المسموع من القارىء هو الصوت القائم بذات الرب تعالى ، وانه غير مخلوق ، وان تلاوتهم وقراءتهم وألفاظهم القائمة بهم غير مخلوقة ، فهذا غلو في الاثبات يجمع بين الحق والباطل . وأما الفريق الثاني ، فأصابوا في قولهم : إن أصوات العباد، وتلاوتهم ، وقراءتهم ، وما قام بهم من أفعالهم وتلفظهم بالقرآن، وكتابتهم له ، مخلوق، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا القرآن العربي الذي بلغه رسول الله ﷺ عن الله ، مخلوق ، ولم يتكلم به الرب ، ولا سمع منه ، وان كلام الله هو المعنى القائم بنفسه ، ليس بحروف ، ولا سور ، ولا آيات ، ولا له بعض ، ولا كل ، وليس بعربي ، ولا عبراني ، بل هذه عبارات مخلوقة تدل على هذا المعني ، والحرب واقع بين هذين الفريقين من بعد موت الامام أحمد الى الآن ، فانه لما مات الامام احمد قال طائفة ممن ينسب اليه ، منهم محمد بن داود المصيصي وغيره : ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، وحكوا

ذلك عن الامام أحمد ، فأنكر عليهم صاحب الامام أحمد ، وأخص الناس به ، أبو بكر المروذي ذلك ، وصنف كتاباً مشهوراً ذكره الخلال في « السنة » ثم نصر هذا القول أبو عبد الله بن حامد ، وأبو نصر السجزي ، وغيرهما ، ثم نصرهما بعده القاضي أبو يعلى وغيره ، ثم ابن الزاغوني ، وهو خطأ على أحمد ، فقابل هؤلاء الفريق الثاني .وقالوا : ان نفس هذه الألفاظ مخلوقة ، لم يتكلم الله بها ، ولم تسمع منه ، وإنما كلامه هو المعنى القائم بنفسه وقالوا : هذا قول أحمد ، والبخاري . وأئمة السنة براء من هذين القولين ، والثابت المتواتر عن الامام أحمد ، هو مانقله عنه خواص أصحابه وثقاتهم كابنيه : صالح ، وعبد الله ، والمروذي ، وغيرهم ، الانكار على الطائفتين جميعاً ، كما ذكره والبخاري ؛ فأحمد والبخاري على خلاف قول الفريقين ، وكان يقول : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق » فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق ، فهو مبتدع ، وإن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ، هو كلام الله على الحقيقة ، وحيث تعرف كلام الله ، فهو غير مخلوق . وكان يقول بخلق أفعال العباد وأصواتهم ، وأن الصوت المسموع من القارىء هو صوته وهو مخلوق ، ويقول في قول النبي ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »[١] معناه : يحسنه بصوته ، كما قال : « زينوا القرآن بأصواتكم » [٢] انتهى كلام الناظم .

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن ابي هريرة في كتاب التوحيد : باب قوله تعالى (وأسروا قولكم او اجهروا به) ورواه احمد وابو داود .

(٢) رواه البخاري تعليقاً وابو داود ، ولدارمي ، والحاكم وهو حديث صحيح

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعاً ... للمسلمين بافك ذي بهتان

فرآه فيضاً فاض من عقل هو الـ ... ـفعال علة هذه الأكوان

حتى تلقاه زكي فاضل ... حسن التخيل جيد التبيان

فأتى به للعالمين خطابة ... ومواعظاً عريت عن البرهان

ما صرحت أخباره بالحق بل ... رمزت اليه إشارة لمعان

وخطاب هذا الحق والجمهور بالـ ... حق الصريح فغير ذي إمكان

لا يقبلون حقائق المعقول الا ... في مثال الحس والاعيان

ومشارب العقلاء لا يردونها ... الا اذا وضعت لهم بأوان

من جنس ما ألفت طباعهم من المـ ... ـحسوس في ذا العالم الجثمان

فأتوا بتشبيه وتمثيل وتجسـ ... ـيم وتخييل الى الاذهان

ولذاك يحرم عندهم تأويله ... لكنه حل لذي العرفان

فاذا تأولناه كان جناية ... منا وخرق سياج ذا البستان

لكن حقيقة قولهم أن قد اتوا بالكذب عند[1] مصالح الانسان
والفيلسوف وذا الرسول لديهم متفاوتان وما هما عدلان
أما الرسول ففيلسوف عوامهم والفيلسوف نبي ذي البرهان
والحق عندهم ففيما قاله اتباع صاحب منطق اليونان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى كلام المتفلسفة في كلام الله تعالى ، كابن سينا وأتباعه ، ومن وافقهم من متصوف ومتكلم ، فان كلام الله عندم ليس له وجود خارج عن نفوس العباد ، بل هو ما يفيض على النفوس من المعاني إعلاما أو طلباً ، اما من العقل الفعال ، كما يقوله كثير من المتفلسفة ، واما مطلقاً ، كما يقوله بعض متصوفة الفلاسفة . أفاده شيخ الاسلام ، وقال في كلامه على حديث النزول[2] بعد كلام سبق : ثم لما أرادوا تقرير النبوة ، جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال ، أو غيره ، من غير أن يكون رب العالمين يعلم له رسولاً معيناً ، ولا يميز بين موسى ، وعيسى ؛ ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال . وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ ، وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ ، إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون به ، من غير أن يكون الأمـــر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق ، وعلمت الناس ما الأمر عليه ، ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس ، وهل كانوا جهلاء ؟ على

---

(١) في الاصل : فيه .

(٢) وقـــد قام المكتب الاسلامي بطبعه بعنوان : « شرح حديث النزول لشيخ الاسلام ابن تيميه .

قولين لهم ، الى غير ذلك من أنواع الالحاد ، والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،

وقد بين في غير هذا الموضع أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل ، وان تظاهروا بالاسلام ، فانهم يظهرون من مخالفة الاسلام أعظم مما كان يظهره المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . وقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ . قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأنهم كانوا يسرون نفاقهم وهم اليوم يعلنونه ، ولم يكن على عهد حذيفة من وصل الى هذا النفاق ، ولا إلى قريب منه . انتهى .

قوله : خطابة : بفتح الخاء : ماركب من مقدمات مقبولة ، أو من مقدمات مظنونة ، وسميت بذلك ، لأن القصد منها ترغيب المخاطب فيما يفعله الخطباء، كذا ذكر المنطقيون .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومضى على هذي المقالة أمة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه ... الناصرين لملة الشيطان

فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء كل موحد رباني

واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء رسل الله والقرآن

صوفيهم عبد الوجود المطلق الـ ... ـمعدوم عند العقل في الاعيان

أو ملحد بالاتحاد يدين لا الـ ... ـتوحيد منسلخ من الاديان

معبوده موطوؤه فيه يرى　　وصف الجمال ومظهر الاحسان

الله أكبر كم على ذا المذهب الـ　ـملعون بين الناس من شيخان

يبغون منهم دعوة ويقبلو　　ن أياديا منهم رجا الغفران

لو أنهم عرفوا حقيقة أمرهم　　رجموهم لا شك بالصوان

فابذرهم ان كنت تبغي كشفهم　　وافرش لهم كفاً من الأتبان

واظهر بمظهر قابل منهم ولا　　تظهر بمظهر صاحب النكران

وانظر الى أنهار كفر فجرت　　وتهم لولا السيف بالجريان

يقول الناظم: إنه قد مضى على هذه المقالة أمة خلف ابن سينا، منهم نصير الكفر وأصحابه، يعني النصير الطوسي، ونحوه قوله: فاغتذوا بلبان اللبان، بكسر اللام . قال الأعلم: هو للآدميين، واللبن لغيرهم، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع. قوله: صوفيهم عبـد الوجود المطلق الخ، أي أن صوفيتهم عندهم أن الرب - تعالى عن قولهم - هو الوجود المطلق الساري في الموجوات، والوجود المطلق لا يوجد إلا في الذهن، وقد تقدم حكاية مذاهبهم في الفصل الذي فيه قدوم ركبهم. قوله: معبوده موطوؤه، أي أن القائلين بوحدة الوجود يعتقدون ذلك لأنهم يعبدون الوجود المطلق .

قوله :

الله اكبر كم على ذا المذهب الـ　ـملعون بين الناس من شيخان

أي : كم على هذا المذهب من مشـايخ الضلال المنتحلين لأنواع الكفر والمحال . قوله : من شيخان بكسر الشين هو جمع شيخ ، أي : على ذا المذهب مشايخ كثيرون ، والناس يعظمونهم لعدم معرفتهم بأقوالهم ، ولأنهم يظهرون التقى والتقشف ، ويربطون العوام بالحث على لزوم الكتاب

والسنة ، وتعظيم الرسل ظاهراً ، ويعظمون مشايخ الزهد والتصوف . وينتحلون أقوالهم ويعظمونها ، فلهذا التبس أمرهم على الناس . وقد يوجد في كلام بعضهم ، كابن عربي تنقص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكذلك يوجد في كلامه تنقص مشايخ الزهد والتصوف المتبعين للكتاب والسنة ؛ كالجنيد وامثاله ، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج وأمثاله .

وفي كتاب « الفرقان »[1] لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ، كانوا مناقضين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات » المكية و « الفصوص » [2] وأشباه ذلك بمدح الكفار مثل قوم نوح ، وهود ، وفرعون ، وغيرهم ، ويتنقص بالأنبياء ، كنوح ، وابراهيم ، وموسى ، وهرون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن محمد ، وسهيل بن عبد الله التستري ، ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلاج ونحوه. انتهى .

وقوله : يبغون منهم دعوة ويقبلون أياديا . هي جمع يد ، أي : أن الناس يقبلون أيادي المشايخ المذكورين ، ويطلبون منهم الدعاء ، ولو علموا حقيقة قولهم ، أي : لو علموا ما يقولون به من وحدة الوجود ، لرجموهم[3] لاشك بالصوان ، أي : بالحجارة الصوانة مشددة ، ضرب من الحجارة شديد ، جمع صوان ، قاله في « القاموس » .

وقوله : فابذرلهم إن كنت تبغي كشفهم الخ . أي : إن أردت أن

---

(١) هو «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » لشيخ الاسلام ابن تيميه ، وقد قام المكتب الاسلامي قريباً بطبعه مع تخريج احاديثه .

(٢) هو ابن عربي الطائي ، صاحب الشطحات .

(٣) في الاصل : رجموهم .

يظهروا لك حقيقـــة اعتقادهم ، فأعطهم شيئاً من حطام الدنيا ، واظهر بمظهر قابل منهم ، ولا تبد لهم الإنكار ، فانك إذا فعلت ذلك أظهروا لك أقوالهم الكفرية المتضمنة للكذب والسخرية .

وقوله :

وانظر إلى أنهار كفر فجرت   وتهمّ لولا السيف بالجريان

يقال : ـ والله المستعان ـ قد جرت تلك الانهار حتى ملأت الديار والقفار ، وقد أثقلت كتب هؤلاء الملاعين ظهر البسيطة ، فانظر ترى يامن له عينان ، والله المستعان ، وان شئت أن تعرف ذلك ، فطالع كتب ابن عربي كـ « الفتوحات المكية » و « الفصوص » وشروحها و « تائية ابن الفارض » وشروحها ، وتصانيف العفيف التلمساني ، والشيخ عبد الغني النابلسي ، ومؤلفات عبد الرزاق الكاشي ، وكتاب « الانساني الكامل » للجيلي وقصيدته العينية ، وغيرها ، والله الموعد .

ولقد أحسن أبو حيان النحوي في قوله :

حلبت الدهر أشطره زماناً   وأغناني العيان عن السؤال

فما أبصرت من خل وفيّ   ولا ألفيت مشكور الخلال

ذئاب في ثياب قد تبدّت   لرائيها بأشكال الرجال

فمن يك يدّعي منهم صلاحاً   فزنديق تغلغل في الضلال

فيأخذ مالهم ويصيب منهم   نساءهم بمقبوح الفعال

ويأخذ حاله زوراً فيرمي عمامته ويهرب في الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس تقرمط في العقيدة والفعال

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الرب جل جلاله

وأتت طوائف الاتحاد بملة طمت على ما قال كل لسان
قالوا كلام الله كل كلام هـذا الخلق من جن ومن إنسان
نظماً ونثراً زوره وصحيحه صدقاً وكذباً واضح البطلان
فالسب والشتم القبيح وقذفهم للمحصنات وكل نوع أغان
والنوح والتعزيم والسحر المبين وسائر البهتان والهذيان
هو عين قول الله جل جلاله وكلامه حقاً بلا نكران
هـذا الذي أدى اليه أصلهم وعليه قام مكسح البنيان
إذ أصلهم أن الاله حقيقة عين الوجود وعين ذي الأكوان
فكلامها وصفاتها هو قوله وصفاته ما هاهنا قولان
وكذاك قالوا إنه الموصوف بالضدين من قبح ومن احسان[1]

(١) هذا البيت سقط من الاصل ، واستدركناه من مخطوطة المتن .

وكذاك قد وصفوه أيضاً بالكما ل وضده من سائر النقصان

هذي مقالات الطوائف كلها حملت اليك رخيصة الاثمان

وأظن لو فتشت كتب الناس ما ألفيتها أبداً بذا التبيان

زفت اليك فان يكن لك ناظر أبصرت ذات الحسن والاحسان

أقول : حاصل كلام الاتحادية ، كما قال الناظم[1] ان جميع كلام الخلق كلام الله ، نظمه ونثره ، زوره وصحيحه ، صدقه وكذبه ، جميعه كلام الله تعالى عن ذلك، كما قالو :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء كان علينا نثره ونظامه

عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم الدين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاعطف[2] على الجهمية المغل الأُلى خرقوا سياج العقل والقرآن

تقدم معنى السياج .

شرد بهم من خلفهم واكسرهمُ بل ناد في ناديهم بأذان

أفسدتم المنقول والمعقول والـ ـمسموع من لغة بكل لسان

أيصح وصف الشيء بالمشتق للـ ـمسلوب معناه لذي الأذهان؟!

أيصح صبّار ولا صبر له ويصح شكار بلا شكران؟!

---

(١) أي كما قال الناظم حاكياً قول الاتحادية .

(٢) في الاصل : وعطف ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

ويصح علام ولا علم له ويصح غفار بلا غفران؟!

ويقال هذا سامع أو مبصر والسمع والأبصار مفقودان؟!

هذا محال في العقول وفي النقـ ـول وفي اللغات وغير ذي إمكان

فلئن زعمتم أنه متكلم لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران

نفي اشتقاق اللفظ للمـ ـوجود معناه به وثبوته للثاني

أعني الذي ما قام معناه به قلب الحقائق أقبح البهتان

ونظير ذا اخوان هذا مبصر وأخوه معدود من العميان

سميتم الأعمى بصيراً إذ أخو ه مبصر وبعكسه في الثاني

فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله كالخلق للأكوان

والفعل ليس بقائم بإلهنا إذ لا يكون محل ذي حدثان

ويصح أن يشتق منه خالق فكذلك المتكلم الوحدان؟!

هو فاعل لكلامه وكتابه ليس الكلام له بوصف معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في توضيح ما تقدم فقال: فاعطف على الجهمية المغل الألى الخ. أي: أن الجهمية خالفوا العقل والنقل، فلهذا قال: شرد بهم من خلفهم. والتشريد: التفريق مع الاضطراب، والازعاج.
قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: (فشرد بهم من خلفهم) الأنفال ٥٧

قال : شردهم ، سمع بهم . وقال الزجاج : افعل بهم فعلاً من القتل تفرق به من خلفهم . يقال : شردت بني فلان: قلعتهم عن مواضعهم ، وطردتهم عنها حتى فارقوها ، ومنه شرد البعير ، إذا فارق صاحبه ، بـــل ناد في ناديهم بأذان . أي : ارفع صوتك في ناديهم ، أي : مجلسهم ، والنادي : قال في « القاموس » النادي والندوة والمنتدى : مجلس القـوم نهاراً ، أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه ، والأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعـــالى : (وأذان من الله ورسوله) التوبة :٣ أي : قل للجهمية: أفسدتم المعقول ، والمنقول ، واللغة التي نزل بها القرآن . وقل : أيصح وصف الشيء بالمشتق المسلوب ؟ معناه : فهل يصح صبار ولا صبر له ؟ وهل يصح شكار ولا شكر له ؟ ويصح علام ولا علم له ؟ ويصح غفار بلا مغفرة ؟ ويصح أن يقال : هذا سامع أو مبصر لمن لا سمع له ولا بصر ؟ ان هذا محال في العقل ، والنقل ، واللغة .

قوله : مكسح البنيان ، هو اسم مفعول من كسح يكسح كسحاً[1] ، فهو مكسح . قال في « القاموس » : الكساحة : الكناسة ، والزمانة في اليدين . كسح ، كفرح ، وهو أكسح وكسحان . والكساح : داء للابل . والمكسح : المقشر ، والكسيح[2]: العاجز ، والاكسح : الأعرج ، والمقعد ، جمع كسحان . انتهى .

ثم قال :

فلئن زعمتم انه متكلم لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران

نفى اشتقاق اللفظ الخ .

أي : أنه يلزمكم إذا قلتم بذلك أن تنفوا اشتقاق اللفـــظ الموجود معناه به الخ . . لأن لفظ متكلم مشتق من الكلام ، واذا أضفتم الكلام

(١) في الاصل : كسح يكسح تكسيحاً : وهو خطأ ، والتصويب من « اللسان »

(٢) في الاصل: المكسر: المقشر ، والكسح ، وهو خطأ ، والتصحيح من « القاموس »

الى غير من قام به ، كان ذلك محالاً ، وهو قلب للحقائق ، وهو بمنزلة أخوين بصير ، وأعمى ، فهل يسمى الأعمى بصيراً لأن أخاه مبصر ؟ وهل يسمى المبصر أعمى لأن أخاه أعمى ؟ فهل في قلب الحقائق مثل هذا ؟!

وقوله : فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله الخ. أي : إن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله . أي : لأن الفعل عندهم هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والفعل ليس قائماً بالله تعالى عندهم ، لئلا تقوم به الحوادث عندهم ، ولكن يصح أن يشتق منه خالق ، فكذلك الكلام ، فهو عندهم فاعل لكلامه وكتابه ، ولم يزد الناظم على هذا القول هنا ، لأنه سيبسط الكلام عليه فيما بعد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومخالف المعقول والمنقول والـ فطرات والمسموع للانسان

من قال إن كلامه سبحانه وصف قديم أحرف ومعان

والسين عند الباء ليست بعدها لكن هما حرفان مقترنان

أو قال إن كلامه سبحانه معنى قديم قام بالرحمن

ما إن له كل ولا بعض ولا العربي حقيقته[1] ولا العبراني

والأمر عين النهي واستفهامه هو عين إخبار بلا فرقان

وكلامه كحياته ما ذاك مقدوراً له بل لازم الرحمن

هذا الذي قد خالف المعقول والمنقول والفطرات للانسان

---

(١) في الاصل : حقيقة ، والتصحيح من المتن المطبوع .

أما الذي قد قال إن كلامه ... ذو أحرف قد رتبت ببيان

وكلامه بمشيئة وإرادة ... كالفعل منه كلاهما سيان

فهو الذي قد قال قولا يعلم الـ ... ـعقلاء صحته بلا نكران

فلأي شيء كان ما قد قلتم ... أولى وأقرب منه للبرهان

ولأي شيء دائماً كفرتم ... أصحاب هذا القول بالعدوان

فدعوا الدعاوي وابحثوا معنا بتحـ ... ـقيق وإنصاف بلا عدوان

وارفوا مذاهبكم وسدوا خرقها ... إن كان ذاك الرفو في الامكان

فاحكم هداك الله بينهم فقد ... أدلوا اليك بحجة وبيان

لا تنصرن سوى الحديث وأهله ... هم عسكر القرآن والايمان

وتحيزن اليهم لا غيرهم ... لتكون منصوراً لدى الرحمن

ذكر الناظم رحمه الله مذهب الاقترانية ومذهب الكلابية والاشاعرة في كلام الله تعالى ، وقد تقدم رد مذهبهم بما فيه كفاية ، ثم بسط الكلام في مسألة : هل الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ؟ فقال :

فنقول هذا القدر قد أعيى على ... أهل الكلام وقاده أصلان

إحداهما هل فعله مفعوله ... أو غيره فيها لهم قولان

والقائلون بأنه هو عينه ... فروا من الأوصاف بالحدثان

لكن حقيقة قولهم وصريحه ... تعطيل خالق هذه الاكوان

عن فعـــله إذ فعله مفعوله ... لكنه ما قـــام بالرحمن

فعلى[1] الحقيقة مـاله فعل اذ الـــمفعول منفصـل عن الديان

والقائلون بأنـه غير له ... متنازعون وهم فطـائفتان

إحداهما قالت قـديم قائم ... بالذات وهو كقدرة المنان

سموه تكـويناً قديماً قاله ... أتباع شيخ العـــالم النعمان

وخصومهم لم ينصفوا في رده ... بل كـابروهم ما أتوا ببيان

والآخرون رأوه أمراً حادثاً ... بالذات قـــام وأنهم نوعان

إحداهما جعلته مفتتحـاً به ... حذر التسلسل ليس ذا إمكان

هذا الذي قالته كـرامية ... ففعاله وكلامه سـيان

والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ذاك ابن حنبل الرضى الشيباني

قد قال إن الله حقاً لم يزل ... متكلماً ان شاء ذو إحســـان

جعل الكلام صفات فعل قائم ... بالذات لم يفقـد من الرحمن

وكذاك نص على دوام الفعل بالـــ ... إحسـان أيضاً في مكان ثان

وكذا ابن عباس فراجع قوله ... لما أجـاب مسائل القرآن

وكذاك جعفر الامام الصادق الـــ ... مقبول عند الخلق ذي العرفان

قد قال لم يزل المهيمن محسناً ... براً جواداً عنـد كل أوان

---

(١) في الاصل : فعل ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

وكذا الامام الدارمي فانه قد قال مافيه هدى الحيران

قال الحياة مع الفعال كلاهما متلازمان فليس يفترقان

صدق الامام فكل حي فهو فعا ل وذا في غاية التبيان

الا اذا ما كان ثَمَّ موانع من آفة أو قاسر الحيوان

والرب ليس لفعله من مانع ما شاء كان بقدرة الديان

ومشيئة الرحمن لازمة له وكذاك قدرة ربنا الرحمن

هذا وقد فطر الإله عباده ان المهيمن دائم الاحسانِ

أولست تَسمع قول كل موحد يا دائم المعروف والسلطان

وقديم الاحسان الكثير ودائم الـجود العظيم وصاحب الغفران

من غير إنكار عليهم فطرة فطروا عليها لا تواصٍ ثان

أو ليس فعل الرب تابع وصفه وكماله أفذاك ذو حدثان؟!

وكماله سبب الفعال وخلقه أفعالهم سبب الكمال الثاني

أو ما فعال الرب عين كماله أفذاك ممتنع على المنان ؟ !

أزلاً الى أن صار فيما لم يزل متمكناً والفعل ذو إمكان

تالله قد ضلت عقول القوم إذ قالوا بهذا القول ذي البطلان

ماذا الذي أضحى له متجدداً حتى تمكن فانطقوا ببيان

والرب ليس معطلا عن فعله　　　بل كل يوم ربنا في شان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى النزاع في الأصل المشهور : وهو أنه : هل الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ؟ ومعنى ذلك أن الناس تنازعوا في الأفعال اللازمة المضافة الى الرب سبحانه وتعالى ، مثل المجيء ، والاتيان ، والاستواء الى السماء ، والى العرش ، بل وفي الأفعال المتعدية ، مثل الخلق ، والاحسان ، والعدل ، وغير ذلك : هل يكون خلقه للسموات والأرض فعلاً فعله غير المخلوق ، أم فعله هو المفعول والخلق هو المخلوق ؟ على قولين معروفين ، والأول هو المأثور عن السلف ، وهو الذي ذكره البخاري في كتاب « خلق الأفعال »[1] عن العلماء مطلقاً ، ولم يذكروا فيه نزاعاً .

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب « خلق الافعال» : اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول ، فقالت القدرية : الأفاعيل كلهـــا من البشر ، وقالت الجبرية ، الأفاعيل كلها من الله . وقالت الجهمية : الفعل والمفعول واحد ، لذلك قالوا : (كن) مخلوق . وقال: التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة ، ففعل الله صفة الله ، والمفعول من سواه من المخلوقـات . انتهى .

وكذلك ذكره البغوي وغيره عن مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره أبو علي الثقفي والضبعي وغيرهما من أصحاب ابن خزيمة في العقيدة التي اتفقوا هم وابن خزيمة على أنها مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره الكلاباذي في كتاب « التعرف لمذهب التصوف » أنه مذهب الصوفيـــة ، وهو مذهب الحنفية ، وهو مشهور عندهم ، وهو قول السلف ، وجمهور الطوائف ، وهو قول جمهور أصحاب أحمد متقدميهم[2] ، وأكثر المتـــأخرين منهم ،

---

(١) وهو المعروف بكتاب « خلق أفعال العباد » .

(٢) في الاصل : متقدموهم كلهم .

وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى ، وكذلك قول أئمة الشافعية ، والمالكية ، وأهل الحديث ، وأكثر أهل الكلام ، كالهشامية والكلابية ، والكرامية كلهم ، وبعض المعتزلة ، وكثير من أساطين الفلاسفة . وذهب متقدموهم ، ومتأخروهم ، وآخرون من أهل الكلام ، الجهمية ، والمعتزلة ، والأشعرية ، الى أن الخلق هو نفس المخلوق ، وليس لله عند هؤلاء صنع ، ولا خلق ، ولا فعل ، ولا إبداع الا المخلوقات أنفسها ، وهو قول طائفة من الفلاسفة المتأخرين إذ[1] قالوا بأن الرب مبدع ، كابن سيناء ونحوه .

قوله : والقائلون بأنه غير ؛ أي : القائلون بأن الخلق هو المخلوق ، فروا من قيام الحوادث بالرب تعالى ، والحجة المشهورة للقائلين بأن الخلق هو المخلوق ، أنه لو كان خلق المخلوقات بخلق ، لكان ذلك الخلق إما قديماً وإما حادثاً ، فان كان قديماً ، لزم قدم كل مخلوق ، وهذا مكابرة ، وإن كان حادثاً ، فان قام بالرب ، لزم قيام الحوادث به ، وان لم يقم به ، كان الخلق قائماً بغير الخالق ، وهذا ممتنع ، وسواء قام به ، أو لم يقم به ، يفتقر ذلك الخلق الى خلق آخر ، ويلزم التسلسل . هذا عمدتهم ، وقد أجابهم القائلون بأن الخلق غير المخلوق بأجوبة شافية كافية ، فلتطلب من المطولات . وأما حجة القائلين بأن الخلق غير المخلوق ، فقد ذكرها الناظم رحمه الله تعالى ، ولكن الكرامية ــ كما ذكر الناظم ــ جعلت له أولاً ، خوفاً من القول بالتسلسل .

وقوله : إحداهما قالت قديم قائم الخ . أي : إن أتباع شيخ العالم بفتح اللام ، وهو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، عالم العراق رحمه الله تعالى ، قد قالوا : ان التكوين قديم قائم بالذات ، والمكون حادث ، وهو كقدرته سبحانه ، كما قال الامام أبو جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته

(١) في الاصل : إذا

المشهورة[1] : إن الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أبدياً ،ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا باحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبيه ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محي الموتى بعد ما أحيي استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لايحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . انتهى .

قوله : والآخرون رأوه أمراً حادثاً بالذات قام الخ . أي: أن الكرامية رأوا أن الفعل أمر حادث قائم بذات الله ، ولكن له أول ، وهو معنى قول الناظم عنهم ، ففعاله وكلامه سيان ، يعني أن كلامه له أول وفعاله لها أول عند الكرامية .

قوله : والآخرون أولو الحديث كأحمد الخ . أي : أن مذهب أهل الحديث ، كأحمد بن حنبل وغيره ، أن الله تعالى لم يزل متكلماً ، ولم يزل فعالاً ، ولهذا قال الناظم عن الامام أحمد : إن الله حقاً لم يزل متكلماً إن شاء . قال الامام أحمد في رواية حنبل : لم يزل الله عالماً متكلما غفوراً . وقال في الرد على الجهمية : لم يزل الله عالماً قادراً مالكاً ، لامتى ولا كيف .

قوله : وكذا ابن عباس فراجع قوله الخ . يريد ماروواه البخاري في « صحيحه » عن سعيد بن جبير أن رجلا سأل ابن عباس قال : إني أجد

---

(١) وقد قنا بطبعها مع شرحها مصححة محققة وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

في القرآن أشياء تختلف عليّ»، فذكر مسائله ، ومنها قال : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيما) النساء : ٩٦ (وكان الله عزيزاً حكيما) النساء : ١٥٨ (وكان الله سميعاً بصيراً) النساء : ١٣٤ وكأنه كان ثم مضى . فقال ابن عباس : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيما) سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي : لم أزل كذلك ، هذا لفظ البخـــاري بتمامه ؛ واختصر الحديث ، ورواه البرقاني عن طريق شيخ البخاري بتمامه ، فقال ابن عباس : فأما قوله . (وكان الله غفوراً رحيما) (وكان الله عزيزاً حكيما) (وكان الله سميعاً بصيراً) فان الله جعل نفسه ذلك ؛ وسمى نفسه ذلك ، ولم ينحله أحداً غيره ، وكان الله . أي : لم يزل كذلك ، هذا لفظ الحميدي صاحب «الجمع» . ورواه البيهقي عن البرقاني من حديث محمد بن إبراهيم البوشنجي ، عن يوسف بن عدي شيخ البخاري قال : إن الله سمى نفسه ذلك ، ولم ينحله غيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل كذلك ، ورواه البيهقي من رواية يعقوب بن سفيان . عن يوسف ، ولفظ ابن عبـــاس : فان الله سمى نفسه ذلك ولم يجعله غـــيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل .

قوله : وكذاك جعفر الامام الخ . يعني مارواه الثعالبي في تفسيره باسناده عن جعفر بن محمد الصادق ، أنه سئل عن قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) المؤمنون : ١١٥ لم خلق الخلق ؟ فقال : لأن الله كان محسناً بما لم يزل ، فيما لم يزل ، الى مالم يزل ، فأراد تعالى أن يفيض إحسانه الى خلقه ، وكان غنياً عنهم ، لم يخلقهم لجر منفعة ، ولا لدفع مضرة ، ولكن خلقهم ، وأحسن اليهم ، وأرسل إليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل ، فمن أحسن كافأه بالجنة ، ومن عصى كافأه بالنار .

قوله : وكذا الامام الدارمي الخ . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي

في كتاب « النقض على المريسي »[1] حين احتج بقوله تعالى (الله لا إله الا هو الحي القيوم) البقره : ٢٥٥ وادعى أن تفسير القيوم : الذي لايزول ، يعني الذي لا ينزل ، ولا يتحرك ، ولا يقبض.ولا يبسط . قال عثمان[2] وكان واضحاً عند العلماء وأهل البصر بالعربية ، أن معنى لا يزول : لا يفنى ولا يبيد ، لأنه لا يتحرك ولا يزول من مكان الى مكان إذا شاء ، كما كان يقال في الشيء الفاني : هو زائل ، كما قال لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

يعني : فان ، لا أنه متحرك ، فان أمارة مابين الحي والميت التحرك ، وما لا يتحرك ، فهو ميت لايوصف بحياة ، كما لاتوصف الأصنام الميتة (بالحياة). قال الله تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم لايخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) النحل : ٢٠ ، ٢١ فالله الحي ، القيوم ، القابض ، الباسط ، يتحرك إذا شاء ، ويفعل مايشاء ، بخلاف الأصنام التي لاتزول حتى تزال . وقال البخاري : ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق ، وأن العرب لاتعرف الحي من الميت الا بالفعل ، فمن كان له فعل فهو حي ، ومن لم يكن له فعل فهو ميت وأن أفعال العباد مخلوقة ، فضيق عليه حتى مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به . قال : وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيماً ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع ، بل البدع والترؤس بالجهل لغيرهم أولى ، اذ يفتون بالآراء المختلفة مما لم يأذن به الله . انتهى .

---

(١) وقد قمنا بطبعه قريباً بعنوان «الرد على الجهمية» للامـــام ابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي .

(٢) اي الدارمي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والأمر والتكوين وصف كما له ... ما فقد ذا ووجوده سيان

وتخلف التأثير بعد تمام مو ... جبه محال ليس في الامكان

والله ربي لم يزل ذا قدرة ... ومشيئة ويليهما وصفان

العلم مع وصف الحياة وهذه ... أوصاف ذات الخالق المنان

وبها تمام الفعل ليس بدونها ... فعل يتم بواضح البرهان

فلأي شيء قد تأخر فعله ... مع موجب قد تم بالأركان

ما كان ممتنعاً عليه الفعل بل ... ما زال فعل الله ذا إمكان

والله عاب المشركين بأنهم ... عبدوا الحجارة في رضى الشيطان

ونعى عليهم كونها ليست بخا ... لقة وليست ذات نطق بيان

فأبان أن الفعل والتكليم من ... أوثانهم لا شك مفقودان

فاذا هما فقدا فما مسلوبها ... باله حق وهو ذو بطلان

والله فهو إله حق دائماً ... أفعنه ذا الوصفان مسلوبان ؟!

أزلاً وليس لفقدها من غاية ... هذا المحال وأعظم البطلان

إن كان رب العرش حقاً لم يزل ... أبداً إله الحق ذا سلطان

فكذاك أيضاً لم يزل متكلماً ... بل فاعلاً ماشاء ذا إحسان

والله ما في العقل ما يقضي لذا ... بالرد والابطال والنكران

بل ليس في المعقول غير ثبوته ... للخالق الأزلي ذي الاحسان

هذا وما دون المهيمن حادث ... ليس القديم سواه في الاكوان

والله سابق كل شيء غيره ... ما ربنا والخلق مقترنان

والله كان وليس شيء غيره ... سبحانه جل العظيم الشان

لسنا نقول كما يقول الملحد الـ ... ـزنديق صاحب منطق اليونان

بدوام هذا العالم المشهود والـ ... أرواح في أزل وليس بفان

هذي مقالات الملاحدة الأُلى ... كفروا بخالق هذه الاكوان

قوله :

وتخلف التأثير بعد تمام مو ... جبه محال ليس في الإمكان

والمولى سبحانه لم يزل ذا قدرة، ومشيئة، وعلم، وحياة ، وهذه كما قال الناظم: أوصاف ذات الخالق المنان. وبها تمام الفعل، ومع وجود المؤثر التام يلزم وجود الأثر ، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك ، فالرب سبحانه لم يزل فعالاً متكلما إذا شاء ، ولهذا لما قال المتكلمون بوجوب تأخر الأثر ، أورد عليهم من الاشكالات ما لا جواب لهم عنه ، ثم قال الناظم : والله عاب المشركين بأنهم عبدوا الحجارة الخ . أي : أن الله عاب على المشركين عبادة الأصنام، ونعى عليهم كونها لا تخلق ولا تتكلم ، واذا فقد الفعل والكلام ، فليس مسلوبها بالله حق ، والله تعالى وتقدس لم يزل متكلما فعالاً محسناً ، وما سواه حادث ، كما قال الناظم : هذا وما دون المهيمن حادث .

وقوله : والله كان وليس شيء غيره الخ . أي : ان المولى سبحانه كان

وليس معه شيء من خلقه ، كما قال : ماربنا والخلق مقترنان .

وقوله : ماربنا والخلق مقترنان . هـــذا إشارة الى الرد على ابن سينا وأتباعه القائلين بأن العالم معلول لعلة قديمة أزلية ، وأن العالم لم يزل مع الله أزلاً وأبداً ، ويقولون : العلة متقدمة على المعلول ، وإن قارنته بالزمان . فيقال لهم : إن أردتم بالعلة ما هو شرط في وجود المعلول لا مبدعاً له ، كان حقيقة ذلك أن واجب الوجود ليس مبدعاً للممكنات ولا رباً لهـــا ، بل وجوده شرط في وجودها ، وهذا حقيقـة قول هؤلاء ، فالرب على أصلهم والعالم متلازمان ، كل منهما شرط في الآخر ، والرب محتاج الى العالم ، كما أن العالم محتاج الى الرب ، وهم يبالغون في اثبات غناه عن غيره ، وعلى أصلهم فقره الى غيره كفقر بعض المخلوقات ، وإن أرادوا بالعلة ما هو مبدع للمعلول ، فهذا لا يعقل ، مع كون زمانه زمان المعلول لم يتقدم على المعلول تقدماً حقيقياً ، وهو التقدم المعقول ، واذا شبهوا وجود الفلك مع الرب بالصوت مع الحركة ، والضوء مع الشمس ، كان هذا ونحوه تشبيهـاً باطلاً لا يفيد امكان صحة قولهم ، فضلاً عن اثبات صحته ، فان هـــذه الأمور وأمثالها إما أن يقال فيها : إن الثاني موجود متصل بالأول كاجزاء الزمان والحركة ، لأنه معه في الزمان ، وأما أن يقال : الثاني مشروط بالأول ، لا أن الأول مبدع للثاني فاعل له ، فلا يمكنهم أن يذكروا وجود فاعل لغيره ، مع أن زمانهما معاً أصلاً ، وعامة العقلاء مطبقون على أن العلم بكون الشيء المعين مراداً مقدوراً يوجب العلم بكونه حادثاً بعد أن لم يكن ، بل هذا عندهم من الامور الضرورية ، ولهذا كان مجرد تصور العقلاء أن الشيء مقدور للفاعل مراد له فعله بمشيئته وقدرته ، يوجب العلم بأنه حادث ، بل مجرد تصورهم كون الشيء مفعولاً أو مخلوقاً أو مصنوعاً أو نحو ذلك من

العبارات ، يوجب العلم بأنه محدث كائن بعد أن لم يكن ، ثم بعد هـــذا ينظر في أنه فعله بمشيئته وقدرته ، وإذا علم أن الفاعل لايكون فاعلًا الا بمشيئته وقدرته ، وما كان مقدوراً ومراداً فهو محدث ،كان هذا أيضاً دليلًا ثابتاً على أنه محدث ، ولهذا كان كل من تصور من العقلاء أن الله خلق السموات والأرض ، أو خلق شيئاً من الاشياء ، كان هذا مستلزماً لكون ذلك المحدث مخلوقاً ، كائناً بعد أن لم يكن ، واذا قيل لبعضهم : هو قديم مخلوق ، أو قديم ، وعنى بالمخلوق مايعنيه هؤلاء المتفلسفة الدهريه المتأخرون الذين يريدون بلفظ المحدث أنــه معلول ، ويقولون : إنه قديم أزلي ، مع كونه معلولاً ممكناً ، يقبل الوجود والعدم ، فاذا تصور العقل هذا المذهب جزم بتناقضه ، وأن أصحابه جمعوا بين النقيضين حيث قدروا مخلوقاً محدثاً معلولاً مفعولاً ممكناً أن يوجد وأن يعدم ، وقدروه مع ذلك قديماً أزلياً واجب الوجود بغيره يمتنع عدمه .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وقد بسطنا هـذا في الكلام على المحصل وغيره ، وذكرنا أن ما ذكره الرازي عن أهل الكلام من أنهم يجوزون وجود مفعول معلول أزلي للموجب بذاته ، أنه لم يقله أحد منهم ، بل هم متفقون على أن كل مفعول فانه لايكون الا محدثاً ، وكل ما قدر أنه معلول لعلة فاعلة ، فانه لايكون الا محدثاً ، وما ذكره هو وأمثاله موافقة لابن سينا ، من أن الممكن وجوده وعدمه ،قد يكون قديماً أزلياً ، قول باطل عند جماهير العقلاء من الأولين والآخرين ، حتى عند أرسطو وأتباعه القدماء والمتأخرين ، فانهم موافقون لسائر العقلاء من أن كل ممكن يمكن وجوده وعدمه لايكون الا محدثاً كائناً بعد أن لم يكن ، وأرسطو

اذا قال : إن الفلك قديم ؛ لم يجعله مع ذلك ممكناً يمكن وجوده وعدمه ، والمقصود أن العلم بكون الشيء مقدوراً مراداً يوجب العلم بكونه محدثاً ، بل العلم بكونه مفعولاً يوجب العلم بكونه محدثاً ، فان الفعل والخلق والابداع والصنع ونحو ذلك ، لايعقل الا مع قصور حدوث المفعول . وأيضاً فالجمع بين كون الشيء مفعولاً وبين كونه قديماً أزلياً مقارناً للفاعل في الزمان ، جمع بين المتناقضين ، ولا يعقل قط في الوجود فاعل قارنه مفعوله المعين ، سواء سمي علة ، أو لم يسم ، ولكن يعقل كون الشرط مقارناً للمشروط ، والمثل الذي يذكرونه من قولهم : حركت يدي فتحرك خاتمي ، او كمي ، او المفتاح ، ونحو ذلك ، حجة عليهم لالهم ، فان حركة اليد ليست هي العلة التامة ، ولا الفاعل لحركة الخاتم ، بل الخاتم مع الاصبع كالاصبع من الكف ، فالخاتم متصل بالاصبع ، والأصبع متصلة بالكف ، لكن الخاتم يمكن نزعه بلا ألم ، بخلاف الكف . وقد يفرض بين الاصبع والخاتم تقدم بيسير ، بخلاف أبعاض الكف ، ولكن حركة الاصبع شرط في حركة الخاتم ، كما أن حركة الكف شرط في حركة الاصبع ، أعني في الحركة المعينة التي مبدؤها من اليد ، بخلاف الحركة التي تكون للخاتم او الاصبع ابتداء ، فان هذه تتصل منها الى الكف ، كمن يجر أصبع غيره ، فيجر معه كفه ، وما يذكرونه من ان التقديم يكون بالذات والعلة ، كحركة الاصبع ، ويكون بالطبع ، كتقدم الواحد على الاثنين ، وتكون بالمكانة ، كتقدم العالم على الجاهل ، ويكون بالمكان ، كتقدم الصف الأول على الثاني ، وتقدم مقدم المسجد على مؤخره ، وتكون بالزمان ؛ كلام مستدرك ، فان التقدم والتأخر المعروف هو التقدم بالزمان ، فان قبل وبعد ومع ونحو ذلك ، معانيها لازمة للتقدم والتأخر الزماني ، وأما التقدم بالعلية ، او الذات مع المقارنة في الزمان ، فهذا لا يعقل البتة ،

ولاله مثال مطابق في الوجود ، بل هو مجرد تخييل لاحقيقة له ، وأمـــا تقدم الواحد على الاثنين ، فان عني به أن الواحد المطلق قبل الاثنين المطلق، فيكون مقدماً في التصور تقدماً زمانياً ، وإن لم يعن به هذا ، فلا تقدم، بل الواحد شرط في الاثنين مع كون الشرط لايتأخر عن المشروط ، بل قد يقارنه وقد يكون معه ، فليس هنا تقدم واجب غير التقدم الزماني ، وأما التقدم بالمكان ؛ فذاك نوع آخر ، وأصله من التقدم بالزمان ، فان مقدم المسجد تكون فيه الأفعال المتقدمة بالزمان على مؤخره ، فالامام يتقدم فعله بالزمان لفعل المأموم ، فسمي محل الفعل المتقدم متقدماً، وأصله هذا ،وكذلك التقدم بالرتبة ، فان أهل الفضائل مقدمون في الافعال الشريفة والامكنة ، وغير ذلك على من دونهم ، فسمي ذلك تقدماً وأصله هذا .

وحينئذ فاذا كان الرب هو الأول المتقدم على كل ماسواه ، كان كل شيء متأخراً عنه ، وإن قدر أنه لم يزل فاعلاً ، فكل فعل معين، فهو متأخر عنه ، وإذا قيل : الزمان مقدار الحركة ، فليس هو مقدار حركة معينة ، كحركة الشمس ، او الفلك ، بل الزمان المطلق مقدار الحركة المطلقة ، وقد كان قبل أن تخلق السموات ،والأرض ، والشمس، والقمر ،حركات وأزمنة، وبعد أن يقيم الله القيامة فتذهب الشمس والقمر ، ويكون في الجنة حركات ، كما قال تعالى: (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) مريم:٦٢ وجاء في الآثار أنهم يعرفون الليل والنهار بأنوار تظهر من جهة العرش ،وكذلك لهم في الآخرة يوم المزيد ، يوم الجمعة ، يعرف بما يظهر فيه من الأنوار الجديدة القويـة ، وان كانت الجنة كلها نوراً يزهر ونهراً يطرد ، لكن يظهر (في) بعض الأوقات نور آخر يتميز به الليل عن النهار ، فالرب سبحانه إذا لم يزل متكلماً بمشيئته ، كان مقدار كلامه وفعاله الذي لم يزل ، هو الوقت الذي يحدث مايحدث فيه من مفعولاته ، وهو سبحانـــه متقدم على كل ماسواه التقدم الحقيقي

المعقول . وأطال الشيخ رحمه الله في هذه المسألة ، ثم هؤلاء الشذوذ من المتأخرين الذين زعموا أن الفعل لايشترط فيه تقدم العدم ، فذكروا حججاً ذكرها ابن سينا وغيره من متأخريهم ، واستقصاها الرازي في « المباحث الشرقية » وذكر في ذلك ما سماه عشرة براهين ، وكلها باطلة ، وفي ذكرها وأجوبتها طول يخل بالمقصود ، وهذا جواب عما لعله يتوهم ، وهو أنكم إذا قلتم : إن الرب تعالى لم يزل فعالاً ، لزمكم القول بقدم العالم ، كما تقوله الفلاسفة ، فنفى ذلك بقوله : لسنا نقول كما يقول الملحد الزنديق الخ . وقد بسط الجواب عن هذا الايراد في فصل اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى ، كما سيأتي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً   للمسلمين فقال بالامكان

لكنه الأزلي ليس بمحدث   ما كان معدوماً ولا هو فان

وأتى بصلح بين طائفتين بيـــنهما الحروب وما هما سلمان

أنى يكون المسلمون وشيعة الــيونان صلحاً قط في الايمان

والسيف بين الأنبياء وبينهم   والحرب بينهما فحرب عوان

وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريــح بصارم منه وسل لسان

وأتى الى الاسلام يهدم أصله   من أسه وقواعد البنيان

عمر المدارس للفلاسفة الألى   كفروا بدين الله والقرآن

وأتى الى أوقاف أهل الدين ينــقلها إليهم فعل ذي أضغان

وأراد تحويل الاشارات التي هي لابن سينا موضع الفرقان

وأراد تحويل الشريعة بالنوا ميس التي كانت لدى اليونان

لكنه علم اللعين بأن هـــذا ليس في المقدور والامكان

إلا إذا قتل الخليفة والقضـــاة وسائر الفقهاء في البلدان

فسعى لذاك وساعد المقدور بالـــ أمر الذي هو حكمة الرحمن

فأشار ان يضع التتار سيوفهم في عسكر الايمان والقرآن

لكنهم يبقون أهل صنائع الـــدنيا لأجـــل مصالح الابدان

فغدا على سيف التتار الالف في مثل لهـــا مضروبة بوزان

وكذا ثمان مئينها في ألفهـــا مضروبة بالعد والحســـبان

حتى بكى الاسلام أعداءُ اليهو د كذا المجوس وعابدو الصلبان

فشفى اللعين النفس من حـــزب الرسول وعسكر الايمان والقرآن

وبوده لو كان في أحد وقد شهد الوقيعة مع ابي سفيان

لأقر أعينهم وأوفى نـــذره أو أن يرى متمزق اللحمان

قوله : وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان الخ .

أي : ان ابن سينا قال : ان العالم ممكن ، ومعنى ذلك عنده ، أن القديم ممكن ، وله ماهية تقبل الوجود والعدم ، وهذا مما خالف[1] فيه جمهور

---

(١) في الاصل : خلف .

العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، حتى إنه هو تناقض في ذلك، فوافق سلفه وجميع العقلاء؛ وصرح بأن الممكن لايكون إلا مايقبل الوجود والعدم. وطريقته هذه لم يسلكها سلفه الفلاسفة، كأرسطو وأصحابه؛ بل ولا سلكها جماهير الفلاسفة؛ بل كثير من الفلاسفة ينازعونه في نفيه لقيام الصفات بذات واجب الوجود، ويقولون: إنه تقوم به الصفات والارادات؛ وإن كونه واجباً بنفسه لاينافي ذلك، كما لاينافي عندهم جميعاً كونه قديماً؛ ولكن ابن سينا وأتباعه؛ لما شاركوا الجهمية في نفي الصفات؛ وشاركوا سلفهم الدهرية في القول بقدم العالم؛ سلكوا في إثبات رب العالمين طريقاً غير طريقة سلفهم[1] المشائين؛ كأرسطو وأتباعه الذين أثبتوا العلة الاولى بحركة الفلك الاراديه؛ وأن لها محركا يحركها كحركة المعشوق لعاشقه؛ وهو يحرك الفلك للتشبه بالعلة الاولى؛ فعدل ابن سينا عن تلك الطريقة الى هذه الطريقة التي سلخها من طريقة اهل الكلام الذين يحتجون بالمحدث على المحدث، وهو لايقول بحدوث العالم؛ فجعل طريقته الاستدلال بالممكن على الواجب، ورأى اولئك المتكلمين قسموا الوجود الى قديم ومحدث، فقسمه هو الى واجب، وممكن، وأثبت الواجب بهذا الطريق. وابن سينا يعجب بهذه الطريقة، ويقول: إنه أثبت واجب الوجود من نفس الموجود من غير احتياج الى الاستدلال بالحركة، كما فعل أسلافه.

قال شيخ الاسلام في كتاب «العقل والنقل»: وكل هؤلاء يقولون: ما كان معلولاً يمكن وجوده، ويمكن عدمه، لايكون الا حادثاً مسبوقاً بالعدم، وممن قال ذلك، أرسطو وأتباعه، حتى ابن سينا وأمثاله صرحوا بذلك، لكن ابن سينا تناقض مع ذلك، فزعم ان الفلك هو قديم أزلي مع كونه ممكناً يقبل الوجود والعدم، وهذا مخالف لما صرح به هو، وصرح

---

(١) في الاصل: سنفه.

به أئمته وسائر العقلاء ، وهو مما أنكره عليه ابن رشد الحفيد، وبين أن هذا مخالف لما صرح به أرسطو وسائر الفلاسفة ، وأن هذا لم يقله أحد قبله ؛ وأرسطو لم يكن يقسم الوجود الى واجب وممكن ، ولا يقول : ان الأول موجب بذاته للعالم ، بل هذا قول ابن سينا وأمثاله ، وهو وإن كان أقرب الى الحق مع فساده وتناقضه ؛ فليس هو قول سلفه ؛ بل قول أرسطو وأتباعه : إن الأول إنما افتقر اليه الفلك لكونه يتحرك للتشبه به ، لا لكون الأول علة فاعلة له ، وحقيقة قول أرسطو وأتباعه إنما كان واجب الوجود ، أنه لا يكون مفتقراً الى غيره ، فيكون جسما مركباً حاملًا للأعراض ، فان الفلك عندهم واجب بذاته ، وهو كذلك كما قد بسط كلامهم والرد عليهم في غير هذا الموضع .

قلت : قال ابن رشد في كتاب « التهافت » في الرد على ابن سينا : فاما مايريده ابن سينا في هذه الطريقة ويقول: ان الممكن الوجود يجب أن ينتهي إما الى واجب الوجود من غيره ، أو واجب الوجود من ذاته ، فان انتهى الى واجب الوجود من غيره ، وجب في الواجب الوجود من غيره أن يكون لازماً عن واجب الوجود لذاته ؛ وذلك أنه زعم أن واجب الوجود من غيره هو ممكن والوجود من ذاته ، والممكن يحتاج الى واجب ، وإنما كانت هذه الزيادة عندي فضلًا وخطأ ، لأن الواجب كيفما فرض ليس فيه امكان أصلًا ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة . ويقال في تلك الطبيعة : انها ممكنة من جهة واجبة من جهة ، لأنه قد بين القوم أن الواجب ليس فيه امكان أصلًا ، لأن الممكن نقيض الواجب ، وانما الذي يمكن أن يوجد شيء واجب من جهة طبيعية ما ، ممكن من جهة طبيعية أخرى ، مثل مايظن الأمر عليه في الجرم السماوي ، أعني أنه واجب في الجوهر ، ممكن في الحركة في الأين ؛ وانما الذي قاده الى هذا

التقسيم أنه اعتقد في السماء أنها في جوهرها واجبة من غيرها، ممكنة من ذاتها، وقد قلنا في غير ما موضع : ان هذا لايصح بالبرهان الذي استعمله ابن سينا في واجب الوجود، متى لم يفصل هذا التفصيل، وعين هذا التعيين، كان من طبيعة الأقاويل العامة الجدلية، ومتى حصل، كان من طبيعة الأقاويل البرهانية . انتهى كلامه .

قوله : وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح الخ . تقدمت ترجمة الطوسي، وذكر شيء من أحواله، ومافعله بالمسلمين مع هولاكو ملك التتار شائع ذائع، أشار الناظم الى ذلك بقوله : فأشار أن يضع التتار سيوفهم الخ . وذلك لما قاتل التتار الخليفة المستعصم بالله والمسلمين في بغداد، والقصة مشهورة في التاريخ، فأما ما جرى على بغداد، فقد ذكر ذلك الذهبي وغيره . قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » وفي سنة ٦٥٦ أحاط أمر الله ببغداد، فأصبحت خاوية على عروشها، وبقيت حصيداً كأن لم تغن بالأمس، فانا لله وانا اليه راجعون، نازلها المغول في أخلاط من السفل، وأوباش من المنافقين، وكل من لم يؤمن بالحساب . قال : وكان ابن العلقمي الوزير والياً على المسلمين، وكان رافضياً جلداً، فلما استداروا ببغداد، وخارت القوى، وجف الريق، وانخلعت الافئدة، أشار الوزير على الخليفة المستعصم بالله بمصانعة العدو وقال : دعني أخرج اليهم في تقرير الصلح، فخرج، فاستوثق لنفسه ولمن أراد، وجاء الى الخليفة وقال : إن الملك قد رغب أن يزوج ابنته بابنك أبي بكر، ويبقيك في الخلافة كما كان الخلفاء مع السلجوقية، ويرحل عنك، فأجبه الى ذلك، فان فيه حقن الدماء، وأرى أن تخرج اليه، فخرج الخليفة في جمع من الاعيان الى السلطان هولاكو، فأنزله في خيمة، ثم دخل الوزير فاستدعى الأكابر

لحضور العقد ، فحضروا وضربت أعناقهم ، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة[1] فيقتلون ، ثم صيح في البلد ، وبذل السيف ، واستمر القتل، والسبي والحريق ، والنهب ، وقامت قيامة بغداد ـ فلاحول ولاقوة الا بالله ـ بضعاً وثلاثين يوماً ، كل صباح يدخل فرقة من التتار فيحصدون محلة ، حتى جرت السيول من الدماء ، وردمت فجاج المدينة من القتلى، حتى قيل: إنه راح تحت السيف ألف ألف وثمانمائة ألف . قال :والاصح أنهم بلغوا نحواً من ثمانمائة ألف . وهذا شيء لايكاد ينضبط ، فانهم قتلوا في الطرق ، والجوامع والبيوت ، والأسطحة ، وبظاهر البلد ، مالا يحصى ،بل هي ملحمة ماجرى قط في الاسلام مثلها ، وسبوا من النساء والصغار ماملأ الفضاء ، وممن أسر ولد الخليفة الصغير وإخوانه ، وقتل الخليفة وابناه أحمد وعبدالرحمن ، وممن قتل مع الخليفة من الاعيان أعمامه علي ،والحسين ، ويوسف ، وجماعة من أهل بيته ، وأخرج الصاحب محيي الدين الرئيس العلامة ابن الجوزي ، وبنوه : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، فضربت أعناقهم ، وممن قتل صبراً جماعة مستكثرون من العلماء ، والامراء ، والاكابر ، وخلت بغداد من أهلها ، ودثرت المحال ، واستولى عليها الحريق ، واحترقت دار الخلافة ، والجامع الكبير ، حتى وصلت النار الى خزانة الكتب ، وعم الحريق جميع البلاد ، وما سلم الا مافيه (من)هؤلاء الملاعين،وضاقت بالقتلى، وانداسوا بالارجل[2] ، ولم يبق ممر إلا على القتلى ، وكان الاطفال يتقلبون في الوحل الى أن يموتوا ،وعاين من سلم من الأهوال مالا يعبر عنه،ثم وقع الوباء ، وكثر الموت ، وكثر الذباب جداً ، حتى غطى الجدران ، ولزم الناس البصل من جيفة الدنيا ، وجاءت القوافل بالجلب من (الحلة) بخبز وجبن وبيض ، وتعوض أهل الجلب بالكتب،يأخذون المجلد بفلس ،

---

(١) في الاصل : يخرج كل طائفة بعد طائفة . (٢) في الاصل : في الأرجل .

ورميت الكتب مدة النهب تحت أرجل الخيل ، وألقي خلق من القتلى فى دجلة ، وحفرت حفائر وطمت على خلق كثير ، جعل الله ذلك كفارة وتمحيصاً . وزعم العلقمي أنه[1] يحسن لهولا كوأن يقيم ببغداد خليفة علوياً ؛ فلم يتهيأ له ذلك ، ثم لم يلبث أن هلك ، ولم يبق من بغداد وأهلها الا مقدار الثمن ، ونحو ذلك . وفي أثناء ذلك العام فسد الهواء للملحمة ببغداد ، واتصل الوباء بالشام ، ومات أمم بدمشق وغيرها . انتهى كلامه .

ومعنى ماذكره الناظم رحمه الله تعالى فى قوله : فغدا على سيف التتار الألف في مثل لها مضروبة بوزان . وكذا ثمان مئينها في ألفها الخ . أي : أن القتلى في بغداد بلغوا ألف ألف وثمانمائة الف ، لكن في هذا نظر ، كما ذكره الذهبي . قال : والأصح أنهم بلغوا نحواً من من ثمانمائة ألف ، وهذا معنى قول الناظم : فشفى اللعين النفس من حزب الرسول الخ . قوله : وبوده لو كان في أحد وقد شهد الوقيعة مع أبي سفيان . اي : ان النصير يود لو أنه شهد أحداً مع أبي سفيان قائد جيش قريش ، حتى يبلغ أربه ، ويقضي وطره من الرسول ﷺ وأصحابه ، وهذا نهاية العداوة للرسول وأصحابه وحزبه . نعوذ بالله من الخذلان .

قال الناظم رحمه الله :

وشواهد الاحداث ظاهرة على	ذا العالم المخلوق بالبرهان
وأدلة التوحيد تشهد كلها	بحدوث كل ما سوى الرحمن
لو كان غير الله جل جلاله	معه قديماً كان رباً ثاني
إذ كان عن رب العلى مستغنياً	فيكون حينئذ لنا ربان
والرب باستقلاله متوحد	أفممكن أن يستقل اثنان
لو كان ذاك تنافيا وتساقطا	فاذا هما عدمان ممتنعان

(١) في الاصل : أن

والقهر والتوحيد يشهد منهما كل لصاحبه همـــا عدلان
ولذلك اقترنا جميعاً في صفا ت الله فانظر ذاك في القرآن
فالواحد القهار حقاً ليس في الـــ إمكان أن تحظى به ذاتان

أقول : شرع الناظم رحمه الله تعالى في سياق دليل التمانع المشهور بين المتكلمين . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعـــالى في كتابه « شرح عقيدة الأصبهاني » : وهذا التوحيد يعني توحيدالربوبية ، لم يذهب الى نقيضه طائفة معروفةمن بني آدم ،ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال : ان العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال . قال : فان الثنوية من المجوس ، والمانوية القائلين بالأصلين : النور ، والظلمة ، وأن العالم صـــدر عنهما ، متفقون على أن النور خير من الظلمة ، وهو الاله المحمود عندهم ، وأن الظلمة شريرة مذمومة ، وهم متنازعون في الظلمة ، هل هي قديمة ؟ أو محدثة ؟ فلم يسووا بين ربين متماثلين وهم كفار ضـــلال ، وأما النصارى القائلون بالتثليث ، فانهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب يفضل بعضهم عن بعض ، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد ، ويقولون باسم الأب ، والابن ، وروح القدس ، اله واحد ، وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه ، وقولهم في الحلول أفسد منه ، ولهذا كانوا يكتمون قولهم عن كثير من أصحابهم ، فانهم إذا فهموه نفروا منه بفطرة عقولهم ، وهذا دأب كل مضل ملحد في كل شريعة وملة يكتم الالحـــاد والضلال عن اكثر أتباعه ، لأن المقالات الفاسدة في الهيئات قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام ، ولهذا لا يكاد أحـــد من النصارى يعبر عن قولهم بمعنى معقول ، ولا يكاد

اثنان منهم يتفقان على قول واحد ، فانهم يقولون . هو واحد بالذات ، ثلاثة بالأقنوم ، والأقانيم تفسر تارة بالخواص ، وتارة بالصفات ، وتارة بالأشخاص ، ويقولون : إن الاقانيم هي أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس . وكلام النصارى على غاية من الفهاهة والبلادة ، وهم أمة ضالة تائهة حتى قال بعض الفضلاء : لو اجتمع عشرة من علماء النصارى لافترقوا عن أحد عشر مذهباً . والحاصل أنهم لا يقولون : خالق الخلق ثلاثة ، بل واحد بالذات ، والله اعلم . والمقصود هنا أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة ، تعبوا في بيان هذا المطلوب وتقريره ، ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل ، وزعم أنه يتلقى من السمع ، والمشهور عند النظار إثباته بدليل التمانع ، وهو دليل صحيح في نفسه ، وهو أنه لو كان للعالم صانعان متكافئان ، فعند اختلافهما ، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ،ويريدالآخر تسكينه ، أو يريد (أحدهما) احياءه،ويريد الآخر إماتته ، فاما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما ، والعاجز لايكون إلهاً، ولأن المانع من فعل أحدهما،هو فعل الآخر،فلو امتنع مرادهما، لزم كون كل منهما مانعاً للآخر،وذلك يستلزم كون كل منهما قادراً غير قادر ، لان كونه مانعاً يقتضي القدرة،وكونه ممنوعاً يقتضي العجز ،وذلك تناقض ،واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر ،كان هذا هو الاله القادر ، والآخر عاجزاً لا يصلح للالهية ، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ لاعتقادهم أن

توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الالهية الذي بينه القرآن ، ودعت اليه الرسل ، وليس الامر كذلك . وقال في موضع آخر : وقد نقلنا أنه ليس في أهل الارض من أثبت للعالم خالقين متماثلين في الصفات والأفعال . بل هذا ممتنع لذاته ، وامتناعه ظاهر في العقول ، بخلاف مايظنه كثير من أهل الكلام والفلسفة ، نعم بعض أهل الضلال يزعم أن ثم خالقاً لبعض العالم ، كالثنوية في الظلمة ، وكالقدرية في أفعال الحيوان ، وكالفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك ، أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، فان من هؤلاء الفرق الضالة من يثبت أموراً محدثة بدون إحداث الله تعالى إياها ، فهم المشركون في بعض الربوبية ، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في إلهته شيئاً من هذا ، وأنها تنفعه وتضره بدون أن يخلق الله ذلك ، فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس ، بين القرآن بطلانه بقوله تعالى : (ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المؤمنون : ٩١ والموجود خلاف هذا ، فان العالم مرتبط بعضه ببعض ، ما من مخلوق الا وهو متصل بغيره من المخلوقات ، محتاج اليه ، فالحيوان الواحد والنبات الواحد من أصل ، وذلك الأصل من غيره ، وهلم جرا ، وهو أيضاً مفتقر الى الهواء والماء والتراب ، بل والى أنواع النباتات والحيوانات ، ومفتقر الى أثر الشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، وغير ذلك ، والفلك مرتبط بعضه ببعض ، والأفلاك مفتقرة بعضها الى بعض ، والعالم العلوي مفتقر الى العالم السفلي ، فلوقدر أن صانع الأرض غير صانع السماء ، وأنه مستغن عنه لايغير أحدهما مصنوع الآخر ، لزم من ذلك أن لا يكون مافي السماء مؤثراً في الارض ، فلا تؤثر الشمس والقمر في الارض ، وان يكون ما يصعد من الأدخنة ،

والأبخرة ، والأغبرة ، لا يؤثر في نور الشمس والقمر والهواء، والواقع خلافه ، وتقرير هذا يطول . انتهى كلامه .

وقال الناظم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا إلا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ الآية ، قال : فان قوام السموات والارض والخليقة بأن تأله الآله الحق ، فلو كان فيهما آلهة أخرى غير الله لم يكن إلهاً حقاً ، اذ الآله الحق لا شريك له ، ولا سمي له ، ولا مثل له ، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء مافيه صلاحها بتأله الآله الحق ، كما أنها لا توجد الا باسنادها الى الرب الواحد القهار ، ويستحيل أن تستند في وجودها الى ربين متكافئين ، فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها الى إلهين متساويين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل ... قلنا صدقتم وهو ذو إمكان

كتسلسل التأثير في مستقبل ... هل بين ذينك قط من فرقان

والله ما افترقا لدى عقل ولا ... نقل ولا نظر ولا برهان

في سلب إمكان ولا في ضده ... هذي العقول ونحن ذو أذهان

فليأت بالفرقان من هو فارق ... فرقاً يبين لصالح الأذهان

وكذاك سوى الجهم بينهما كذا الـــعلاف في الانكار والبطلان

ولأجل ذا حكما بحكم باطل قطعاً على الجنـــات والنيران

فالجهم أفنى الذات والعلاف للـــحركات أفنى قاله الثوران

وأبو علي وابنه والأشعري وبعده ابن الطيب الرباني

وجميع أرباب الكلام الباطل الـــمذموم عند أئمة الايمـــان

فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل حق وفي أزل بلا إمكان

قالوا لأجل تناقض الازلي والــــ احداث ماهذان يجتمعان

لكن دوام الفعل في مستقبل مافيه محذور من النكران

فانظر الى التلبيس في ذا الفرق تر ويحا على العوران والعميان

ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو أزل لذي ذهن ولا اعيان

بل كل فرد فهو مسبوق بفر د قبله ابـــداً بلا حسبان

ونظير هذا كل فرد فهو ملـــحوق بفرد بعده حكمان

النوع والآحاد مسبوق وملـــحوق وكل فهو منها فان

والنوع لا يفنى أخيراً فهو لا يفنى كذلك اولاً ببيان

وتعاقب الآنات أمر ثابت في الذهن وهو كذاك في الأعيان

أما تعريف التسلسل ، فهو ترتيب أمور غير متناهية . واعلم أن التسلسل نوعان : تسلسل في المؤثرين ، وتسلسل في الآثار ، فاما الأول فهو

محال باتفاق العقلاء ، وأما الثاني ، ففيه قولان للنظار وغيرهم ، وجوازه قول الأثير الأبهري ، والأرموي. فقول الناظم: فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل أي : ان زعمتم أن القول بدوام فاعلية الرب تعالى تسلل ، قلنا : نعم ، وذلك صحيح ، كما جوز ارباب الكلام ، كالأشعري ، وابن الباقلاني ، وغيرهما من الصفاتية القول بذلك في الأبد والمستقبل ، وكذلك أئمة المعتزلة كأبي علي ، وابنه أبي هاشم ، وغيرهما من المعتزلة ، جوزوا ذلك في الأبد ، فألزمهم الناظم القول بجواز التسلسل في الازل كما جوزوه في الأبد ، وأما الجهمية، وأبو الهذيل العلاف ، فقالوا بامتناع التسلسل في الطرفين: الأزل ، والأبد ، لأنهم قالوا : إذا قلنا : كل خلق قبله لا إلى غاية ، وكل خلق بعده لا إلى نهاية ، لزمنا القول بعدم العالم ، وانما قال الجميع بذلك لئلا يبطل عليهم دليل الأكوان الذي استدلوا به على حدوث العالم ، لأن مبناه على امتناع التسلسل ، وسيرد الناظم عليهم هذا القول فيما يأتي . والاشعري : هو أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة ابن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري ، قدم بغداد ، أخذ الفقه عن زكريا بن يحيى الساجي ، وتفقه بابن سريح ، وقد كان معتزلياً ، فتاب بالبصرة فوق المنبر ، وأظهر فضائحهم وقبائحم ، وذكر له من التصانيف «الموجز» وغيره ، وحكي عن ابن حزم أنه صنف خمسة وخمسين تصنيفاً ، وذكر أن دخله في كل سنة كان سبعة عشر درهماً ، وأنه كان من اكثر الناس دعابة ، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين . وقيل : سنة ٢٦٠ ستين ومائتين ، ومات سنة ٣٢٤ أربع وعشرين وثلاثمائة . وقيل : ٣٠[١] سنة . وقيل: سنة بضع وثلاثين ، والله أعلم .

---

(١) أي ثلاثين ومائتين .

قلت : وللحافظ ابن عساكر كتاب « تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري » مجلد .

وابن الطيب هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقـــلاني القاضي ، رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومن اكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام . يقال : إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره ، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة ، منها كتاب « التبصرة » و « دقائق الحقائق » و « التمهيد » في أصول الفقه و « وشرح الابانة » وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار ، ومن أحسنها كتاب الرد على الباطنيـة الذي سماه « كشف الأسرار وهتك الأستار » وقد اختلفوا في مذهبــه على الفروع . فقيل : شافعي . وقيل مالكي ، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي . وقد قيل : إنه كان يكتب على الفتاوى ، كتبه محمد بن الطيب الحنبلي ، وقد كان في غاية الذكاء والفطنة ، مات في الحجة سنة ٤٠٣ ثلاث واربعمائة .

وأبو علي : هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن ابي السكن الجبائي ، ولد سنة ٢٣٥ خمس وثلاثين ومائتين ، وهو من معتزلة البصرة ، وهو الذي ذلل الكلام وسهله ، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة في زمانه ، لا يدافعه أحد عن ذلك ، أخذ عن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وتوفي سنة ٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة ،فدفن بـ(جبى)[1] وله خمس وسبعون مصنفاً . وابنه أبو هاشم : وهو عبد السلام ابن أبي علي الجبائي ، قدم بغداد سنة ٣١٤ أربع عشرة وثلاثمائة ، وتوفي سنة ٣٢١ إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وكان

(١) قرية من قرى بصرى .

ذكياً ، حسن الفهم ، ثاقب الفطنة ، صانعاً للكلام ، مقتدراً عليه ، قيماً به ، له مصنفات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا أبيتم ذا وقلتم أول الأأنات مفتتح بلا نكران
ما كان ذاك الآن مسبوقاً يرى الا بسلب وجوده الحقان
فيقال ما تعنون بالأنات هل تعنون مدة هذه الازمان
من حين إحداث السموات العلى والأرض والأفلاك والقمران
ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن من قبلها شيء من الاكوان
هل جاءكم في ذاك من أثر ومن نص ومن نظر ومن برهان
هذا الكتاب وهذه الآثار والـ ـمعقول في الفطرات والاذهان
إنا نحاكمكم الى ما شئتم منها فحكم الحق في تبيان
أو ليس خلق الكون في الايام كا ن وذاك مأخوذ من القرآن
أو ليس ذلكم الزمان بمدة لحدوث شيء وهو عين زمان
فحقيقة الأزمان نسبة حادث لسواه تلك حقيقة الازمان
واذكر حديث السبق للتقدير والـ ـتوقيت قبل جميع ذي الاعيان
خمسين ألفاً من سنين عدها الـ ـمختار سابقة لذي الاكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من قبل السنين بمدة وزمان

يقول الناظم رحمه الله تعالى : فاذا أبيتم ماذكرنا ، وقلتم : ان الأنات لها أول ، ولا يصير ذاك أولاً الا بسلب وجوده ، والا لم يكن أولاً ، فنقول : ماتعنون بالأنات ؟ هل تعنون مدة هذه الأزمان ؟ أي : من حين خلق الله السموات ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ؟ والأرض ، وأن عندكم لم يكن قبلها شيء من الأكوان ، أي : من المخلوقات ، فهل عندكم حجة على أنه ليس قبلها شيء ؟ فهاتوا برهانكم على ذاك من الأثر والنظر ، ونحن نحاكمكم الى ماشئتم من ذلك ، ويدل على أن قبلها مخلوقات ، أن الله أخبر في القرآن بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فتلك الأيام قبل وجود السموات والأرض ، والنجوم ، والجبال ، ويدل على ذلك حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[1] وهذا معنى هذه الأبيات التي ذكرها الناظم .

قوله : فحقيقة الأزمان نسبة حادث الخ . أي : أن نفس قدر الفعل هو المسمى بالزمان ، فان الزمان إذا قيل : إنه مقدار حركة الشمس أو الفلك ، وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السموات ، وهو الدخان الذي هو البخار ، كما قال تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة. قال : وكان عرشه على الماء ». ورواه الترمذي بلفظ «قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارضين بخمسين ألف سنة » وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت : ٩١ وهذا الدخان هو بخار الماء الذي كان حينئذ موجوداً ، كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين ، وكما عليه أهل الكتاب ، وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه الشمس وهذا الفلك ، فان هذا مما خلق في تلك الأيام ، بل تلك الأيام مقدرة بحركة أخرى ، وكذلك إذا شق الله هذه السموات ، وأقام القيامة ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) مريم : ٦٢ وقد جاءت الآثار عن النبي ﷺ بأنه تبارك وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة ، وأن أعلاهم منزلة من يرى الله تعالى كل يوم مرتين ، وليس في الجنة شمس ، ولا قمر ، ولا هناك حركة فلك ، بل ذلك مقدر بحركات ، كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش . هذا تقرير كلام الناظم رحمه الله تعالى ، وقد اختلف الناس في حقيقة الزمان ، فقيل : هو جوهر ليس بجسم ولا جسماني . أي : ليس بجسم ، ولا داخل في الجسم ، فهو قائم بنفسه ، مجرد عن المادة . وقيل : فلك معدل النهار . وقيل : عرض . فقيل : حركة معدل النهار . وقيل : مقدار الحركة المذكورة ، ومنهم من عبر بحركة الفلك ومقدارها . وقيل : إنه مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم ، إزالة للايهام من الأول بمقارنته للثاني ، كما في : آتيك عند طلوع الشمس ، وهذا قول المتكلمين ، والأقوال قبله للحكماء . وفي « القاموس » الزمن محركة وكسحاب : العصر ، واسمان لقليل الوقت وكثيرة ، جمع أزمان ، وأزمنة وأزمن . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده   قولان عند أبي العلى الهمذاني

والحق أن العرش قيل لانه   قبل الكتابة كان ذا أركان

وكتابة القلم الشريف تعقبت   إيجاده من غير فصل زمان

لما براه الله قال اكتب كذا   فغدا بأمر الله ذا جريان

فجرى بما هو كائن ابداً الى   يوم المعاد بقدرة الرحمن

أفكان رب العرش جل جلاله   من قبل ذا عجز وذا نقصان

أم لم يزل ذا قدرة والفعل مقدور له أبداً وذو إمكان

قوله : والناس مختلفون الخ . قال شيخ الاسلام : قد ذكرنا أن للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين ، كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلاء الهمذاني وغيره ، أحدهما : أن القلم خلق أولاً ، كما أطلق ذلك غير واحد ، وهذا هو الذي يفهم في الظاهر من كتب من صنف في الأوائل ، كابن أبي عروبة الحراني ، وأبي القاسم الطبراني ، للحديث الذي رواه أبو داود في « سننه » عن عبادة بن الصامت ؛ وفيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول . « أول ماخلق الله القلم ؛ فقال : اكتب» الحديث...[1] والثاني أن العرش خلق أولاً . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في

---

(١) رواه ابو داود رقم (٤٧٠٠) ولفظه بتمامه: « ان اول ماخلق الله القلم، فقال له : اكتب: قال: رب وماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» ثم قال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من مات على غير هذا فليس مني » .

« الرد على الجهمية[1] » حدثنا ابن كثير العبدي ، أنبأنا سفيان الثوري ، حدثنا أبو هاشم ، عن مجاهد عن ابن عباس قال : ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً ؛ فكان أول ماخلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن ، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ، وكذلك ذكر الحافظ البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ؛ لما ذكر بدء الخلق ؛ ثم ذكر حديث الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله تعالى : (وكان عرشه على الماء) هود : ٧ على أي شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

وروي حديث القاسم ابن أبي بردة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « أول شيء خلقه الله القلم ، وأمره فكتب كل شيء يكون» قال البيهقي : وإنما أراد - والله أعلم - أول شيء خلقه بعد الماء ، والريح ، والعرش ، والقلم ، وذلك في حديث عمران بن حصين « ثم خلق السموات والأرض » أقول : حديث عمران بن حصين الذي أشار اليه ، هو مارواه البخاري من غير وجه مرفوعاً « كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء »[2] ورواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني

---

(١) وقد طبعناه قريباً .

(٢) رواه البخاري في « كتاب التوحيد » باب : « وكان عرشه على المـاء وهو رب العرش العظيم . عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وجاء في كتاب « بدء الخلق » بلفظ : « كان الله ولم يكن شيء غيره » وفي رواية غير البخاري « ولم يكن شيء معه » .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وقوله في بعض الكتب في هـذا الحديث «كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » هي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث .

في « مسنده » وعثمان بن سعيد الدارمي ، وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم ، عن أبي اسحاق الفزاري ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، ثم كتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » وذكر أحاديث وآثاراً . ثم قال مامعناه : فثبت بالنصوص الصحيحة ، أن العرش خلق أولاً . قال ابن كثير : قال قائلون : خلق القلم أولاً . وهذا اختيار ابن جرير ، وابن الجوزي ، وغيرهما . قال ابن جرير : وبعد القلم السحاب الرقيق ، وبعده العرش . واحتجوا بحديث عبادة . والذي عليه الجمهو أن العرش مخلوق قبل ذلك ، كما دل عليه الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » يعني حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص الذي تقدم[1] قالوا : وهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير ، وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش ، فثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به المقادير ، كما ذهب الى ذلك الجماهير ، وحملوا حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي ... أداهم لخلاف ذا التبيان

ولأي شيء لم يقولوا إنــــه ... سبحانه هو دائم الاحسان

فاعلم بأن القوم لما أسسوا ... أصل الكلام عموا عن القرآن

---

(١) ولفظه : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان تخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ـ قال ـ وكان عرشه على الماء » .

وعن الحديث ومقتضى المعقول بل　　عن فطرة الرحمن والبرهان
وبنوا قواعدهم عليه فقادهم　　قسراً إلى التعطيل والبهتان
نفي القيام لكل أمر حادث　　بالرب خوف تسلسل الاعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم　　إثبات صانع هذه الاكوان
إذ أثبتوه بكون ذي الأجسام حا　　دثة فلا تنفك عن حدثان
فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن　　لحدوثها اذ ذاك من برهان
فلاجل ذا قالوا التسلسل باطل　　والجسم لا يخلو عن الحدثان
فيصح حينئذ حدوث الجسم من　　هذا الدليل بواضح البرهان
هذي نهايات لأقدام الورى　　في ذا المقام الضيق الاعطان
فمن الذي يأتي بفتح بيّن　　ينجي الورى من غمرة الحيران
فالله يجزيه الذي هو أهله　　من جنة المأوى مع الرضوان

أي : ان سألت أيها الناظر في هذا الكتاب ، وقلت : لم لم يقل المتكلمون بدوام فاعلية الرب تعالى ، وقالوا بوجوب تراخي الأثر ؟ فاعلم أنهم لما أسسوا أصل الكلام ، عموا عن الكتاب والسنة ، وهو أنهم استدلوا على حدوث العالم بدليل الأعراض المشهور ، وأنهم استدلوا على حدوث الاجسام بحدوث الأعراض ، وأن العرض لا يبقى زمانين ، والأعراض حادثة ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، فيلزم حدوث الجسم من هذا الدليل . قالوا : فلو قلنا بقيام أفعال الرب تعالى به ، لزم قيام الحوادث به

ولزم التسلسل . وهو عندهم ممتنع . قالوا : فاذا جوزنا قيام الأفعال بالرب سبحانه ، وأنه لم يزل يفعل شيأ بعد شيء ، لزم قيام الحوادث به تعالى ، ولزم التسلسل ، وهذا معنى قوله :

فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن　　　لحدوثها إذ ذاك من برهان

فلهذا قالوا يبطلان التسلسل ، والتسلسل الباطل انما هو التسلسل في المؤثرين ، وأما التسلسل في الآثار ، فهو جائز .

وقول الناظم رحمه الله تعالى : نفي القيام[1] لكل أمر حادث بالرب . فيه تسامح ، لأن أفعال الرب الاختيارية ليست بحوادث ، وانما هي أفعال اختياريه ، تقوم به بمشيئته وقدرته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

فاسمع إذاً وافهم فذاك معطل　　　ومشبه وهداك ذو الغفران

هذا الدليل هو الذي أرداهم　　　بل هد كل قواعد القرآن

وهو الدليل الباطل المردود عنـــد أئمة التحقيق والعرفان

ما زال أمر الناس معتدلاً الى　　　أن دار في الاوراق والاذهان

وتمكنت أجزاؤه بقلوبهم　　　فأتت لوازمه الى الايمان

رفعت قواعده وتحت[2] أسه　　　فهوى البناء وخر للأركان

---

(١) قلت ومعنى قيامها به سبحانه، إنما هو قدرته عليها، واعتراض الشارح على الناظم غير وجيه

(٢) في الاصل : ونحت . والتصحيح من مخطوطة المتن .　　　(ابن مانع)

وجنوا على الاسلام كل جناية إذ سلطوا الأعداء بالعدوان

حملوا بأسلحة المحال فخانهم ذاك السلاح فما اشتفوا بطعان

وأتى العدو الى سلاحهم فقا تلهم به في غيبة الفرسان

يامحنة الاسلام والقرآن من جهد الصديق وبغي ذي طغيان

والله لولا الله ناصر دينه وكتابه بالحق والبرهان

لتخطفت أعداؤه أرواحنا ولقطعت منا عرى الايمان

أيكون حقاً ذا الدليل وما اهتدى خير القرون له محال ذان

وفقتم للحق اذ حرموه في أصل اليقين ومقعد العرفان

وهديتمونا للذي لم يهتدوا أبداً به واشدة الحرمان

ودخلتم للحق من باب وما دخلوه واعجباً لذا الخذلان

وسلكتم طرق الهدى والعلم دو ن القوم واعجباً لذا البهتان

وعرفتم الرحمن بالاجسام والـ أعراض والحركات والالوان[(١)]

وهم فما عرفوه منها بل من الـ آيات وهي فغير ذي برهان

الله أكبر أنتم أو هم على حق وفي غي وفي خسران

دع ذا أليس الله قد أبدى لنا حق الأدلة وهي في القرآن

متنوعات صرفت وتظاهرت في كل وجه فهي ذو أفنان

---

(١) في الاصل : الاكوان ، وهو خطأ ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

معلومة للعقل أو مشهودة ... للحس أو في فطرة الرحمن

أسمعتمُ لدليلكم في بعضها ... خبراً او احسستم له ببيان

أيكون أصل الدين ما تم الهدى ... إلا به وبه قوى الايمان

وسواه ليس بموجب من لم يحط ... علماً به لم ينج من كفران

والله ثم رسوله قد بينا ... طرق الهدى في غاية التبيان

فلأي شيء أعرضا عنه ولم ... نسمعه في أُثر ولا قرآن

لكن أُتانا بعد خير قروننا ... فظهور أُحداث من الشيطان

وعلى لسان الجهم جاء وحزبه ... من كل صاحب بدعة حيران

ولذلك اشتد النكير عليهمُ ... من سائر العلماء في البلدان

صاحوا بهم في كل قطر بل رموا ... في إثرهم بثواقب الشهبان

عرفوا الذي يفضي إليه قولهم ... ودليلهم بحقيقة العرفان

وأخو الجهالة في خفارة جهله ... والجهل قد ينجي من الكفران

أقول : قد تقدم الكلام في دليل الأكوان مبسوطاً في الفصل الذي أوله : وقضى بأن الله كان معطلاً . عن : شيخ الاسلام وغيره : ونحن نشير الى ذلك بعض الاشارة .

قال شيخ الاسلام في كتاب «العقل والنقل» في الكلام على اصول الدين بعد كلام سبق : وأما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل « فليس ذلك من أصول الدين ، وان أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة ،

مثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الاعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها، إما الاكوان، وإما غيرها . وتقرير المقدمات التي يحتاج اليها هذا الدليل من إثبات الاعراض التي هي الصفات أولاً، أو إثبات بعضها، كالاكوان التي هي الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق واثبات حدوثها باثبات إبطال ظهورها بعد الكمون، وابطال انتقالها من محل الى محل، ثم اثبات امتناع خلو الجسم، إما عن كل جنس من أجناس الأعراض باثبات أن الجسم قابل لها، وان القابل للشيء لايخلو عنه وعن ضده، وإما عن الأكوان وامتناع حوادث لا أول لها . رابعاً : وهو مبني على مقدمتين : إحداهما أن الجسم لا يخلو عن الاعراض باثبات أن الجسم لايخلو عن الاعراض التي هي الصفات . والثانية : أن ما لايخلو عن الصفات التي هي الاعراض، فهو محدث، لأن الصفات التي هي الأعراض لاتكون الا محدثة، وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض، كالألوان، وما لا يخلو عن جنس الحوادث، فهو حادث، لامتناع حوادث لاتتناهى، فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها الى الاقرار بالخالق، ونبوة أنبيائه، ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام، كالاشعري وغيره أنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم . بل المحققون على أنها طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقاً، ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه، فأحد الأمرين لازم له، إما أن يطلع على ضعفها، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم فتتكافأ عنده الأدلة، أو يرجح هذا تارة، وهذا تارة، كما هو حال طوائف منهم، وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل، كما

التزم جهم لأجلها فناء الجنة والنار ، والتزم لأجلها أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة ، والتزم قوم لأجلها كالاشعري وغيره أن الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار ، له طعم ولون وريح ، ونحو ذلك ، والتزم قوم لأجلها وأجل غيرها أن جميع الاعراض كالطعم واللون وغيرهما لايجوز بقاؤها بحال ، لأنهم احتاجوا الى جواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الاستدلال على حدوث الاجسام بصفاتها ، فقالوا : صفات الأجسام أعراض أي : أنها تعرض فتزول ، بخلاف صفات الله ، فانها باقية ، وأما ما اعتمد عليه طائفة منهم ، من أن العرض لو بقي لم يمكن عدمه ، لأن عدمه ، إما أن يكون باحداث ضد ، أو بفوات شرط ، أو اختيار الفاعل ، وكل ذلك ممتنع ، فهذه العمدة لايختارها آخرون منهم ، بل يجوزون أن الفاعل المختار ، يعدم الموجود ، كما يحدث المعدوم ، ولايقولون : ان عدم الاجسام لايكون الا بقطع الأعراض عنها ، كما قاله أولئك ، ولا يخلق ضد هو الفناء لا في محل ، كما قاله من قاله من المعتزلة ، وأما جمهور عقلاء بني آدم ، فقالوا : هذه مخالفة للمعلوم بالحس ، والتزم طوائف من أهل الكلام ، من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي صفات الرب مطلقاً ، أو نفي بعضها ، لأن الدال عندهم على حدوث هذه الاشياء هو قيام الصفات بها ، والدليل يجب طرده ، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به ، وهو أيضاً في غاية الفساد والضلال ، ولهذا التزموا القول بخلق القرآن ، وانكار رؤية الله في الآخرة ، وعلوه على عرشه ، الى امثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم ، فهذه داخلة فيما سماه هؤلاء : أصول الدين ، ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لعباده .

وقال[١] في كلامه على « حديث النزول »[٢] لما تكلم على هذه الطريقة :

أما قولكم : إن هذا الطريق هو الأصل في معرفة دين الاسلام ، ونبوة الرسل ، فهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فساده ، فانه من المعلوم لكل من علم حال الرسول وأصحابه ، وماجاء به من الايمان والقرآن ، أنه لم يدع الناس بهذه الطريقة أبداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم باحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ، والذي جاءبالايمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة،ولا سلكها منهم أحد،والذين علموا ان هذه طريقةمبتدعةحزبان :حزب ظنوا أنهاصحيحة في نفسها لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى الثغر ، والخطابي والحليمي ، والقاضي ابي يعلى ،وابن عقيل وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء .

والثاني:قول من يقول:بل هذه الطريقة باطلة في نفسها ،ولهذا ذمها السلف ، وعدلوا عنها . وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد ابن حنبل ، واسحق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك بن أنس ، وابن الماجشون عبد العزيز . وغير هؤلاء من السلف . انتهى .

وقال الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر: الذي أقول : إنه اذا نظر الى إسلام أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن ابن عوف ،وسائر المهاجرين والأنصار ، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين

---

(١) أي : شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميه الحراني النمري الدمشقي رحمه الله تعالى .

(٢) وقد قمنا قريباً بطبعه ، بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ الاسلام ابن تيميه .

الله أفواجاً ، علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين وأعلام النبوة ، ودلائل الرسائل، لا من قبل حركة وسكون، ولا من باب الكل والبعض ، ولا من باب كان ويكون ، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً ، وفي الجسم ونفيه ، والتشبيه ونفيه لازماً ، ما أضاعوه ، ولو أضاعوا الواجب لما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم ، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم ، ولو كان من علمهم مشهوراً ، ومن أخلاقهم معروفاً، لاستفاض عنهم وشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش اله يعبد ولا فوق السموات اله يصلى له ويسجد، وبيان فساد قولهم عقلًا ونقلًا ولغة وفطرة .

والله كان وليس شيء غيره	وبرى البرية وهي ذو حدثان
فسل المعطل هل يراها خارجاً	عن ذاته أم فيه حلت ذان
لابد من إحداهما أو أنها	هي عينه ما ثم موجودان
ما ثم مخلوق وخالقه وما	شيء مغاير هذه الاعيان
لا بد من احدى ثلاث ما لها	من رابع خلو عن الروغان
ولذاك قال محقق القوم الذي	رفع القواعد مدعي العرفان

هو عين هذا الكون ليس بغيره أنى وليس مباين الاكوان

كلا وليس مجانبا ايضاً لها فهو الوجود بعينه وعيان

ان لم يكن فوق الخلائق ربها فالقول هذا القول في الميزان

اذ ليس يعقل بعد إلا أنه قد حل فيها وهي كالابدان

والروح ذات الحق جل جلاله حلت بها كمقالة النصراني

فاحكم على من قال ليس بخارج عنها ولا فيها بحكم بيان

بخلافه الوحيين والاجماع والعقل الصريح وفطرة الرحمن

فعليه اوقع حد معدوم بلى حد المحال بغير ما فرقان

يا للعقول اذا نفيتم مخبراً ونقيض حد ذاك في امكان

ان كان نفي دخوله وخروجه لا يصدقان معاً لذي امكان

الا على عدم صريح نفيه متحقق ببديهة الانسان

أيصح في المعقول يا أهل النهى ذاتان لا بالغير قائمتان

ليست تباين منهما ذات لاخرى أو تحايثها فيجتمعان

قوله أو تحايثها قال في القاموس حيث كلمة دالة على المكان كحين في الزمان ويثلث آخره . انتهى .

ان كان في الدنيا محال فهو ذا فارجع الى المعقول والبرهان

فلئن زعمتم ان ذلك في الذي هو قابل من جسم أو جثمان

والرب ليس كذا فنفي دخوله وخروجه ما فيه من بطلان

فيقال هذا أولاً من قولكم دعوى مجردة بلا برهان

ذاك اصطلاح من فريق فارقوا الوحي المبين بحكمة اليونان

احتج الناظم رحمه الله تعالى على بطلان قول الجهمية النفاة لعلو الله سبحانه على خلقه بهذه الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فقال : والله كان وليس شيء غيره . يشير إلى الحديث الصحيح المرفوع : « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء »[1] يقول إذا كان الله تعالى في الأزل لم يكن معه غيره ، وخلق المخلوقات ، وهذا معنى قوله : وبرى البرية الخ . فسل المعطل هل خلقها خارجاً عن ذاته المقدسة ، أو خلقها في ذاته المقدسة ، تعالى عن ذلك ، أو هي عينه كما يقوله الوجودية ، لعنهم الله تعالى ، وهذه قسمة حاصرة ، لأن المخلوقات إما أن يكون خلقها في ذاته ، أو خارجاً عنها ، أو هي عينه ، ولا قسم غير هذه الثلاثة ، ولذلك قال الناظم : ولذاك قال محقق القوم الذي رفع القواعد ، يعني القائلين بوحدة الوجود ، فانهم قالوا : وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق ، ماثم غير ولا سوى البتة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ولهذا قال : إن لم يكن فوق الخلائق ربها الخ . أي : إن لم يكن الرب تعالى فوق خلقه ، فالقول هذا القول في الميزان ، أي : في العدل والقياس ، فانه إذا لم يكن تعالى مبايناً للاكوان ولا محايثاً لها داخلاً فيها ، لم يبق الا هذا القول ، إذ ليس يعقل إلا هذا ، وأن الروح ذات

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

الحق تعالى حلت بهذا العالم ، كما تقوله النصارى في عيسى عليه السلام .

قوله : فاحكم على من قال : ليس بخارج الخ . هذا الكلام لأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، حكاه عنه الامام أبو بكر ابن فورك في كتاب « المجرد » فيما جمعه من كلام ابن كلاب أنه قال : وأخرج من الخبر والنظر قول من قال : لا هو في العالم ، ولا خارجاً منه ، فنفاه نفياً مستوياً لأنه لو قيل له : صفه بالعدم لما قدر أن يقول أكثر من هذا ، ورد أخبار الله أيضاً ، وقال في ذلك مالا يجوز في نص ولا معقول ، ثم قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من بريته أعلمهم بالأين ، واستصوب قول القائل : إنه في السماء ، وشهد له بالايمان عند ذلك . وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين ويحيلون القول به ، قال : ولو كان خطأ لكان رسول الله ﷺ أحق بالانكار له ، وكان ينبغي أن يقول لها : لاتقولي ذلك فتوهمي أنه محدود ، وأنه في مكان دون مكان ، ولكن قولي : إنه في كل مكان ، لأنه هو الصواب دون ماقلت . كلا فقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وانه من الإيمان ، بل الامر الذي يجب به الإيمان لقائله ، ومن أجله شهد لها بالايمان حين قالته ، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك ، وشاهد له ، وقد غرس في نبيه الفطرة ، ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ، ولا أوكد ، لأنك لاتسأل أحداً من الناس عنه عربياً ولاعجمياً ، ولا مؤمناً ولا كافراً ، فتقول : أين ربك ، إلا قال : في السماء أفصح ، أو أومأ بيده ، أو أشار بطرفه إن كان لايفصح ولا يشير إلى غير ذلك ، وما رأينا أحداً إذا عن له دعاء إلا رافعاً يديه إلى السماء ، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون ، وهم يدعون

أنهم أفضل الناس كلهم ، فتاهت العقول ، وسقطت الاخبار ، واهتـــدى جهم وخمسون رجلاً معه ، نعوذ بالله من مضلات الفتن . انتهى كلامه .

قوله : ياللعقول إذا نفيتم مخـــبراً الخ . بفتح اللام اسم منادى مجرور باللام،إذا استغيث اسم منادى وجب كون الحرف يا ، وكونها مذكورة، وغلب جره بلام واجبة الفتح ، كقول عمر رضي الله عنه : يالله للمسلمين ، معنى كلام الناظم : إنكم نفيتم عنه تعالى النقيضين ، وهما لايجتمعان ولا يرتفعان ، فإذا كان تعالى عندكم لاداخل العالم ولاخارجه ، فهذا حدالمعدوم، لأنه هو الذي لاداخل العالم ولاخارجه ، فهم وصفوا واجب الوجود تعالى بما يمتنـــع معه وجوده ، فضلاً عن وجوبه ، لأن المعدوم لا يوصف إلا إلا بما وصفوا به واجب الوجود تعالى . ثم قال الناظم : فلئن زعمتم أن ذلك في الذي هو قابل الخ . أي : أن هـذا إنما يتأتى في الأجسام التي تقبل أن توصف بذلك ، والرب تعالى ليس بجسم ، فوصفه بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، غير محذور ، فأجابهم الناظم بقوله : فيقال هذا أولاً من قولكم دعوى الخ.. هذه دعوى مجردة عن البرهان ، وإنما هي من اصطلاح فلاسفة اليونان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والشيء يصدق نفيه عن قابل وسواه في معهود كل لسان
أنسيت نفي الظلم عنه وقولك الـــظلم المحال وليس ذا إمكان
ونسيت نفي النوم والسنةالتي ليست لرب العرش في الإمكان
ونسيت نفي الطعم عنه وليس ذا مقبوله والنفي في القرآن

ونسيت نفي ولادة أو زوجة وهما على الرحمن ممتنعـــان

والله قد وصف الجماد بأنـه ميت أصم ومـــاله عينان

وكذا نفى عنه الشعور ونطقه والخلق نفيـاً واضح التبيان

هذا وليس لهـــا قبول للذي ينفى ولا من جملة الحيوان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى ، أن الشيء يصدق نفيه عن قـابل وغير قابل ، كما في قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقره : ٢٥٥ معناه أن الرب تعالى لا يجوز عليه النوم والسنة ، كما نفى الطعم عنه سبحانه في قوله : (وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وكما في قوله تعالى (ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ وكما نفى سبحانه الظلم عن نفسه وهو عندكم محال في حق الرب ، وليس بممكن ، وقد تقدم معنى ذلك في قول الناظم : والظلم عندهم المحال لذاته الخ ، بما يغني عن الاعادة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً ثانياً لو صح هـــذا الشرط كان لما همـا ضدان

لا في النقيضين اللذين كلاهما لا يثبتان وليس يرتفعان

يتوقف فهم كلام الناظم على معرفة النقيضين والضدين ، فالنقيضـان هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، كالحركة ، والسكون ، والضدان هما اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض ، فمعنى كلام الناظم أن هذا الشرط لو صح وهو ان النفي لا يصح إلا عن القابل ، لـكان ذلك في الضدين ، لا في النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً نفيكم لقبوله ... لهما يزيل حقيقة الإمكان

بل ذا كنفي قيامه بالنفس أو ... بالغير في الفطرات والاذهان

فإذا المعطل قال إن قيامه ... بالنفس او بالغير ذو بطلان

إذ ليس يقبل واحداً من ذينك الـ ... أمرين إلا وهو ذو إمكان

جسم يقوم بنفسه أيضاً كذا ... عرض يقوم بغيره أخوان

في حكم إمكان وليس بواجب ... ما كان فيه حقيقة الإمكان

أي اذا نفيتم قبوله سبحانه لأن يكون داخل العالم أو خارجه ، فهذا كنفي قيامه بالنفس او بالغير ، فاذا قال المعطل : ان قيامه بنفسه او بغيره باطل ، فعلى هذا يستحيل وجوده تعالى وتقدس . ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع ، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع ، لأنه قد يقال : إن جميع الممتنعات ترجع الى الجمع بين النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق »[1] هذه الحجة العقلية ، وهي الاحتجاج بكون الرب تعالى قائماً بنفسه على كونه مبايناً للعالم ، وذلك ملزوم بكونه فوقه عالياً عليه بالذات ، لما كانت حجة صحيحة لا يمكن مدافعتها ، وكانت مما ناظر بها الكرامية لأبي اسحق الاسفراييني ، فر أبو اسحاق الى كون الرب قائماً بنفسه بالمعنى المعقول ، وقال : لا نسلم أنه قائم بنفسه ، إلا بمعنى أنه غني عن المحل ، فجعل قيامه بنفسه وصفاً عدمياً لا ثبوتياً ،

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة »

وهذا لازم لسائر المعطلة النفاة لعلوه . ومن المعلوم أن كون الشيء قائماً بنفسه أبلغ من كونه قائماً بغيره ، وإذا كان قيام العرض بغيره يمتنع ان يكون عدمياً بل وجودياً ، فقيام الشيء بنفسه إحق ان لايكون أمراً عدمياً بل وجودياً ، وإذا كان قيام المخلوق بنفسه صفة كمال ، وهو مفتقر بالذات الى غيره ، فقيام الغني بذاته بنفسه أحق وأولى . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فكلاكما ينفي الاله حقيقة ... وكلاكما في نفيه سيان

ما ذا يرد عليه من هو مثله ... في النفي صرفاً إذ هما عدلان

والفرق ليس بممكن لك بعدما ... ضاهيت هذا النفي في البطلان

فوزان هذا النفي ما قد قلته ... حرفاً بحرف أنتما صنوان

والخصم يزعم أن ماهو قابل ... لكليهما فكقابل لمكان

فافرق لنا فرقاً يبين مواقع الـ ... إثبات والتعطيل بالبرهان

أولا فأعط القوس باريها وخل ... الفشر عنك وكثرة الهذيان

قال الرضي في « شرح الكافية » قد يقدر نصب الياء في السعة أيضاً ، وذكر المثل ، فإن «باريها» مفعول أعط ، وهو ساكن الياء ، وهو في هذا تابع للزمخشري في « المفصل » . قال الميداني في أمثاله ؛ أي : استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه ، وينشد :

ياباري القوس برياً لست تحسنها ... لاتفسدنها وأعط القوس باريها

قوله : فكلا كما ينفي الإله حقيقة الخ ؛ أي : ان المعطل إذا قال :

إن قيامه تعالى بنفسه او بغيره باطل[1] فقولكم : إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، مثله في البطلان ، فكلا كما ينفي الاله حقيقة وكلا كما سواء في نفيه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في سياق هذا الدليل على وجه آخر

وسل المعطل عن مسائل خمسة ... تردي قواعده من الاركان

قل للمعطل هل تقول إلهنا المعبود حقاً خارج الاذهان

فإذا نفى هذا فذاك معطل ... للرب حقاً بالغ الكفران

وإذ أقر به فسله ثانياً ... أتراه غير جميع ذي الاكوان

فاذا نفى هذا وقال بأنه ... هو عينها ما ها هنا غيران

فقد ارتدى بالاتحاد مصرحا ... بالكفر جاحد ربه الرحمن

حاشا النصارى أن يكونوا امثله ... وهم الحمير وعابدو الصلبان

هم خصصوه بالمسيح وأمه ... وأولاء ما صانوه عن حيوان

وإذا أقر بأنه غير الورى ... عبد ومعبود هما شيئان

(١) في الاصل : باطلا ، والصواب الرفع على أنه خبر (أن)

فاسأله هل هذا الورى في ذاته أم ذاته فيه هنـــا أمران
فإذا أقر بواحد من ذينك الـ أمرين قبل خـــده النصراني
ويقول أهلاً بالذي هو مثلنا خشداشنا وحبيبنا الحقـان
وإذا نفى الأمرين فاسأله اذاً هل ذاته استغنت عن الاكوان
فلذاك قام بنفسه أم قـام بالـ أعيان كالأعراض والألوان[1]
فاذا أقر وقال بل هو قائم بالنفس فاسأله وقل ذا تان؟
بالنفس قائمتان أخبرني هما مثلان أو ضدان أو غيران؟
وعلى التقادير الثلاث فإنـه لولا التباين لم يكن شيئان
ضدين أو مثلين أَو غيرين كا نا بل هما لا شـك متحدان
فلذاك قلنا إنكم باب لمن بالاتحـاد يقول بل بابان
نقطتم لهمُ وهم خطوا على نقط لكم كمعلِّم الصبيان

حاصل هذه الأبيات هو أن الناظم يقول : سل المعطل عن خمس مسائل : الاولى : هل تقول : إن الله تعالى خارج الأذهان ، فان نفى ذلك فقد كفر حقاً بلا شك . والثانية : سله إن أقر بذلك عن المسألة الثانية ، وهو أنه ، هل هو الأكوان او غيرها ؟ فإنه لابد ان يقول : هو الأكوان او غيرها ، فاذا قال : هو عين الأكوان فقد قال بالاتحاد ، وهو أكفر قول وأشنع مذهب ، بل القائل بذلك أكفر من النصارى ، لأن النصاري خصصوه بالمسيح وأمه ، وهؤلاء عمموه بكل موجود ، ولهذا قال الناظم :

---

(١) في الاصل : الأكوان ،

حاشا النصارى ان يكونوا مثله الخ . وإذا أقر المعطل بأنه غير الورى ، فسله ثالثاً : هل هذا الورى في ذاته ، او ذاته فيه ؟ فاذا أقر بواحد من هذين فقد قال بالحلول ، ولهذا قال الناظم :

فاذا أقر بواحد من ذينك الأمرين قبل خده النصراني

وقوله : خشداشنا . هذه كلمة تعظيم ، وهي غير عربية ، وإن نفى المعطل الأمرين ؛ أي : إن نفى ان ذاته حلت في الورى ، او حل الورى في ذاته ، فاسأله: هل ذاته تعالى استغنت عن الأكوان ولذلك قام بنفسه ، أم قام بالأعراض والألوان ؟ وإن أقر وقال : بل هو قائم بالنفس ، فاسأله ، وقل : ذاتان قامتا بالنفس ؟ أخبرني : هل هما مثلان او ضدان او غيران ؟ الضدان : هما اللذان لايجتمعان ، وقد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض . والمثلان : لايجتمعان ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبياض وبياض . والغيران : هما المختلفان .وقيل : هما الموجودان اللذان يمكن أن يفارق أحدهما الآخر بوجه . والخلافان : ما قام أحدهما مقام الآخر ، وسد مسده ، وعمل عمله . وقيل : هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة ، فهما لايجتمعان ، ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبياض وبياض ، كل موجودين غير متفقين في جميع صفات النفس ، والغيران نحو منهما ، والمثلان ضد لهما :

وقول الناظم :

وعلى التقادير الثلاث فانه لولا التباين لم يكن شيئان

أي : لأن الموجودين ، إما ان يكونا ضدين ، او مثلين ، او غيرين ، وعلى جميع هذه التقادير ، فلابد من ثبوت شيئين ، ثم قال : فلذا قلنا : إنكم باب لمن يقول بالاتحاد ، بل بابان ، نقطتم لهم ، وهم خطوا على نقط

لكم ؛ أي كما أن معلم الصبيان أولاً ينقط لهم حروف الهجاء ، ثم يكتبها ، فكذلك أنتم ومن يقول بالاتحاد ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الإشارة الى الطرق النقلية الدالة على ان الله سبحانه فوق سمواته على عرشه

ولقد أُتى في عشر أنواع من الـــمنقول في فوقيـــة الرحمن

مع مثلها أَيضاً يزيد بواحد ها نحن نسردهـا بلا كتمان

منها استواء الرب فوق العرش في سبع أتت في محكم القرآن

وكذلك اطردت بلا لام ولو كانت بمعنى اللام في الأُذهان

لأتت بها في موضع كي يحمل الـــباقي عليهـا بالبيان الثاني

ونظير ذا إضمارهم في موضع حملاً على المذكور في التبيان

لا يضمرون مع اطراد دون ذكـــر المضمر المحذوف دون بيان

بل في محل الحذف يكثر ذكره فإذاهمُ ُالفوه ألف لسـان

حذفوه تخفيفاً وإيجازاً فلا يخفى المرادبه على الانسان

هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التـــفسير باستولى لذي العرفان

قد أُفردت بمصنف لإمام هـــذا الشأن بحر العالم الحراني

هذا هو الدليل الأول من أدلة علو الله سبحانه على عرشه .

قوله : في سبع أتت في محكم القرآن ، وهي قوله تعـالى في سورة الأعراف (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ وفي سورة يونس (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) يونس : ٣ وفي سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) الرعد : ٢ وفي سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن) الفرقان : ٥٩ وفي طه (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وفي سورة السجدة (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) السجدة : ٤ وفي سورة الحديـد (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) الحديد : ٤ الآية .

قوله: وكذلك اطردت بلا لام الخ ... أي : أن لفظة استوى اطردت بلا لام ؛ أي : بلا لام استولى ، فلو كانت بمعنى اللام ، لأتت باللام في بعض المواضع ، كي يحمل الباقي عليها ، كما أنهم يضمرون في موضع ليحمل الباقي عليه في مواضع أخر ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق المرسلة » في إبطال تفسير الاستواء بالاستيلاء: الوجه الرابع : أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء ، دون الاستيلاء ، ولو كان معناه استولى ، لكان استعماله في اكثر موارده كذلك ، فاذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى ، لأنه المألوف المعهود ، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد ، فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ، ففي غاية الفساد ، هذا ولم يكن

في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه ، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك ؟! انتهى .

قوله : هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير باستولى الخ ...أي : أن شيخ الاسلام أفرد مصنفاً في تفسير قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأبطل تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً ، وزاد الناظم وجهاً ، فصارت إحدى وعشرين . وفي « الصواعق المرسلة » رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين وجهاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثانيها صريح علوه ... وله بحكم صريحه لفظان

لفظ العلي ولفظة الأعلى معر فـــة (أتتك هنا)[1] لقصد بيان

إن العلو له بمطلقه على الـــتعميم والاطلاق بالبرهان

وله العلو من الوجوه جميعها ... ذاتا وقهراً مع علو الشاني

لكن نفاة علوه سلبوه إكما ... ل العلو فصار ذا نقصان

حاشاه من إفك النفاة وسلبهم ... فله الكمال المطلق الرباني

وعلوه فوق الخليقة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان

لا يستطيع معطل تبديلها ... أبداً وذلك سنة الرحمن

---

(١) ما بين القوسين ، زيادة لم تكن في الاصل ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

كل إذا ما نابه أمر يرى ... متوجهاً بضرورة الإنسان

نحو العلو فليس يطلب خلفه ... وأمامه أو جانب الإنسان

ونهاية الشبهات تشكيك وتخـميش ... وتغيير على الإيمان

لا يستطيع تعارض المعلوم والـمعقول ... عند بداية الأذهان

فمن المحال القدح في المعلوم بالشـبهات ... هذا بيّن البطلان

واذا البداية قابلتها هذه الشـبهات ... لم تحتج إلى بطلان

شتان بين مقالة أوصى بها ... بعض لبعض أول للثاني

ومقالة فطر الاله عباده ... حقاً عليها ما هما عدلان

هذا هو الدليل الثاني من أدلة علو الله على خلقه ، وحاصل كلام الناظم أن الله تعالى وصف نفسه بالعلو ، وأتى في ذلك لفظان : أحدهما : لفظ العلي في قوله تعالى (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ والثاني : لفظ الأعلى كما في قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى : ١ وذلك لبيان أن العلو مطلقاً له سبحانه ، أي : علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر . وأما النفاة ، فلم يثبتوا له سبحانه إلا علو القدر ، وعلو القهر ، ونفوا علو الذات ، تعالى الله عما يقولون . وقد احتج الناظم عليهم بما فطر الله تعالى عليه الخليقـة مسلمها وكافرها ، بل هو شيء فطر الله عليه الثقلين ، ولهذا ترى الخلق مجمعين على ذلك ، فترى من نابه أمر يتوجه نحو العلو ضرورة ، وقـد تقدم ما أورده أبو جعفر الهمداني على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في ذلك ،

وأنه قال له : يأستاذ ، أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ، ما قال قط عارف، يا الله: إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، أراد الشيخ أن إقرار الفطر بأن معبودها ومدعوها فوق، هو أمر ضروري عقلي فطري ، وأنت دليلك في نفي العلو نظري ، والنظري لا يعارض الضروري ، وذلك نحو ما يجيبون به عن هذا القصد الضروري ، مثل قولهم : إن السماء قبلة الدعاء ، ومثل معارضتهم ذلك بوضع الساجد جبهته على الأرض ، ونحو ذلك ، كما أشار الى ذلك الناظم بقوله : ونهاية الشبهات تشكيك وتخميش .

وقوله : وإذا البداية قابلتها هذه الشبهات ؛ أي : أن علو الرب سبحانه فوق خلقه أمر معلوم بالفطرة والبداهة ، فلا يعارض بالنظريات والشبهات ، فأما قولهم : إن السماء قبلة الدعاء ، فقول باطل لم يقله أحد من سلف الأمة ، ولا أنزل الله به من سلطان ، والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة ، وقد صرح العلماء بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة ، وقد استقبل النبي ﷺ الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة ، فمن قال : إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة ، فقد ابتدع في الدين ، وخالف جماعة المسلمين ، وأما ثانياً ، فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه ، كما نستقبل الكعبة في الصلاة ، وما حاذاه الإنسان بيديه أو رأسه مثلاً ، لا يسمى قبلة أصلا ، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها ، ولم يثبت ذلك في شرع أصلا ، وأما النقض بوضع الجبهة ، فما أفسده من نقض ! فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل ، لا أن يميل اليه ، إذ هو تحته ، بل هذا لا يخطر بقلب ساجد . وأيضاً فالساجد في نفس السجود يصرح بأن ربه هو الأعلى سبحانه وتعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثالثها صريح الفوق مـــصحوبا بمن وبدونها نوعان
إحداهما هو قابل التأويل والـ أصل الحقيقة وحدها ببيان
فإذا ادعى تأويل ذلك مدّع لم تقبل الدعوى بلا برهان
لكنما المجرور ليس بقابل الـــتأويل في لغة وعرف لسان
وأصخ لفائدة جليل قدرها تهديك للتحقيق والعرفان
إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدي المراد لمن له أذنان
أضحى كنص قاطع لا يقبل الـــتأويل يعرف ذا أولو الأذهان
فسياقه الألفاظ مثل شواهد الـــ أحوال إنهما لنا صنوان
إحداهما للعين مشهود بها لكنّ ذاك لمسمع الإنسان
فإذا أتى التأويل بعد سياقه تبدي المراد أتى على استهجان
وإذا أتى الكتمان بعد شواهد الـ أحوال كان كأقبح الكتمان
فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقت له ان كنت ذا عرفان
والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكوان

لكن نفاة الفوق ماوفّوا به جحدوا كمال الفوق للديان

بل فسروه بأن قدر الله أعـــلى لا بفوق الذات للرحمن

قالوا وهذا مثل قول الناس في ذهب يرى من خالص العقيان

هو فوق جنس الفضة البيضاء لا بالذات بل في مقتضى الأثمان

والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكران

هذا الذي قالوا وفوق القهر والـــفوقية العليا على الأكوان

هذا هو الدليل الثالث من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو صريح الفوق، مصحوباً بـ(من) كما في قوله سبحانه (يخافون ربهم من فوقهم)النحل ٥٠ وأتى صريح الفوق أيضاً غير مصحوب بـ(من). كقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده) الانعام : ١٨، ٦١ وذكر رحمه الله تعالى أن المجرور بـ(من) لا يقبل التأويل أصلاً، وأما غير المجرور بـ(من) فإن ادعى مدع تأويله لم يقبل منه، لأن الأصل الحقيقة، فلا تقبل دعوى المجاز بغير دليل، ولا دليل هناك، وهذا في غاية الظهور.

قوله : وأصغ لفائدة جليل قدرها الخ مضمون هذه الفائدة قد ذكره الناظم في موضع آخر ، فقال : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : أحدهما عدم احتماله لغير معناه وضعاً. والثاني : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده ، فانه نص في معناه ، لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً ، وإن قدر تطرق ذلك إلى بعض أفراده ، وصار بمنزلة خبر التواتر ، لا يتطرق احتمال الكذب إليه ، وان تطرق الى كل واحد بمفرده ، وهذه قاعده نافعة تدل

على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي اطرد استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل انما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج إلى تأويله ليوافقها ، وأما إذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، صارت بمنزلة النص وأقوى ، وتأويلها ممتنع . انتهى .

قولـــه :

والفوق وصف ثابت بالذات　　من كل الوجوه لربنا الرحمن

أي : فوقية الذات ، وفوقيه القدر ، وفوقية القهر ، ثابتة لربنا سبحانه ، لكن المعطلة جحدوا فوقية الذات ، وتأولوها بقولهم : ان هذا مثل قول الناس في الذهب : وإنه فوق الفضة . أي فوقية القدر ، والأمير فوق الوزير . ومعلوم أن هذا مما تنفر منه العقول السليمة ، فان قول القائل ابتداءً : الله خير من عباده ، أو خير من عرشه ، من جنس قوله : الثلج بارد ، والنار حارة ، والشمس أضوء من السراج ، والسماء أعلى من سقف الدار ، ونحو ذلك ، وليس في ذلك أيضاً تمجيد ولا تعظيم لله تعالى ، بل هو من أرذل الكلام ، فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟!.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا ورابعها عروج الروح والـــ　　أملاك صاعدة الى الرحمن

ولقد أتى في سورتين كلاهما اشـــتملا على التقدير بالأزمان

في سورة فيها المعارج قدرت خمسين ألفاً كامل الحسبان

وبسجدة التنزيل ألفاً قدرت فلأجل ذا قالوا هما يومان

يوم المعاد بذي المعارج ذكره واليوم في تنزيل في ذا الآن

وكلاهما عندي فيوم واحد وعروجهم فيه الى الديان

فالألف فيه مسافة لنزولهم وصعودهم نحو الرفيع الداني

هذي السماء فإنها قد قدرت خمسين في عشر وذا ضعفان

لكنما الخمسون ألف مسافة الـــسبع الطباق وبعد ذي الأكوان

من عرش رب العالمين إلى الثرى عند الحضيض الاسفل التحتاني

واختار هذا القول في تفسيره الـــبغويّ ذاك العالم الرباني

ومجاهد قد قال هذا القول لـكن ابن اسحاق الجليل الشان

قال المسافة بيننا والعرش ذا الـــمقدار في سير من الإنسان

والقول الاول قول عكرمة وقو ل قتادة وهما لنا علمان

واختاره الحسن الرضي ورواه عن بحر العلوم مفسّر القرآن

ويرجح القول الذي قد قاله ساداتنا في فرقهم أمران

إحداهما ما في الصحيح لمانع لزكاته من هذه الأعيان

يكوى بها يوم القيامة ظهره … وجبينه وكذلك الجنبان

خمسون ألفاً قدر ذاك اليوم في … هذا الحديث وذاك ذو تبيان

فالظاهر اليومان في الوجهين يو … م واحد ما ان هما يومان

قالوا وايراد السياق يبين الـ … ـمضون[1] منه بأوضح التبيان

فانظر الى الإضمار ضمن يرونه … ونراه[2] ما تفسيره ببيان

فاليوم بالتفسير أولى من عذا … ب، واقع للقرب والجيران

ويكون ذكر عروجهم في هذه الـ … ـدنيا ويوم قيامة الأبدان

فنزولهم أيضاً هنالك ثابت … كنزولهم أيضاً هنا للشان

وعروجهم بعد القضا كعروجهم … أيضاً هنا فلهم إذاً شأنان

ويزول هذا السقف يوم معادنا … فعروجهم للعرش والرحمن

هذا وما نضجت لديّ وعلمها الـ … ـموكول بعدُ لمنزل القرآن

وأعوذ بالرحمن من جزم بلا … علم وهذا غاية الإمكان

والله أعلم بالمراد بقوله … ورسوله المبعوث بالفرقان

هذا هو الدليل الرابع من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو عروج الروح والملائكة اليه تعالى .

قوله : ولقد أتى في سورتين كلاهما الخ .. ففي سورة المعارج قال : (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) المعارج: ٤

---

(١) في الاصل : المقصود . (٢) في الاصل: ورآه

وفي سورة السجدة قال : (يدبر الامر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ألف سنة مما تعدون) السجدة : ٥ والمراد بالروح هنا جبريل عليه السلام ، يعرج الى الله تعالى . واختلف المفسرون في تفسير الآيتين ، وقد حكى الناظم ذلك الاختلاف ، واختار أنهما يوم واحد ، وأن المراد في آية السجدة من الأرض إلى السماء الدنيا ألف سنة ، مسافة لصعودهم ونزولهم ، وذلك الف سنة ، وأما في سورة (المعارج) فالمعنى أن ذلك مسافة السبع الطباق ، من العرش إلى الثرى ، أي : أسفل الأرض السابعة ، وذكر أن البغوي اختار هذا القول ، وهو قول مجاهد ، والقول الأول قول عكرمة ، وقتاده ، والحسن . وعبارة البغوي في تفسيره ، قال قوله تعالى : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد غير الملك ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمر الله من الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله فوق السماء السابعة. وروى ليث عن مجاهد ، أن مقدار هذا خمسين ألف سنة ، وقال محمد بن إسحاق : لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة . وقال عكرمة ، وقتادة : وهو يوم القيامة ، وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسين ألف سنة من سني الدنيا ، ليس يعني به أن مقدار طوله هذا دون غيره ، لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر ، لأنه يوم محدود ، ولو كان له آخر ، كان منقطعاً. وروي عن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يوم القيامة يكون على الكافر مقدار خمسين ألف سنة . ثم روى باسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ عليه وسلم : يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا »[1] وقيل معناه

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » وفي سنده . دراج أبو السمح ، وشيخه ابو الهيثم ، وهما ضعيفان .

لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله ، لم يفرغ منه في خمسين الف سنة ،وهذا معنى قول ابن عباس ، ومقاتل . قال عطاء : ويفرغ الله في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا . انتهى كلام البغوي . واحتج الناظم لما اختاره بما في « الصحيح » عنه ﷺ في عقوبة مانع الزكاة أنها تحمى عليه صفائح من نار فيكوى بها جبينه ، وظهره ، وجنبه كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ... الحديث[1] قوله : وما نضجت لدي الخ ... قال في « القاموس » نضج التمر واللحم نُضجاً ونَضجاً ، أدرك فهو نضيج ، وناضج ، وأنضجته ، وهو نضيج الرأي : محكمه . انتهى . يعني الناظم أن هذه المسألة لم تنضج عنده ، ولهذا فوض علمها الى الله سبحانه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخامسها صعود كلامنا	بالطيبات اليه والاحسان
وكذا صعود الباقيات الصالحا	ت اليه من اعمال ذي الايمان

---

(١) في « الصحيحين » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار .. »

وكذا صعود تصدق من طيّب أيضاً اليه عند كل أوان
وكذا عروج ملائك قد وكلوا منّا بإعمــال وهم بدلان
فاليه تعرج بكرة وعشية والصبح يجمعهم على القرآن
كي يشهدون ويعرجون[1] اليه بالـــ أعمال سبحان العظيم الشان
وكذاك سعي الليل ترفعه الى الـــرحمن من قبل النهار الثاني
وكذاك سعي اليوم يرفعه له من قبل ليل حافظ الانسان
وكذاك معراج الرسول اليه حـــق ثابت ما فيه من نكران
بل جاوز السبع الطباق وقد دنا منه[2] الى أن قدرت قوسان
بل عاد من موسى اليه صاعدا خمسا عداد الفرض في الحسبان
وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى حقاً اليه جاء في القرآن
وكذاك تصعد روح كل مصدّق لما تفوز بفرقة الأبدان
حقاً اليه كي تفوز بقربـــه وتعود يوم العرض للجثمان
وكذا دعا المضطر ايضا صاعد أبداً اليـــه عند كل أوان
وكذا دعا المظلوم أيضاً صاعد حقاً اليه قاطع الاكوان

هذا هو الدليل الخامس على علو الرب تعالى فوق خلقه ، ذكر الناظم مما يدل على ذلك قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وكذا ذكر صعود الباقيات الصالحات . هذا من القرآن .

---

(١) كان حقه ان يقول : يشهدوا ، ويعرجوا ، بحذف نونها ، ولكن اثبتها لضرورة وزن الشعر .

(٢) الصواب ان الدنو كان لجبريل عليه السلام ، دنا من محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس الدنو للرسول صلى الله عليه وسلم نحو ربه ، انظر الصفحة «١٩٩» في هذا الموضوع .

قوله : وكذا صعود تصدق من طيب الخ يشير الى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعـــدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد الى الله الا الطيب ، فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل » متفق عليه .
وحديث أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « الملائكة يتعاقبون[1] فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعـــلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون » متفق عليه .
قوله : وكذلك سعي الليـــل يرفعه الخ . يشير الى حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنـه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمـــل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النـــار أو ـ النور ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[2] رواه مسلم .

وكذلك معراج الرسول الخ . تقـــدم الكلام في المعراج . وقوله : وكذلك رفع الروح عيسى المرتضى . يشير الى قوله تعالى (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ قوله : وكذلك تصعد روح كل مصدق الخ . يشير الى حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج

---

(١) لقد ورد هذا الحديث في « صحيح البخاري » بعدة ألفاظ منها هذا ، ومنها « يتعاقبون فيكم ملائكة » على لغة بلحارث وهو كذلك في « صحيح مسلم » ومنها ؛ « إن لله ملائكة يتعاقبون » وجاء في « الحلية » بسند صحيح بلفظ « إن الملائكة فيكم يتعقبون ».
(٢) في الاصل : « لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » والتصحيح « من صحيح مسلم » رقم (٢٩٣) .

ثم يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله تعـالى » وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

قوله : وكذا دعا المظلوم أيضاً صاعد . عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقو دعوة المظلوم ، فانها تصعد إلى الله كأنها شرارة »[١] قال الذهبي : غريب . واسناده جيد ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مامن حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا ، يرى في أول الصحيفه خيراً وفي آخرها خيراً إلا قال الله لملائكته : أشهدكم أني قد غفرت لعبدي مابين طرفي الصحيفة »[٢] رواه أبو يعلى ، والبزار .

قوله : وقد دنا منـه الى أن قدرت قوسان . ظاهر كلام الناظم عود الضمير إلى الرب عز وجل ، وأنه هو الذي دنا فتدلى ، وهذا على أحد التفسيرين في الآية[٣] ولكن هذا خلاف ما اختاره في غير هذا الموضع . فانه قال بعـد كلام ذكره : لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة اخرى ، عندسدرة المنتهى) النجم :١٣-١٤

---

(١) رواه الحاكم ، وقال : رواته متفق على الاحتجاج بهم إلا « عاصم » بن كليب فاحتج به مسلم وحده .

(٢) رواه ابو يعلى في « مسنده » والبزار ، والبيهقي عن أنس بن مالك . وفي سنده (تمام بن نجيح) قال الحافظ في « التقريب » ضعيف .

(٣) الحق ان الضمير في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) يعود على جبريل . انظر التعليق الذي على الصفحة (١٩٩) .

هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعائشة. قالت عائشة رضي الله عنها : سألت رسول الله ﷺ عن هـــذه الآية فقال : « ذاك جبريل ، لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين » رواه مسلم . قال : ولفظ القرآن لايدل على غير ذلك ، ثم ساق سبعة أوجه دالة على ذلك . قال : وأما ما وقع في البخاري من رواية شريك عن أنس « ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » فقد تكلم الناس فيه وقالوا : إن شريكا غلط فيه ، وذكر فيـه أموراً منكرة . قال : والدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هـــذا ، وجزم ابن كثير بأن الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير الذي في الآية . وقـــال أيضاً في تفسير الذي (دنا فتدلى) إنه جبريل ، هذا هو الصحيح في التفسير ، كما دل عليـــه كلام الصحابة رضي الله عنهم . واختلف في المراد من قوله تعـالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي حيث الوتر من القوس ، قاله مجاهد. وقال أبو عبيدة: قاب قوسين ، أي : دار قوسين ، أو أدنى ، أو أقرب . والقاب : مابين القبضة والسية من القوس. قال الواحدي: هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس التي يرمى بها. قال: وهل المراد بها الذراع ، لأنه يقاس بها الشيء؟ قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح : فقد أخرج ابن مردويه باسناد صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : القاب : القدر ، والقوسان : الذراعان[١] . ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التي يرمى بها ، لم يمثل بذلك ليحتاج الى التنبيه ، فكان يقـال مثلاً: قاب رمح ، أو نحو ذلك . انتهى ، والقاب ، والقيب ، والقاد ، والقيد : المقدار ، ذكر معناه في الصحاح . انتهى .

---

(١) في الاصل : والقوسين : الذراعين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وسادسها وسابعها النزو ... ل كذلك التنزيل للقرآن

والله أخبرنا بأن كتابه ... تنزيله بالحق والبرهان

أيكون تنزيلاً وليس كلام من ... فوق العباد أذاك ذو إمكان

أيكون تنزيلاً من الرحمن والـ ... ـرحمن ليس مباين الأكوان

وكذا نزول الرب جلاله ... في النصف من ليل وذاك الثاني

من ذاك يسالني فيعطى سؤله ... من ذا يتوب إليَّ من عصيان

فيقول لست بسائل غيري بأحـ ... ـوال العباد أنا العظيم الشان

من ذاك يسألني فأغفر ذنبه ... فأنا الودود الواسع الغفران

من ذا يريد شفاءه من سقمه ... فانا القريب مجيب من ناداني

ذا شأنه سبحانه وبحمده ... حتى يكون الفجر فجراً ثاني

يا قوم ليس نزوله وعلوه ... حقاً لديكم بل هما عدمان

وكذاك ليس يقول شيئاً عندكم ... لا ذا ولا قولاً[1] سواه ثان

كل مجاز لا حقيقة تحته ... أول وزد وانقص بلا برهان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الدليل السادس والسابع من أدلة العلو ، وهما التنزيل ، والنزول . قال الله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز

(١) في الاصل : قول .

العليم) غافر : ٢ وقال تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل ١٠٢ وقال تعالى : (تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ قال الناظم رحمه الله تعالى في « بدائع الفوائد » في الكلام على قوله تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)غافر : ٢الى قوله :(المصير)غافر:٣افتتح الآية بقوله تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) والتنزيل يستلزم علو المنزل عند(من)لا تعقل العرب من لغاتها ، بل ولا غيرها من الأمم إلا ذلك . وقد أخبر أن تنزيل الكتاب منه ، فهذا يدل على شيئين : أحدهما : علوه تبارك وتعالى على خلقه . والثاني : أنه هو المتكلم بالكتاب المنزل ،لا غيره ، فانه أخبر أنه منه ، وهذا يقتضي أن يكون منه قولاً . كما أنه منه تنزيلاً ، فان غيره لو كان هو المتكلم به ، لكان الكتاب من ذلك الغير ، فان الكلام إنما يضاف الى المتكلم به ، ومثل هذا(ولكن حق القول مني) السجدة : ١٣ ومثله (نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل : ١٠٢ ومثله (تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ فاستمسك بحرف(من) في هذه المواضع ، فانه يقطع شغب المعتزلة والجهمية ، وتأمل كيف قال : تنزيل منه ، ولم يقل : تنزيله ، فتضمنت الآية إثبات علوه ، وكلامه ، وثبوت الرسالة . انتهى المقصود منه .

وقوله : وكذا نزول الرب الخ . يشير الى حديث النزول ، وهو متواتر عن رسول الله ﷺ قال:« ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » أخرجه أصحاب الصحاح ، كالبخاري ، ومسلم ، واخرجه غيرهما . قال الحافظ الذهبي : وقد ألفت أحاديث النزول في جزء ، وذلك متواتر ، أقطع به . قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في « شرح الموطأ » لما تكلم على حديث النزول ، قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل ،صحيح

الاسناد ، لاختلاف أهل الحديث في صحته ، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على ان الله عز وجل في السماء على العرش ، من فوق سبع سموات ، كما قاله الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة . قال : والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله تعالى . وذكر بعض الآيات ... الى أن قال : وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى اكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يخالفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقول الناظم : فيقول : لست بسائل غيري الخ . يشير الى الحديث الذي رواه النسائي ، وابن ماجه ، وغيرهما بسند صحيح ، أنه تعالى يقول : «لا يسأل عن عبادي غيري »

وقوله : ياقوم ليس نزوله وعلوه حقاً لديكم بل هما عدمان ، يعني أن النزول والعلو عندهم باطلين ، فلهذا حرفوا نصوص الفوقية والنزول ، كما روى بعضهم حديث النزول ،(ينزل) بالضم ، وهذا كما قرأ بعضهم ، (وكلم الله موسي تكليما) النساء : ١٦٤ ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى . وبعضهم يفسر النزول بنزول الرحمة ، أو نزول ملك أو غير ذلك . فيقال له : الرحمة التي تثبتها ، إما أن تكون عيناً قائمة بنفسها ، وإما أن تكون صفة قائمة بغيرها ، فان كانت عينا وقد نزلت الى السماء الدنيا ، لم يمكن أن تقول : « من يدعوني فأستجيب له » كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك ، وأن كانت صفة من الصفات ، فهي لا تقوم بنفسها ، بل لا بد لها من محل ، ثم لا يمكن الصفة أن تقول هذا الكلام ، او محلها ، ثم اذا نزلت الرحمة الى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا ، فأي منفعة في ذلك .

والحاصل كما قال الناظم : إن هذه النصوص عند المعطلة مجاز لا حقيقة، ولهذا قال عنهم : أوّل وزد وانقص بلا برهان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هـــذا وثامنها بسورة غافر ... هو رفعة الدرجات للرحمن

درجاته مرفوعة كمعارج ... أيضاً له وكلاهما رفعان

وفعيل فيها ليس معنى فاعل ... وسيـــاقها يأباه ذو التبيان

لكنها مرفوعة درجاته ... لكمال رفعته على الأكوان

هذا هو القول الصحيح فلا تحد ... عنه وخذ معناه في القرآن

فنظيرها المبدي لنا تفسيرها ... في ذي المعارج ليس يفترقان

والروح والأملاك تصعد في معـــارجه إليه جل ذو السلطان

ذا رفعة الدرجات حقاً ماهما ... إلا سواء او هما شبهان

فخذ الكتاب ببعضه بعضا كذا ... تفسير أهل العلم للقرآن

ذكر الناظم الدليل الثامن على العلو ، وهو رفعة الدرجات . ومعنى رفعة الدرجات ، أن درجاته تعالى مرفوعة ، لكمال رفعته ، وليس رفيع هنا بمعنى رافع ، كما تقوله المعطلة . وأشار الى ذلك بقوله : وفعيل فيها ليس

معنى فاعل . قال ابن كثير في « تفسيره » تحت قوله تعـــالى : (رفيع الدرجات ذو العرش) غافر : ١٥ الآية : يقول تعـالى مخبراً عن عظمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميـع مخلوقاته ، كالسقف لها ، كما قال تعالى (من الله ذي المعارج . تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) المعارج : ٣ ، ٤ وسيأتي إن شاء الله بيان أن هذه مسافة مابين العرش الى الارض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف ، وهو الأرجح إن شاء الله . وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء، اتساع مابين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، وارتفاعه من الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة . وفي حديث الأوعال[١] مايدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم . أنتهى .

قوله : فنظيرها المبدي لنا تفسيرها الآيه ، أي : أن هذه الآية الكريمة تفسير آية سورة هي غافر)، وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليـــه) المعارج : ٤ فالمعنى أن الروح والأملاك تصعد في معارجه اليه تعالى .

قوله : فخذ الكتاب ببعضه ، أي فسر بعض القرآن ببعض كما هو سبيل أهل العلم والإيمان ، جعلنا الله منهم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وتاسعها النصوص بأنه فوق السماء وذا بلا حسبان

فاستحضر الوحيين وانظر ذاك تلـــلقاه مبيناً وآضح التبيان

---

(١) وهو حديث ضعيف ، رواه الترمذي ، وابو داود وفي سنده (عبد الله بن عميرة) قال الذهبي : فيه جهالة .

ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريـــب كي تقوم شواهد الايمان
واذا أتتك فلا تكن[1] مستوحشاً منها ولا تك عندها بجبان
ليست تدل على انحصار إلهنا عقلاً ولا عرفاً ولا بلسان
إذ أجمع السلف الكرام بأن معـــناها كمعنى فوق بالبرهان
او ان لفظ سمائه يعنى به نفس العلو المطلق الحقان
والرب فيه وليس يحصره من الـــمخلوق شيء ز ذو السلطان
كل الجهات بأسرها عدمية من حقه هو فوقها ببيان
قد بان عنها كلها فهو المحيـــط ولا يحاط بخالق الأكوان
ماذا كينقم بعد ذو التعطيل في وصف العلو لربنا الرحمن
ايرد ذو عقل سليم قط ذا بعد التصور يا اولي الأذهان
والله مارد امرؤ هـــذا بـــغير الجهل او بحمية الشيطان

هذا هو الدليل التاسع على علو الرب سبحانه فوق خلقه ، وهذه[2] نصوص الفوقية من الكتاب والسنة ، كقوله تعـــالى (يخافون ربهم من فوقهم) وقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) الانعام : ٦١ الاية

وروى الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ثم لآتينهم من بين أيديهم) قـال : لم يستطيع أن يقول : (من فوقهم) علم أن الله تعالى من فوقهم . وأما الأحاديث ، فعن زينب

---

(١) في الاصل : وإذا أتت في لا تكن .
(٢) في الاصل وهي .

بنت جحش أنها كانت تقول للنبي ﷺ : زوجنيك الرحمن من فوق عرشه وفي لفظ البخاري ، كانت تقول : إن الله أنكحني من فوق سبع سموات. وروى البخاري عن انس رضي الله عنه قال : جاء زيد ابن حارثة يشكو ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « اتق الله الحديث.. » ، وفيه : وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات . وفي رواية للبخاري عن أنس ، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ ، وكانت تقول إن الله أنكحني في السماء. وعن سعد ابن أبي وقاص ، أن النبي ﷺ قال لسعد ، يعني ابن معاذ : « لقد حكمت اليوم فيهم - يعني بني قريظة - بحكم الملك من فوق سبع سموات » قال الذهبي : هذا حديث صحيح . وقد رواه الأموي في المغازي عن ابن عباس ، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة ، قال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة »[١] وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ « : بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة . قال : وذلك قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ قال : فينظر اليهم ، وينظرون اليه ، فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره ». رواه ابن ماجه ! وعن العباس بن عبد المطلب ، قال . كنا بالبطحاء جلوساً مع رسول الله ﷺ ، فمرت سحابة ، فقال رسول الله ﷺ : «أتدرون ماهذا؟ قلنا السحاب قال: « والمزن» : قلنا والمزن. قال: والعنان. فسكتنا. قال : « هل تدرون كم بين السماء والارض ؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء

(١) رواه بنحو هذا اللفظ ابن اسحاق من مرسل علقمة بن وقاص . والذي في البخاري : « لقد قضيت بحكم الله - وربما قال : بحكم الملك » .

الى سماء مسيرة خمسمائة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ، والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم . وعن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ نحوه . أخرجه أبو داود[1] وأخرجه ابن ماجه بلفظ آخر ، ويرويه ابراهيم بن طهمان ، وعمرو بن (أبي) قيس عن سماك وقد حسنه الترمذي[2] . وأخرجه الحافظ الضياء في « المختارة » وأخرجه الذهبي من طريق آخر ، وفيه : ثم عد سبع سموات كذلك ، ثم فوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء الى سماء ، والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش اخرجه الحافظ ابو عبد الله ابن مندة في كتاب « التوحيد » قال الذهبي : قرأ على عمر بن عبد المنعم بـ (عربيل) ، وأنا أسمع عن ابي القاسم الحرستاني ، عن ابي عبد الله الغراوي قال : أنبا أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » له قال : وأنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد ابن أبي عمر ، وقالا : ثنا محمد ، ثنا هارون بن سليمان ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : بين السماء والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماءين خمسائة عام ، وبين السابعة والكرسي خمسائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسائة عام ، والكرسي فوق الماء ، والله فوق الكرسي ، ويعلم ما أنتم عليه . رواه بنحوه المسعودي عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل بدل (زر) ، عن عبد الله ، ولفظه : والله فوق ذلك ،

---

(١) رقم (٤٧٢٣) وفي سنده (الوليد بن أبي ثور) قال الحافظ ابن حجر في « التقريب ضعيف . وفيه أيضاً (عبدالله بن عميرة) .قال الحافظ الذهبي في «الميزان» فيه جهالة.
(٢) لم يحسنه الترمذي ، بل قال : هذا حديث غريب .

لايخفى عليه شيء من أعمالكم . وله طرق[1] . انتهى كلامه .

قوله : ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريب الخ .. يشير الى قوله تعالى (أأ منتم من في السماء) الملك : ١٦ والحديث الذي فيه « حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله » ونحوذلك. وذكر رحمه الله تعالى أن هذه النصوص لا تدل على انحصار إلهنا تعالى وتقدس ، لا عقلاً ولا عرفاً ، إذ أجمع السلف على أن معناها كمعنى فوق ، وأن لفظ السماء يعني به نفس العلو المطلق ، وسيأتي بسط الكلام في ذلك ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وعاشرها اختصاص البعض من أملاكه بالعند للرحمن

وكذا اختصاص كتاب رحمته بعنــــد الله فوق العرش ذو تبيان

لو لم يكن سبحانه فوق الورى كانوا جميعاً عند ذي السلطان

ويكون عند الله ابليس وجبريــل هما في العند مستويان

هذا هو الدليل العاشر من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه ، وهو اختصاص بعض المخلوقات بالعندية له سبحانه ، كقوله تعالى (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) الأعراف : ٢٠٦ وقوله تعالى : (وله من في السموات والأرض ومن عنده) الأنبياء : ٢٩ الآية . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده

(١) لاتخلو من ضعف

فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي »[1] وفي لفظ عن ابي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش » وفي لفظ عن ابي هريرة « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه ، فهو مرفوع فوق العرش ، ان رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتي تغلب غضبي » فلو لم يكن الله جل وعلا فوق عرشه لما كان لتخصيص بعض الملائكة بالعند معنى ، ولكان إبليس وجبريل في العندية سواء ، نعوذ بالله من ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتمام ذاك القول ان محبة الـ ـرحمن غير[2] ارادة الأكوان

وكلاهما محبوبه ومراده وكلاهما هو عنده سيان

ان قلتم عندية التكوين فالـ ـذاتان عند الله مخلوقان

أو قلتم عندية التقريب تقـ ـريب الحبيب وما هما عدلان

فالحب عندكم المشيئة نفسها وكلاهما في حكمها مثلان

لكن منازعكم يقول بأنها عندية حقاً بلا روغان

جمعت له حب الإله وقربه من ذاته وكرامة الاحسان

والحب وصف وهو غير مشيئة والعند قرب ظاهر التبيان

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة . (٢) في الاصل: عين .

حاصل هذه الأبيات أن محبة الله تعالى عندكم عين إرادته ، فلا يظهر وجه اختصاص العند بالملائكة، لأنكم إن قلتم : إن المراد بالعندية التكوين، فابليس وجبريل كلاهما عند الله مخلوقان مكونان ، فــلا يبقى للتخصيص بالعندية معنى ، وان قلتم : ان المراد بالعندية عندية المحبة ، فهو أيضاً لا يصح بناء على قولكم ، لأن المحبــة عندكم هي المشيئة نفسها ، وجبريل وابليس في نفس المشيئة متساويان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وحادي عشرهن اشارة ... نحو العلو بأصبع وبنان

لله جل جــلاله لاغيره ... إذ ذاك اشراك من الانسان

ولقد أشار رسوله في مجمع الـــحج العظيم بموقف الغفران

نحو السماء بأصبع قد كرمت ... مستشهداً للواحد الرحمن

يارب فاشهد انني بلغتهم ... ويشير نحوهم لقصد بيان

فغدا البنان مرفعاً ومصوباً ... صلى عليك الله ذو الغفران

أديت ثم نصحت إذ بلغتنا ... حق البلاغ الواجب الشكران

هــذا هو الدليل الحادي عشر من أدلة علو الله تعــالى على خلقه ، وهو إشارته ﷺ بأصبعه نحو السماء وينكبها[1] الى الناس ، ويقول : « اللهم اشهد »

(١) في نسخ مسلم التي بين ايدينا « ينكتها » بالتاء وفي بعض نسخ « سنن ابي داود » ينكبها بالباء =

كما رواه مسلم في حديث جابر الطويل في خطبته ﷺ يوم عرفة ، وفيه : « فقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدإن اعتصمتم به ، كتاب الله وأنتم تسألون عني ،فما أنتم قائلون » قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت، ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها إلى الناس : اللهم اشهد » ثلاث مرات .

قوله : ينكبها : يقال : نكب أصبعه : أمالها الى الناس ، يريد بذلك أن يشهد الله عليهم ، قاله ابن الاثير في غريب «جامع الاصول » .

قوله : ومصوباً . الصوب : المجيء من عل « قاموس » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثاني عشرها وصف الظهو	ر له كما قد جاء في القرآن
والظاهر العالي الذي مافوقه	شيء كما قد قال ذو البرهان
حقاً رسول الله ذا تفسيره	ولقد رواه مسلم بضمان
فاقبله لاتقبل سواه من التفا	سير التي قيلت بلا برهان
والشيء حين يتم منه علوه	فظهوره في غاية التبيان
أو ما ترى هذي السما وعلوّها	وظهورها وكذلك القمران
والعكس أيضاً ثابت فسفوله	وخفاؤه اذ ذاك مصطحبان

فانظر الى علو المحيط وأخذه صفة الظهور وذاك ذو تبيان

وانظر خفاء المركز الأُدنى ووصف السفل فيه وكونه تحتاني

وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه فهما له صفتان

لاتجحدنهما جحود الجهم أو صاف الكمال تكون ذا بهتان

وظهوره هو مقتض لعلوه وعلوه لظهوره ببيان

وكذاك قد دخلت هناك الفاء للتسبيب مؤذنة بهذا الشان

فتأملنْ تفسير أعلم خلقه بصفاته من جاء بالقرآن

إذ قال أنت كذا فليس لضده أبداً اليك تطرق الاتيان

ثبت في « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه قال : «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » وعن مقاتل بن سليمان قال : بلغنا والله أعلم في قوله تعالى : (هو الأول) الحديد : ٣قال : قبل كل شيء ، والآخر قال : بعد كل شيء ، والظاهر قال : فوق كل شيء ، والباطن ، قال : أقرب من كل شيء .

قوله : والشيء حين يتم منه علوه الخ ... أي : أن الشيء اذا كان في غاية العلو ضوءأظهر ما يكون ، والعكس أيضاً ثابت ، أي : كلما سفل الشيء كان في غاية الخفاء،ثم مثل لذلك بالمحيط والمركز ، فان المحيط لتمام علوه في غاية الظهور، والمركز لسفوله في غاية الخفاء ، ولهذا قال الناظم :

وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه ؛ أي : أَن ظهوره سبحانه مقتض لعلوه وعلوه مقتض لظهوره .

وقوله : ولذاك قد دخلت هناك الفاء للتسبيب الخ .. يعني الفاء التي في قوله ﷺ « وانت الظاهر فليس فوقك شيء » يعنى انها فاء السببية ، والمراد بالمحيط هنا الفلك ، والمركز وسط الأرض .

قال الناظم :

فصل

هذا وثالث عشرها أخباره | انا نراه بجنة الحيوان
فسل المعطل هل يرى من تحتنا | أم عن شمائلنا وعن أيمان
أم خلفنا وأمامنا سبحانه | أم هل يرى من فوقنا ببيان
ياقوم مافي الأمر شيء غير ذا | أو أن رؤيته بلا إمكان
إذ رؤية لا في مقابلة من الـرائي محال ليس في الإمكان
ومن ادعى شيئاً سوى ذا كان دعـواه مكابرة على الاذهان

هذا هو الدليل الثالث عشر من أدلة علو الله على خلقه ، وهو رؤيته تعالى في الجنة ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله عزوجل : (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ رواه ابن ماجه في « سننه » . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء ، فقلت :

ماهذه ياجبريل ؟ قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك عز وجل لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعـــدك ، تكون أنت الأول ، وتكون اليهود والنصارى من بعدك . فقلت : مالنا فيها ؟ قال : لـكم فيها خير ، فيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه ، أو ليس له يقسم إلا ادخر له ماهو أعظم منه . قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة . قلت : ولم تدعونه يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ في الجنـــة وادياً أفيح من مســـك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعـــة ، نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ، ثم حف الكرسي بمنابر من نور ، ثم جـــاء النبيون ، حتى يجلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء ، حتى يجلسوا عليها ، ثم جاء أهـــل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب ، فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا الى وجهه ، ثم يقول : أنا الذي صدقتـــكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محـــل كرامتي ويسألونه حتى تنتهي رغبتهم ، فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر إلى أوان منصرف الناس من يوم الجمعة ، ثم يصعد على كرسيه ، ويصعد معه الصديقون والشهداء ، ويرجع أهـــل الغرف إلى غرفهم درة بيضاً لا فصم فيها ولا وصم ، أو ياقوته حمراء ، أو زبرجدة خضراء ، منها غرفها وأبوابها مطردة فيها انهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا الى شيء أحوج منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً الى وجهه ، فلذلك دعي يوم المزيد »[1] قال الذهبي : هـــذا حديث مشهور ، وافر الطرق . أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة » له عن عبد الأعلى بن حماد النرسي ، عن عمر بن يونس .

---

(١) رواه ابن ابي الدنيا ، والطبراني في «الأوسط» ، وابو يعلى مختصراً ، والبزار .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولذاك قال محقق منكم لأهـــل الاعتزال مقـــالة بأمان

مابيننا خلف وبينكم لدى التحقيق في معنى فيا إخوان

شدوا بأجمعنا لنحمل حملة تذر المجسم في أذل هوان

اذ قال إن إلهنــا حقاً يرى يوم المعاد كما يرى القمران

وتصير أبصار العباد نواظراً حقاً اليه رؤية بعيان

لا ريب أنهم اذا قالوا بذا لزم العلو لفاطر الأكوان

ويكون فوق العرش جل جلاله فلذاك نحن وحزبهم خصمان

لكننا سلم وأنتم اذ تساعـــــدنا على نفي العلو لربنا الرحمن

فعلوه عين المحال وليس فو ق العرش من رب ولا ديان

لا تنصبوا معنا الخلاف فماله طعم فنحن وأنتم سلمان

هذا الذي والله مودع كتبهم فانظر ترى يامن له عينان

لما ذكر الناظم أن أهل الجنة يرونه سبحانه وتعالى ، وأن رؤيته تعالى لاتكون إلا من فوق ، وإلا فرؤيته سبحانه محال ، ولهذا قال في هـــذه الأبيات : ولهذا قال محقق منكم لاهل الاعتزال الخ . قوله : منكم . أي : من الاشاعرة ، ولم أقف على تعيين هذا المحقق . وقد قال شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » : والمقصود هنا أن نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة وغـــيرهم اذا قالوا : إثباتها يستلزم أن يكون الله جسماً ، وذلك منتف ،

وادعوا أن العقل دل على المقدمتين ، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين أو إحداهما ، فاما أن يبطل نفي التلازم ، أو نفي اللازم ، أو المقدمتان جميعاً ، وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤيـــة ، فطائفة نازعت في الاولى كالأشعري وأمثاله ، وهو الذي حكاه الاشعري عن أهل الحديث وأصحاب السنة ، وقالوا : لا نسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسماً ، فقالت النفاة : لأن كل مرئي في جهة ، وما كان في جهة فهو جسم ، فافترقت نفاة الجسم على قولين : طائفة قالت : لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة ، فهو جسم ، فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين ، وأن المنازع فيها مكابر ، وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية ، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة ، فاذا أطلقوها موافقة لأهل السنة ، فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا ورابع عشرها إقرار سا ... ئله بلفظ الأين للـــرحمن

ولقد رواه أبو رزين بعدما ... سأل الرسول بلفظه بوزان

ورواه تبليغـــاً له ومقرراً ... لما أقربه بــلا نكــران

هذا وما كان الجواب جواب من ... لكن جواب اللفظ بالميزان

كلا وليس لمن دخول قط في هذا السياق لمن له أذنان

دع ذا فقد قال الرسول بنفسه أين الإله لعالم بلسان

والله ما قصد المخاطب غير معـناها الذي وضعت له الحقان

والله ما فهم المخاطب غيره واللفظ موضوع لقصد بيان

ياقوم لفظ الأين ممتنع على الـرحمن عندكم وذو بطلان

ويكاد قائلكم يكفرنا به بل قد وهذا غاية العدوان

لفظ صريح جاء عن خير الورى قولاً وإقراراً هما نوعان

والله ماكان الرسول بعاجز عن لفظ من مع أنها حرفان

والأين أحرفها ثلاث وهي ذو لبس ومن في غاية التبيان

والله ما الملكان أفصح منه إذ في القبر من رب السما يسلان[1]

ويقول أين الله يعني من فلا والله ما اللفظان متحدان

كلا ولا معناهما أيضاً لذي لغة ولا شرع ولا إنسان

هذا هو الدليل الرابع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .

قوله : ولقد رواه أبو رزين الخ . عن أبي رزين العقيلي قال : قلت : يارسول الله : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال . كان في عماء مافوقه هواء ، وماتحته هواء ، ثم خلق العرش ، ثم استوى عليه » رواه الترمذي ، وابن ماجة . قال الذهبي : واسناده حسن[2] رواه إسحق

(١) أي يسألان ، وسهل الهمزة لوزن الشعر .

(٢) قال الترمذي فيه : هذا حديث غريب .

ابن راهويه عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد ، وعنده . « ثم كان العرش ، فارتفع على عرشه » وروى حرب عن ابن راهويه « تحته هواء ، وفوقه هواء » يعني السحاب ومن الاحاديث المتواترة ، حديث معاوية ابن الحكم السلمي قال : كانت لي غنم قبل أحد والجوانية . وفيها جارية لي ، فاطلعت ذات يوم ، فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل من بني آدم ، فأسفت ، فصككتها ، فأتيت النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له ، فعظم ذلك علي . فقلت : يارسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : ادعها ، فدعوتها . قال فقال لها : « أين الله ؟ » قالت : في السماء . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله صلى الله عليك وسلم . قال : « اعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح ، رواه جماعة من الثقات ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن هلال ابن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السلمي . أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وغير واحد من الأئمة . قال الذهبي : أخبرنا أحمد بن ابراهيم الخطيب ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، ومحمد بن المظفر ، قالوا : أنبأنا السخاوي ، أنبأنا السلفي ، أنبأنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين أنا علي بن الحسين بن جابر ، أنبأنا محمد بن علي النقاش ، ثنا القاسم بن الليث ، ثنا المعافى بن سليمان ، ثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السلمي قال : كانت لي غنم ترعى بالعذيب ، فكنت أتعهدها ، وفيها جارية لي سوداء ، فجئتها يوماً ففقدت شاة من خيار الغنم ، فقلت : أين الفلانية ؟ قالت : أكلها الذئب ، فأسفت وأنا من بني آدم ، فضربت وجهها ، ثم ندمت على ما صنعت ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : أضربت وجهها ؟ وعظم ذلك تعظيماً شديداً . فقلت : يارسول الله ان من توبتي أن أعتقها . قال : فائتني بها قبل أن تعتقها ، فجئته

بها . فقال لها : « من ربك ؟ » قالت : الله . قال : « وأين هو ؟ » قالت : في السماء . قال : «فمن أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله . قال : « اعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح : قال الذهبي : وهكذا رأينا كل من يسأل : أين الله ، يبادر ويقول : في السماء ، ففي الخبر مسألتان . إحداهما شرعية . قول المسلم : أين الله . وثانيها قول المسؤول : في السماء . فمن أنكر هاتين المسألتين ، فإنما ينكر على المصطفى ﷺ . انتهى . وقوله الناظم : هذا وما كان الجواب جواب من الخ . أي لأن النفاة أولوا قول النبي ﷺ « أين الله » يعني : من الله . قال شيخ الاسلام « في العقل والنقل » بعد كلام سبق . وهذا مما يبين أن سؤال السائل ، أين كان ربنا في حديث ابي رزين ، لم يكن هذا السؤال فاسداً عنده ﷺ كسؤال السائل : من خلق الله ، فإنه لم ينه السائل عن ذلك ، ولا أمره بالاستعاذة ، بل النبي ﷺ سأل بذلك لغير واحد فقال له : أين الله ، وهو منزه أن يسأل سؤالاً فاسداً . وسمع الجواب عن ذلك وهو منزه عن أن يقر على جواب فاسد ، لما سئل عن ذلك أجاب . فكان سائلاً به تارة ، ومجيباً عنه أخرى ، ولو كان المقصود مجرد التميز بين الرب والصنم ، مع علم الرسول ان السؤال والجواب فاسدان ، كان في الأسئلة الصحيحة مايغني غير الرسول ﷺ عن الأسئلة الفاسدة ، فكيف يكون الرسول ﷺ ، فإنه كان يمكن أن يقول : من ربك ، من تعبدين ، كما قال لحصين الخزاعي : ياحصين كم تعبد اليوم إلهاً ، قال : أعبد سبعة آلهة ، ستة في الارض وواحداً في السماء . قال : فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك » قال : الذي في السماء . فقال : « أسلم حتى أعلمك كلمة ينفعك الله بها . » فلما أسلم ، سأله عن الدعوة . فقال : « قل : اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ، رواه أحمد في « المسند » و(رواه) غير أحمد [1] . انتهى .

قوله : ياقوم لفظ الاين ممتنع على الرحمن الخ . أي أنه لايجوز عندهم أن

---

(١) ورواه الترمذي واللفظ له . وقال : هذا حديث حسن غريب .

يقال : أين الله ، ويكاد قائلكم يكفرنا به ، بل قد .أي يقارب قائلكم أن يكفرنا به ، بل قد. أي كفرنا به ، وهذا على طريق الاكتفاء . وقد عرفه علماء البديع بأنه ، هو أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر ، وقافيته متعلقة بمحذوف ،فلم يفتقر الى ذكر المحذوف ، لدلالة باقي لفظ البيت عليه ، ويكتفى بما هو معلوم في الذهن كقوله : لا أنتهي ، لا أنثني ، لا أرعوي مادمت في قيد الحياة ،ولا إذا ...

وقوله : والله ما كان الرسول بعاجز عن لفظ من.أي:لو كان مراده بقوله : أين الله . السؤال من الله، لما كان عاجزاً عن ذلك،ولفظ(من) حرفان ، ولفظ أين ثلاثة أحرف .

وقوله : والله ماالملكان أفصح منه اذ . أي ما الملكان اللذان يسألان الميت ، فيقولان : من ربك ومن نبيك؟ ومادينك ؟ بأفصح منه ، أفيقول الرسول ﷺ أين الله ، يعني من الله ، فلا والله ما اللفظان بسواء ، ولا معناهما أيضاً بسواء ، لا في لغة ولاشرع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذاوخامس عشرهاالاجماع من	رسل الإله الواحد المنان
فالمرسلون جميعهم مع كتبهم	قد صرحوا بالفوق للرحمن
وحكى لنا إجماعهم شيخ الورى	والدين عبدالقادر الجيلاني

وأبو الوليد المالكي أيضاً حكى إجماعهم أعني ابن رشد الثاني[1]
وكذا أبو العباس أيضاً قد حكى إجماعهم علم الهدى الحراني[2]
وله اطلاع لم يكن من قبله لسواه من متكلم بلسان

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام سيد الوعاظ أبو محمد عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي[3] في كتاب « الغنية » له : أما معرفة الصانع بالآيات والاختصار ، فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد .. الى أن قال : وهو بجهة العلو مستو على العرش ، يحتو على الملك ، محيط علمه بالاشياء ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال : إنه في السماء على العرش ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وذكر آيات وأحاديث ... الى أن قال : وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وانه استواء الذات على العرش ، قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، بلا كيف ، وذكر كلاماً طويلاً .

وقال الناظم: في كتابه « إغاثة اللهفان » قال أبو الوليد ابن رشد في كتاب « الكشف » عن مناهج الأدلة : القول في الجهة ، أما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه ، حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الاشاعرة ، كأبي المعالي ، ومن اقتدى بقوله ...

---

(١) وهو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ، ابو الوليد ، صاحب كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » توفي سنة (٥٩٥) ويلقب : (ابن رشد الحفيد) تمييزاً له عن جده (ابي الوليد محمد بن احمد) المتوفي سنة (٥٢٠) ه .

(٢) هو شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية النميري الحراني الدمشقي .

(٣) وهو المعروف بالجيلاني ، فقيه من فقهاء الحنابلة ، وهو شيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي توفي سنة (٥٦١) .

إلى ان قال : والشرائع كلها مبينة على أن الله في السماء ، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي الى النبيين ، وأن من السموات أنزلت الكتب ، واليها كان الاسراء بالنبي ﷺ ، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء ، كما اتفق جميع الشرائع على ذلك ، ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم ... الى أن قال : فقد ظهر لك من هذا أن اثبات الجهة واجب بالشرع والعقل ، وأن إبطاله إبطال الشرائع كلها . انتهى .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في بعض أجوبته بعد كلام سبق : مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة ، واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة ، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، فهذا إجماع الرسل الذي نقل شيخ الاسلام رحمه الله تعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ونقطع نحن أيضاً أنه ... إجماعهم قطعاً على البرهان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات الصفات لخالق الأكوان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات الكلام لربنا الرحمن

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات المعاد لهذه الابدان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بتوحيد الإله وماله من ثان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات القضاء ومالهم قولان

فالرسل متفقون قطعا في اصول الدين دون شرائع الايمان

كل له شرع ومنهاج وذا ... في الأمر لا التوحيد فافهم ذان

فالدين في التوحيد دين واحد ... لم يختلف منهم عليه اثنان

دين الإله اختاره لعباده ... ولنفسه هو قيم الاديان

فمن المحال بأن يكون لرسله ... في وصفه خبران مختلفان

شرح الناظم رحمه الله في ذكر أشياء مما يقطع بأنها دين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وذلك كعلو الله تعالى على خلقه ، واثبات صفاته تعالى ، وكلامه ، وإثبات معاد الأبدان ، والتوحيد ، وإثبات القضاء والقدر ، وذلك مما يقطع به ضرورة ، ثم قال : فالرسل متفقون قطعاً في أصول الدين ، وذلك بغير شك ، وأما شرائعهم فمختلفة ، كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) المائده : ٤٨ .

قال ابن كثير : قال ابن ابي حاتم : وساق السند الى ابن عباس : (لكل جعلنا منكم شرعة) قال : سبيلا ، وساق أيضاً عن ابن عباس ، (منهاجاً) قال : وسنة . وكذا روي عن ابن عباس (شرعة ومنهاجاً) ؛ أي : سبيلا وسنة ، وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن البصري ، وقتاده ، والضحاك ، والسدي ، وأبي اسحاق السبيعي ، أنهم قالوا في قوله (شرعة ومنهاجاً) ؛ أي : سبيلا وسنة . وعن ابن عباس أيضاً ، ومجاهد ، وعطاء الخراساني عكسه ؛ أي : سنة وسبيلا ، والأول أنسب ، فان الشرعة هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء ، ومنه يقال : شرع في كذا ؛ اي : ابتدأ فيه ، وكذا الشريعة ، وهي ما يشرع فيها الماء . اما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل ، والسنن الطرائق ، فتفسير قوله : (شرعة

ومنهاجاً) بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس ، والله اعلم . انتهى كلامه .

قوله : في الأمر لا التوحيد الخ ... اي : أن جميع الرسل متفقون في التوحيد ، كما ثبت في « صحيح البخاري » عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : « نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ، ديننا واحد[1] » يعنى بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) الانبياء : ٢٥ وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل : ٣٦ الآية . وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في الشريعة حراماً ، ثم يحل في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، وهـــذا معنى قول الناظم : في الأمر لا التوحيد فافهم ذان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بعد	ل الله بين طوائف الانسان
وكذاك نقطع أنهم ايضاً دعوا	للخمس وهي قواعد الايمان
إيماننا بالله ثم برســـله	وبكتبه وقيامة الابدان
وبجنده وهم الملائكة الأُلى	هم رسله لمصالح الأكوان
هذي أُصول الدين حقاً لا أُصو	ل الخمس للقاضي هو الهمذاني

(١) رواية البخاري بلفظ « الانبياء إخوة لعلات ، أمها تهم شتى ودينهم واحد ».

تلك الأُصول للاعتزال وكم لها فرع فمنـه الخلق للقرآن

وجحود أوصاف الإله ونفيهم لعلوه والفوق للرحمن

وكذاك نفيهم لرؤيتنا له يوم اللقاء كما يرى القمران

ونفوا قضاء الرب والقدر الذي سبق الكتاب به هما حتمان

من أجل هاتيك الاصول وخلدوا أهل الكبائر في لظى النيران

ولأجلها نفوا الشفاعة فيهمُ ورموا رواة حديثها بطعان

ولأُجلها قالو بأن الله لم يقدر على اصلاح ذي العصيان

ولأُجلها قالوا بأن الله لم يقدر على إيمان ذي الكفران

ولأُجلها حكموا على الرحمن بالـ ـشرع المحال شريعة البهتان

ولأجلها هم يوجبون رعاية لـ ـلأصلح الموجود في الإمكان

حقاً على رب الورى بعقولهم سبحانك اللهم ذا السبحان

أي نقطع أن الرسل دعوا لأصول الايمان الخمسة ، وهي : الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

وقوله :

هذي أَصول الدين حقاً لا الأصو ل الخمس للقاضي هو الهمذاني

أي : أَن هذه أُصول الدين ، لا الأُصول الخمسة للمعتزلة ، وذلك أن أُصولهم خمسة يسمونها ، التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، وإنفاذ الوعيد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات ، ولهذا سمى ابن التومرت أَصحابه الموحدين ، وهذا إنما هو

إلحاد في أسماء الله وآياته ، ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر ، وهو خلق أفعال العباد ، وارادة الكائنات أو القدرة على شيء ، ومنهم من ينكر تقدم العلم بالكتاب ، لكن هذا ليس قول أئمتهم ، وأما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه ، كما لا يسمى كافراً ، فنزلوه منزلة بين منزلتين. وانفاذ الوعيد عندهم معناه ان فساق الملة مخلدون في الدار ، لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة ، وقتالهم بالسيف .

وقول الناظم : تلك الأصول للاعتزال ، وكم لها فرع فمنه الخ أي : ان المعتزلة قالوا بخلق القرآن . ونفوا صفات الله تعالى ، وعلوه على خلقه ، ونفوا رؤيته تعالى في الآخرة ، ونفوا القضاء والقدر ، والشفاعة في عصاة الموحدين ، وقالوا بأن الله لا يقدر على اصلاح العصاة ، ولا يقدر على ايمان الكفار ، وأوجبوا على الله رعاية الأصلح ، ونحو ذلك .

وقوله: للقاضي هو الهمذاني .أي : القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي ، شافعي الفروع ، معتزلي الأصول ، وهو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسين الهمذاني ، قاضي الري وأعمالها ، وكان شيخ المذهب ، وهو مع ذلك شيخ الاعتزال .

قال ابن كثير في « تاريخه »: ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب « دلائل النبوة » في مجلدين ، أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة ، وقد طال عمره ، ورحل الناس اليه من الأقطار ، واستفادوا به ، مات في ذي القعدة سنة ٤١٥ خمس عشرة واربعمائة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع أهـــل العلم أعني حجةالأزمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن
لاعبرةً بمخالف لهمُ ولو كانوا عديد الشاء والبعران
إن الذي فوق السموات العلى والعرش وهو مباين الأكوان
هو ربنا سبحانه وبحمده حقاً على العرش استوا الرحمن
فاسمع إذاً أقوالهم واشهد عليهـــم بعدها بالكفر والايمان
واقرأ تفاسير الأئمة ذاكري الاســـناد فهي هـــداية الحيران

هذا هو الدليل السادس عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وهو إجماع العلماء من أهل السنة وأصحاب الحديث . قال :

وانظر الى قول ابن عباس بتفسير استوى ان كنت ذا عرفان

قال البغوي في « تفسيره » المشهور. قال: ابن عباس واكثر مفسري السلف : استوى الى السماء : ارتفع الى السماء.

وانظر الى أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حبران

قال البخاري في « صحيحه » باب قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) هود : ٧ قال أبو العالية : استوى الى السماء : ارتفع . وقال مجاهـــد في

استوى : علا على العرش . وروى عبد الله ابن الامـــام أحمد في كتاب « السنة » له عن أبيه عن نوح بن ميمون ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ قال : هو على عرشه ، وعلمـــه معهم . وروى البيهقي باسناده عن مقاتل بن حيان **قال** : بلغنا والله اعـــلم في قوله تعالى (**هو الاول** والآخر) الحديد : ٣ **قال** : هو الا **ول** قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، والظاهر فوق كل شيء ، والباطن أقرب من كل شيء ، وانما قربه بعلمه ، وهو فوق عرشه .

وانظر الى الكلبي ايضاً والذي ... قد قاله من غير ما نكران

روى البيهقي من طريق محمد بن مروان عن الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله (ثم استوى على العرش) **يقول** : استقر على العرش

وكـذا رفيـع التابعيّ أجلهم ... ذاك الرياحيّ العظـيم الشان

رفيـع بضم الراء مصغراً . هو ابو العالية ، وقد تـقدم مانقله البخاري عنه . **قال** أبو العالية : استوى الى السماء : ارتفع

كم صاحب ألقى اليه علمه ... فلذاك ما اختلفا[1] عليه اثنان

فليهن من قد سبه إذ لم يوا ... فق قوله تحريف ذي البهتان

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى من الجهمي بالقرآن

---

(١) في الأصل : ما اختلفت .

حكى الفراء عن ابن عباس (ثم استوى) صعد . أبو عبيده : هو معمر ابن المثنى التيمي البصري .

قوله : صاحب الشيباني هو أبو عمرو بن العلاء[1] واسمه اسحق كما ذكر ذلك الذهبي في « تاريخ الاسلام » وقيل : إنما قيل له الشيباني لانقطاعه الى أناس من بني شيبان .

والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان
هو قول أهل الاعتزال وقول أتباع لجهم وهو ذو بطلان
في كتبه قد قاله[2] من موجز وإبانة ومقالة ببيان

أي : أن الأشعري ذكر إبطال تأويل الاستواء بالاستيلاء في كثير من كتبه ، كـ « الموجز » و « الابانة » و « المقالات » قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « الابانة في اصول الديانة » له في باب الاستواء .

فان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل : نقول له : إن الله مستو على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقال : (اليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء . ١٥٨ وقال حكاية عن فرعون (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الاسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذباً) غافر : ٣٦ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات وقال عز وجل (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات وكل ما علا فهو

---

(١) ابو عمرو بن العلاء شيخ ابي عمر الشيباني فقوله : ابي العلاء سبق قلم .
(٢) في الاصل: قد قال ذا ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

سماء ، وليس إذا قال : (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السموات ، وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ، ألا ترى أنه ذكر السموات فقال : (وجعل القمر فيهن نوراً) نوح : ١٦ ولم يرد أنه يملأهن جميعاً . قال : ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، وقد قال قائلون، من المعتزلة ، والجهمية ، والحزورية: إن معنى استوى : استولى ، وملك ، وقهر ، وإنه تعالى في كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه ، كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش وبين الارض السابعة ، لأنه قادر على كل شيء ، والارض فالله قادر عليها ، وعلى الحشوش ، وكذا لو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يكون مستوياً على الاشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : ان الله مستو على الأخلية ، والحشوش ، فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء ، وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك ، وكتاب « الابانة » من أشهر تصانيف أبي الحسن شهرة ، والحافظ ابن عساكر اعتمد عليه ، ونسخه بخطه الامام محيي الدين النووي ، كذا ذكره الحافظ الذهبي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذلك البغوي أيضاً قد حكا ٥ عنهمُ بمعالم القرآن

قال الامام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي صاحب « معالم التنزيل » عند قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ قال الكلبي ، ومقاتل : استقر . وقال أبو عبيدة : صعد ، ثم قال البغوي : وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء . وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، يجب الايمان به .

وقال في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) البقرة : ٢٩ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : ارتفع الى السماء . وقال في قوله (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله) البقرة : ٢١٠ الاولى في هذه الآية وماشا كلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ، ويكل علمها الى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث ، على ذلك مضت أئمة السلف ، وعلماء السنة . وقال في قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ أي من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم . انتهى .

وانظر كلام إمامنا هو مالك ... قد صح عنه قول ذي إتقان
في الاستواء بأنه المعلوم لـ ... ـكن كيفه خاف على الأذهان

روى البيهقي وابو الشيخ الاصبهاني ، عن يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك بن أنس ، فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ، ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك الا مبتدعاً . فأمر به أن يخرج . وساق البيهقي باسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني ، عن ابن وهب قال : كنت عند مالك ، فدخل رجل فقال : يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك (رأسه) ، وأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت صاحب بدعة . أخرجوه . قال الذهبي في كتاب « العلو » بعد ماساق كلام الامام مالك : وهذا قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها ، بل نجهلها ، وأن استواءه

معلوم ، كما اخبر به في كتابه ، وانه كما يليق به ، لا نعمق ، ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ، ونقف كما وقف السلف ، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ، ولا في استوائه ، ولا في نزوله . سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وروى ابن نافع الصدوق سماعه   منه على التحقيق والاتقان

الله حقاً في السماء وعلمه   سبحانه حقاً بكل مكان

فانظر الى التفريق بين الذات والـ   ـمعلوم من ذا العالم الرباني

فالذات خصت بالسماء وانما الـ   ـمعلوم عم جميع ذي الاكوان

ذا ثابت عن مالك من رده   فلسوف يلقى مالكاً بهوان

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية : حدثني أبي ، ثنا شريح بن النعمان ، عن عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لايخلو منه شيء ، فانظر كيف فرق مالك رحمه الله تعالى بين الذات والمعلوم ، فخص الذات بالسماء ، واما المعلوم فهو عام كل شيء . والمراد بالمعلوم هنا العلم ، كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى .

وقوله : ذا ثابت عن مالك الخ . يعني بقوله : فلسوف يلقى مالكاً خازن النار ، نعوذ بالله من ذلك ، ولكن لايخلو كلامه من مبالغة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قال الترمذي بجامع   عن بعض أهل العلم والايمان

الله فوق العرش لكن علمه　　　مع خلقه تفسير ذي ايمان

ذكر الحافظ أبو عيسى الترمذي في «جامعه» لما روى حديث أبي هريرة، وهو خبر منكر «لو أنكم دليتم بحبل إلى الارض السفلى لهبط على الله»[1] فقال: قال أهل العلم: أراد: لهبط على علم الله، وهو على العرش، كما وصف نفسه في كتابه. وقال أبو عيسى إثر ماروى حديث أبي هريرة. «إن الله يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه فيربيها» روت عائشة عن النبي ﷺ نحوه. وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا ومايشبهه من الصفات، ونزول الرب: نثبت هذه الروايات في هذا، ونؤمن به. ولا يتوهم، ولا يقال: كيف هذا؟ روي عن مالك، وابن عيينة، وابن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية، فأنكرت هذه الروايات، وقالوا هذا تشبيه، وفسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وانما معنى اليد هاهنا: النعمة، وهذا القول في باب فضل الصدقة من الجامع، وقال نحواً من ذلك أيضاً في تفسير (وقالت اليهود يد الله مغلولة) المائدة: ٦٤.

وكذاك أوزاعيهم أيضاً حكى　　　عن سائر العلماء في البلدان

من قرنه والتابعين جميعهم　　　متوافرين وهم أولو العرفان

إيمانهم بعلوه سبحانه　　　فوق العباد وفوق ذي الاكوان

روى البيهقي في «الأسماء والصفات» باسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: ان الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وروى أبو بكر الخلال في كتاب

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

« السنة » عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقال أمروها كما جاءت . وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والاوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت . وفي رواية فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف .

وكذاك قال الشافعي حكاه عنه البيهقي وشيخه الرباني

حقاً قضى الله الخلافة ربنا فوق السماء لأصدق العبدان

حب الرسول وقائم من بعده بالحق لا فشل ولا متوان

فانظر الى المقضي في ذي الارض لكن في السماء قضاء ذي السلطان

وقضاؤه وصف له لم ينفصل عنه وهذا واضح البرهان

قال الشافعي رضي الله عنه : خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه ، وجمع عليها قلوب عباده . انتهى . أي : أن المقضي في الارض ، والقضاء في السماء ، وهو فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته .

قوله : حكاه عنه البيهقي وشيخه الرباني . مراده بشيخ البيهقي ، الحافظ أبو عبد الله الحاكم رحمهما الله تعالى .

قوله : العبدان جمع عبد ، وقوله : حب الرسول الخ . يعني : أبا بكر الصديق رضي الله عنه . وقال الامام ابن الامام عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي رضي الله عنه : حدثنا أبو شعيب ، وأبو ثور عن أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى قال : القول في السنة التي أنا عليها ،

ورأيت أصحابنا عليها ،أهل الحديث الذين رأيتهم ، وأخـذت عنهم ، مثـل سفيان ، ومالك وغيرهما : الاقرار بشهادة أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا كيف شاء .

قال :

وكذلك النعمان قال وبعده	يعقوب والألفاظ للنعمان
من لم يقر بعرشـه سبحانه	فوق السماء وفوق كل مكان
ويقر أن الله فوق العرش لا	تخفى عليه هواجس الأذهان
فهو الذي لا شك في تكفيره	لله درك من إمام زمـان
هذا الذي في الفقه الأكبر عندهم	وله شروح عـــدة لبيان

قوله : النعمان . هو الامام عالم العراق ، أبو حنيفة النعمان بن ثابت .

وقوله : يعقوب :هو ابن ابراهيم أبو يوسف القاضي.

قلت : قال في كتاب « الفقه الاكبر » المشهور المروي بالاسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبـد الله البلخي ، قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء ، أو في الارض . قال : قد كفر ، لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وعرشه فوق سمواته . فقلت : إنه يقول . أقـول على العرش استوى ، ولكن قال : لا يدري العرش في السماء أو في الأرض . فقال : إذا أنكر أنه في السماء ، فقد كفر . رواها صاحب الفاروق باسناد عن أبي بكر نصير بن يحيي عن الحكم .

قال الذهبي : وسمعت القاضي الامام تاج الدين عبد الخالق بن علوان

قال سمعت الامام أبا محمد عبدالله بن احمد المقدسي مؤلف «المقنع»[١] رحم الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه يقول : بلغني عن ابي حنيفة رحمه الله أنه قال : من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر .

وانظر مقالة أحمد ونصوصه   في ذاك تلقاها بلا حسبان

فجميعها قد صرحت بعلوه   وبالاستوا والفوق للرحمن

وله نصوص واردات لم تقع   لسواه من فرسان هذا الشان

اذ كان ممتحناً باعداء الحديث وشيعة التعطيل والكفران

واذا أردت نصوصه فانظر الى   ماقد حكى الخلال ذو الاتقان

يعني أن الامام أحمد له من النصوص والكلام في صفات الله تعالى وفي كلامه ماليس لغيره من الأئمة ، لأنه كان ممتحناً بالمعطلة والجهمية ، وما جرى عليه من المحنة في ذلك ، والضرب ، مشهور مذكور في الكتب التي صنفت في مناقبه ، كمناقبه للامام ابي اسماعيل الأنصاري ، وللحافظ ابي الفرج ابن الجوزي ، والحافظ ابي بكر البيهقي ، وغيرهم ، وكذلك كتب التواريخ .

وقوله : الخلال . هو أحمد بن محمد بن هارون ، أبو بكر الخلال ، كان أحد من صرف عنايته إلى جمع علوم الامام أحمد بن حنبل ، وسافر الى البلاد لأجلها ، وسمعها عالية ونازلة ، وصنف كتاب « الجامع » وهو في عدة مجلدات ، وكتاب « السنة » وكتاب « العلل » لأحمد بن حنبل ، وغير ذلك . قال ابو بكر بن شهرباز : كلنا تبع للخلال ، لأنه لم يسبقنا إلى جمع علم أحمد أحد قبله . قال الخطيب : جمع ـ يعني الخلال ـ علوم أحمد ،

(١) هو المعروف بـ « موفق الدين بن قدامه المقدسي » صاحب « المغني » شرح « مختصر الخرقي » وقد قام المكتب الاسلامي بطبع هذا المختصر .

وطلبها ، وسافر لأجلها ، وكتبها ، وصنفها كتباً ، ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحد أجمع منـــه لذلك ، توفي في ربيع الأول سنة ٣٢١ إحدى وعشرين وثلثمائة ،وقد نيف عن الثمانين . انتهى ملخصاً من « تاريخ الذهبي » وأما نصوص الامام أحمد في ذلك ، فنذكر منها قليلًا من كثير قال يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال : قيل لأبي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته وعلمـه بكل مكان ؟ قال : نعم هو على عرشه ، ولا يخلو شيء من علمه . وقال أبو طالب أحمد بن حميد : سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا وتلا (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال : قد تجهم هـــذا ، يأخذون بآخر الاية ، ويدعون أولها ، قرأت عليه (ألم تر أن الله يعلم) المجادلة : ٧ فعلمـه معهم . وقال في سورة ق (ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ق : ١٦ فعلمه معهم . قال المروذي قلت لابي عبد الله : إن رجلًا قال : أقول كما قال الله : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) أقول هذا ، ولا أجاوزه الى غيره . فقال هذا كلام الجهمية ، بل علمه معهم ، فأول الاية يدل على أنه علمـه . رواه ابن بطة في كتاب « الابانة » عن عمر بن محمد بن رجاء عن محمد بن داود عن المروذي . وقال حنبل ابن اسحق : قيل لأبي عبد الله : ما معنى (وهو معكم) قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلاحد ولا صفة وكلامه رحمه الله تعالى في هذا كثير شهير ، وفيما ذكرنا كفاية .

وكذاك اسحاق الامام فانه قد قال مافيه هدى الحيران

قال الخلال : أنا المروذي ، قال : قال اسحق بن ابراهيم بن راهويه

قال الله تبارك وتعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ اجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ، ويعلم كل شيء في أسفل الارض السابعة وفي قعور البحار ، ورؤوس الآكام ، وبطون الأودية ، وفي كل موضع ، كما يعلم علم ما في السموات السبع وما فوق العرش ، أحاط بكل شيء علماً فلا تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات البر والبحر الا قد عرف ذلك كله ، وأحصاه ، فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره .

وابن المبارك قال قولاً شافياً ... إنكاره علم على البهتان

قالوا له ما ذاك نعرف ربنا ... حقاً به لنكون ذا إيمان

فأجاب نعرفه بوصف علوه ... فوق السماء مباين الأكوان

وبأنه سبحانه حقا على الـ ... ـعرش الرفيع فجل ذو السلطان

قال الخلال : ثنا أبو بكر المروذي ، قال : سمعت أبا عبد الله قيل له : روى علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف نعرف الله عز وجل ؟ قال : على العرش بحد ، قال : قد بلغني ذلك عنه وأعجبه ، ثم قال أبو عبد الله : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ ثم قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وروى شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني باسناده الثابت عن عبد الله بن المبارك انه قال : نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته ، بائناً من خلقه ، ولا نقول كما قال الجهمية بأنه ههنا ، وأشار بيده الى الارض. وهو عبد الله بن المبارك ، أبو عبد الرحمن المروزي ، كان أبوه تركياً مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان ، فكان ابن المبارك

إذا قدمها أحسن الى ولد مولاهم ، وكانت أمه خوارزمية ، ولد سنة ثماني عشرة ومائة ، وسمع اسماعيل ابن أبي خالد ، والأعمش ، وهشام بن عروة وحميد الطويل ؛ وغيرهم من أئمة التابعين ، وحدث عنه خلائق من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ ، والفقه ، والعربية ، والزهد ، والكرم ، والشجاعة وله التصانيف الحسان ، والشعر المتضمن حكماً جمـــة ، وكان كثير الغزو والحج ، وكان له رأس مال نحو أربعمائة ألف تدور بتجارة في البلدان ، فحيث اجتمع بعالم ببلدة أحسن إليه . وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة الف ينفقها كلها في أهل العلم والعبادة ، وربما أنفق من رأس المال . قال سفيان بن عيينة : نظرت أمر الصحابة ، فما رأيتهم يفضلون عليه إلا بصحبتهم رسول الله ﷺ . وقال اسمعيل بن عياش : ما أعلم على وجـه الأرض مثله ، وما أعلم خصلة (من) الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك . ولقـــد حدثني أصحابه أنهم صحبوه من مصر الى مكة ، فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . وقد قدم مرة الى « الرقة » وبها هارون الرشيد فلما دخلها انجفل الناس يهرعون الى ابن المبارك ، وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر فقالت : ما للناس ؟ فقيل : هذا رجل من علماء خراسان ، يقال له : ابن المبارك ، فقالت المرأة : هذا هو الملك لا ملك هارون الذي يجمع الناس بالسوط والعصا . وقد قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر : أجمع العلماء على قبوله ، وجلالته ، وإمامته ، وعدالتـه . توفي بـ « هيت » في سنة ١٨١ إحدى وثمانين ومائة في رمضان عن ثلاث وستين سنة .

وهو الذي قد شجع ابن خزيمة إذ سل سيف الحق والعرفان

وقضى بقتل المنكرين علوّه ... بعد استتابتهم من الكفران

وبأنهم يلقون بعد القتل فو ... ق مزابل الميتات والانتان

فشفى الامام العالم الحبر الذي ... يدعى إمام أئمة الأزمان

ولقد حكاه الحاكم العدل الرضى ... في كتبه عنه بــلا نكران

قال شيخ الاسلام أبو عثمان اسماعيل بن عبـد الرحمن الصابوني في « عقيدته » أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، يعني الحاكم في كتاب « التاريخ » الذي جمعه لأهل نيسابور ، وفي كتاب « معرفة أصول الحديث » اللذين جمعهما ، ولم يسبق الى مثلهما . قـال : سمعت ابا جعفر محمد بن صالح بن هانىء ، سمعت الامام أبا بكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول : من لم يقر أن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته ، فهو كافر به ، حلال الدم ، يستتاب ، فان تاب والا ضربت عنقه[1] وألقي على بعض المزابل .

وحكى ابن عبد البر في تمهيده ... وكتاب الاستذكار غير جبان

إجماع أهل العلم أن الله فو ... ق العرش لم ينكره ذو إيمان

وأتى هناك بما شفى أهل الهدى ... لكنه مرض على العميان

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في « شرح الموطأ » : لما ذكر حديث النزول قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل ، صحيح الاسناد ، لا يختلف أهل الحديث في صحته ، وهو منقول من طرق سوى هــذه من أخبار

---

(١) في الاصل : ضربت عنه .

العدول ، عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سموات ، كما قال الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : إن الله بكل مكان . قال : والدليل على صحة قول أهل الحق قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقوله عز وجل (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٢٤ وقال سبحانه (أأمنتم من في السماء) الملك : ١٦ وقال (اليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥ وقال : (يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه) السجدة : ٥ وقال : (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ وقال : (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ١٨، ٦١ وقال لعيسى عليه السلام (اني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقد أخبر الله تعالى في موضعين من كتابه عن فرعون أنه قال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب .أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذباً) غافر: ٣٦، ٣٧ يعني أظن موسى كاذباً أن له إلهاً في السماء، هذه الاية تدل على أن موسى كان يقول : إلهي في السماء ، وفرعون يظنه كاذباً . قال : ومن الحجة أيضاً في أنه على العرش فوق السموات السبع أن الموجودين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا أيديهم ووجوههم الى السماء ، ونصبوا أيديهم رافعين لها ، مشيرين بها الى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يوافقهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقد قال النبي ﷺ الأمة التي أراد مولاها عتقها وكانت عليه رقبه مؤمنة ، فاختبرها رسول الله ﷺ

بأن قال لها : « أين الله » فأشارت الى السماء . قال : « من أنا » قالت : رسول الله . قال : « اعتقها فانها مؤمنة »[1] فاكتفى رسول الله ﷺ برفعها رأسها الى السماء ، واستغنى بذلك عما سواه. قال ابو عمر رضي الله عنه : أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والايمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، وأما أهل البدع ، الجهمية ، والمعتزلة كلها ، والخوارج ، فكلهم ينكرها ، ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله . انتهى كلامه .

وكذا علي الأشعريّ فانـــه — في كتبه قد جاء بالتبيان
من موجز وإبانة ومقـــالة — ورسائل للثغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الرب فو — ق العرش بالايضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التـــقرير فانظر كتبه بعيان
والله ما قال المجسم مثل مـا — قـــد قاله ذا العالم الرباني
فارموه ويحكمُ بما ترموا به — هذا المجسم يا أولي العدوان
أو لا فقولوا إن ثَمَّ حزازة — وتنفس الصعداء من حران
فسلوا الإله شفاء ذا الداء العضا — ل مجانب الاسلامَ والايمان

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه في حديث طويل في باب « تحريم الكلام في الصلاة » .

يعني ان الامام أبا الحسن الأشعري قد أوضح في كتبه ك « الابانة » و « الموجز » و«مقالات الاسلاميين » ورسائله الى الثغر استواء الرب فوق عرشه ، وبرهن على ذلك ، وقرره بأحسن تقرير[1] ، وذلك في كتبه ، فانظرها إن شئت ، وقد تقدم بعض كلامه في ذلك .

قوله : والله ما قال المجسم مثل ما قد قاله ذا العالم الرباني ؛ أي : ما قال المنبوذ عندكم بالتجسيم مثل ما قد قال الأشعري .

قوله : فارموه ويحكم بما ترموا به هذا المجسم الخ ... أي : فشنعوا بمثل ما شنعتم به على اصحاب الحديث الذين هم عندكم مجسمة .

وقوله : بما ترموا به. الأصل: ترمون به ، ولكن حذف النون للوزن .

وقوله : تنفس الصعداء كالبرحاء: تنفس طويل ،قاله في« القاموس » .

وقوله : الداء العضال . قال في « القاموس » داء عضال ، كغراب ، يعني غالب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وانظر الى حرب وإجماع حكى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لله درك من فتى كرمان

حرب : هو أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني ، صاحب الامام أحمد ، صاحب المسائل المعروفة التي نقلها عن أحمد ، واسحاق ، وغيرهما ، وذكر معها من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة وغيرهم ما ذكره ، وهو كتاب كبير ، صنفه على طريقة « الموطأ » ونحوه من المصنفات . قال في آخره في « الجامع » : باب : القول في المذهب ، هذا مذهب أئمة العلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق ، والحجاز ، والشام ، وغيرهم عليها ،

(١) في الاصل : بأحسن التقرير .

فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ؛ فهو مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ، وهو مذهب أحمد ، واسحق بن ابراهيم بن مخلد ، وعبد الله بن الزبير الحميدي ، وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وذكر الكلام في الايمان والقدر ، والوعيد ، والإمامة ، وما أخبر به الرسول من أشراط الساعة ، وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك .. الى أن قال : وهو سبحانه بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان ، ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، وله حد ، والله أعلم بحده ، والله على عرشه عز ذكره ، وتعالى جده ، ولا اله غيره ، والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ، ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ، ويبغض ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب ، ويرحم ، ويعفو ، ويغفر ، ويعطي ، ويمنع ، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ، وكما شاء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . . . الى أن قال : ولم يزل الله متكلماً ، عالماً ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وانظر الى قول ابن وهب أَوحد الـعلماء مثل الشمس في الميزان

ابن وهب : هو الامام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري صاحب الامام مالك بن أنس ، ولم أقف على كلامه فأحكيه .

وانظر الى ما قال عبد الله في	تلك الرسالة مفصحاً ببيان
من أنه سبحانـه وبحمده	بالذات فوق العرش والأكوان

قال الامام أبو محمد ابن أبي زيد المغربي القيرواني ، شيخ المالكية في وقته في أول رسالته المشهورة في مذهب الامام مالك : وإنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ، وانه في كل مكان بعلمه . وذكر ابن أبي زيد أيضاً في كتاب « الفرد » في السنة تقرير العلو ، واستواء الرب على العرش بذاته ، وقرره أتم تقرير . وقال في « مختصر المدونة » : وانه تعالى فوق عرشه بذاته ، فوق سمواته دون أرضه .

وانظر الى ما قاله الكرخي في ... شرح لتصنيف امرىء رباني
وانظر الى الاصل الذي هو شرحه ... فهما الهدى للمدد حيران

لم أقف على شرح الكرخي ، ولا أصله فأسوقه .

وانظر الى تفسير عبد ما الذي ... فيه من الآثار في ذا الشان
وانظر الى تفسير ذاك الفاضل الثـ ... ـبت الرضى المتضلع الرباني
ذاك الامام ابن الامام وشيخه ... وأبوه سفيان فرازيّان[1]

يريد التفسير المشهور تأليف الامام الحافظ الثبت أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم ، محمد بن ادريس الرازي رحمهما الله تعالى ؛ وتفسيره المذكور في أربع مجلدات ، والبيت الثاني فيه قلق ، ولم يظهر المراد منه

قوله : وشيخه وأبوه سفيان ، أما أبوه فهو الحافظ أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي الحنظلي . وأما قوله : وأبوه سفيان فلا نعلم ما المراد به . وفي بعض النسخ ، فانظر ذان ، وفي بعضها فرا زيّان .

وانظر الى النسائي في تفسيره ... هو عندنا سفر جليل معان

---

(١) في الاصل : فانظر ذان .

النسائي : هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، صاحب « السنن »

واقرأ كتاب العرش للعبسي وهــــو محمد المولود من عثمان

قال الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن ابي شيبة العبسي ، محدث الكوفة في وقته ، قال في كتاب « العرش » : وذكروا أن الجهمية يقولون : ليس بين الله وبين خلقه حجاب ، وأنكروا العرش ، وأن يكون الله فوقه ، وقالوا : إنه في كل مكان ، ففسرت العلماء (وهو معكم) الحديد : ٤ يعني علمه ، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه ، فهو فوق العرش ، متخلصاً من خلقه ، بائناً منهم انتهى كلامه .

واقرأ لمسند عمه ومصنف　　أتراهما نجمين بل شمسان

واقرأ كتاب الاستقامة للرضى　　ذاك ابن أصرم حافظ رباني

واقرأ كتاب الحافظ الثقة الرضى　　في السنة العليا فتى الشيباني

ذاك ابن أحمد أوحد الحفاظ قد　　شهدت له الحفاظ بالاتقان

هو الامام الحافظ الثقة عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى ، وكتابه المشهور في « السنة » نحو مجلد

واقرأ كتاب الاثرم العدل الرضى　　في السنة الأولى امام زمان

هو ابو بكر أحمد بن محمد بن هانىء ابو بكر الأثرم .

وكذا الامام ابن الامام المرتضى　　حقاً ابي داود ذي العرفان

تصنيفه نثراً ونظماً واضحاً ... في السنة المثلى هما نجمان

قال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » : أخبرنا أحمد بن عبد الحميد ، أنبانا أبو محمد بن قدامة سنة ثماني عشرة وستمائة ، أخبرتنا فاطمة بنت علي، أنبأنا علي بن بيان ،أنبأنا الحسين بن علي الطناجيري أنبأنا ابو حفص ابن شاهين. قال : شيخنا أبوبكر عبد الله بن سليمان هذه القصيدة وجعلها محنة .

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيا لعلك تفلح

ودن بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح

وقل غير مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الاتقياء وأفصحوا

ولا تقل القرآن خلق قراءة ... فان كلام الله باللفظ يوضح

وقل يتجلى الله للخلق جهرة ... كما البدر لا يخفى وربك أوضح

وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شبه تعالى المسبح

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا ... بمصداق ما قلنا حديث مصرح

رواه جرير عن مقال محمد ... فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح

وقل ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيف جل الواحد المتمدّح

الى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح

يقول ألا مستغفر يلق غافراً ... ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنح

روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقبّحوا

وقل إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قدما ثم عثمان الارجح
ورابعهم خير البرية بعدهم ... علي حليف الخير بالخير ممنح
وإنهمُ والرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالنور تسرح
سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدح
وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعاناً تعيب وتجرح
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم ... وفي الفتح آي في الصحابة تمدح
وبالقدر المقدور أيقن فانه ... دعامة عقد الدين والدين أفيح
ولا تنكرن جهلاً نكيراً ومنكراً ... ولا الحوض والميزان إنك تنصح
وقل يخرج الله العظيم بفضله ... من النار أجساداً من الفحم تطرح
على النهر في الفردوس[1] تحيي بمائه ... كحبة حمل السيل إذجاء يطفح
وإن رسول الله للخلق شافع ... وقل في عذاب القبر حق موضح
ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا ... وكلهم يعصي وذو العرش يصفح
ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقال لمن يهواه يردي ويفضح
ولا تك مرجياً لعوباً بدينه ... ألا انما المرجيّ بالدين يمزح
وقل إنما الإيمان قول ونية ... وفعل على قول النبي مصرح
وينقص طوراً بالمعاصي وتارة ... بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح

(١) في الاصل : في الفردود.

ودع عنك آراء الرجال وقولهم   فقول رسول الله أزكى وأشرح

ولا تك من قوم تلهوا[1] بدينهم   فتطعن في أهل الحديث وتقدح

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه   فأنت على خير تبيت وتصبح

هذه القصيده متواترة عن ناظمها ، رواها الآجري ، قلت : وقد شرحها أيضاً أبو علي ابن البنا الحنبلي ، وصنف لها شرحاً ، وابو عبد الله ابن بطة في « الابانة » قال ابن ابي داود ، هذا قول أبي ، وقول شيوخنا ، وقول العلماء ممن لم نرهم ، كما بلغنا عنهم ، فمن قال غير ذلك فقد كذب . كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ، ما هو بدون أبيه ، صنف التصانيف ، انتهت اليه رئاسة الحنابلة ببغداد توفي سنة ٣١٦ . انتهى كلام الذهبي .

واقرأ كتاب السنة الأولى الذي   أرواه مضطلع من الإيمان

ذاك النبيل ابن النبيل كتـــابه   أيضا نبيل واضح البرهان

قال الحافظ الامام قاضي أصبهان ، وصاحب التصانيف ، أبو بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الشيباني : جميع ما في كتابنا كتاب « السنة الكبير » الذي فيه الأبواب من الاخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم ، فنحن نؤمن بها لصحتها ، وعدالة ناقليها ، ويجب التسليم لها على ظاهرها ، وترك تكلف الكلام في كيفيتها ، فذكر من ذلك النزول الى السماء الدنيا ، والاستواء على العرش ، سمعت عاتكة بنت أبي بكر هذا الكلام من أبيها ، وكانت فقيهه عالمـــة ، وكان أبوها شيخ الظاهرية بأصبهان ، كما أن شيخهم بالعراق داود بن علي . روى عن أصحاب شعبة ، وحماد بن سلمة ، ووقع لنا جملة من تصانيفه ، ومات سنة سبع وثمانين ومائتين (٢٨٧) ، لم يلحق

(١) اي جعلوا دينهم لهواً.

جده أبا عاصم النبيل ، ولحق جده لأمه موسى بن اسماعيل التبوذكي .

وانظر الى قول ابن أسباط الرضى   وانظر الى قول الرضى سفيان

أي سفيان بن عيينه . قال أحمد بن ابراهيم الدورقي : حدثني أحمد بن نصر قال : سألت سفيان بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة ، فجعلت ألح عليه في المسألة فقال : دعني أتنفس ، فقلت : كيف حديث عبد الله عن النبي ﷺ « ان الله يحمل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع »[١] وحديث « إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن »[٢] وحديث « إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الاسواق » فقال سفيان : هي كما جاءت ، نقر بها ، ونحدث بها بلا كيف .

وانظر الى قول ابن زيد ذاك حمّـــاد وحماد الامام الثاني

حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو اسمعيل البصري مولى آل جرير بن حازم ، وكان جده درهم من سبي سجستان . روى عن أنس ابن سيرين ، وثابت البناني ، وحميد الطويل ، وأبي حازم مسلمة بن دينار ، وعمرو بن دينار ، وأبي جمرة نصر بن عمران الضبعي ، وهشام بن عروة ، ويحي بن سعيد الانصاري ، وهؤلاء كلهم تابعيون في جماعة آخرين . وعنه الاسود بن عامر شاذان ، وسعيد بن منصور ، وسفيان الثوري ، وهو أكبر منه ، وسفيان بن عيينة ، وهو من أقرانه ، وعبد الله بن المبارك ،

---

(١) اخرجه الشيخان .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن» . ورواه احمد في« مسنده» أيضاً .

وعبدالله بن وهب ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعلي بن المديني ، ووكيع والهيثم بن سهل التستري ، وهو آخر من روى عنه . قال عبد الرحمن بن مهدي : أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان الثوري في الكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة . وقال : لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد . وقال مرة : مارأيت بالبصرة أفقه منه . وقال أحمد بن حنبل : حماد بن زيد أحب الينا من عبد الوارث ، حماد بن زيد من أئمة المسلمين من اهل الدين والاسلام ، وهو أحب الي من حماد بن سلمة . وقال أحمد بن سعيد الدارمي : سمعت أبا عاصم يقول : مات حماد بن زيد يوم مات ، ولا أعلم له في الاسلام نظيراً فيما أظنه . قال : وسمعته وكان عبد الله بن المبارك ينشد

ايها الطالب علماً	إئت حماد بن زيد
فخذ العلم بحلم	ثم قيده بقيد
لا كثور وكجهم	وكعمرو بن عبيد

مات سنة تسع وستين ومائة[1] ، قاله جماعة ، منهم عارم ، والفلاس . زاد عارم : يوم الجمعة لعشر ليال خلون من رمضان . روى له الأئمة الستة . قال عبد الرحمن ابن ابي حاتم الرازي الحافظ في كتاب «الرد على الجهمية» ثنا أبي ، ثنا سليمان بن حرب ، سمعت حماد بن زيد يقول : إنما يدورون على أن يقولوا : ليس في السماء اله ، يعني الجهمية .

قوله : وحماد الامام الثاني ، وهو حماد بن سلمة بن دينار الامام العالم أبو سلمة البصري ، عن أبي عمران الجوني ، وثابت ، وابن مليك ،

(١) في « تهذيب التهذيب » مات سنة (١٧٩) .

وعبدالله بن كثير ، وخلق . وعنه مالك ، وشعبة ، وسفيان ، وابن مهدي ، وعارم ، وعفان ، وأمم . وكان ثقة ، له أوهام . قال أحمد : هو أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل ، وأثبتهم فيه . وقال ابن معين : هو أعلم الناس بثابت . وقال آخر : إذا رأيت الرجـــل يقع في حماد فاتهمه على الاسلام . قال علي بن المديني : كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث . وقال عمرو بن سلمة : كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث . وقال ابن المبارك : مارأيت أحداً كان أشبه بمالك الأول من حماد بن زيد . وروى الكوسج عن ابن معين : ثقة . وقال آخر : كان من الابدال ، وعلامة الابدال أن لا يولد لهم ، تزوج سبعين امرأة فلم يولد له قال أبو عمرو الجرمي : مارأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث إلا حماد ابن سلمة . وقال عفان : رأيت من هـــو أعبد من حماد ، لكن مارأيت أشد مواظبة على الخير ، وقراءة القرآن ، والعمل لله منه ، ولو قلت : انني ما رأيته ضاحكاً قط صدقت ، كان مشغولاً بنفسه ، إما يقرأ ، أو يسبح ، أو يحدث ، أو يصلي . وقال ابن مهدي : لو قيل لحماد : إنك تموت غداً ماقـــدر أن يزيد في عمله شيئاً . وقال يونس المؤدب : مات حماد في المسجد ، وهو يصلي . وقال ابن حبان : لم ينصف من جانب حديث حماد ، واحتج بأبي بكر ابن عياش ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن دينار ، وكان خزازاً ، من العباد المجابي الدعوة . وقال وهيب : كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا . وقال عفان : اختلف أصحابنا في سعيد بن أبي عروبة ، وحماد بن سلمة ، فصرنا الى خالد بن الحارث ، فسألناه فقال : حماد أحسنها حديثاً ، وأثبتها لزوماً للسنة ، فرجعنا الى يحيى القطان فأخبرناه فقال : أقال لكم : وأحفظها ؟ قلنا : لا . وقال أحمد : ويحيى ثقة . وقال ابن المديني : من

سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه . وقال رجل لعفان : أحدثك عن حماد قال : من حماد ويلك ؟ قال : ابن سلمة . قال : ألا تقول: أمير المؤمنين ؟ مات حماد رحمه الله تعالى سنة ١٦٧ سبع وستين ومائة[١]. انتهى ملخصاً من « الميزان » للذهبي رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله علم الهدى   عثمان ذاك الدارمي الرباني

في نقضه والرد يا لهما كتا   با سنة وهما لنا علمان

هدمت قواعد فرقة جهمية   خرّت[٢] سقوفهم على الحيطان

أي : وانظر الى ما قاله الامام العلامة عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المسمى : « رد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد » ، وكتاب « الرد على الجهمية » فانهما كتابان حافلان بنقض شبهات الجهمية ، وقمع أضاليلهم ، وقطع أباطيلهم ، فرحمه الله من إمام .

وانظر الى ما في صحيح محمد   ذاك البخاريّ العظيم الشان

من رده ما قاله الجهمي بالنـ   ـقل الصحيح الواضح البرهان

وانظر الى تلك التراجم ما الذي   في ضمنها ان كنت ذا عرفان

وانظر الى ما قاله الطبري في الشـ   ـرح الذي هو عندكم سفران

أعني الفقيه الشافعي اللا   لكائي المسدد ناصر الايمان

أي : وانظر الى ما قاله أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي الطبري في كتاب « شرح اعتقاد أهل السنة » وهو مجلد ضخم . قال : الامام

(١) في الاصل : ١٦٩ ، والتصحيح من « الميزان » للذهبي .

(٢) في الاصل : فخرت .

الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري الشافعي مصنف كتاب « شرح اعتقاد أهل السنه » سياق ما روي في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وإن الله على عرشه . قال الله عز وجل (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (أأمنتم من في السماء) الملك : ١٦ وقـــال : (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ١٨، ٦١ فدلت هـــذه الآيات أنه في السماء ، وعلمه بكل مكان . روي ذلك عن عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وام سلمة : ومن التابعين : ربيعة ، وسليمان التيمي ، ومقاتل بن حيان ، وبه قال مالك ، والثوري ، وأحمد .

وانظر الى ما قاله علم الهدى الـــتميمي في إيضاحه وبيان
ذاك الذي هو صاحب الترغيب والـــترهيب ممدوح بكل لسان

قال : الامام الحافظ ابو القاسم إسماعيل بن محمـــد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني مصنف « الترغيب والترهيب » ، وقد سئل عن صفات الرب فقال : مذهب مالك ، والثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وحماد ابن سلمة ، وحماد بن زيد ، وأحمد ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن ابن مهدي ، واسحاق بن راهويه : أن صفات الله التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ، من السمع ، والبصر ، والوجه ، واليدين ، وسائر أوصافه ، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور من غير كيف يتوهم فيها ، ولا تشبيه ، ولا تأويل . قال ابن عيينة : كل شيء وصف الله به نفسه ، فقراءته تفسيره ، ثم قال : أي : هو على ظاهره لا يجوز صرفه الى المجاز بنوع من التأويل . وقال رحمه الله تعالى في كتاب « الحجة » : قال علماء السنة : إن الله عز وجل على عرشه ، بائن من خلقه . وقالت المعتزلة : وهو بذاته

في كل مكان . قال : وروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم) المجادلة : ٧ قال : هو على عرشه ، وعلمه في كل مكان . قال : وزعم هؤلاء أن معني (الرحمن على العرش استوى) طه : ٢٥ أي ملكه ، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة ، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه . قال أهل السنة : استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص ، وليس معناه المماسة ، بل هو مستو على عرشه بلا كيف ، كما أخبر عن نفسه . قال : وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الاشارة الى الله بالرؤوس ، والأصابع الى فوق ، فان ذلك يوجب التحديد ، وأجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن ، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة ، لا علو الذات ، وعند المسلمين أن لله علو الغلبة ، والعلو من سائر وجوه العلو ، لأن صفة العلو صفة مدح ، فثبت أن لله تعـــالى علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر ، والغلبة . وفي منعهم الاشارة الى الله من جهة الفوق ، خلاف [١] لسائر الملل ، لأن المسلمين وقع منهم الاجماع على الاشارة الى الله من جهة الفوق ، في الدعاء ، والسؤال ، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة . وقد أخبر عن فرعون أنـه قال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه كان يثبت إلهاً فوق السماء ، حتى رام بصرحه أن يطلع اليه ، واتهم موسى بالكذب في ذلك ، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهماً من فرعون ، بل وأضل ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه حكم بايمان الجارية حين قالت : إن الله في السماء ، وحكم الجهمي

---

(١) في الاصل : خلافاً .

يكفر من يقول ذلك . انتهى كلام أبي القاسم رحمه الله تعالى. توفي سنة ٥٣٥

قال الناظم :

وانظر الى ما قالــه في السنة الكبرى سليمان هو الطبراني

صنف الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي نزيل أصبهان كتاب « السنة » قال فيه : باب ماجاء في استواء الله على عرشه ، بائن من خلقه ، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي . قلت : يارسول الله ، أين كان ربنا ؟ وحديث عبد الله بن خليفة عن عمر في علو الرب على عرشه ، وحديث الأوعال[1] وأن العرش على ظهورهن ، وأن الله فوقه . وقول مجاهد في المقام المحمود توفي رحمه الله سنة ٣٦٠ ستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله شيخ الهدى يدعى بطلمنكيهم ذو شان

قال الحافظ الامام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبــد الله الأندلسي الطلمنكي المالكي في كتاب « الوصول الى معرفة الاصول » وهو مجلدان : أجمع المسلمون من أهل السنة ، على أن معنى قوله تعالى :(وهو معكم أينما كنتم) الحديد : ٤ ونحو ذلك من القرآن ، أنه علمه ، وان الله تعالى فوق السموات بذاته ، مستو على عرشه كيف شاء . وقال أهل السنة في قوله (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ ان الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة ، لا على المجاز ، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية : لايجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة ، ويسمى بها المخلوق ، فنفوا عن الله الحقائق

---

(١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث غريب» وابو داود رقم (٤٧٢٣) وفي سنده عبد الله بن عميرة ، قال الحافظ الذهبي : فيه جهالة وفيه أيضاً (الوليد بن أبي ثور) قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب» ضعيف .

من أسمائه ، وأثبتوها لخلقه ، فاذا سئلوا : ما الذي حملهم على هذا الزيغ ؟ قالوا : الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه ، قلنا : هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها ، لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يشتبه بالتسمية ، وانما تشتبه الأشياء بأنفسها ، أو بهيئات فيها ، كالبياض بالبياض ، والسواد بالسواد ، والطويل بالطويل ، والقصير بالقصير ، ولو كانت الأشياء توجب اشتباهاً ، لاشتبهت الأشياء كلها ، لعموم اسم الشيء لهـا ، وعموم تسمية الاشياء به ، فنسألهم : أتقولون : إن الله موجود ؟ فان قالوا : نعم . قيل لهم : يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهاً للموجودين ، وإن قالوا : موجود ، ولايوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات . قلنا : فكذلك هو ، حي ، عالم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متكلم . يعني ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات .

كان الطلمنكي من كبار الحفاظ ، وأئمة القراء بالأندلس ، عاش بضعاً وثمانين سنة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

وانظر الى قول الطحاوي الرضى وأجره من تحريف ذي بهتان

قال الامام عالم الديار المصرية في وقته أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي رحمه الله « في العقيدة التي ألفها »[١] (في) ذكر بيان (عقيدة أهل) السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة : أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ، رضي الله عنهم : نقول في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، وأن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ،

(١) وقد قمنا قريباً بطبعها مع شرحها طبعة جيدة محققة .

وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ، ليس بمخلوق ، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، والرؤية لأهل الجنة حق ، بغير احاطة ، ولا كيفية ، وكل مافي ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ، ولايثبت قدم الاسلام الا على التسليم والاستسلام ، فمن رام ما حظر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصحيح الايمان ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه ، زل ، ولم يصب التنزيه . . الى ان قال : والعرش والكرسي حق ، كما بين في كتابه ، وهو مستغن عن العرش ، ومادونه محيط بكل شيء ، وفوقه . انتهى .

وكذلك القاضي أبو بكر هو ابـــن الباقلاني قائد الفرسان

قد قال في تمهيده ورسائل | والشرح مافيه جلي بيان

في بعضها حقاً على العرش استوى | لكنه استولى على الأكوان

وأتى بتقرير العلو وأبطل الـــلام التي زيدت على القرآن

من أوجه شتى وذا في كتبه | باد لمن كانت له عينان

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري في كتابه « التمهيد في أصول الدين » وهو من أشهر كتبه : فان قال قائل : فهل تقولون : إنه في كل مكان ؟ قيل : معاذ الله ، بل هو مستو على عرشه ، كما أخبر في كتابه . فقال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقال : (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك : ١٦ ولو كان في كل مكان ، لكان في جوف الأنسان ، وفي فمه ، وفي الحشوش ، والمواضع القذوة التي يرغب عن ذكرها ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ثم قـــال ،

تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الزخرف : ٨٤ المراد أنه إله عند أهل السماء ، وإله عند أهل الأرض ، كما يقال : فلان سيد مطاع في المصرين ؛ أي : عند أهلهما ، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز ، وبالعراق موجودة .

وقوله : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) النحل : ١٢٨ يعني بالحفظ والنصر والتأييد ، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى ، وقوله : (إنني معكما أسمع وأرى) طه : ٤٦ محمول على هذا التأويل .

وقوله : (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ إنه عالم بهم ، وبما خفي من سرهم ونجواهم ، وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن ، فلا يجوز أن يقال قياساً على هذا : إن الله بالقيروان ، ومدينة السلام ، ودمشق ، وإنه مع الثور ، والحمار ، وإنه مع الفساق ، ومع المصعدين الى حلوان ، قياساً على قوله : (إن الله مع الذين اتقوا) النحل : ١٢٨ فوجب التأويل على ما وصفنا ، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً .

وقوله : (ثم استوى): يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فبطل ما قالوه . وقال في كتاب « الذب عن أبي الحسن الأشعري » كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله ، إذا صح من إثبات اليدين ، والوجه ، والعينين . ونقول : إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام ، وإنه ينزل الى السماء الدنيا ، وإنه مستو على عرشه ... الى أن

قال : وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة ، أن هـــذه الصفات تمر كما جاءت « بغير تكييف ، ولا تحديد ، ولا تجنيس ، ولا تصوير ، كما روي عن الزهري، وعن مالك في الاستواء، فمن تجاوز هذا فقد تعدى ، وابتدع ، وضل .

قال الحافظ الذهبي : فهذا نفس هذا الامام ، وأين مثله في تبحره ، وذكائه، وبصره بالملل والنحل ، فلقد امتلأ الوجـــود بقوم لايدرون ما السلف ، ولا يعرفون الا السلب ، ونفي الصفات وردها ، صم بـــكم غنم عجم ، يدعون الى العقل ، ولايكونون على النقل ، فانا لله وانا إليه راجعون .

مات القاضي أبو بكر رحمه الله في سنة ثلاث وأربعمائة وهو في عشر السبعين، وقد سارت بمصنفاته الركبان

وانظر الى قول ابن كلاّب وما	يقضي بـــه لمعطل الرحمن
أُخرج من النقل الصحيح وعقله	من قال قول الزور والبهتان
ليس الإله بداخل في خلقه	أَو خارج من جملة الاكوان

قد تقدم نقل كلام ابن كلاب بما يغني عن الاعادة .

وانظر الى ما قاله الطبري في الـــتفسير	والتهذيب قول معان
وانظر الى ما قاله في سورة الأعـــراف	مع طه ومع سبحان

أي وانظر الى ما قاله الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطـــبري في « تفسيره » وفي «تهذيب الآثار » قال الذهبي في كتاب « العلو » : أخبرنا أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر ، أنبأ زين الأمناء الحسن بن محمد ، أنبأ أبو القاسم الأسدي ، أنبأنا أبو القاسم ابن أبي العلاء ، أنبأ عبد الرحمن ابن

أبي نصر ، أنبأ أبو سعيد الدينوري مستملي محمد بن جرير ، قال : قرئ على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأنا أسمع في عقيدته ، قال : وحسب امرىء أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى ، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر. انتهى. «تفسير ابن جرير» مشحون بأقوال السلف على الاثبات، نقل في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) البقرة : ٢٩ عن الربيع بن أنس (استوى) : بمعنى ارتفع ، ونقــل في تفسير (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ في المواضع كلها ؛ أي: علا وارتفع . وقد روى قول مجاهد ، ثم قال : ليس في فرق الاسلام من ينكر هذا ، لا من يقر أن الله فوق العرش ، ولا من ينكره من الجهمية ونحوهم . وقال في كتاب « التبصير في معالم الدين » : القول فيما أدرك علمه من الصفات خبراً ، وذلك نحو اخباره عز وجل أنه سميع بصير ، وأن له يدين بقوله : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له وجهاً بقوله : (ويبقى وجه ربك) الرحمن : ٢٧ وان له قدماً بقول النبي ﷺ « حتى يضع الرب فيها قدمه »[١] وأنه يضحك بقوله : « لقي الله وهو يضحك إليه »[٢] وأنه يهبط الى سماء الدنيا ، لخبر

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فتقول : قط قط » ورواه أحمد ومسلم عن انس ايضاً بلفظ « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ، حتى حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها الى بعض وتقول: قط قط ».

(٢) روى البخاري في « صحيحه » عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد ».

رسول الله ﷺ بذلك[١] وأن له أصبعاً بقول رسوله : « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن »[٢] فان هـــذه المعاني التي وصفت ، ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله ، مالا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية ، لانكفر بالجهل بها أحداً الا بعد انتهائها اليه . أخرج هذا الكلام لابن جرير القاضي أبو يعلى في كتاب « إبطال التأويل » له. وقال في قوله عز وجل : (وقـــال فرعون ياهامان ابن لي صرحـــاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ يقول : وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي أن له رباً في السماء أرسله إلينا . توفي ابن جرير رحمه الله سنة ٣١٠ عشر وثلاثمائة .

وانظر الى ماقاله البغوي في تفسيره والشرح بالاحسان
في سورة الأعراف عند الاستوا فيها وفي الأولى من القرآن

قال الامام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره عند قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ قـــال الكلبي

---

(١) أخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » .

(٢) رواه أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح ، وأقره الذهبي . وقال الحافظ العراقي : وسنده جيـــد . ورواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك » .

ومقاتل : استقر . وقال ابو عبيدة : صعد . وأولت المعـــتزلة الاستواء بالاستيلاء . وأما أهل السنة ، فيقولون : الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، يجب الايمان به . وقال في قوله (ثم استوى إلى السماء) البقرة :٢٩ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : ارتفع إلى السماء . وقال في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) البقرة : ٢١٠ الأولى في هذه الآية وماشاكلها ، أن يؤمن الانسان بظاهرها ، ويكل علمها الى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحـــدث ، على ذلك مضت السلف ، وعلماء السنة . وقال في قوله : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ ، أي : من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم .

كان محيي السنة من كبار أئمة مذهب الشافعية، وهو الحسين بن مسعود ابن محمد أبو محمد البغوي صاحب «التفسير » و « شرح السنة » و «التهذيب » في الفقة و « الجمع بين الصحيحين » و « المصابيح » في الصحاح والحسان ، وغير ذلك . تفقه على القاضي حسين ، وبرع في هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان ديناً ، ورعاً ، زاهداً ، عابداً صالحاً . توفي في شوال سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسمائة . وقيل : سنة عشر .

وانظر الى ما قاله ذو سنة وقراءة ذاك الامام الداني

قال الحافظ امام القراء أبو عمرو ، عثمان بن سعيد[١] الداني صاحب «التيسير» في أرجوزته التي في عقود الديانة .

كلم موسى عبده تكليما	ولم يزل مدبراً حكيما
كلامه وقوله قديم	وهو فوق عرشـــه عظيم

---

(١) في الاصل : سعد ، وهو خطأ .

والقول في كتابه المفضل　　بأنه كلامه المنزل

على رسوله النبي الصادق　　ليس بمخلوق ولا بخالق

توفي الداني رحمه الله في شوال سنة ٤٤٤ أربع واربعين وأربعمائة ، بـ « دانية » من الاندلس ، ومشى السلطان أمام نعشه .

وكذاك سنة الاصبهاني أبي الشيخ الرضى المستل من حيان

قال محدث أصبهان ـ مع الطبراني ـ أبو محمد ابن حيان رحمه الله في كتاب « العظمة » له : ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه ، وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه ، ثم ساق جملة من الاحاديث في ذلك. أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، صاحب المصنفات السائرة ، ويعرف بأبي الشيخ . ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ، وسمع في سنة أربع وثمانين وهلم جرا ، وكتب العالي والنازل ، ولقي الكبار ، وسمع من جده لأمه الزاهد محمود بن الفرج ، وابراهيم بن سعدان ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن حفص الهمداني ، رئيس أصبهان ، وأبي بكر ابن أبي عاصم ، وأبي يعلى الموصلي ، وأبي عروبة الحراني ، وكان مع سعة علمه وغزارة حفظه ، صالحاً ، خيراً ، قانتاً لله ، صدوقاً ، حدث عنه أبو بكر ، أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي ، وأبو بكر ابن مردويه ، وأبو سعيد الماليني ، وأبو نعيم ، والفضل بن محمد القاشاني ، وأبو طاهر بن عبد الرحيم الكاتب ، وخلق كثير . قال ابن مردويه : ثقة مأمون ، صنف « التفسير » ، والكتب الكثيرة في الأحكام ، وغير ذلك . وقال أبو بكر الخطيب : كان حافظاً ، ثبتاً ، متقناً . وروي عن بعض العلماء قال : ما دخلت على الطبراني إلا وهو يمزح أو يضحك ، وما دخلت على أبي الشيخ إلا وهو يصلي . قال أبو نعيم :

كان أحد الاعلام صنف «الأحكام» و«التفسير» ، وكان يفيد عن الشيوخ ، ويصنف لهم ستين سنة ، وكان ثقة . قال الذهبي : وله كتاب « السنة » وكتاب « فضائل الأعمال » و « السنة الكبير » وكان إماماً في الحديث ، رفيع الاسناد . توفي سنة ٣٦٩ تسع وستين وثلاثمائة وهو في عشر المائة .

وانظر ما قاله ابن سريج ذاك البحر الخضم الشافعي الثاني

سريج : بضم السين وفتح الراء وبعدها ياء ثم جيم ، وهو أبو العباس ، أحمد بن عمر بن سريج ، فقيه العراق . قال أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني : سألت أيدك الله بيان ماصح لدي من مذهب السلف ، وصالحي الخلف في الصفات ، فاستخرت الله تعالى ، وأجبت بجواب الفقيه أحمد بن عمر بن سريج رحمه الله ، وقد سئل عن هذا ، ذكره أبو سعيد عبد الواحد بن محمد الفقيه ، قال: سمعت بعض شيوخنا يقول : سئل ابن سريج رحمه الله عن صفات الله تعالى ، فقال : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الالباب أن تصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ، وقد صح عند جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا هذا ، أن جميع الآي ، والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ ، يجب على المسلمين الايمان بكل واحد منه كما ورد ، وأن السؤال عن معانيها بدعة ، والجواب كفر وزندقة ، مثل قوله : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقوله : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ ونظائرها مما نطق به القرآن ، كالفوقية ، والنفس ، واليدين ، والسمع ، والبصر ، وصعود الكلم اليه ، والضحك ، والتعجب ، والنزول .. الى أن قال : اعتقادنا فيه وفي

الآي المتشابه في القرآن ، أن نقبلها ، ولا نردها ، ولا نتأولها بتأويل المخالفين ، ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ، ونسلم الخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها .

كان ابن سريج اليه المنتهى في معرفة المذهب، بحيث أنه كان (يفضل) على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني . قال الامام أبو اسحاق صاحب « التنبيه » سمعت أبا الحسن الشيرجي يقول : إن فهرست كتب أبي العباس تشتمل على أربعمائة مصنف، وكان العلامة أبو حامد الاسفرايني يقول : نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون الدقاق . توفي سنة ٣٠٦ ست وثلاثمائة رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله علم الهدى أعني أبا الخير الرضى النعمان

وكتابه في الفقه وهو بيانه يبدي مكانته من الايمان

قال الناظم في « الجيوش الاسلامية »[١] له كتاب لطيف في السنة على مذهب أهل الحديث ، صرح فيه في مسألة الفوقية ، والعلو ، والاستواء حقيقة ، وتكلم الله عز وجل بهذا القرآن العربي المسموع بالآذان حقيقة ، وأن جبريل عليه السلام سمعه من الله سبحانه حقيقة ، وصرح فيه باثبات الصفات الخبرية ، واحتج لذلك ونصره ، وصرح بمخالفة الجهمية والنفاة .

وانظر الى السنن التي قد صنف العلماء بالآثار والقرآن

زادت على المائتين منها مفرد أوفى من الخمسين في الحسبان

---

(١) هو كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية في غزو المعطلة والجهمية » للناظم ابن القيم رحمه الله تعالى .

منها لأُحمد عـدة موجودة | فينا رسائله الى الاخوان
واللائي في ضمن التصانيف التي | شهرت فلم تحتج الى حسبان
فكثيرة جداً فمن يك راغباً | فيها يجد فيها هدى الحيوان
أصحابها هم حافظو الاسلام لا | أصحاب جهم حافظو الكفران
وهم النجوم لكل عبد سائر | يبغي الإله وجنة الحيوان
وسواهم والله قطاع الطريـــق أئمة تدعو الى النيران
مافي الذين حكيت عنهم آنفاً | من حنبلي واحد بضمان
بل كلهم والله شيعة أحمد | فأصوله وأصولهم سيان

أقول : في كلامه نظر ، فان عبـــد الله ابن أبي داود ، والأثرم ، والخلال ، وعبدالله ابن الامام أحمد ، وحرب الكرماني ، كلهم معدودون من الحنابلة ، والأصحاب يذكرونهم في «طبقات الحنابلة» وهو رحمه الله قد حكى كلام المذكورين . وهؤلاء وان لم يكونوا متبعين للامام أحمد على سبيل التقليد الصرف ، فهم يعدون في الحنابلة ، والله أعلم .

قوله :

منها لأحمد عدة موجودة | فينا رسائله الى الاخوان

منها رسالته الى مسدد بن مسرهد وغيرها ، وهي مذكورة في « مناقب الامام أحمد » لابن الجوزي .

وبذاك في كتب لهم قد صرحوا | وأخو العماية ماله عينان

أتظنهم لفظية جهلية ... مثل الحمير تقاد بالارسان

حاشوهمُ من ذاك بل والله هم ... أهل العقول وصحة الاذهان

فانظر الى تقريرهم لعلوه ... بالنقل والمعقول والبرهان

عقلان عقل بالنصوص مؤيد ... ومؤيد بالمنطق اليونان

والله ما استويا ولن يتلاقيا ... حتى تشيب مفارق الغربان

أفتقذفون أولاء بل أضعافِهم ... من سادة العلماء كل زمان

بالجهل والتشبيه والتجسيم والـ ... تبديع والتضليل والبهتان

ياقومنا ألله في إسلامكم ... لا تفسدوه بنخوة الشيطان

ياقومنا اعتبروا بمصرع من خلا ... من قبلكم في هذه الأزمان

لم يغن عنهم كذبهم ومحالهم ... وقتالهم بالزور والبهتان

كلا ولا التدليس والتلبيس عـند ... الناس والحكام والسلطان

وبدالهم عند انكشاف غطائهم ... مالم يكن للقوم في حسبان

وبدالهم عند انكشاف حقائق الـ ... ايمان أنهم على البطلان

ما عندهم والله غير شكاية ... فأتوا بعلم وانطقوا ببيان

ما يشتكي الا الذي هو عاجز ... فاشكوا لنعذركم الى القرآن

ثم اسمعوا ماذا الذي يقضى لكم ... وعليكمُ فالحق في الفرقان

لبّستم معنى النصوص وقولنا   فغدا لكم للحق تلبيسان

من حرّف النص الصريح فكيف لا   يأتي بتحريف على الانسان

ياقوم والله العظيم أساتمُ   بأئمة الاسلام ظن الشان

ما ذنبهم ونبيهم قد قال ما   قالوا كذاك منزل الفرقان

ما الذنب الا للنصوص لديكم   إذ جسمت بل شبهت صنفان

ما ذنب من قد قال ما نطقت به   من غير تحريف ولا عدوان

هذا كما قال الخبيث لصحبه   كلب الروافض أخبث الحيوان

لما أفاضوا في حديث الرفض عند القبر لاتخشون من إنسان

ياقوم أصل بلائكم ومصابكم   من صاحب القبر الذي تريان

كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا   يثني عليه ثناء ذي شكران

ويقول في مرض الوفاة يؤمكم   عني أبو بكر بلا روغان

ويظل يمنع من إمامة غيره   حتى يرى في صورة الغضبان

ويقول لو كنت الخليل لواحد   في الناس كان هو الخليل الداني

لكنه الأخ والرفيق وصاحبي   وله علينا منة الاحسان

ويقول للصديق يوم الغار لا   تحزن فنحن ثلاثة لا اثنان

الله ثالثنا وتلك فضيلة   ما حازها إلا فتى عثمان

يا قوم ما ذنب النواصب بعد ذا ... لم يدهكم إلا كبير الشان
فتفرقت تلك الروافض كلهم ... قد أطبقت أسنانه الشفتان
وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم ... فهما رضيعا كفرهم بلبان
ثوبان قد نسجا على المنوال يا ... عريان لا تلبس فما ثوبان
والله شـــر منهما فهما على ... أهل الضلالة والشقا علمان

أقول : لم أقف على تعيين هذا الرافضي الذي قال هذا القول ، والمعنى أن هذا الرافضي قال لأصحابه لما أفاضوا في حديثهم عند القبر المكرم ﷺ : يا قوم أصل بلائكم ومصابكم من صاحب هذا القبر ، لأنه كم قدم ابن أبي قحافة ، يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ويثني عليه ، ويقول في مرض موته : يؤمكم أبو بكر ، ويمنع من إمامة عمر رضي الله عنه ، ويقول : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض »خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا[1] ويقول للصديق يوم الغار « لا تحزن إن الله معنا »[2] وتلك فضيلة ما حازها إلا فتى عثمان ، يعني أبا بكر رضي الله عنه ، فانه عبد الله بن عثمان ، فيقول ذلك الرافضي لأصحابه : ما ذنب النواصب بعد هذا ؛ أي : فان الرسول ﷺ هو الذي قدم أبا بكر ، فلا لوم على النواصب .

قوله : النواصب . قال في « القاموس » : النواصب ، والناصبة وأهل النصب : المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبوا له ، أي : عادوه.

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ « لو كنت متخذاً من أهل الارض خليلا ، لاتخذت ابن ابي قحافة خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله ».

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » في باب : مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر . وجاء في « الصحيحين » و « مسند أحمد » أن أبا بكر قـال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار : لو أن أحدكم نظر تحت قدميه لأبصرنا . فقال : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » .

قولـــه :

وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم ... فهما رضيعا كفرهم بلبان

رضع أمه كسمع وضرب رضعاً، ويحرك، ورضاعاً ورضاعة، ويكسران، ورضعاً، ككتف : امتص ثديها، قاله في «القاموس» واللبان بكسر اللام. قال الأعلم : هو للآدميين . واللبن لغيرهم ، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع . قال ابن السكيت : يقال : هو أخوه بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه ، انما اللبن الذي يشرب . انتهى ؛ أي : فعلى زعم الجهمي لا ذنب للمجسمة ، اذ قالوا بالنصوص الدالة على الاستواء ، والنزول، والمجيء والصفات ، كالوجه ، واليدين ، والقدرة ، والارادة ، والرضى ، والسخط والحب وغيرها مما تقدم .

قوله: أبو قحافة، قال في «القاموس» : (وسيل) قحاف كغراب : (جراف[1]). وبنو قحافة : بطن من خثعم ، وأبو قحافة : عثمان بن عامر ؛ صحابي ، والد الصديق رضي الله عنهما .

فصل

هذا وسابع عشرها أخباره ... سبحانه في محكم القرآن

عن عبده موسى الكليم وحربه ... فرعون ذي التكذيب والطغيان

تكذيبه موسى الكليم بقوله ... الله ربي في السما نبـــاني

(١) أي جارف .

ومن المصائب قولهم إن اعتقا ... د الفوق من فرعون ذي الكفران
فاذا اعتقدتم ذا فأشياع له ... أنتم وذا من أعظم البهتان
فاسمع اذاً من ذا الذي أولى بفر ... عون المعطل جاحد الرحمن
وانظر الى ماجاء في القصص التي ... تحكي مقال امامهم ببيان
والله قد جعل الضلالة قدوة ... بأئمة تدعو الى النيران
فامام كل معطل في نفيه ... فرعون مع نمرود مع هامان
طلب الصعود الى السماء مكذباً ... موسى ورام الصرح بالبنيان
بل قال موسى كاذب في زعمه ... فوق السماء الرب ذو السلطان
فابنوا لي الصرح الرفيع لعلني ... أرقى اليه بحيلة الانسان
وأظن موسى كاذباً في قوله ... الله فوق العرش ذو سلطان
وكذاك كذبه بأن إلهه ... ناداه بالتكليم دون عيان
هو أنكر التكليم والفوقية الـ ... ـعليا كقول الجهم ذي صفوان
فمن الذي أولى بفرعون اذاً ... منا ومنكم بعد ذا التبيان

هذا هو الدليل السابع عشر من أدلة علو الله على خلقه ، وهو أنه سبحانه أخبر عن عبده موسى الكليم ، وعدوه فرعون ، أن فرعون اللعين كذب موسى في قوله : ربي في السماء ، وأنه بنى الصرح ، ورام الصعود الى السماء ، وقال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب

السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنـــه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ في قوله : إن الله في السماء . وقـــد قال ابو الحسن الاشعري في « الابانة » لما ذكر بعض الآيات الدالة على علو الله تعالى على عرشه ، قال : وقال تعالى حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الاسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات . انتهى كلامه .

قوله : ومن المصائب قولهم : إن اعتقاد الفوق من فرعون ذي الكفران الخ ... أي : من المصائب قول النفـــاة : إن اعتقاد العلو هو مذهب فرعون ، فاذا اعتقدتموه فأنتم أشياع له ، وعلى مذهبه ، كما قال بعضهم في تفسير قوله : (وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٧ فيما يقول من أن له رباً في السماء ، وما قال موسى له ذلك قط ، ولكنـه لما قال له : (وما رب العالمين) الشعراء : ٢٣ قال موسى (رب السموات والأرض) الشعراء : ٢٤ ظن باعتقاده الباطل أنه لما لم ير في الأرض ، أنه في السماء ، فرام الصعود الى السماء لرؤية إله موسى . انتهى .

ثم بين الناظم وجه أولويتهم بفرعون ، وأن مذهبه جحد العلو ، فانه طلب الصعود الى السماء مكذباً لموسى ، ورام بناء الصرح ، وقال : أظن موسى كاذباً في زعمه : إن الله فوق السماء ، وكذلك كذب فرعون موسى عليه السلام في قوله : إن الله تعالى ناداه وكلمه ، فكان مذهبه إنكار التكليم والفوقيه ، كقول جهم وأتباعه ، فقد تبين الآن من هو أولى بفرعون ، وان المعطلة أولى به في كل حالة ، والله اعلم .

قال الناظم :

ياقوم والله العظيم لقولنا ... ألف تدل عليه بل ألفان

عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة الـ ... أولى وذوق حلاوة الايمان

كل يدل بأنه سبحانه ... فوق السماء مباين الأكوان

أترون أنا تاركو ذا كله ... لجعاجع التعطيل والهذيان

ياقوم ما أنتم على شيء الى ... أن ترجعوا للوحي بالاذعان

وتحكموه في الجليل ودقه ... تحكيم تسليم مع الرضوان

قد أقسم الله العظيم بنفسه ... قسماً يبين حقيقة الايمان

أن ليس يؤمن من يكون محكما ... غير الرسول الواضح البرهان

بل ليس يؤمن غير من قد حكم الـ ... وحيين حسب فذاك ذو ايمان

هذا وما ذاك المحكم مؤمناً ... إن كان ذا حرج وضيق بطان

هذا وليس بمؤمن حتى يسلم ... للذي يقضي به الوحيان

ياقوم بالله العظيم نشدتكم ... وبحرمة الايمان والقرآن

هل حدثتكم قط أنفسكم بذا ... فسلوا نفوسكم عن الايمان

لكن رب العالمين وجنده ... ورسوله المبعوث بالقرآن

هم يشهدون بأنكم أعداء من ... ذا شأنه ابداً بكل زمان

ولأي شيء كان أحمد خصمكم ... أعني ابن حنبل الرضى الشيباني

ولأيّ شيء كان بعد خصومكم أهل الحديث وعسكر القرآن
ولأيّ شيء كان أيضاً خصمكم شيخ الوجود العالم الحراني
أعني أبا العباس ناصر سنة الـــمختار قامع سنة الشيطان
والله لم يك ذنبه شيئاً سوى تجريـــده لحقيقة الايمان
إذ جرد التوحيد عن شرك كذا تجريـده للوحي عن بهتان
فتجرد المقصود عن قصد له فلذاك لم ينضف الى انسان
ما منهمُ أحد دعا لمقالة غير الحديث ومقتضي الفرقان
فالقوم لم يدعوا الى غير الهدى ودعوتم أنتم لرأي فـلان
شتان بين الدعوتين فحسبكم يا قوم ما بكمُ من الخذلان
قالوا لنا لما دعوناهم الى هذا مقـالة ذي هوى ملآن
ذهبت مقادير الشيوخ وحرمة الـــعلماء بل عبرتهم العينـان
وتركتمُ أقوالهم هدراً وما أصغت اليها منكم أذنان
لكن حفظنا نحن حرمتهم ولم نعد الذي قالوه قدر بنان
ياقوم والله العظيم كذبتمُ وأتيتمُ بالزور والبهتـــان
ونسبتم العلماء للأمر الذي هم منه أهل براءة وأمـــان
والله ما أوصوكم أن تتركوا قول الرسول لقولهم بلسان

كلا ولا في كتبهم هذا بلا ... بالعكس أوصوكم بلا كتمان

إذ قد أحاط العلم منهم أنهم ... ليسوا بمعصومين بالبرهان

كلا وما منهم أحاط بكل ما ... قد قاله المبعوث بالقرآن

فلذاك أوصوكم بأن لا تجعلوا ... أقوالهم كالنص في الميزان

لكن زنوها بالنصوص فان توا ... فقها فتلك صحيحة الأوزان

لكنكم قدمتم أقوالهم ... أبداً على النص العظيم الشان

والله لا لوصية العلماء نفـــذتم ولا لوصية الرحمن

وركبتم الجهلين ثم تركتم النـــصين مع ظلم ومع عدوان

قلنا لكم فتعلّموا قلتم أمـــا ... نحن الأئمة فاضلو الأزمان

من أين والعلماء أنتم فاستحوا ... أين النجوم من الثرى التحتاني

لم يشبه العلمـــاء الا أنتم ... أشبهتم العلماء في الأذقان

والله لا عـــلم ولا دين ولا ... عقل ولا بمروءة الانسان

عاملتم العلمـــاء حين دعوكمُ ... للحق بل بالبغي والعدوان

إن أنتم الا الذباب اذا رأى ... طعماً فيالمســاقط الذبان

واذا رأى فزعاً تطاير قلبه ... مثل البغاث يساق بالعقبان

وإذا دعوناكم الى البرهان كا ... ن جوابكم جهلاً بلا برهان

نحن المقلدة الألى ألفوا كذا آباءهم في سالف الأزمان

قلنا فكيف تكفّرون ومالكم علم بتكفير ولا ايمان

اذ أجمع العلماء أن مقلداً للناس كالأعمى هما أخوان

والعلم معرفة الهدى بدليله ماذاك والتقليد مستويان

حرنا بكم والله لا أنتم مع الـعلماء تنقادون للبرهان

كلا ولا متعلمون فمن ترى تدعوه نحسبكم من الثيران

لكنها والله أنفع منكم للارض في حرث وفي دوران

نالت بهم خيراً ونالت منكم الـمعهود من بغي ومن عدوان

فمن الذي خير وأنفع للورى أنتم أم الثيران بالبرهان؟

شرع الناظم رحمه الله في ذكر الأدلة الدالة على ثبوت العلو إجمالاً ، فقال : ياقوم والله العظيم لقولنا الخ . . أي أن الدلائل الدالة على علوه تعالى على خلقه ، ومباينته لهم ، من المعقول والمنقول والفطرة ، ألف دليل ، بل ألفا دليل ، وذلك ظاهر بحمد الله لمن تتبعه . ثم شرع في بيان وجوب تحكيم الرسول ﷺ في الدق والجل ، والتسليم له ، والرضى بحكمه ، كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيم شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ قال الناظم رحمه الله في تفسير هذه الآية : أقسم سبحانه بأجل مقسم به ، وهو نفسه عز وجل ، على أنه لا يثبت لهم الايمان ، ولا يكونون من أهله حتى يحكموا رسوله

ﷺ في جميع موارد النزاع ، في جميع أبواب الدين ، فان لفظة (ما) من صيغ العموم ، ولم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه ، بحيث لايجدون في أنفسهم حرجاً ، وهو الضيق والحصر من حكمه ، بل يقبلون حكمه بالانشراح ، ويقابلونه بالقبول ، لا يأخذونه عن اغماض ، ويشربونه على قذى ، فإن هذا مناف للايمان ، بل لا بد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح ، ومتى أراد العبد شاهداً فلينظر في حاله ، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار ومادونها ، بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، فسبحان الله ،كم من حزازة في نفوس كثير من النصوص ، وبودهم أن لوترد،وكم من حرارة في أكبادهم منها ، وكم من شجى فيحلوقهم من موردها ، ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم اليه قوله : (ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ فذكر الفعل مؤكداً له بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع والانقياد لما حكم به طوعاً ورضى وتسليماً ، لاقهراً ومصابرة ، كما يسلم المقهور لمن قهره كرهاً ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء اليه ، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه . انتهى

قوله : ولأي شيء كان أيضاً خصمكم شيخ الوجود الخ . يعني شيخ الاسلام أبا العباس ابن تيمية رحمه الله ، ثم أقسم أنــــه لا ذنب له سوى تجريده لحقيقة الايمان .

قوله : إذ جرد التوحيد عن شرك الخ ؛ أي : أنه رحمـــه الله جرد التوحيد عن الشرك ، وجرد الوحي عن البهتان والكذب ، وكذلك سائر العلماء الربانيين لم يدعوا إلى اتباع غير الهدى ، وأما أنتم فدعوتم الى الآراء

المتناقضة ، والأقوال المتهافتة ، وهي أقوال الرجال التي ماأنزل الله بها من سلطان .

قوله : ونسبتم العلماء الأمر الذي الخ . أي : أن العلماء رحمهم الله ، كالأئمة الأربعة وغيرهم ، أوصوكم باتباع الكتاب والسنة ، وترك أقوالهم إذا خالفت كتاب الله وسنة رسوله ، كما قال الشافعي رحمه الله : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

وروى البيهقي في « السنن » عن الشافعي أنه قال : إذا قلت قولاً وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي ، فما يصح من حديث رسول الله ﷺ أولى ، فلا تقلدوني .

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ماقلت . وتواتر عنه أنه قال : إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط .

وقال مالك : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ .

وقال أبو حنيفة : اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ ، فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن الصحابة ، فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال .

وفي « روضة العلماء » سئل أبو حنيفة : اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه؟ قال : اتركوا قولي لكتاب الله . قيل : اذا كان قول رسول الله يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لخبر الرسول الله ﷺ . قيل : اذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة .

وقال ابو طالب عن الامام احمد . وقيل له : إن قوماً يدعون الحديث

ويذهبون الى رأي سفيان ، فقال : أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته ، يدعونه ويذهبون الى رأي سفيان وغيره . قال الله : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الكفر . قال الله تعالى : (والفتنة أكبر من القتل) البقرة : ٢١٧ فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ ، وتغلبهم أهواؤهم الى الرأي . ذكر ذلك شيخ الاسلام .

وقال الامام أحمد رضي الله عنه : لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكاً ، والثوري ، والاوزاعي ، ولكن تعلموا كما تعلمنا .

قوله : اذ أجمع العلماء أن مقلدا الخ . قد نقل هذا الاجماع الحافظ أبو عمر بن عبد البر .

قوله : مثل البغاث . قال الفراء : بغاث الطير ، بفتح الباء وضمها وكسرها : شرارها ومالا يصيد منها ، ثم قيل : هو جمع بغاثة ، وهي اسم للذكر والانثى ، مثل نعامة ، ونعام . وقيل : هو فرد ، وجمعه : بغثان ، كغزال ، وغزلان ، قاله في « مختار الصحاح » . والعقبان ، جمع عقاب بضم العين : طائر معروف .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثامن عشرها تنزيهه سبحانه عن موجب النقصان

وعن العيوب وموجب التمثيل والـ ـتشبيه جل الله ذو السلطان

ولذاك نزه نفسه سبحانه عن أن يكون له شريك ثان
أو أن يكون له ظهير في الورى سبحانه عن إفك ذي بهتان
أو أن يوالي خلقه سبحانه من حاجة أو ذلة وهوان
أوأن يكون لديه أصلا شافع الا باذن الواحد المنان
وكذاك نزه نفسه عن والد وكذاك عن ولدهما نسبان
وكذاك نزه نفسه عن زوجة وكذاك عن كفء يكون مدان
ولقد أتى التنزيه عما لم يقل كي لا يدور بخاطر الانسان
فانظر الى التنزيه عن طعم ولم ينسب اليه قط من انسان
وكذلك التنزيه عن موت وعن نوم وعن سنة وعن غشيان
وكذلك التنزيه عن نسيانه والرب لم ينسب الى نسيان
وكذلك التنزيه عن ظلم وفي الـ أفعال عن عبث وعن بطلان
وكذلك التنزيه عن تعب وعن عجز ينافي قدرة الرحمن

هذا هو الدليل الثامن عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو أنه سبحانه نزه نفسه عن موجب النقصان ، وعما يوجب التمثيل والتشبيه ، ونزه سبحانه نفسه عن الشركة ، وعن أن يكون له ظهير في الورى ، أو أن يشفع عنده أحد الا باذنه ، أو ان يوالي خلقه من حاجة أو ذلة ، وكذا نزه نفسه سبحانه عن الوالد والولد ، والزوجة ، والكفء ، وكذا نزه

نفسه سبحانه عما لم يقل ، أي : نزه نفسه سبحانه عن اشياء لم يقلها أحد فيه تعالى ، كالطعم، والموت ،والنوم ، والسنة ، والغشيان ، والنسيان ، والظلم والتعب ، والعجز ، فاذا كان سبحانه قد نزه نفسه عما يوجب النقص مما قيل وما لم يقل ، ومعلوم أن القول بعلو الله تعالى على خلقه ومباينته لهم ، قد طبقت شرق البلاد وغربها ، فلأي شيء لم ينزه نفسه سبحانه عنها في القرآن؟! وكذا لم ينزه الرسول ربه سبحانه عنها في السنة ، بل دائماً يبدي سبحانه في القرآن اثباتها بأنواع الادلة ، وكذا رسوله ﷺ ، لاسيما وتلك المقالة عند المعطلة ، كعبادة الأوثان ، أو كقول المثلثة عباد الصليب ، وهم النصارى ، فلأي شيء لم يحذر الله تعالى خلقه عنها ، وينزه نفسه عنها كما نزه نفسه عما يوجب النقص او التشبيه والتمثيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد حكى الرحمن قولاً قاله   فنحاص ذو البهتان والكفران

إن الإله هو الفقير ونحن أصـحاب الغنى ذو الجد والامكان

ولذاك أضحى ربنا مستقرضاً   أموالنا سبحان ذي الاحسان

أما قصة فنحاص المذكورة فهي على ماحكى ابن اسحاق في « سيرته » قال: دخل أبو بكر بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناساً كثيراً كانوا قد اجتمعوا الى رجل منهم ، يقال له : فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر من أحبارهم ، يقال له : أشيع . فقال أبو بكر لفنحاص : ويلك يافنحاص ، أسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والانجيل ، فقـــال فنحاص

لأبي بكر: والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر، وانه لفقير، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو بغني، ولو كان غنياً عنا مااستقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً عنا، ما أعطانا الربا. قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده: لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله، فذهب فنحاص الى رسول الله ﷺ، فقال: يامحمد، انظر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر، «ما حملك على ما صنعت؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قد قال قولاً عظيماً، إنه زعم أن الله فقير وهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت بما قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه، وتصديقاً لأبي بكر: (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) آل عمران: ١٨١ وأنزل الله في أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامـــور) آل عمران: ١٨٦ ثم قال في فنحاص وأحبار يهود (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون. لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) آل عمران: ١٨٨،١٧٨ يعني فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبـــار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على مازينوا للناس من الضلالة، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. أي: بقول الناس: علماء وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى وحق، ويحبون أن يقول الناس: قد فعلوا.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحكى مقالة قائل من قومه — أن العزير ابن من الرحمن
هذا وما القولان قط مقالة — منصورة في موضع وزمان

يعني أن الله سبحانه قد حكى قول اليهود: إن عزير ابن الله، كما قال تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله) التوبة : ٣٠ وحكى مقالة فنحاص لعنه الله ، وما القولان منصورين ، فلو كانت المقالة المذكورة وهي اثبات علو الله تعالى على خلقه باطلا لحكاها الله سبحانه ، ونهى عنها ، لاسيما وتلك المقالة عند المعطلة كعبادة الاوثان ، أو كمقالة المثلثة عباد الصليب ، ولم تزل المعطلة ينبزون المثبتة بالالقاب القبيحة ، ويرمونهم بالعظائم والبهت والكذب الفاحش . وقد حكى الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب ، في «طبقات الحنابلة » في ترجمة شيخ الاسلام ، أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري قال : قال ابن طاهر : وسمعت بعض أصحابنا بـ « هراة » يقولون : لما قدم السلطان ألب أرسلان «هراة» في بعض قدماته ، اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ، ودخلوا على الشيخ ابي اسماعيل الأنصاري ، وسلموا عليه ، وقالوا : قد ورد السلطان ونحن عزم أن نخرج ونسلم عليه ، فأحببنا أن نبدأ بالسلام على الشيخ الامام ، ثم نخرج (الى) هنا ، وقد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً صغيراً من صفر وجعلوه في المحراب ، تحت سجادة الشيخ ، وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع الى خلوته ، ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الانصاري ، وقالوا: إنه مجسم ، وانه يترك في محرابه صنما . يقول : إن الله عز وجل على صورته ، وإن يبعث السلطان الآن اليه ، يجد الصنم في قبلة مسجده . فعظم ذلك على السلطان ، وبعث غلاماً ومعه جماعة

ودخلوا الدار، وقصدوا المحراب ، وأخذوا الصنم من تحت السجادة ، ورجع الغلام بالصنم ، فوضعه بين يدي السلطان ، فبعث السلطان بغلمان فأحضروا الانصاري ، فلما دخلوا رأى شيوخ البلد جلوساً ، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحاً ، والسلطان قد اشتد غضبه ، فقال له السلطان : ماهذا؟ قال: هذا صنم يعمل من الصفر ، شبه اللعبة ، فقال : لست عن هذا أسألك. فقال : عما ذا يسأل السلطان ؟ قال : إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا ، وإنك تقول: إن الله عزوجل على صورته . فقال الانصاري : سبحانك هذا بهتان عظيم ، بصوت جهوري وصولة ، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه ، فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً ، وقال لهم : تصدقوني القصة أو أفعل بكم وأفعل ، وذكر تهديداً عظيماً . فقالوا : نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة، وأردنا أن نقطع شره عنا. فأمر بهم ، ووكل بكل واحد منهم ، فلم يرجع الى منزله ، حتى كتب بخطه مبلغاً عظيماً من المال، يؤديه إلى خزانة السلطان، جناية لما فعلوه، وسلموا بأرواحهم ، بعد الهوان العظيم . انتهى. وكذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فلا يخفى ماافتروه عليه ، ورموه به من الإفك ، وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه ، وذكر ابن بطوطة في رحلته المشهورة . قال : وكان دخولي لبعلبك ، عشية النهار ، وخرجت منها بالغدو لفرط اشتياقي الى دمشق ، وصلت يوم الخميس ، التاسع من شهر رمضان المعظم ، عام ست وعشرين وسبعمائة إلى مدينة دمشق الشام ، فنزلت فيها بمدرسة المالكية المعروفة ب(الشرابيشية) . ...الى أن قال: وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة ، تقي الدين بن تيمية كبير الشام ، يتكلم في الفنون... الى أن قال : فحضرته يوم الجمعة ، وهو يعظ الناس ، على منبر الجامع ، ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال:

ان الله ينزل إلى سماء الدنيا ، كنزولي هذا . ونزل درجة من المنبر. فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء.. الى آخر ماهذا به ابن بطوطة. أقول: وأغوثاه بالله من هذا المكذب . الذي لم يخف الله كاذبه ، ولم يستحي مفتريه ، وفي الحديث : « إذا لم تستح فاصنع ماشئت »[1] ووضوح هذا الكذب ، أظهر من أن يحتاج إلى الاطناب ، والله حسيب هذا المفتري الكذاب ، فانه ذكر أنه دخل دمشق في ٩ رمضان سنة ٧٢٦ وشيخ الاسلام ابن تيمية اذ ذاك قد حبس في القلعة ، كما ذكر ذلك العلماء الثقات ، كتلميذه الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، والحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في « طبقات الحنابلة » قال في ترجمة الشيخ من « طبقاته » المذكورة: مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين ، الى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ، وزاد ابن عبد الهادي أنه دخلها في سادس شعبان ، فانظر الى هذا المفتري ، يذكر أنه حضره وهو يعظ الناس على منبر الجامع . فياليت شعري ، هل انتقل منبر الجامع إلى داخل قلعة دمشق ، والحال أن الشيخ رحمه الله لما دخل القلعة المذكورة في التاريخ المذكور لم يخرج منها إلا على النعش ، وكذا ذكر الحافظ عماد الدين بن كثير في « تاريخه » . قال: وفي يوم الاثنين بعد العصر ، السادس من شعبان سنة ٧٢٦ اعتقل الشيخ تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق . حضر إليه من جهة نائب السلطنة مشد الاوقاف ، وابن الخطير ، أحد الحجاب ، وأخبراه أن مرسوم السلطان حضر

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري البدري رضي الله عنه ، ولفظه بتمامه « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » .

بذلك ، وأحضر إليه معها مركوباً ، وأظهر السرور بذلك ، وقال : أنا كنت منتظراً لذلك ، وفيه خير كثير، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخليت له قاعة ، وأجري إليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها . وكان معه اخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم بما يقوم بكفايته . انتهى كلامه . فانظر كلام تلامذته وغيرهم ، من العارفين بحاله ، أهل الورع والأمانة والديانة ؛ يتضح لك كذب ، هذا المغربي عامله الله بما يستحق ، والله أعلم . وكم كذبوا عليه ، وبهتوه وقولوه اشياء هو بريء منها ، والأمر كما قال تلميذه الناظم :

فالبهت عندكم رخيص سعره ... حثوا بلا كيل ولا ميزان

ولله در القائل :

إن كان إثبات الصفات لديكمُ ... فيما أتى مستوجباً لومي
وأصير تيمياً بذلك عندكم ... فالمسلمون جميعهم تيمي

وكذا كذبوا على غيره من علماء الاثبات رحمهم الله تعالى وعفا عنهم .

قال الناظم رحمه الله :

لكن مقالة كونه فوق الورى ... والعرش وهو مباين الأكوان
قد طبّقت شرق البلاد وغربها ... وغدت مقررة لذي الأذهان
فلأي شيء لم ينزه نفسه ... سبحانه في محكم القرآن
عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها ... وظهورها في سائر الأديان

بل دائماً يبدي لنا إثباتها ويعيده بأدلة التبيان

لا سيا تلك المقالة عندكم مقرونة بعبادة الأوثان

أو أنها كمقالة لمثلث عبدالصليب المشرك النصراني

إذ كان جسماً كل موصوف بها ليس الإله منزل الفرقان

فالعابدون لمن على العرش استوى بالذات ليسوا عابدي الديان

لكنهم عباد أوثان لدى هذا المعطل جاحد الرحمن

ولذاك قد جعل المعطل كفرهم هو مقتضى المعقول والبرهان

هذا رأيناه بكتبهم ولم نكذب عليكم فعل ذي البهتان

ولأي شيء لم يحذر خلقه عنها وهذا شأنها ببيان

هذا وليس فسادها بمبين حتى يحال لنا على الأذهان

ولذاك قد شهدت أفاضلكم لها بظهورها للوهم في الانسان

وخفاء ما قالوه من نفي على الأذهان بل تحتاج للبرهان

مضمون هذه الأبيات، أن القول بعلو الله تعالى على خلقه، صرحت به الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل، وكذا الفرقان يبدي إثباتها، ويعيده بجميع أنواع الأدلة، فلو كان هذا كفراً، كما زعمت المعطلة، لنهى عنها القرآن، لأنها عند المعطلة كالشرك، وعبادة الأوثان. وهذا أظهر من الشمس لمن له عينان[1]، ونعوذ بالله من الخذلان. قوله: ولذاك قد شهدت

(١) في الاصل: عينا

أفاضلكم الخ أي أفاضل النفاة قد شهدوا بظهور مقـــالة الإثبات ، في الكتاب والسنة ، وخفاء ما قالوا من النفي ، كما قال السعـد التفتازاني في «شرح المقاصد» فإن قيل: إذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة، فما بال الكتب السماوية ، والأحاديث النبوية، مشعرة في مواضـع لاتحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك وتحقيق؟! كذا كما كررت الدلالة على وجود الصانع ، ووحدته ، وعلمه ،وقدرته ، وحقيقة المعاد، وحشر الأجساد في عدة مواضع ، وأكدت غاية التأكيد، مع أن هذا أيضاً حقيق بغاية التأكيد والتحقيق ، لما تقرر في فطرة العقلاء ـ مع اختلاف الأديان ؛ والآراء في التوحيد ـ إلى العلو عند الدعاء ورفع الأيدي إلى السماء ، ثم أجاب عن ذلك التفتازاني بما يظهر ضعفه من أول وهلة ، وكذا ذكر ذلك غيره .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وتاسع عشرها إلزام ذي التـــعطيل أفســـد لازم ببيان

وفساد لازم قوله هو مقتض	لفساد ذاك القول بالبرهان
فسل المعطل عن ثلاث مسائل	تقضي على التعطيل بالبطلان
ماذا تقول أكان يعرف ربه	هذا الرسول حقيقة العرفان
أم لا وهل كانت نصحيته لنا	كل النصيحة ليس بالخوان

أم لا وهل حاز البلاغة كلها ... فاللفظ والمعنى له طوعان

فإذا انتهت هذي الثلاثه فيه كا ... ملة مبرّأة من النقصان

فلأي شيىء عاش فينا كاتما ... للنفي والتعطيل في الأزمان

بل مفصحاً بالضد منه حقيقية الـ ... إفصاح موضحة بكل بيان

ولأي شيىء لم يصرح بالذي ... صرحتم في ربنا الرحمن

ألعجزه عن ذاك أم تقصيره ... في النصح أم لخفاء هذا الشان؟

حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التـ ... ـعطيل لا المبعوث بالقرآن

هذا هو الدليل التاسع عشر ، من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وحاصله أن الناظم سأل عن ثلاث مسائل ، وكلها مسلمة عند المنازعين . وهو أن تسأل المعطل: هل تقول: إن الرسول ﷺ يعرف ربه ؟ فبالضرورة يقول: نعم ، ثم سله: هل كان في غاية النصح؟ فلا بد أن يقول: نعم . ثم سله: هل حاز البلاغة كلها ؟ فلا بد أن يقول: نعم. فإذا أقر بهذه الثلاثة ، فقل له: فلأي شيء عاش منذ أرسله الله تعالى الى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه وهو يفصح بالإثبات ، ويعيد فيه في كل محضر ومجمع ؟ ولأي شيء كتم النفي والتعطيل ، ولأي شيء لم يصرح بما صرحتم به في ربنا تعالى؟ وهل كان عاجزاً عن أن يقول: استولى ، وينزل أمره أو ملك ، ويقول: (من الله) موضع (أين الله) ، فلازم قولكم عدم معرفة الرسول بربه ، أو عدم النصح ، أو عدم البلاغة ، وهذا اللازم من أفسد اللوازم وأبطلها ، فيدل على فساد لازمه وبطلانه ، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولأي شيء كان يذكر ضد ذا   في كل مجتمع وكل زمان
أتراه أصبح عاجزاً عن قوله استــــتولى وينزل أمره وفلان
ويقول أين الله يعني من بلفـــــظ الأين هل هذا من التبيان
والله ما قال الأئمـــة كل ما   قــد قاله من غير ما كتمان
لكن لأن عقول أهل زمانهم   ضاقت بحمل دقائق الايمان
وغدت بصائرهم كخفاش أتى   ضوء النهار فكف عن طيران
حتى اذا ما الليل جاء ظلامه   أبصرته يسعى بكل مكان
وكذا عقولكمُ لو استشعرتمُ   ياقوم كالحشرات والفئران
أنست بإيحاش الظلام ومالها   بمطالع الأنوار قط يدان

الخفاش معروف ، تقدم ، تعريفه . والحشرات .قال في « القاموس » الهوام ،أو الدواب الصغار ، كالحشرة محركة فيها . انتهى . والفئران جمع فأر بالهمز ، وهو حيوان معروف ، يعني الناظم رحمه الله تعالى أن هؤلاء المعطلة ضاقت عقولهم عن حمل دقائق الايمان ، فصاروا كالحشرات والخفاش التي لا تسعى الا بالليل ، فان هؤلاء المعطلة لم تحمل عقولهم ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما وصف الرب تعالى به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، فصار ذلك لبصائر المعطلة ، كالنهار لأبصار الخفاش والحشرات ونحوها ، نعوذ بالله من عمي البصائر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لوكان حقاً مايقول معطل لعلوه وصفاتـــه الرحمن

لزمتكم شنع ثلاث فارتؤوا أو خلة منهن أو ثنتان

تقديمهم في العلم أو في نصحهم أو في البيان أذاك ذو إمكان

إن كان ما قد قلتمُ حقاً فقد ضل الورى بالوحي والقرآن

إذ فيهما ضد الذي قلتم وما ضدان في المعقول يجتمعان

بل كان أولى أن يعطل منهما ويحال في علم وفي عرفان

أما على جهم وجعد أو على النـــظام أوذي المذهب اليونان

وكذاك أتباع لهم فقع الفلا صم وبكم تابعو العميان

وكذاك أفراخ القرامطة الأُلى قد جاهروا بعداوة الرحمن

كالحاكمية والأُلى والوهم كأبي سعيد ثم آل سنان

وكذا ابن سينا والنصير نصير أهل الشرك والتكذيب والكفران

وكذاك أفراخ المجوس وشبههم والصائبين وكل ذي بهتان

إخوان ابليس اللعين وجنده لا مرحباً بعساكر الشيطان

أفمن حوالته على التنزيل والـــوحي المبين ومحكم القرآن

كمحير أضحت حوالته على أمثاله أم كيف يستويان؟!

أم كيف يشعر تائه بمصابه والقلب قد جعلت له قفلان

قفل من الجهل المركب فوقه قفل التعصب كيف ينفتحان

ومفاتح الاقفال في يد من له التـــصريف سبحان العظيم الشان

فاسأله فتح القفل مجتهداً على الـ أسنان إن الفتح بالاسنان

أي : إن كان حقاً ما تقوله المعطلة لعلو الرب وصفاته ، لزمتهم ثلاث شناعات .

وقوله . فارتؤوا ؛ أي : اطلبوا رأياً تخلصون به من هذه الشنع ، لأن الكتاب والسنة ضد لما قالوه ، والضدان لايجتمعان ، فكان الكتاب والسنة على هذا سبباً لاضلال الناس ، فكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم ، ويحالون في العلم والعرفان على جهم ، وجعد ، والنظام ، وحكماء اليونان ، والقرامطة ونحوهم ، وهذا معنى ماذكره شيخ الاسلام في مقدمة «الحموية» قال : فلو كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هـــذه العبارات ونحوها دون مايفهم من الكتاب والسنة ، إما نصاً ، وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الامة ، أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده أن لا يبوحوا به قط ولا يدلون عليـــه قط لا نصاً ، ولا ظاهراً ، حتى يجيء أنباط الفرس ، والروس ، وفروخ اليهود ، والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف ، أو كل فاضل ، أن يعتقدها ، لئن كان مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون ، هو الاعتقاد الواجب ، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وأن

يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فان حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معاشر العباد لاتطلبون معرفة الله ، وما يستحقه من الصفات نفياً واثباتاً ، لامن الكتاب ، ولامن السنة ، ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم ، فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات ، فصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة ، أو لم يكن ، ومالم تجدوه مستحقاً له في عقولكم ، فلا تصفوه به ، ثم هم هنا فريقان ، أكثرهم يقولون : ما لم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما نفاه قياس عقولكم الذي انتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع اختلاف (الناس) على وجه الارض ، فانفوه ، واليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف مقاييس عقولكم ، أو يثبت مالم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أني أمتحنتكم بتنزيله ، لا لتأخذوا الهدى منه ، لكن ليجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الألفاظ ، وغرائب الكلام ، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه الى الله ، مع طي دلالته على شيء من الصفات ، وهذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء المتكلمين ، وهذا كلام رأيته قد صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه ، ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع لايردون ما تنازعوا فيه الى الله والرسول ، بل الى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية ، أو إلى مثل من يتحاكم اليه من لا يؤمن بالأنبياء ، كالبراهمة ،

والفلاسفة ، وهم المشركون ، والمجوس ، وبعض الصابئين . وان كان هذا الرد لايزيد الأمر إلا شدة ، ولا يرتفع الخلاف به ، اذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم .

وقوله : فقع الفلا : قال في « القاموس » الفقع ويكسر: البيضاء الرخوة من الكمأة ، جمع ، كعنبة . ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .

قوله : أفراخ . قال في « القاموس » : الفرخ : ولد الطائر ، وكل صغير من الحيوان والنبات ، جمع أفرخ ، وأفراخ ، وفراخ ، وفروخ ، وأفرخة ، وفرخان ، والرجل الذليل المطرود . انتهى .

قوله : والحاكمية . هم شيعة الحاكم العبيدي المعتقدون فيه الالهية ، وهو أبو علي منصور بن نزار العزيز بالله ، ابن معد المعز لدين الله العبيدي ، لأتباعه فيه من الاعتقادات الخبيثة ، ما تصم عنه الآذان ، ويقضى على معتقده بالزور والبهتان . وقد ذكر طرفاً من ذلك الحافظ الذهبي ، والحافظ ابن كثير في «تاريخهما» وغيرهما ، والامام أبو شامة في كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين » . وأبو سعيد هو الحسن بن بهرام القرمطي رئيس القرامطة . قال الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه الكبير المسمى بـ«الكامل » قال : في هذه السنة ، يعني سنة ثمان وسبعين ومائتين ، تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة . ثم بسط القول في ابتداء أمرهم . وحاصله أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتقشف ، وكان يسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، كان يدعو الناس إلى امام من أهل البيت رضي الله عنهم ، وأقام على ذلك مدة ، فاستجاب له خلق كثير ، وجرت له أحوال ، أوجبت له حسن الاعتقاد فيه ، وانتشر

ذكرهم بسواد الكوفة . ثم قال ابن الأثير بعد هذا : في سنة ست وثمانين ومائتين ، وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة ، يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين ، واجتمع اليه ناس كثير من الاعراب ، والقرامطة . وقوي أمره فقتل من حوله من أهل تلك القرى . وكان أبو سعيد المذكور يبيع الناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم . ثم عظم أمرهم ، وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز اليهم الخليفة المقتدر بالله جيشاً ، فقاتلهم مقدمه العباس بن عمرو الغنوي فتواقعوا وقعة شديدة ، وانهزم أصحاب العباس ، وأسر العباس ، وكان ذلك في آخر شعبان من سنة سبع وثمانين ، فيما بين البصرة والبحرين . وقتل أبو سعيد الأسرى ، وأحرقهم واستبقى العباس ، ثم أطلقه بعد أيام ، وقال له : امض الى صاحبك ، وعرفه ما رأيت . فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة ، وحضر بين يدي المقتدر ، فخلع عليه . ثم إن القراقطة دخلوا بلاد الشام ، في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت بين الطائفتين وقعات يطول شرحها . ثم قتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلاثمائة . قتله خادم له في الحمام ، وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان ابن ابي سعيد ، ولما قتل أبوه أبو سعيد ، كان قد استولى على هجر والقطيف والطائف ، وسائر بلاد البحرين . وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، في شهر ربيع الآخر منها ، قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكها بغير قتال ، بل صعدوا اليها بليل بسلالم الشعر ، فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ، ثاروا اليهم فقتلوا متولي البلد ، ووضعوا السيف في الناس ، فهربوا منهم . وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منهم الاموال ، ثم عاد الى بلده ، ولم يزالوا يعيثون في البلاد ، ويكثرون فيها الفساد ، من القتل والسبي والنهب والحريق الى سنة سبع عشرة وثلاثمائة . فحج الناس فيها ، وسلموا في طريقهم ،

ثم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية . فنهبوا أمــوال الحاج ، وقتلوهم حتى في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه ، وقلع الحجر الاسود ، وأنفذه الى هجر ، فخرج اليه أمير مكة في جماعة من الاشراف ، فقاتلوهم فقتلهم أجمعين ، وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجـلًا ليقلع المـيزاب ، فسقط فمات ، فطرح القتلى في بئر زمزم ، ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير كفن ، ولا غسل ولا صلاة على أحـد منهم ، وأخذ كسوة البيت ، فقسمها في اصحابه ، ونهب دور أهـل مكة . ثم ذكر ابن الأثـير في سنـة ستين وثلاثمائة أن القرامطة وصلوا الى دمشق ، فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب المصريين ، ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عـين شمس ، وهي على باب القاهرة ، وظهروا عليهم . ثم انتصر أهل مصر عليهم ،فرجعوا عنهم . انتهى .

قال ابن خلـكان : وعلى الجملة . فالذي فعلوه في الاسـلام ، لم يفعله أحـد قبلهم ولا بعدهم من المسلمين ، وملكوا كثـيراً من بلاد العـراق والحجاز وبلاد الشرق وبلاد الشام الى باب مصر ، ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هجر ، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة . والقرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة . والقرمطة في اللغة : تقارب الشيء بعضه من بعض. يقال : خط مقرمط ، ومشي مقرمط إذا كان كذلك[١] وكان أبو سعيد المذكور قصيراً ، مجتمع الخلق ، أسمر كريه المنظر ، فلذلك قيل له: قرمطي . وقدذكر القاضي أبو بكر الباقلاني فصلًا طويلًا من أحوالهم في كتاب « كشف أسرار الباطنية » . وأما الجنابي فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف باء موحده ، وهذه النسبة إلى جنابة ، وهي بلدة من اعمـال فارس ، متصلة بالبحرين عند سـيراف ، والقرامطة منها فنسبوا اليها . انتهى كلام ابن خلـكان رحمه الله تعالى .

---

(١) أي إذا كان فيه مقاربة الخطو .

قوله : ثم آل سنان ، هو البصري الذي كان بحصون الاسماعيلية بالشام ، وكان يقول : قد رفعت عنهم الصوم ، والصلاة ، والحج ، والزكاة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخاتم هذه العشرين وجـــهاً وهو أقربها الى الأذهان

سرد النصوص فانها قد نوعت طرق الأدلة في أتم بيـــان

والنظم يمنعني من استيفائها وسياقـــة الألفاظ بالميزان

فأشير بعض إشارة لمواضع منها وأين البحر من خلجان ؟

فاذكر نصوص الاستواء فانها في سبـــع آيات من القرآن

واذكر نصوص الفوق أيضاً في ثلا ث قد غدت معلومة التبيان

واذكر نصوص علوه في خمسة معلومة برئت من النقصان

واذكر نصوصاً في الكتاب تضمنت تنزيله من ربنـــا الرحمن

فتضمنت أصلين قام عليهما الـــ اسلام والايمان كالبنيان

كون الكتاب كلامه سبحانه وعلوه من فوق كل مكان

وعدداها سبعون حين تعد أو زادت على السبعين في الحسبان

هـذا هو الدليل العشرون من أدلة علو الله تعـالى على خلقـه ، وهي

النصوص الدالة على ذلك من الكتاب العزيز .

قوله : فاذكر نصوص الاستواء الخ . تقدم ذكر آيات الاستواء .

قوله : واذكر نصوص الفوق أيضاً في ثلاث الخ . وهي قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ وقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) الانعام : ١٨ .

وقوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) الانعام : ٦١ الآية .

قوله : واذكر نصوص علوه في خمسة الخ . وهي قوله تعالى في آية الكرسي (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ وفي الرعد : ٩ (وهو الكبير المتعال) وقوله في الشورى : ٤ (وهو العلي العظيم) وقوله تعالى في سورة غافر : ١٢ (فالحكم لله العلي الكبير) وقوله تعالى في سورة سبح : ١ (سبح اسم ربك الاعلى) .

قوله : واذكر نصوصاً في الكتاب الخ . تقدم الكلام في ذلك بما أغنى عن إعادته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر نصوصاً ضمنت رفعاً ومعـــراجاً وإصعاداً الى الديان

هي خمسة معلومـــة بالعد والـــحسبان فاطلبها من القرآن

وهي قوله تعالى عن عيسى عليه السلام : (بل رفعه الله اليه) النساء: ١٥٨ وقوله في سورة سأل : ٤ (تعرج الملائكة والروح اليه) وقوله في سورة السجدة : ٥ (ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠
وقوله تعالى عن عيسى (إني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى في سورة الملك التي   تنجي لقاريها من النيران
نصان إن الله فوق سمائه   عند المحرِّف ما هما نصان

قوله في سورة الملك الخ . روى أحمد ، والحاكم ، وأبو داود ، عن أبي هريرة مرفوعاً قال : « سورة القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له وهي (تبارك الذي بيده الملك)»[1] وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة (تبارك)» الاية :أخرجه الطبراني في «الاوسط» وابن مردويه ،والضياء في « المختارة »[2]
والنصان : هما قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) الملك : ١٦ (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) الملك : ١٧ الاية ،لأن (في) بمعنى (على) أو المراد بذلك مطلق العلو في الآيتين ، كما هو مبسوط في موضعه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى التخصيص بالعند الذي   قلنـــا بسبع بل أُتى بثمان

---

(١) رواه أحمد ، والترمذي ، وابو داود ،و النسائي وابن ماجه ، وسنده حسن.

(٢) أورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « سورة منّ القرآن ماهي الا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة » . رواه الطبراني في «الاوسط» والضياء عن انس بن مالك . قال المناوي في شرحه : قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح . وقال ابن حجر: حديث صحيح .

منها صريح موضعان بسورة الـ أعراف ثم الأنبيـاء الثاني

فتدبر النصين وانظر ماالذي لسواه ليست تقتضي النصـان

وبسورة التحريم أيضاً ثالث بادي الظهور لمن لـه أذنان

ولديه في مزمل قد بينت نفس المراد وقيـدت ببيان

لاتنقص البـاقي فما لمعطل من راحـة فيها ولا تبيان

في سورة الاعراف ١٨٧ (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليهالوقتها الاهو) الى قوله (قل انما علمها عند الله) (ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادتـه ويسبحونه وله يسجدون) الاعراف : ٢٠٦ وفي الأنبياء : ١٩ (وله من في السموات والأرض ومن عنده) الايه .وفي سورة التحريم : ١١ (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) الاية.وفي سورة المزمل : ٢٠ (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) وفي سورة القمر : ٥٥ (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

قوله : لاتنقص الباقي . هو بالصاد المهملة ، أي : لا تنقص المواضع السبعة التي ذكرها الناظم ، لانه لم يذكر الا بعضها ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وبسورة الشورى وفي مزمل سر عظيم شأنه ذو شان

في ذكر تفطير السماء فمن يرد علماً به فهو القريب الداني

لم يسمح المتأخرون بنقله جنباً وضعفاً عنه في الايمان

بل قاله المتقدمون فوارس الـ إسلام هم أمراء هذا الشان

ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره حكيت به القولان

يعني قوله تعالى في سورة الشورى : ٥ (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض) الاية وقوله تعالى في سورة المزمل : ١٧ ، ١٨ (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا . السماء منفطر به) الاية

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وحاديها وعشرين الذي قد جاء في الأخبار والقرآن

إتيان رب العرش جل جلاله ومجيئه للفصل بالميزان

فانظر الى التقسيم والتنويع في الـ قرآن تلفيه صريح ببيان

ان المجيء لذاته لا أمره كلا ولا ملك عظيم الشان

إذ ذانك الأمران قد ذكرا وبيـ ـنهما مجيء الرب ذي الغفران

والله ما احتمل المجيء سوى مجيـ ء الذات بعد تبين البرهان

من أين يأتي يا أولي المعقول إن كنتم ذوي عقل مع العرفان

من فوقنا أو تحتنا (وأمامنا)[1] أو عن شمائلنا وعن أيمان

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في الاصل ، ولا في غيره ولا يستقيم الوزن بدونها.

والله لا يأتيهمُ من تحتهم ... أبداً تعالى الله ذو السلطان

كلا ولا من خلفهم وأمامهم ... وعن الشمائل أو عن الأيمان

والله لا يأتيهمُ الا من الـ ... ـعلو الذي هو فوق كل مكان

هذا هو الدليل الحادي والعشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو إتيان رب العرش جل جلاله ومجيئه الذي جاء في القرآن ، والاحاديث.

قال الله تعالى : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وقال (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الانعام : ١٥٨ وقال تعالى (هل ينظرون الى أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) البقرة : ٢١٠ الاية ويؤخذ من القرآن أن المجيء لذاته ، لا أمره ، ولا ملك ، كما في قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الانعام : ١٥٨ لأن المعطلة يفسرون المجيء والاتيان بمجيء أمره ، او ملك . والمجيء في الاية وهي قوله تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة) الانعام: ١٥٨ لا يحتمل غير مجيء الرب بذاته تعالى، لأن مجيء الملائكة قد تقدم ، ومجيء الأمر -وهو بعض الآيات- تأخر، ومجيء الرب بينهما ، فلا يحتمل ذلك غير مجيء الرب سبحانه .

قال شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني في « عقيدته » : ويثبت اصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ، ولا تكييف ، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ

وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره ، ويكلون علمه الى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك يثبتون ما أنزله الله في كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين في قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقوله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ قال : وأخبرنا ابوبكر بن زكريا ، سمعت أبا حامد ابن الشرقي ، سمعت حمدان السلمي وأبا داود الخفاف ، قالا : سمعنا اسحاق ابن ابراهيم الحنظلي يقول : قال لي الأمير أبو عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب ، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا »[1] كيف ينزل ؟ قال : قلت : أعز الله الأمير ، لا يقال لأمر الرب : كيف ، إنما ينزل بلا كيف ، قال: وسمعت أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا زكريا يحيى بن ابراهيم العنبري ،سمعت ابراهيم ابن أبي طالب ، سمعت أحمد بن سعيد بن ابراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم ، وحضر اسحاق ابن إبراهيم ، فسئل عن حديث النزول ، أصحيح هو ؟ قال : نعم . فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا عبد الله ، تزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ قال: نعم قال : كيف ينزل ؟ قال اسحاق : أثبته فوق . فقال : أثبته فوق . فقال اسحاق : قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ فقال الأمير عبد الله: هذا يوم القيامة . فقال اسحاق : أعز الله الأمير ، من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ وقال أبو عثمان : قرأت في رسالة أبي

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

بكر الاسماعيلي إلى أهل جيلان : إن الله ينزل الى السماء الدنيا[1] على ما صح به الخبر عن النبي ﷺ . وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ نؤمن بذلك كله على ماجاء بلا كيف ، فلو شاء سبحانه أن يبين كيف ذلك فعل ، فانتهينا الى ما أحكمه ،وكفينا عن الذي تشابه ، إذ كنا قد أمرنا به في قوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب)
آل عمران : ٧.انتهى . فاذاً قد ثبت مجيء الرب تعالى وإتيانه من الكتاب والسنة ، فمعلوم انه لا يأتي الا من فوق ، تعالى الله عما يصفه به الجاحدون والمعطلون علواً كبيراً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الاشارة الى ذلك من السنة

واذكر حديثاً في الصحيح تضمنت   كلماته تكذيب ذي البهتان

---

(١) يشير بذلك الى الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة . « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا .. » .

لما قضى الله الخليقة ربنا كتبت يداه كتاب ذي الاحسان

وكتابه هو عنده وضع على الـعرش المجيد الثابت الأركان

إني أنا الرحمن تسبق رحمتي غضبي وذاك لرأفتي وحناني

يشير الى حديث ابي الزناد عن الاعـرج عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل ان يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي ، فهو عنده فوق العرش » اخرجه البخاري ومسلم ، وذكره الذهبي في كتاب « العلو » بلفظ آخر عن ابي هريرة قال : قـال رسول الله ﷺ» : لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش :ان رحمتي سبقت غضبي » قال : ولفظ حديث الثوري عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رفعه « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو مرفوع فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي » وفي حديث صفوان بن عيسى ، ثنا ابن عجلان عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : ان رحمتي تغلب غضبي » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أشار نبينا في خطبة نحو السماء بأصبع وبنان

مستشهداً رب السموات العلى ليرى ويسمع قوله الثقلان

أتراه أمسى للسما مستشهداً أم للذي هو فوق ذي الأكوان

يعني حديث جابر في خطبته ﷺ يوم عرفة ، وقد تقدم[1] .

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر في باب « حجة النبي صلى الله عليه وسلم » .

قال الناظم :

ولقد أتى في رقية المرضى عن الـهادي المبين أتم ما تبيان
نص بأن الله فوق سمائه فأسمعه إن سمحت لك الأذنان

يشير الى حديث ابي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا، وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل علينا رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ » أخرجه ابو داود في « سننه »[١] .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى خبر رواه عمه الـعباس صنو أبيه ذو الاحسان
إن السموات العلى من فوقها الكرسي عليه العرش للرحمن
والله فوق العرش يبصر خلقه فانظره إن سمحت لك العينان

يشير الى حديث الأوعـال : وهو حديث العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ ، فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال : « ماتسمون هذه ؟ » قالوا : السحاب . قال : « والمزن ؟» قالوا : والمزن . قال : « والعنان ؟ » قالوا : والعنان . قال : «هل تدرون مابعد ما بين السماء والارض ؟» قالوا: لا ندري . قال : « إن بعد ما بينهما إما واحدة ، أو اثنتان ، أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك ،

---

(١) رقم (٣٨٩٢) وفي سنده زيادة بن محمد الانصاري . قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب» منكر الحديث ، وأخرجه النسائي ايضاً.

حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة ، بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبهم مثل مابين سماء الى سماء ، ثم على ظهورهم العرش ، بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء الى سماء ، ثم الله تعالى فوق ذلك » رواه ابو داود [1] وابن ماجه وله طرق [2] .

قوله : صنو أبيه . قال ابن الاعرابي : الصنو : المثل ، أراد مثل أبيه . وقيل في قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) الرعد : ٤ أن يكون الاصل واحداً ، وفيه النخلتان ، والثلاث ، والاربع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديث حصين بن المنذر [3] الثـقة الرضى أعني أبا عمران

إذ قال ربي في السماء لرغبتي ولرهبتي أدعوه كل أوان

فأقره الهادي البشير ولم يقل أنت المجسم قائل بمكان

حيّزت بل جهّيت بل شبّهت بل جسّمت لست بعارف الرحمن

هذي مقالتهم لمن قد قال ما قد قاله حقاً أبو عمران

فالله يأخذ حقه منهم ومن أتباعهم فالحق للرحمن

---

(١) رقم (٤٧٢٣) وفي سنده (الوليد ابن ابي ثور) قال الحافظ ابن حجر عنه في « التقريب » : ضعيف . وفيه ايضاً (عبد الله بن عميرة) قال الحافظ الذهبي في « الميزان » : فيه جهالة .

(٢) وكلها لاتخلو من مقال .

(٣) هو ابن عبيد (ابن مانع)

يعني حديث حصين بن المنذر الخزاعي . وهو ما رواه عمران بن خالد ابن طليق ، حدثني أبي عن أبيه عن جده قال : اختلفت قريش الى حصين والد عمران ، فقالوا : إن هذا الرجل يذكر آلهتنا ، فنحب أن تكلمه وتعظه، فمشوا الى قريب من باب النبي ﷺ . فجلسوا ، ودخل حصين ، فلما رآه النبي ﷺ قال : «أوسعوا للشيخ» فأوسعوا له ، وعمران وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، فقال حصين : ماهذا الذي بلغنا عنك؟ إنك تشتم آلهتنا ، وتذكرهم ، وقد كان أبوك حصينة وخيراً . «فقال ياحصين : كم إلهاً تعبد اليوم؟» قال : سبعة ، ستة في الأرض ، وإلهاً في السماء . قال : « فإذا أصابك الضر فمن تدعو ؟ » قال : الذي في السماء . قال : « فاذا هلك المال فمن تدعو ؟» ، قال : الذي في السماء . قال : «فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟» . قال : رضيته في الشكر أو كلمة نحوها ـ أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال : ولا واحدة من هاتين ، وعرفت أني لم أكلم مثله . فقال ياحصين : اسلم تسلم ... وذكر الحديث . أخرجه ابن خزيمة في كتاب « التوحيد »[1] .

وقول الناظم : حيزت الخ . أي : اذا قلت بما قال حصين بن المنذر قالوا : حيزت . أي : قلت بأن الله في حيز . وجهيت . أي قلت بأن الله تعالى في جهة . وشبهت . أي : قلت بما يقتضي التشبيه . وجسمت . أي : قلت بأن الله تعالى جسم ، تعالى الله عن ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر شهادته لمن قد قال ربي في السما بحقيقة الايمان

وشهادة العدل المعطل للذي قد قال ذا بحقيقة الكفران

---

(١) ورواه الترمذي بأخصر منه ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

واحكم بأيهما تشاء وإنني | لأراك تقبل شاهد البطلان
ان كنت من أتباع جهم صاحب التـ | ـعطيل والبهتان والعدوان

يشير الى حديث الجارية[1] وقد تقدم بعض ألفاظه . قال الناظم :

واذكر حديثاً لابن اسحاق الرضى | ذاك الصدوق الحافظ الرباني
في قصة استسقائهم يستشفعو | ن الى الرسول بربه المنان
فاستعظم المختار ذاك وقال شأ | ن الله رب العرش أعظم شان
الله فوق العرش فوق سمائه | سبحان ذي الملكوت والسلطان
ولعرشه منه أطيط مثل ما | قد أط رحل الراكب العجلان
لله ما لقي ابن اسحاق من الـ | ـجهميّ إذ يرميه بالعدوان
ويظل يمدحه اذا كان الذي | يروي يوافق مذهب الطعان
كم قد رأينا منهمُ أمثال ذا | فالحكم لله العليّ الشان
هذا هو التطفيف لا التطفيف في | ذرع ولا كيل ولا ميزان

يعني الناظم حديث ابن اسحاق . وقد رواه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : اخبرنا التاج عبد الخالق ، وبنت عمه ست الاهل ، قالا : أنبأنا البهاء عبد الرحمن بن ابراهيم ، أنبا عبد المغيث بن زهير ، أنبأنا أبو العز ابن

---

(١) رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي في باب « تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من اباحته »

كادش ، أَنبأنا أبو طالب محمد بن علي ، أنبأنا أبو الحسن الدارقطني ، ثنا يحيى بن صاعد ، ثنا محمد بن يزيد أخي كرخويه ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت ابن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير عن أبيه عن جده قال : أتى رسول الله ﷺ اعرابي ، فقال : يارسول الله جهدت الانفس وضاع العيال ، وهلكت الانعام ، ونهكت الاموال ، فاستسق الله لنا ، فانا لنستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال : ويحك ، أتدري ما تقول ؟ ان الله لايستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدري ما الله ؟ إن عرشه لعلى سمواته ،وأرضه هكذا ،قال: وأرانا وهب بيده هكذا ،وقال :مثل القبة ، وانه ليئط أطيط الرحل بالراكب »[1] قال الذهبي : هذا حديث غريب جداً ، وابن اسحاق حجة في المغازى إذا أسند ، وله مناكير وعجائب ، فالله أعلم هل قال رسول لله ﷺ هذا ، أم لا ؟ والله عزوجل ليس كمثله شيء . جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ولا اله غيره. والاطيط الواقع بذات العرش ، من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل والعرش ، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل .ثم لفظ (الأطيط) لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الاحاديث : إننا نؤمن بما صح منها ، وما اتفق السلف على اقراره وإمراره ، فأما ما في اسناده مقال ، أو احتلف العلماء في قبوله أو تأويله ، فإننا لانتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث انما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب .

---

(١) اسناده ضعيف ، فيه عنعنة محمدبن إسحاق ، ولايصح في أطيط العرش حديث .

قال الناظم رحمه الله

واذكر حديث نزوله نصف الدجى ... في ثلث ليل آخر أو ثان

فنزول رب ليس فوق سمائه ... في العقل ممتنع وفي القرآن

تقدم سياق حديث النزول . وقول الناظم : فنزول رب ليس فوق سمائه الخ . هذا نحو ما ذكر شيخ الاسلام في كلامه على حديث النزول[1] قال : سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول ، فقال . ينزل أمره. فقال له السائل : فممن ينزل ؟ ما عندك فوق العرش شيء . فممن ينزل الأمر من العدم المحض ؟ فبهت .

قال الناظم رحمه الله :

واذكر حديث الصادق ابن رواحة ... في شأن جارية لدى الغشيان

فيه الشهادة أن عرش الله فو ... ق الماء خارج هذه الأكوان

والله فوق العرش جل جلاله ... سبحانه عن نفي ذي البهتان

ذكر ابن عبد البر في استيعابه ... هذا وصححه بلا نكران

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » : روينا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحة مشى ليلة إلى أمة له ، فنالها ، فرأته امرأته فلامته ، فجحدها . فقالت له : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، فان الجنب لا يقرأ القرآن ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

(١) وقد قمنا بطبعه بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ الاسلام ابن تيمية .

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

قالت امرأته: صدق الله[1]، وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن، ولا تقرؤه.

قال الناظم رحمه الله:

وحديث معراج الرسول فثابت ... وهو الصريح بغاية التبيان

وإلى إله العرش كان عروجه ... لم يختلف من صحبه رجلان

تقدم الكلام على المعراج بما أغنى عن إعادته، والله أعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

واذكر بقصة خندق حكماً جرى ... لقريظة من سعدٍ الرباني

شهد الرسول بأن حكم الهنا ... من فوق سبع وفقه بوزان

قال الشيخ موفق الدين بن قدامة: قرأ على عبد الله بن منصور وأنا أسمع: أخبركم أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار، أنبأ محمد بن عبد الواحد، أنبأ أبو بكر بن شاذان، أنبأ أبو عبد الله المغلس، ثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني ابي، ثنا محمد بن اسحاق، عن معبد بن كعب بن مالك، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة قال له رسول الله ﷺ «لقد حكمت فيهم حكماً حكم الله به من فوق سبعة أرقعة» وأصل القصة في «الصحيحين»[2].

قال الناظم رحمه الله تعالى:

واذكر حديثا للبراء رواه أصـ ... ـحاب المساند منهم الشيباني

---

(١) في الاصل: آمنت بالله، والتصحيح من «الاستيعاب» لابن عبد البر.

(٢) الذي في «الصحيحين» بلفظ: «قضيت فيهم بحكم الملك» ورواية أخرى حكمت فيهم بحكم الله عز وجل».

وأبو عوانة ثم حاكمنا الرضى   وأبو نعيم الحافظ الرباني

قد صححوه وفيه نص ظاهر   مالم يحرفه أولو العدوان

في شأن روح العبد عند وداعها   وفراقها لمساكن الأبدان

فتظل تصعد في سماء فوقها   أخرى إلى خلاّقها الرحمن

حتى تصير إلى سماء ربها   فيها وهذا نصه بأمان

تقدم الحديث ببعض طرقه ، والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً في الصحيح وفيه تحـذير لذات البعل من هجران

من سخْطِ ربٍ في السماء على التي   هجرت بلا ذنب ولا عدوان

يشير الى حديث ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو المرأة الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى » اخرجه البخاري ومسلم[1] .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً قد زواه جابر   فيه الشفاء لطالب الايمان

في شأن أهل الجنة العليا وما   يلقَون من فضل ومن إحسان

بيناهمُ في عيشهم ونعيمهم   وإذا بنور ساطع الغشيان

لكنهم رفعوا اليه رؤوسهم   فاذا هو الرحمن ذو الغفران

---

(١) واللفظ لمسلم .

فيسلم الجبار جل جلاله حقاً عليهم وهو ذو الاحسان

قد تقدم حديث جابر.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً قد رواه الشافعيّ طريقه فيه أبو اليقظان

في فضل يوم الجُمْعة اليوم الذي بالفضل قد شهدت له النصان

يوم استواء الرب جل جلاله حقاً على العرش العظيم الشان

هذا الحديث ساقه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : أخبرنا أحمد بن عبد المنعم القزويني ، أنبأ محمد بن سعيد ببغداد ، وأنبأ علي بن محمد وجماعة ، قالوا : أنبأ ابن الزبيدي .

ح[1] وأنبأ التاج أبو محمد المغربي ، أنبأ عبد الله بن أحمد الفقيه ببعلبك ، قالوا : أنبأ أبو زرعة ، أنبأ مكي بن منصور أبو بكر الحيري ، ثنا أبو العباس الأصم .

ح وأنبأ محمد بن الحسين ، أنبأ ابن رفاعة ، أنبأ الخلعي ، أنبأ أبو العباس ابن الحاج الاشبيلي ، حدثنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصابوني إملاء قالا : ، ثنا الربيع بن سليمان ، ثنا الشافعي ، أنبأ ابراهيم بن محمد ، حدثني موسى بن عبدة ، حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة ، عن عبيدالله بن عمير[2] أنه سمع أنس بن مالك يقول : أتى جبريل بمرآة

---

(١) هذا الرمز (ح) يعني ان الاسناد تحول الى اشخاص آخرين.

(٢) في الاصل: عبد الله بن عبيد بن عمير، والتصحيح من «مسند الامام الشافعي».

بيضاء فيها وكتة[1] سوداء الى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: « ماهذه ؟ » قال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، والناس لكم فيها تبع ، اليهود والنصارى ، لكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو (الله) بخير الا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد . فقال النبي ﷺ : « وما يوم المزيد ؟ » قال : ان ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح فيه كثب من مسك ، فاذا كان يوم القيامة أنزل الله فيه من شاء من الملائكة ، وحوله الصديقون والشهداء ، فيجلسون من ورائهم على تلك الكتب ، فيقول الله تعالى : أنا ربكم ، قد صدقتكم وعدي ، فسلوني أعطكم ، فيقولون : ربنا نسألك الرضى . فيقول : رضيت عنكم ، ولكم ماشئتم ، ولدي مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة ، لما يعطيهم ربهم من الخير ، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة » إبراهيم وموسى ضعفا ، أخرجه الامام محمد بن ادريس في « مسنده »[2] وقد اخرجه الدارقطني من طريق حمزة ابن واصل المنقري ، عن قتادة ، عن أنس ، ومن طريق عنبسة الرازي عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن انس . (وأخرجه عثمان بن سعيد الدوامي قال: حدثنا هشام بن خالد الدمشقي وكان ثقة ، ثنا)[3] محمد بن شعيب بن

---

(١) في الأصل: نكتة ، والتصحيح من « مسند الشافعي » والوكتة : أثر في شيء كالنقطة من غير لونه والجمع وكت.

(٢) ورواه الطبراني في الاوسط ، والبزار ، وأبو يعلى مختصراً ، وللحافظ ابن عساكر جزء سماه « القول في جملة الاسانيد الواردة في حديث يوم المزيد » قال فيه : ان لهذا الحديث عن أنس عدة طرق في جميعها مقال ، وقد تكلم عليه الهيثمي في « مجمع الزوائد » في فضل يوم الجمعة ، وباب صفة الجنة ، فليراجع.

(٣) مابين القوسين بياض في الاصل : استدركناه من كتاب « الرد على الجهمية » لابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، وقد طبعناه قريبا .

شابور عن عمر مولى غفره عن أنس . وأخرجه القاضي أبو أحمد العسال في في كتاب « المعرفة » له، عن رجاله : عن جرير بن عبد الحميد، عن ليث ابن أبي سليم ، عن عثمان بن أبي حميد ، وهوأبواليقظان ، عن أنس . درواه من طريق سلام بن سليمان عن شعبة واسرائيل وورقاء ، عن ليث أيضاً ، وساقه الدار قطني من رواية شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن عثمان بن ابي سليمان عن أنس . والظاهر أن عثمان أبو اليقظان . وحدث به الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن سالم بن عبد الله عن أنس بن مالك ، وهذه طرق يعضد بعضها بعضاً . رزقنا الله وإياكم لذة النظر الى وجهه الكريم . انتهى كلام الذهبي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر مقالته ألست أمين من ... فوق السماء الواحد المنان

واذكر حديث أبي رزين ثم سقه بطوله كم فيه من عرفان

والله ما المعطل بسماعه ... أبداً قوى إلا على النكران

فأصول دين نبينا فيه أتت ... في غاية الايضاح والتبيان

وبطوله قد ساقه ابن إمامنا ... في سنة والحافظ الطبراني

وكذا أبو بكر بتاريخ له ... وأبوه ذاك زهيره الرباني

يشير بقوله : ألست أمين الخ الى حديث ابي سعيد الخدري قال : بعث علي من اليمن الى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروظ[1] لم تحصل من

---

(١) في الأصل : مقروض ، والتصحيح من « صحيح مسلم » .

ترابها ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة ، بين زيد الخير ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وعلقمة بن علاثة ،أو عامر بن الطفيل، شك عمارة ، فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم . فقال رسول الله ﷺ : ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء[١] صباحاً ومساء...» الحديث.رواه البخاري ومسلم . وحديث أبي رزين ، ساقه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : حديث سمعناه من أحمد بن هبة الله ، وجماعة ، عن محمد بن عبد الواحد ، ثنا اسماعيل بن علي ، أنا محمد بن علي النحوي ، أنا أبو بكر ابن المقري ، ثنا عبدان بن أحمد ، ثنا عمر بن موسى ، ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن أبي رزين العقيلي ، قال : قلت : يارسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال : « كان في عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق العرش ، ثم استوى عليه » رواه الترمذي وابن ماجه ،واسناده حسن وقد رواه شعبة وغيره عن يعلى ، وقالوا : عدس بدل حدس ، ورواه اسحاق ابن راهويه ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث . عن حماد . وعنده : « ثم كان العرش فارتفع على عرشه » وروى حرب عن ابن راهويه « تحته هواء وفوقه هواء » يعني السحاب . وقال ابو عبيد: العماء : الغمام . وقال الحسن ابن عمران الحنظلي الهروي : سمعت ابا الهيثم خالد بن يزيد الرازي يقول : أخطأ أبو عبيد ، إنما العما مقصور ، ولا يدرى أين كان الرب ، يعني قبل خلق العرش . ويروى عن أبي رزين حديث طويل باسنادين مدنيين في الباب ، لكنه ضعيف . انتهى كلام الذهبي .

---

(١) في الاصل : خبر من السماء . والتصحيح من « صحيح مسلم » .

قلت هذا كلام الذهبي ، وقد ساقه بتمامه الناظم في كتاب « الهـدي » وقال : هذا حديث كبير ، جليل الشأن ، ينادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة ... إلى أن قال : ولم يطعن أحد فيه ، وفي أحد من رواته ، فممن رواه الامام بن الامام أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن أحمد بن حنبل في « مسند أبيه » وفي كتاب « السنة » ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب « السنة » له ، والحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد الغسال في كتاب « المعرفة » ، وحافظ زمانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، والحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان أبو الشيخ الاصبهاني في كتاب « السنة » وحافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، وجماعة من الحفاظ يطول ذكرهم . قال ابن منده : روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصغاني ، وعبد الله ابن أحمد بن حنبل وغيرهما . وقد رواه بالعراق بجمع من العلماء وأهـل الدين جماعة من الأئمة ، منهم أبو زرعة الرازي ، وأبو حاتم ، وأبو عبدالله محمد بن اسماعيل ، ولم ينكره أحد ، ولم يتكلم في اسناده ، بل رووه على سبيل القبول والتسليم ، ولاينكر هذا الحديث الى جاهـل ، أو مخالف للكتاب والسنة . هذا كلام أبي عبد الله بن منده . انتهى كلام الناظم ملخصاً

قوله : وبطوله قد ساقه ابن إمامنا . أي : ساقه عبد الله ابن الامام أحمد في كتاب « السنة » له .

قوله : وكذا أبو بكر بتاريخ له . أي : أبو بكر ابن أبي خيثمة في « تاريخه » وأبوه زهير بن حرب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر كلام مجاهد في قوله ... أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد ... ما قيل ذا بالرأي والحسبان
ان كان تجسيماً فان مجاهداً ... هو شيخهم بل شيخه الفوقاني
ولقد أتى ذكر الجلوس به وفي ... أثر رواه جعفر الربـاني
أعني ابن عم نبينا وبغيره ... أيضاً أتى والحق ذو تبيـان

قد تقدم ذكر كلام مجاهد في ذلك ، وبسطنا الكلام فيه بما أغنى عن الاعادة.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والدار قطنيّ الامام يثبت الـ ... آثار في ذا الباب غير جبـان
وله قصيد ضمنت هذا وفيـ ... ـها لست للمروي ذا نكران
وجرت لذلك فتنة في وقته ... من فرقة التعطيل والعدوان
والله ناصر دينه وكتابـه ... ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حربه ... ذا حكمة مذ كانت الفئتان

قال الذهبي في كتاب « العلو » : كان العلامة الحافظ ابو الحسن علي بن عمر ، نادرة العصر ، وفرد الجهابذة ، ختم به هذا الشـأن ، فمما صنف كتاب « الرؤية » وكتاب « الصفات » وكان اليه المنتهي في السنة ومذاهب السلف ، وهو القائل : ما أنبأني أحمد بن سلامة عن يحيى بن بوش ، أنبا بن كادش ، أنشدنا أبو طالب العشاري ، أنشدنا الدارقطني رحمه الله تعالى :

حديث الشفاعة في أحمد الى أحمد المصطفى نسنده
وأمـا حديث باقعـاده على العرش أيضاً فلا نجحده
أَمِرّوا الحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه ما يفسده

توفي الدارقطني رحمه الله سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . انتهى كلام الذهبي ، ولم أقف على المحنة التي ذكرها الناظم رحمه الله تعـالى ، وهي التي جرت للدارقطني علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله أبو الحسن الدارقطني الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصناعة في زمانه ، وقبلها بمدة ، وبعدها الى زماننا هذا ، سمع الكثير ، وجمع وصنف ، وألف وأجاد وأفاد ، وأحسن النظر والتعليل والاعتقاد والانتقاد . وكان فريد عصره ، ونسيج وحده ، وإمام دهره في أسماء الرجال وصناعة التعليل ، والجرح والتعديل ، وحسن التصنيف والتأليف والترصيف ، واتساع الرواية ، والاطلاع التام في الدراية ، له كتاب «السنن» المشهور ، من أحسن المصنفات في بابه ، لم يسبق الى مثله ، ولا يلحق في شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله ، وله كتاب «العلل» بين فيه الصواب من الزلل ، والمتصل من المرسـل ، والمنقطع والمعضل . وكتاب «الافراد» الذي لا يفهمه ـ فضلاً عن أن ينظمه ـ الا هو من الحفاظ الافراد ، والأئمة النقاد ، والجهابذة الجياد ، وله غير ذلك من المصنفات التي هي كالعقود في الاجياد . قال ابن الجوزي : وقد اجتمع فيه مـع معرفة الحديث ، العلم بالقرا آت ، والنحو ، والفقه ، والشعر ، مع الامامة والعدالة ، وصحة العقيدة ، وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء السابع من

ذي القعدة سنة ٣٨٥ وله من العمر تسع وسبعون سنة ودفن من الغد بمقربة معروف الكرخي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وقد اقتصرت على يسير من كثير فائت للعد والحسبان

ما كل هذا قابل التأويل بالتحريف فاستحيوا من الرحمن



تم - بعون الله وتوفيقه ـ الجزء الأول

من كتاب « شرح الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية »

ويليه

الجزء الثاني

وأوله : فصل في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود فيه والمقبول .

الفهرس

□ ✶ □ ✶ □ ★

